

الجمهـــوريـــة الجـزائــريــة الديـــمقراطيــة الشـعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الـــتـعـلـيـــم الـعـــالــــي و الـبـحــث الـعـلــمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلـيـة العلوم الإنسـانيـة و الحضـارة الإسلاميـة
Faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique

الجمهوريه الجزائريه الديمقراطيه الشعبيه
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار

الإحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الأمير عبدالقادر
(1830 ـ 1847م)
من خلال وثائق الأرشيف المغربي

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه
في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:
محمد بن جبور

إشراف الاستاذ الدكتور:
محمد موفقس

لجنة الماقشة:

أ.د فغرور دحو	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران
أ.د موفقس محمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا	جامعة وهران
أ.د بن نعيمة عبدالمجيد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران
أ.د مجاود محمد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
د. عدة بن داهة	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة معسكر
د. بلبروات بن عتو	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية 2012 - 2013

الجمهـــوريـــة الجـزائـريـــة الديـــمقراطيـــة الشـــعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة الــتـــعـلـيـــم الــعـــالـــــي و الــبـحــث الــعـلــمــــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كليـة العلوم الإنسـانيـة و الحضـارة الإسلاميـة
Faculté des sciences humaines et de la civilisation islamique



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ وعلم الآثار

الإحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الأمير عبدالقادر (1830 ـ 1847م) من خلال وثائق الأرشيف المغربي

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه
في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب:
محمد بن جبور

إشراف الاستاذ الدكتور:
محمد موفقس

لجنة الماقشة:

أ.د فغرور دحو	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران
أ.د موفقس محمد	أستاذ التعليم العالي	مشرفا	جامعة وهران
أ.د بن نعيمة عبدالمجيد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران
أ.د مجاود محمد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس
د. عدة بن داهة	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة معسكر
د. بلبروات عتو	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا	جامعة سيدي بلعباس

السنة الجامعية 2012 - 2013


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى رمز التحدي والصبر على البلاء، إلى مثلي الأعلى، أبي العزيز الحاج "أحمد"، إلى نبع الحنان، وقرة عيني أمي الغالية، إلى شهداء الوطن المفدى، وإلى روح الأمير عبدالقادر، رمز الفداء، والوفاء، والجهاد من أجل أن يحيا وطننا حرا مستقلا.

إلى روح أختي الطاهرة "فوزية"، والمرحوم "شريف شريف"

إلى رفيقة الدرب زوجتي، التي وقفت إلى جانبي، وضحت معي،

إلى فلذات كبدي: "سهيلة"، "أحمد أمين"، فوزية"، "أحمد بلال".

إلى إخوتي وأخواتي،

إلى كل المخلصين للوطن أساتذتي وأصدقائي.

أقدم ثمرة جهدي المتواضع.

بن جبور محمد

كلمة شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير الخالص إلى أستاذي الفاضل، الدكتور "موفق محمد"، الذي شرفني بقبوله الإشراف على هذا العمل، ومتابعته له، منذ أن كان مشروعا، إلى أن أصبح إلى ما هو عليه اليوم، فبارك الله فيه، وأحسن إليه، وأيده بنصره وعلمه.

كما أتوجه بشكري وامتناني، إلى كل أساتذة قسم التاريخ وعلم الآثار، الذين أشرفوا على تكويني في مرحلتي الليسانس والماجستير، وأخص بالذكر منهم الأساتذة الأفاضل: الأستاذ الدكتور "الشمري غازي"، الأستاذ الدكتور "فغرور دحو"، الأستاذ الدكتور "بلقاسمي بوعلام"، الأستاذ الدكتور "بنعمية عبد المجيد"، الأستاذ الدكتور "القورصو محمد"، الأستاذ الدكتور "مهديد محمد"، الأستاذ الدكتور "دادة محمد"، وغيرهم كثير.

كما لا يفوتني أن أشكر إدارة المكتبات في وهران، الجزائر، ومصلحة الأرشيف لولاية وهران والجزائر، ووزارة الخارجية الجزائرية على ما قدموه لي من تسهيلات ومساعدات قيمة في فترة إنجاز الرسالة.

وأنوه وأثني على المساعدات العلمية القيمة التي قدمها لي في المغرب، القائمون على الخزانة الملكية بالرباط، ومكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الرباط، بالإضافة إلى المساعدات التي تلقيتها من مركز الدراسات الإسلامية بإكس أن بروفانس بمرسيليا، خاصة الخدمات التي قدمتها لي الدكتورة "غيسلان ألومGHISLANE ALLEAUME"، والدكتورة "كريستيان لاي CHRISTIANE LAYE" بنفس المعهد.

ولن أنسى بهذه المناسبة أن أحيي كل أساتذة وموظفي قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية (جامعة وهران)، بالإضافة إلى زملائي في كلية الآداب واللغات، والعلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة معسكر وجامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس، دون أن أنسى، المساعدات والتسهيلات التي منحت لي في المدرسة العليا للإدارة العسكرية، للناحية العسكرية الثانية، من طرف قائد المدرسة، وموظفي السلك العسكري، مدير التعليم، مدير الدراسات، والقائمين على المكتبة.

وأخص بالشكر الكبير للأخ الفاضل "بوسلهام عبدالقادر" الذي صبر، وتجشم معي المصاعب والأتعاب أثناء إنجاز هذا العمل.

فبارك الله فيهم، وأحسن إليهم وأيدهم بنصره

قائمة المختصرات:

1. باللغة العربية:

الرمز	المعنى
تر	ترجمة
ج	جزء
د م ج	ديوان المطبوعات الجامعية
ش و ن ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ش و ك	الشركة الوطنية للكتاب
ص	صفحة
ص ص	صفحات
ط	طبعة
ع	عدد
م	التاريخ الميلادي
أ ح ت	أرشيف الحكومة التونسية
م و م	مديرية الوثائق الملكية
خ	مخطوط
د ت ط	بدون تاريخ الطبع
خ ح	الخزانة الحسنية
خ م	الخزانة الملكية

2. باللغة الفرنسية:

الرمز	المعنى
Edit	Edition
ibid	Ibidem
N	Numéro
O.P.U	Office des presses universitaires
P	Page
P.U.F	Presse universitaire de France
T	Tome
S.N.E.D	Société nationale d'édition et de la diffusion
V	Volume
B.S.G.A.O	Bulletin de la société géographique et d'archéologie de la province d'Oran
A.S.B.L.A	Académie des sciences et lettres et arts
E.C	Edition complexe
C.N.L	Centre nationale de livre

M.L	Maisonneuve de Larousse
L.F	L’armonial français
B.D.M	Bureau des deux mandes
C.A.O.M	Centre des archives d’autre mer
C.R.S.F	Centre de la recherche scientifique Français
L.H	Librairie Hachette
S.B.F	Société Botanique de France
I.M.A	Institut de mande arabe
C.E	Casbah édition
C.H.D	Service historique de défense
R.A	Revue africaine
R.H	Revue historique
D.G	Dépôts de la guerre
S.H.A.T	Service historique de l’armée de terre
C.P.M	Correspondances politiques Marocaine
A.D.F.M	Archives départemental français et marocaine
A.M.A.E.C.A.M	Archives marocaine administratif et économique


المقدمة

المقدمة:

نتيجة التطور الصناعي، الذي شهدته بعض البلدان الأوربية، وبخاصة فرنسا، وانجلترا، ظهرت الحاجة ماسة إلى البحث عن أسواق خارجية لتصريف منتجاتها الصناعية، وجلب المواد الأولية بأسعار زهيدة، واستغلال اليد العاملة المحلية، ولقد تعاظمت هذه الحاجة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

ولقد كانت منطقة المغرب العربي عرضة لهذه النزعة الاستعمارية، حيث تعرضت إحدى بلدانه للاستعمار الفرنسي، بينما بقيت الأخرى محافظة على سيادتها إلى حين، ومن هذا المنطلق سعت فرنسا ـ خاصة عندما تعاظم نشاط رجال البحر الجزائريين ـإلى التخطيط من أجل احتلال الجزائر، بدعوى نشر الحضارة، وتأديب حكامها وعلى رأسهم الداي حسين، ثم الرحيل عن هذا البلد، بيد أن الواقع أثبت بأن التفكير في غزو الأرض الجزائرية واحتلالها، لم يكن بمحض الصدفة، بل كان مخططا له منذ قرون، وان هذا التفكير قد ترتب واختمر في أذهان الأوربيين ورواد الفكر الاستعماري منذ الحملة التي شنها على الجزائر ملك اسبانيا شارل الخامس عام 1541، بالإضافة إلى إصرار نابليون بونابرت على احتلال البلاد من خلال بعثه للجواسيس الذين كانوا يمدونه بكل المعلومات الخاصة بالإدارة والجيش في أيالة الجزائر، ولقد ازدادت رغبة فرنسا في غزو الجزائر بعد معاهدة أميان عام 1802، وكان هذا سعيا منها لتدارك ما حصل لها في أمريكا من انتكاسات بعدما خرجت من لويزيانا وكندا، بالإضافة إلى تعويض ما خسرته بالحصول على مستعمرات لجلب المواد الأولية واستغلال سكانها كيد عاملة رخيصة، وتأسيس أسواق خارجية لبيع منتجاتها، وكذلك سعيا منها لمنافسة الاستعمار الانجليزي في الحصول على أكبر عدد من المستعمرات، ومن أجل ذلك انصب اهتمام الفرنسيين على الجزائر لاعتبارات عدة، تأتي في مقدمتها جغرافية البلد، وموقعه الاستراتيجي كبوابة لإفريقيا، وتوسطه لبلدان المغرب العربي، وعليه فلقد بادر الفرنسيون منذ إعلانهم عن احتلال الجزائر إلى التعجيل بنشر قواتهم على الأراضي الجزائرية في أكبر حركة استيطانية على حساب الجزائريين الذين تعرضت أراضيهم للمصادرة، وفي المقابل بدأ يزداد عدد

المستوطنين، حيث قدمت لهم الإدارة الاستعمارية عدة تسهيلات وضمانات وإغراءات، وكان الهدف من ذلك الحصول على قوة إضافية لترسيخ وتثبيت قاعدتها الاستعمارية، ونشر منطق القوة والتغلب، وبالتالي تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، وتشتت قبائله بواسطة مصادرة أراضيهم،وكذلك من أجل القضاء على نفوذ الزوايا في الريف الجزائري، وشل دورها الثقافي والاجتماعي وحتى السياسي، للتصدي لأية مقاومة محتملة، واتخاذ الجزائر نقطة انطلاق لاحتلال المناطق المجاورة، وخاصة المغرب، حيث كان الاستعمار الفرنسي يهيئ لإلحاقه بالجزائر، بدليل وجود المخطط الذي وضعه الجواسيس لاتجاهات الحركة الاستعمارية الفرنسية، فكانت الجزائر بالنسبة لفرنسا تمثل مفتاح القبة، فوقع الاحتلال في 05 جويلية 1830 بعدما عجزت حكومة الداي عن صده، وسلم مفاتيح الجزائر بعدما وقع على معاهدة الاحتلال، وبذلك اعتبر الفرنسيون أنفسهم ملاكا شرعيين للأراضي الجزائرية، وأصحاب سيادة مطلقة على سكانها بعد رحيل السلطة العثمانية، ولقد أكدت معاهدة 05 جويلية 1830 ضعف الإدارة العثمانية وهشاشة نظامها السياسي والعسكري وفشله في الدفاع عن الايالة، ومع هذا الفراغ القانوني الرهيب الذي تركه رحيل الداي حسين، انتشرت الفوضى في أنحاء بايلكات الجزائر، وبخاصة بايلك الغرب، بعدما فشل الباي حسن في مواجهته للقوات الفرنسية وتخاذل أمامها، ثم انسحب بعدما أخذ ممتلكاته.

ونتيجة لهذا الوضع الخطير الذي آلت إليه البلاد، وبخاصة في بايلك الغرب الغربي، التقت مجموعة من زعماء قبائل بني هاشم والبرجية، وبني عامر في منطقة معسكر، ونتج عن هذا اللقاء الإجماع بتعين الشيخ محي الدين لقيادة المقاومة الوطنية للاستعمار الفرنسي، وكان للشيخ محي الدين نفوذ في المنطقة، أهلته لقيادة معارك كبرى ضد القوات الفرنسية، سجلتها لنا المصادر التاريخية،فكانت الأولى معركة خنق النطاح الأولىفي أبريل 1832،ورأس العين وسانت أندري في ماي 1832،وخنق النطاح الثانية في أوت 1832، ولقد شارك عبدالقادر بن محي الدين في هذه المعارك، وكان يدافع عن الوطن بحماس وشجاعة، ومن خلال هذه المواجهة ترسخت لدى عبدالقادر فكرة أن فرنسا لا يمكن مواجهتها، إلا بإنشاء دولة لها سلطتها وكيانها ومؤسساتها العسكرية، وهذا ما سعى إلى

تحقيقه منذ حصوله على البيعة الخاصة في 27 نوفمبر 1832، فالأمير عبدالقادر يعتبر من أهم الرجال الذين أنجبتهم بلادنا خلال القرن التاسع عشر لما قام به من أعمال، وما بذله من جهود للقضاء على الاستعمار الفرنسي، ودوره في إعادة بعث وإحياء الدولة الجزائرية الحديثة، هذا المقاوم الذي جمع بين الدين والسياسة، وبين الفكر والحرب.

ورغم ما كتب عن الامير عبدالقادر، وما سيكتب في المستقبل، فإننا لن نستطيع أن نفهذا القائد حقه، وبالتالي سنحاول في هذه الدراسة إلى تقييم بعض الكتابات التي قام بها مجموعة من المؤرخين المغاربة حول الاحتلال الفرنسي ومقاومة الأمير عبدالقادر من 1830 إلى 1847، اعتمادا على وثائق الأرشيف المغربي،مثل وثائق المكتبةالملكية، والخزانة العامة بالرباط، ومديرية الوثائق الملكية بالرباط، بالإضافة إلى المخطوطات المحققة المنشورة والتي مازالت تنتظر التحقيق والطبع، وكان الهدف من ذلك محاولة توضيح ونقد الكتابات المغربية التي كتبت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين،وسأحاول التحليل والتعقيب على هذه الكتابات وفقا لسياقها التاريخي الذي كتبت فيه، واستجلاء واستقصاء المواقف المغربية التي تناولت الاحتلال والمقاومة، وما تمخض عنها من تطورات خلال الفترة المحددة من 1830-1847 على مجمل تاريخ المنطقة.

وقد جاء اختياري لهذا الموضوع لاعتبارات عدة، منها عدم توفر دراسة للموضوع كوحدة مستقلة من قبل الباحثين والمؤرخين حسب ما اطلعنا عليه من دراسات، توفر مادة خصبة للبحث، خاصة الوثائق المغربية، لاسيما وأن بعضها لم يسبق نشره واستغلاله، وبعضها سبق نشره، ولكنه لم يستغل بما فيه الكفاية في المجال الذي تناولته الأطروحة، ولقد حاولت في هذه العمل الابتعاد عن التسجيل الكرونولوجي لمقاومة الأمير للاحتلال، بل تناول تأثيرها الخارجي، بناءا على الظروف التي شهدتها الجزائر والمغرب خلال فترة الدراسة.

- ولعل العامل المباشر الذي حفزني ودفعني إلى دراسة هذا الموضوع هو ما نحن عليه في بلادنا من كفاح مستمر من أجل تأصيل الشخصية الوطنية، وتثبيت قاعدة علمية لتاريخ شعبنا، والوقوف في وجه كل المناورات الخارجية على اختلاف توجهاتها، وعليه فلقد

وجدت بأن الأمة بحاجة إلى أن تكون على اتصال دائم بماضيها العريق، الذي غرس فيها روح التشبث بمقوماتها وأبطالها الذين رفضوا السيطرة، وحاربوا الاستعمار بمختلف الوسائل.

- إن الفترة الممتدة من 1830-1847 وما عرفته من أحداث تاريخية منذ الغزو الفرنسي للجزائر في 05 جويلية 1830، ومقاومة الأمير عبدالقادر للاستعمار بعد حصوله على البيعة الخاصة 1832، إلى انتهاء المقاومة، كل هذه الأحداث تشكل موضوعا هاما أثار انتباهي واهتمامي منذ كنت طالبا في الليسانس، نظرا لعلاقته المباشرة بالأوضاع السياسية التي كان يعيشها المغرب.

-جدية الموضوع:من خلال تفحصي للمادة الأرشيفية الموجودة في الخزائن المغربية، والمكتبات الجزائرية، وجدت مصار أرشيفية ذات علاقة مباشرة بالموضوع، ومما حفزني على دراسته تشجبع الأساتذة ذوي الاختصاص الذين كانوا يشاركون في الملتقيات والندوات الفكرية حول الأمير عبدالقادر، حيث أكد لي الجميع، وفي مقدمتهم الأستاذ المشرف بأن الموضوع حري بالدراسة.

- من المؤكد أن الفترة المعنية بالدراسة كانت بمثابة الأرضية الصلبة التي وقعت فيها عدة أحداث تاريخية خاصة بين الشعبين الجزائري والمغربي، نتيجة الفراغ السياسي الكبير الذي تركه، رحيل السلطة العثمانية، ورغبة السلطة العلوية في المغرب ملئ ذلك الفراغ، في محاولة جادة لضم بايلك الغرب، ولقد أثارت هذه العملية اهتمام العديد من الكتاب المغاربة الذين عايشوا الفترة.

- إن الهدف من هذا البحث هو تتبع المواقف والمبادرات، وأثر مقاومة الأمير عبدالقادر في السياسة المغاربية، ومحاولة فهم الأهداف التي كانت السلطة المغربية تسعى للوصول إليها من خلال دعمها للمقاومة الوطنية، ثم تخليها عن هذا الدعم في نهاية المطاف وتأثير ذلك على الجزائريين.

- لقد اقتصرت كتابة تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر في الغالب على كتابات أجنبية، وكانت تفتقد للموضوعية في الطرح، ولذلك أحاول إعادة كتابة تاريخ هذه الفترة المهمة انطلاقا من الرغبة الملحة في الوقوف على بعض الحقائق التاريخية، وتصحيح بعضها،وهي محاولة متواضعة لتزويد مكتبتنا بدراسة موضوعية، يستفيد منها طلبتنا، نكون بالنسبة إليهم بمثابة حافز للبحث في التاريخ الحديث للشعبين الجزائري والمغربي.

- إن الوصول إلى تقييم موضوعي بقدر الإمكان للكتابات المغربية التي تناولت الاحتلال الفرنسي ومقاومة الأمير عبدالقادر، وإدراك البعد الحقيق لتاريخ المغرب العربي وإعادة أحياء وبعث هذا الإرث الثقيل، يبقى واحدا من أهداف هذه الأطروحة.

- وإذا كانت جوانب من موضوع البحث قد تناولتها أقلام أجنبية ومغربية، فقد افتقدت أغلبها لجانب الموضوعية العلمية في الطرح، وعالجتها بحوث جزئية، فإنهاتحتاج إلى من يكشف الظروف والملابسات التي أحاطت بتلك الفترة التاريخية، من خلال إشكالات محددة واضحة، نحاول أن نجيب عنها في صفحات الدراسة، وهي:

- ما هي النتائج الأولية للاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر؟، وكيف كان رد فعل السلطة المغربية تجاه ما حل بالشعب الجزائري بعد سقوط المدينة وزوال النظام العثماني، بعد رحيل الداي حسين، وموظفيه؟
- مع وجود السلطة العلوية بالمغرب، كيف كان موقف هذه السلطة من الغزو الفرنسي للجزائر؟، وما هي الإجراءات والتدابير التي اتخذتها من أجل إفشال هذه الحملة الشرسة على جزء من وطننا العربي؟
- ما هو الموقف الذي أبداه الشعب المغربي تجاه الاستعمار الفرنسي للجزائر؟، وما هو الانطباع الذي تركه هذا الغزو على مختلف التشكيلات الاجتماعية المغربية؟
- بعد سقوط حكومة الداي حسين ومغادرته مدينة الجزائر، استنجد الجزائريون في الإقليم الغربي بالسلطة العلوية بالمغرب، فهل قام السلطان بالاستجابة لندائهم؟، وإلى أي مدى نجح المغاربة في تحقيق ذلك؟.

- مع حول عام 1832 ظهرت في الإقليم الغربي قوة جديدة على رأسهما الأمير عبدالقادر الذي تزعم حركة الجهاد، وربط مقاومته بالمغرب على أساس الولاء الروحي، والاعتراف بالبيعة، وبتبعية الإقليم للسلطة المغربية، فما هي المرامي التي كان يطمح إليها الأمير عبدالقادر من وراء هذا التوجه؟ وكيف ستكون الدولة الجديدة التي أقامها الأمير عبدالقادرفي ظل تبعيتها للمغرب؟ وما موقف السلطات الفرنسية من هذه القوة الجديدة؟
- كيف كان المغاربة ينظرون للمقاومة الجزائرية في الإقليم الغربي من بلادنا؟ وهل بادروا إلى مساعدة الجزائريين للتخلص من السيطرة الاستعمارية؟ وفي ماذا تمثلت تلك المساعدات التي قدمها الشعب المغربي للجزائريين في بداية هذه المقاومة.
- ما هي الإجراءات والتدابير الاستعجالية التي بادرت بالقيام بها فرنسا للحيلولة دون اتصال الجزائريين بالمغاربة، وبقاء السلطة المغربية في حياد عن كلما كان يحدث من تطورات في الإقليم الغربي؟ وكيف بدأت فرنسا تضغط على المغرب حتى يبقى محايدا؟
- ما هو الدور الذي لعبته القبائل المغربية في شرق المغرب لمقاومة الأمير عبدالقادر؟ وهل استطاع هذا الإقليم أن يساعد الجزائريين المهاجرين والمجاهدين بعد 1842؟
- ما هي النتائج التي أسفرت عنها اتفاقيتي طنجة 1844 ولالة مغنية 1845؟ وكيف كانت تأثيراتها على المقاومة الجزائرية؟
- مع ازدياد الضغوطات الفرنسية على المولى عبد الرحمان من أجل فك الرابطة التي كانت بينه وبين الأمير عبدالقادر، ما هي الإستراتيجية التي انتهجتها القوات الفرنسية لتحقيق هذه الغاية؟
- عندما تم نقل المقاومة الجزائرية إلى شرق المغرب، وتلقى إثرها الأمير عبدالقادر الدعم والمؤازرة من طرف قبائل هذا الإقليم، ما هي دوافع تحالف وولاء هذه القبائل ومؤازرتها للجزائريين، رغم رفض المولى عبد الرحمان لذلك، وما هي الإجراءات التي اتخذتها لإرغام هذه القبائل على التخلي عن مساندتها للجزائريين الذين لجؤوا إليهم؟

- كيف نجح الفرنسيون في عزل الأمير عبدالقادر وأنصاره، وتحييد المولى عبدالرحمان، عن كل ما كان يحدث في الإقليم الغربي من الجزائر؟، وكيف تحول التحالف مع الجزائريين إلى تقارب وتعاون مع الفرنسيين؟
- ما هي النتائج التي أسفر عنها التقارب الفرنسي المغربي، وكيف انعكس هذا التقارب على المقاومة الجزائرية، و هل لعبت السلطة المغربية دورا في إطفاءهذه المقاومة؟
- ويهدف الاقتراب من الإجابة عن هذه الإشكالات المذكورة، كان لابد من إتباع منهج يقوم على محاولة تركيب صورة الأحداث في الزمان والمكان، مع احترام مبدأ التسلسل الزمني، ودون الإخلال بوحدة الموضوع، وذلك من أجل عرض رواية منسجمة للأحداث المتصلة لفترة المدروسة، وبما أن طبيعة هذا الموضوع، وحجم الحقائق التاريخية هما المتحكمان في المنهج المتبع، فلقد كان الاعتماد على المنهج السردي التحليلي، حتى يتمكن القارئ من تتبع التسلسل الكرونولوجي للأحداث التي وقعت بالجزائر في الفترة الممتدة من 1830 إلى 1847،مع استعمال المنهج النقدي التاريخي، واستخلاص النتائج ومقارنتها، من خلال تحليل النصوص التاريخية، وتحليل الإشكالات المطروحة سابقا، وقد جاء الاعتماد على المنهج النقدي الذي يعتمد على التدقيق والتحقيق، وذلك في عمل منهجي بوصف الوقائع وتفسيرها، بغية الانطلاق من العام إلى الخاص، ومن أجل الإجابة عن الإشكالات لإثبات الفرضيات أو نفيها، وكل هذا لغرض ضبط الموضوع ضمن مراحل متسلسلة ومترابطة ومتكاملة،الأمر الذي تطلب اعتماد خطة بحث شملت مقدمة عامة، مدخل للموضوع، أربعة فصول وخاتمة عامة،قائمة الملاحق ترتبط عضويا بالموضوع، وعليه فلقدوضعت خطة حاولت فيها تغطية موضوع البحث من كافة جوانبه، ففي المقدمة جاء التعريف بالموضوع، وأهميته وأسباب اختياره، ثم تحديد إشكالية البحث وخطته والمناهج المعتمدة، وأهم مصادره ومراجعه، مع الإشارة إلى أهم الصعوبات التي واجهتني.

إن المدخل التاريخي،يتناول أوضاع الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي لها في 05 جويلية 1830، وذلك بالتعرف على الأوضاع الداخلية وتحليل انعكاسات انهيار الحكم العثماني،

وتأثيره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وسنحاول الوقوف كذلك على الآثار السلبية التي ترتبت عن الحكم المطلق والمنغلق، الذي طبقه العثمانيون بالجزائر.

والفصل الأول، عنونته بالغزو الفرنسي لمدينة الجزائر وردود الفعل الأولية تجاهه وسنتناول فيه حادثة سقوط مدينة الجزائر في يد القوات الفرنسية، وموقف السلطة المغربية من هذا الغزو والإجراءات التي قامت بها بعد ذلك، وذلك بالتعرض للتوسعات المغربية، وامتداد نفوذها في الأراضي الجزائرية، لنخلص إلى توتر العلاقات بين فرنسا والمغرب بسبب هذه التوسعات.

أما الفصل الثاني،فيتعرضإلى ظهور الأمير عبدالقادر بن محي الدين، وتسارع الأحداث بالأراضي الجزائرية (1832-1834)، وتناولت فيه مبايعة عبدالقادر ابن محي الدين، الذي ظهر بالإقليم كقوة بعد رحيل السلطة العثمانية، وموقف السلطة المغربية من هذه القوة الجديدة، والإجراءات التي اتخذتها لمواجهة هذه الأوضاع والمستجدات، خاصة بعد إبرام الأمير عبدالقادر لمعاهدة مع دي ميشال التي أقرت السلم في الإقليم، وسنتعرض في هذا الفصل كذلك لعدم التزام القوات الفرنسية المحتلة ببنود هذه المعاهدة، والسعي إلى نقضها.

وفي الفصل الثالث،نتناول فيهنقض الصلح مع فرنسا وتجدد الحرب (1835-1839)، حيث تحدثنا فيه عن أهم المعارك التي خاضها الأميرللتصدي ومقاومة توسعات القوات الفرنسية، وحجم المساعدات التي كان يتلقاها من المخزن المغربي، والإمدادات العسكرية التي استفاد منها الجزائريون خلال هذه الفترة، ثم تناولنا موقف سلطان المغرب من معاهدة تافنة التي لم تدم طويلا حيث تجددت المعارك، كما تعرضنا إلى تواجد الأمير عبدالقادر بالأراضي المغربية، وتلقيه للدعم والمساعدة المادية والمعنوية، والبعد الروحي لعلاقة المغاربة بالأمير عبدالقادر، وكذاك حجم المساعدات التي تلقاها من القبائل في شرق المغرب.

وبالنسبة الفصل الرابع،فلقد حمل عنوان بداية تراجع المقاومة الجزائرية وتخلي السلطة المغربية عنها، وتناولت فيه تقارب السلطة المغربية مع الفرنسيين، وأثر ذلك التقارب على حركة الجهاد الجزائرية من 1845 إلى 1847 خاصة بعد لجوء الأمير مرة ثانية لشرق المغرب، ودور هذا الإقليم كقاعدة خلفية للمقاومة الجزائرية، واللاجئين الجزائريين، ثم إلى

أثر سياسة السلطة المغربية على حركة المقاومة الجزائرية، وتفكيك قوة الأمير لنخلص إلى إعداد الحملة العسكرية الأخيرة عليه.

أما الخاتمة، فاشتملت على ما توصلت إليه من خلال البحث من نتائج أجملها في أن الكتابات المغربية قد أنصفت الأمير عبدالقادر، واحترمت مكانته العلمية والعسكرية في بداية المقاومة الجزائرية للقوات الفرنسية، بيد أن بعضها سرعان ما انحرف وبدأ يتهجم على شخصه ويتحامل عليه، وبخاصة كتابات المخزن المغربي، التي كانت تصدر عن السلطان وعماله، أو تلك التي كانت تتم بينهم وبين القادة الفرنسيين، فهذه كتابات تفتقد للموضوعية وتتسم بالذاتية، لأنه بعدما كانت مؤيدة أصبحت متهجمة، وبالتالي فلا يمكن بأي حال من الأحوال الركون إليها، لأنها تحولت من مؤسدة إلى معارضة، ورغم ما كتب وما سيكتب عن هذا البطل، فإن هذا الرجل يعتبر بحق من أهم الأفذاذ الذين عرفتهم بلادنا خلال القرن التاسع عشر.

مصادر ومراجع البحث: ولإنجاز هذا الموضوع انكب اهتمامي بداية وبطريقة منهجية في البحث عن مادة الموضوع، بدءا بمطالعة البيبليوغرافيا، التي تناولت التاريخ العام للجزائر، والتاريخ الحديث والمعاصر خاصة، ثم كخطوة ثانية شرعت في تخصيص الدراسة، ضمن ما حصلت عليه من مصادر ومراجع خاصة بالموضوع، وعليه فلقد استخلصت مجموعة من المصادر والمراجع سأحاول أن أذكر البعض منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- **المصادر:** اعتمدت في هذا البحث على عدة مصادر مختلفة ومتنوعة الموضوعات، ويمكن ترتيبها من حيث الأهمية كما يلي:
2- **الوثائق المخطوطة:** اعتمدت فيها على مجموعة من الوثائق المخطوطة، حيث قمت بنسخها من وثائق الخزانة الملكية بالرباط وبعض الوثائق من أرشيف الخزانة العامة بالرباط، حيث تتناول هذه الوثائق، وعددها 38، الفترة المعنية بالدراسة، ومنها 28 وثيقة تغطي الفترة التاريخية الحساسة في مسار العلاقات الجزائرية المغربية، والعلاقات بين المخزن المغربي والأمير عبدالقادر الجزائري، والعلاقات بين المغرب والحكومة الفرنسية، وتتمثل هذه المخطوطات أساسا في المراسلات

السرية التي كان يوجهها السلطان مولاي عبدالرحمان إلى ابن عمه الذي كان بمدينة تلمسان، أو إلى حكامه بمختلف رتبهم الإدارية، العاملين بين هذه المدينة ومدينة تازة، وأن هذه الرسائل تلقي الأضواء وبشكل عجيب على احتلال الجزائر وما ترتب عنه من عواقب متنوعة على الجزائريين، بيد أن أهمية هذه الرسائل تتجلى في كشفها لعمق تفكير صاحبها، وتكشف نواياه الدفينة، وتوضح المرتكزات التي تقوم عليها سياسة المخزن خلال الفترة 1830 – 1847، والتطورات التي عرفتها هذه السياسة، حسب الضروف وطبيعة الأحداث، هذه الرسائل تفسر وتوضح كيف تعامل المخزن مع الجوار التركي ومع المحتل الفرنسي للجزائر ووهران.

1. وأخيرا فإن هذه الرسائل تمكننا من تقييم الظروف والأسباب الحقيقية التي أملت على السلطان المغربي التدخل في الأراضي الجزائرية، وتمكننا كذلك من تكوين فكرة حول عقلية الأمير عبدالقادر، وفن تحكمه في الظروف والمواقف، التي كانت تصادفه، بالإضافة إلى وثيقتين حصلت عليهما من قسم المخطوطات بمكتبة الحامة، بالجزائر، ولقد أفادتني هذه الوثائق كثيرا في بحثي، وهي تتناول الفترة الزمنية التي حددت في الأطروحة، وتتمثل في مجموعة رسائل مخطوطة كتبت في عهد الأمير عبد القادر، طبعت في مخطوط ضخم، رقم 2755، وظفت منها:

- رسائل الجنرال لامورسير إلى السلطان عبد الرحمان.
- رسالة الجنرال بيجو إلى السلطان عبد الرحمن.

بالإضافة إلى مخطوط الحسيني، محمد السعيد بن محي الدين، نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، رقم 9، ومخطوط ياقوتة النسب الوهاجة، للعربي المشرفي، رقم 3326.

المخطوطات: ولقد قمت بتقسيمها إلى قسمين:

مخطوطات الخزانة الملكية بالرباط ومن أهم ما اعتمدت عليه:

محمد بن أحمد أكنسوس المراكشي: "الجيش العرمرم الخماسي في جلالة الملك الشريف العلوي السجلمانسي"، ويتكون هذا المخطوط من 229 ورقة، وكل ورقة تحتوي على 20 سطرا كتب بخط مغربي، وليس فيه ما يدل على تاريخ كتابته حيث ذكر في ديباجته"أمرنا

بتأليف كتاب يكون في وجه الزمان غرة، ولأعين الناظرين قوة، يجمع أخبار هذه الدولة المباركة الشريفة الحسنية"[1] ولقد قام بترتيب هذا المؤلف ترتيبا دقيقا أشتمل على مقدمة وجناحين وقلب وساقه، ولقد قام بترتيب الجوادات وفق الشهور والسنوات متحدثا عن السلاطين الإشراف على التوالي، ولقد أشار في هذه المقدمة عن الإمامة وشروطها، ثم يشير إلى الألوية، بدءا باللواء الأكبر للرسول صلى الله عليه وسلم، إلى أن يصل إلى الدولة السعدية، فيشير إلى الجيش العرمرم الخماسي الذي أنشأه المولى محمد الشريف السجلمانسي، وفي المخطوط إشارة إلى عهد المولى عبد الرحمان بن هشام، الذي حكم المغرب في عام 1276 هجرية، ولقد ذكر الحوادث التي شهدها عهده، ورتبها زمنيا، حيث أفادنا كثيرا في جمع الحقائق التاريخية وبخاصة تلك المتعلقة بعلاقة هذا السلطان بالأمير عبدالقادر وما وقع من حوادث ومراسلات بين الطرفين في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر، التحامل على شخص الأمير عبدالقادر ومقاومة الجزائريين وإن هذه الاستفادة لم تكن إلا بعدما عرضت هذا المخطوط للمقارنة والتحليل مع مخطوطات أخرى ووقائع تاريخية مذكورة في مصادر مختلفة.

محمد بن مصطفى الحسني المشرفي:"الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، وعد بعض مفاخرها غير المتناهية"، هذا المخطوط يقع في 159 ورقة، كل ورقةتحتوي على 23 سطرا كتب بخط مغربي، ولقد تم تبييضه في عام 1310هـ، وهذا المؤلف عبارة عن شرح لقصيدة شعرية طويلة في مديح الدولة العلوية ومفاخرها، قام بنظمها الشاعر الغالي ابن المكي بن أحمد بن سليمان الفاسي الأندلسي الغرناطي الذي مات عام 1302 هجرية وقبل الاشادة بالدولة العلوية بدأ مديحه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم الثناء على الحلفاء الراشدين، والإشارة إلى الدول الإسلامية التي تعاقبت على حكم المسلمين، إلى أن وصل إلى ولاية المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن عام 1290هـ وهو السلطان الذي عاصره الشاعر، ولقد أشار في قصيدته لبعض الحوادث التي وقعت خلال ولاية هذا السلطان، وإن كان هذا المخطوط لا يخلو من الأخطاء التاريخية والانحياز للحاكم، والتحامل على الأمير ومقاومته، فإنني حاولت قدر الإمكان تصحيح البعض منها، والرد

[1] محمد بن عبد الله، فهارس الخزانة الملكية المجلد الأول، الرباط 1980،ص 138.

على البعض الآخر، والاستفادة منها بشكل موضوعي، ذلك أن صاحبها كان من أهم المقربين للبلاط العلوي، وهذا ما أفادنا في بعض الأحيان من توضيح بعض المسائل.

أبو العلاء إدريس:"ديوان العبر في أخبار أهل القرن الثالث عشر أو الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمان بن هشام"، يتكون هذا المخطوط من 130 ورقة مكتوبة بخط مغربي، وليس به ما يشير إلى تاريخ تأليفه، يتحدث فيه المؤلف عن دولة السلطان المولى سليمان الذي حكم المغرب منذ عام 1206 هجرية، حيث يذكر فيه مناقب ومآثر هذا الرجل، كما يشير إلى بعض العلماء الذي عاصروه والحوادث التي وقعت في أيامه مع التركيز على الحوادث المتعلقة بالمغرب والأقطار الإسلامية الأخرى وخاصة الجزائر، حيث رتبها وفق السنين حتى عام 1265 هجرية ثم ينقطع المخطوط.

ولقد حاولنا الاستفادة من هذا المخطوط، على الرغم من أن صاحبه ـ كذلك ـ كان من أهم الرجال المقربين للبلاط العلوي، من جهة وكتاباته لم تكن في كثير من الأحيان موضوعية، وافتقرت للدقة العلمية، وطغت عليها النزعة الذاتية، بحكم الضغوطات والمضايقات على الكاتب كما يظهر في ثنايا المخطوط، فإننا حاولنا قدر المستطاع أن نتبع الموضوعية في طرح الحقائق التاريخية التي جاء بها هذا المؤلف مبتعدين عن كل ما كان فيه تحامل أو تزييف، ورغم ذلك فلقد قمنا بتوضيح بعض الحقائق بعدما أخضعناها للتصحيح والتحليل والمقارنة.

مخطوطات مكتبة الحامة بالجزائر: لقد واجهتنا عدة صعوبات في العثور على مصادر أرشيفية تخدم الدراسة في هذه المكتبة التي تفتقر إلى المخطوطات الخاصة بالفترة موضوع الدراسة، ورغم ذلك فلقد وجدت مخطوطا يحمل رقم 0009 في خزانة الأمير عبدالقادر، وهو لأخه محمد السعيد، عنوانه "نبذة عن حياة محي الدين وعائلته"، الذي يحتوي على 18 ورقة كتبه بخط يده، نوع الخط مغربي، تاريخ النسخ 02 ذي القعدة 1268 هـ، اسم الناسخ محمد بن عبدالرحمان بن المرسلي، وفيه يتحدث عن حياة الأمير عبدالقادر وأسرته، ولقد استفدنا كثيرا من هذا المخطوط خاصة في الحديث عن الظروف التي عاناها الأمير عبدالقادر بعد لجوئه إلى القبائل المغربية في شرق المغرب.

محمد بن الأعرج السليماني الحسي:"البيان المعرب حول تهافت الأجنبي حول المغرب"، وهو يحتوي على 252 ورقة، وفي الورقة 20 سطرا، مكتوب بخط مغربي ملون، كتب في عام 1344هـ، في بداية المخطوط يتحدث المؤلف عن الدويلات البربرية التي ظهرت ببلاد المغرب من دولة بني حماد الصنهاجية، ثم يشير إلى مجيء الأتراك العثمانية إلى الجزائر، وولاية عروج عليها، ثم تداول الحكام العثمانيين عليها، كما تناول في مؤلفه الغزو الاسباني لمدينة وهران، والدور الذي لعبه الباي محمد بن عثمان الكبيرفي طرد الإسبان من هذه المدينة، وأفرد حديثه عن الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر، ثم توسعاته شرقا وغربا، ونهوض الأمير عبدالقادر وجهاده ضد القوات الفرنسية، ولقد أفادنا هذا المصدر كثيرا، خاصة في الحديث عن لجوء الأمير عبدالقادر للمغرب الأقصى، ونقل دائرته، والدعم الذي لقيه منالقبائل في شرق هذا البلد، كما استفدنا منه كثيرا في تحليل الظروف التي عاناها الأمير مع أصحابه في ظل الحصار الذي ضرب عليه من طرف القوات المخزنية والقوات الفرنسية، إلى حين انتهاء أمره وتسليم نفسه، ولقد حاولنا قدر الإمكان الاستفادة من المعلومات التاريخية التي جاء بها هذا المصدر، ثم قمنا بنقضها وتحليلها، وصياغتها بطريقة موضوعية.

عبد الرحمان بن زيدان الحسني نقيب الأشراف: صاحب مؤلف "أتحاف أعلام الناس بجمالحاضرة مكناس"،يتكون هذا المخطوط من ثلاثة أجزاء بخط مغربي ملون يحتوي في مجموعه على 427 ورقة، في الورقة الواحدة 22 سطرا، يروي فيه الكاتب تاريخ مدينة مكناس ومخطط إنشاءها، كما يتحدث عن جوامعها ومنشآتها، ويشير إلى حكامها العلويين، وأهم الأعمال التي قاموا بها، وبالإضافة إلى استعراض لتراجم كبار العلماء ومشيختهم ووفياتهم ومؤلفاتهم، كما يورد فهارس العلماء والمشاهير كالقاضي عياض، وأبي بكر بن العربي، وأبي العباس المقري وغيرهم، كما تناول في مؤلفه أهم الأحداث التاريخية التي شهدها المغرب، وبخاصة في عهد المولى إسماعيل، والمولى حسن بالتفصيل، حيث تحدث عن الحرف الصنائع، العادات والتقاليد في الأفراح والأحزان، كما يشير إلى ما نزل بالمدينة من أهوال في نهايةالمخطوط، يورد المعاهدة التي تمت بين المغرب وفرنسا عام 1330هـ-1912هـ ، ولقد صدر من هذا المؤلف خمسة أجزاء مطبوعة بمطبعة الرباط عام

1928- وعام 1933، غير أن هذا المخطوط قد اختلفوا في ترتيب الموضوعات مع المطبوع ابتداء من الورقة 293، ولقد استفدنا كثيرا من هذا خاصة الحديث عن عهد المولى، إسماعيل، والمولى عبدالرحمن وما وقع من أحداث تاريخية في عهدهما، والتي ارتبطت بمقاومة الأمير عبدالقادر للقوات الفرنسية، والمواقف التي أبدوها تجاه هذه المقاومة إلى نهايتها، كما نحاول قدر المستطاع تقصي الحقيقة، بعد تعريض هذا المؤلف للنقد والتحليل خاصة وأن ابن زيدان كان من المقربين للبلاط والمخزن المغربي

محمد الصغير بن الحاج عبدالله الوفراني المراكشي: "نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي" هذا المخطوط عبارة عن مجلد يتكون من 142 ورقة في كل ورقة 21 سطر، مكتوبة بخط مغربي ملون، وديباجة مزينة كتب في عام 1206 هـ يتناول فيه صاحبه تاريخ الدولة السعدية، حيث يبدأ بالحديث عن نسب السعديين، ويستشهد على ذلك بما ذكره المؤرخون والحفاظ، كما أشار في مؤلفه إلى بداية هذه الدولة ونهايتها، ثم ينتقل إلى ذكر الدولة الحسنية السجلماسية، حيث عدد ملوكها كالمولى محمد الشريف، المولى الرشيد، المولى إسماعيل، وصراع هذه الدولة مع البرتغاليين، وحروبها وغزواتها حتى بلوغها القوة في القرن الحادي عشر، ولقد استفدنا كثيرا من هذا المخطوط، خاصة في معرفة تاريخ الدولة السعدية وحكامها، والأحداث التاريخية التي شهدها المغرب الأقصى في القرن الحادي عشر، وعلاقة هذا البلد بأيالة الجزائر، ودوره في تفعيل هذه الأحداث وبخاصة تلك المتعلقة بالقطر الجزائري، ولقد سعينا إلى استخدام النقد والتحليل في شكل موضوعي وحيادي، بغرض عرض الحقائق التاريخية.

3- **المصادر المطبوعة:** اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر المطبوعة المغربية والجزائرية يمكن ترتيبها على النحو التالي:

أ- المصادر باللغة العربية:

أبو العباس أحمد بن خالد الناصريالسلاوي:"الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى"، هذا الكتاب يتكون من مجلدين كبيرين يتكون المجلد الأول من 275 صفحة، وكل صفحة تحتوي على 25 سطرا، أما المجلد الثاني فيتكون من 309 صفحة، من نفس الحجم والأسطر

مكتوبة بخط مغربي حديث، ولقد تم نشر هذا الكتاب بالقاهرة في أربعة أجزاء عام 1894، ثم نشر في تسعة أجزاء بمطبعة الدار البيضاء ودار الكتاب عامي 1954، و1956، ويعتبر هذا الكتاب المؤلف الوحيد الذي يجمع دول المغرب العربي من أولها إلى آخرها في آن واحد، ولقد اعتمد الناصري في كتابه على الاقتباس المستمر من مختلف المصادر والمراجع كابن خلدون، ابن خلكان، المقري، ابن الخطيب، ابن أبي زرع، اليفراني، وغيرهم، ولقد تناول فيه الدويلات الإسلامية، كما يحدث عن القبائل البربرية في بلاد المغرب، ويشير إلى الأحداث التاريخية التي شهدتها على عهد المولى إسماعيل، وخلال حديث الناصري عن مقاومة الأمير عبدالقادر، نلاحظ الكثير من التحامل على شخصه، على أساس أن الجزائريين كانت لهم أطماع في الملك، وأن الأمير عبدالقادر كان يهدف إلى تعويض العرش المغربي، ولقد شاطره هذا الرأي أكثر الباحثين المغاربة، من خلال ما ورد من نصوص ووثائق، وبالرغم من تحامل الكاتب، فإننا حاولنا أن نستفيد من هذا المؤلف وما كتبه عن مقاومة الأمير عبدالقادر، بعدما أخضعنا معلوماته للمقارنة والتحليل والنقد.

لآغا المزاري بن عودة وكتابه "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا"، والذي قام بتحقيقه المرحوم الدكتور يحيى بوعزيز، تناول فيه تاريخ المخزن، حيث أفرط في مدح وتعظيم فرسان المخزن، فالمزاري لم يأت بالجديد، بل قام بسرد الأحداث التاريخية التي تطرق إليها من عاصره من المؤرخين، وتعرض إلى تاريخ مدينة وهران، ومن بناها، وذكر بعض أوليائها والتعريف بهمّ، وبالدول التي حكمتها، ثم خصص جزءا كبيرا من كتابه للحديث عن مخزن المدينة، وعن غزو إسبانيا لها، وعهد محمد عثمان باشا، كما قام بالتأريخ لنظام الحكم العثماني بالجزائر، الإداري والعسكري، ورصد عواصم الغرب الجزائري، وخص جزءا للكلام عن ثورة درقاوة والتيجاني، وما حصل إثرها من قلاقل واضطرابات، ثم تحدث عن غزو الفرنسيين لبلادنا واحتلالهم لوهران، حيث استقى أغلب معلوماته عن "دليل الحيران"، ثم أفرد حديثه لأحداث الدواير والزمالة، وكيف استسلموا للقوات الفرنسية، ولقد توسع في الحديث عن مقاومة الأمير عبدالقادر وأهم معاركه، ولقد أفادنا هذا الكتاب في جمع المادة حول الأحداث التي شهدهاالإقليم الغربي أثناء مقاومة الأمير، حتى سفره إلى المغرب،بيد أن هذا المؤلف اعتمد في كتابه المنهج السردي،

بنقله عن مصادر مختلفة ومتنوع،ة وكان نادرا ما يبدي رأيه أو موقفه من الأحداث، ولذلك ورغم كثرة المعلومات التي قدمها لنا المزاري بن عودة، وسردها في كتابه المحقق، فإن مؤلفه لا يخلو من الأخطاء التاريخية والجغرافية، وحتى اللغوية، وإنما حاولنا قدر المستطاع تصحيح ما يمكن تصحيحه، حتى نستفيد منه استفادة موضوعية، بعيدة عن الميل أو التحيز.

أحمد الشريف الزهار نقيب الأشراف:"مذكرات"، يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية الخاصة بتاريخ الجزائر في أواخر العهد العثماني، قام بتحقيقه الأستاذ أحمد توفيق المدني ونشره عام 1980، تولى صاحب هذا المؤلف نقابة الأشراف بعد وفاة والده، شغل عدة مناصب من بينها منصب كاتب الحاج أحمد باي قسنطينة، ثم انتقل إلى المغرب، حيث تفرغ للتأليف والتأريخ للحوادث التاريخية التي عرفتها الإيالة الجزائرية، ابتداء من حكم الباشا علي (1754-1766) إلى حكم الداي حسين (1816-1830)، ولقد اعتمد الزهار في كتابته على منهجية محددة، حيث استهل كتابه بالحديث عن اسم الوالي، وتحديد تاريخ توليه السلطة، والأحداث التي وقعت في عهده، بشكل متسلسل، حسب زمن حدوثها، ولقد أفادنا هذا الكتاب خاصة في معرفة الأحداث التي عرفها الإقليم الغربي من بلادنا بعد عام 1830، حيث حاولنا الاستفادة منها بشكل موضوعي بعد تعريض المعلومات للنقد والتحليل.

خوجة حمدان بن عثمان:"المرآة"، وعنوانه بالفرنسية هو نظرة تاريخية عن إيالة الجزائر historique sur la régence d'Alger نشر في باريس عام 1833، قام بتعريبه وتحقيقه الاستاذ محمد العربي الزبيري عام 1981، ولقد اعتمدنا على الطبعة الثانية، والكاتب كان مزدوج اللغة فبالإضافة إلى العربية كان يتقن الفرنسية والانجليزية، وكان كثير الإطلاع على القوانين الدولية والثقافات الغربية، وتاريخها وكتابه يشمل معلومات غزيرة حول تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني، إذ احتوى على لمحة تاريخية لإيالة الجزائر وحكومة الأتراك، والدخول الفرنسي إلى سيدي فرج في عهد حسين باشا، واتفاقية تسليم مفاتيح الجزائر، وتفاصيل عن دخول المارشال بورمون وإدارته، وعن أحداث الترسانة، والاحتلال العسكري، وسلوك الضباط الفرنسيين.

ولقد أسهب الكاتب في الحديث عن سياسة الجنرال كلوزيل تجاه الجزائريين، والإجراءات التي اتخذها تجاه الأوقاف والمؤسسات الخيرية التي أقمها الجزائريون، وتسابق الجنرالات والقادة العسكريين لاختيار أجمل الحدائق وأخصب الأراضي، كما استفدنا منه في الحديث عن دخول الفرنسيين إلى مدينة وهران، وشق العرب عصا الطاعة على سلطة الباي حسن، واستيلائهم على المزارع والممتلكات التابعة له، بيد أن معلوماته حول الإقليم الغربي وما وقع له أثناء الحملة الفرنسية قد جاءت ناقصة، كما أن صاحبها كان في كثير من الأحيان لا يذكر أسماء بعض الشخصيات الفرنسية، إلا أننا استفدنا من هذا الكتاب، ووضفنا معلوماته التاريخية خدمة للرسالة.

محمد بن عبدالقادر "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر**":**يقدم لنا معلومات تاريخية غزيرة، وتفاصيل كثيرة عن الأحداث التي وقعت في الفترة التي عاشها الأمير عبدالقادر، وإن تميزت هذه الفترة بقصر المدة، فإن هذه المعلومات تبقى قليلة عند المؤلفين الآخرين، وخاصة ما يتصل منها بحياته الشخصية، وبعلاقاته مع القبائل الجزائرية، وعلى رأسهم الخلفاء والمقربين منه، وما شهدته هذه الفترة من آلام ومآسي حينا، وسرورا وأمنا حينا آخر، حيث يتحدث المؤلف عن الصراع الذي بدأ بعد الاحتلال الفرنسي بين العرب والأتراك والكراغلة، وينتقل بعد ذلك للحديث عن دهاء الأمير عبدالقادر وشجاعته، وعن شخصيته بشكل عام، كما يتحدث عن ثقافته وتمكنه من اللغة العربية والأدب العربي، وعن أسرته، وعن أسلوب حياته، وطريقة معيشته البسيطة في المأكل والملبس على حد سواء، وهي الصفات التي جعلت من الأمير الشخصية الفذة والنادرة.

كما يقدم المؤلف صورة عن الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر في ظل المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير، وعن الظروف التي هيئت له تقوية جيشه، وتثبيت سلطانه، فالمعلومات التي قدمها محمد بن عبدالقادر، البعض منها لم تذكر من طرف المؤرخين بنفس التفاصيل، وقد نطرح سؤالا عن صحة ما رواه المؤلف من الناحية التاريخية، وعن مدى صدقه، فيما جاء به من معلومات، على أن الكتاب لا يخلو في بعض الأحيان من الخلط، الذي قد يعود إلى سوء الفهم، سواء أكان مصدره هو نفسه أم مصدر آخر، ويبقى أن نذكر

في الأخير بان كتاب تحفة الزائر عند قراءته نشعر بأننا لا نقرأ كتابا في التاريخ، وإنما سيرة ذاتية لحياة الأمير عبدالقادر، أو رواية مثلتها شخصيات رسمها الكاتب بدقة، وهذا ما جعله في عدة مواقف يخرج عن طوره ويعبر عن مشاعره الشخصية تجاه الأمير عبدالقادر.

ب. المصادر الفرنسية

اعتمدنا في كتابة هذه الأطروحة على بعض المصادر الفرنسية نذكر منها:

- **إسماعيل حمت Ismail Hamet:** يعتبر كتابه "الحكومة المغربية واحتلال الجزائر" **« le gouvernement marocain et la conquête d'Alger »** من أهم المصادر التي تتناول العلاقات المغربية الجزائرية، والعلاقات بين السلطان والأمير عبدالقادر، وبين المغرب وفرنسا، المؤلف من مواليد الجزائر العاصمة، 08 أوت 1857، تخرج من المدرس الحربية الفرنسية برتبة ضابط مترجم سنة 1877.

كما تتجلى أهمية هذه الدراسة في كونها، ضلت منذ صدورها عام 1923، وإلى الزمن الحاضر مصدرا لا غنى عنه في موضوع الاحتلال الفرنسي للجزائر والعلاقات المغربية الجزائرية، ومما يدل ويؤكد هذه الأهمية، تأثر بعض الباحثين صيغة ودلالة بالعنوان الذي يحمله هذا الكتاب، فعلى سبيل المثال نشير إلى الكتاب الذي أصدره المؤرخ الفرنسي، دي كوسي بريساك Decossé brissac سنة 1931، وقد قام بترجمة هذا الكتاب وتصديره زكي مبارك ومحمد لخواجة، حيث صدرت الطبعة الأولى سنة 2010 لدار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب.

- دي كوسي بريساك Decossé brissac العلاقات بين فرنسا والمغرب خلال احتلال الجزائر (1847_1870) (1830-1847) (les reports de la France du Maroc)، ولقد استفدنا كثيرا من هذا المصدر، خاصة في الحديث عن ظروف الاحتلال الفرنسي للجزائر وموقف المخزن المغربي منه، وأفادنا كذلك في معرفة الإجراءات التي قام بها سلطان المغرب للدخول إلى مدينة تلمسان علما بان المصادر التي تحدثت عن هذه

المرحلة تبقى ناقصة واغلبها كتبت باللغة الفرنسية ومعظمها جاءت غير موثقة ومختصرة.

- دوما مراسلات (carrespondram ce du copitagine dans cansula mascara) (1837- 1839) ولقد وظفنا هذا المصدر خاصة عند تناولنا لتطور الأحداث خلال تولي هذا الموظف منصب ممثل الحكومة الفرنسية في مدينة معسكر ولقد أفادها كثيرا أثناء طيلة توليه هذه المهمة، حيث استفدنا من بعض المعلومات وليست كلها بعد التأكد من صحتها وتعريضها للنقد البناء
- شانقرنيه changragnier.T مذكرات الجنرال شانقرنيه (mémoire du général changranier)، ولقد قدم لنا هذا المصدر معلومات غزيرة حول المقاطعات التي اعتمد عليها الأمير عبدالقادر في حربه ضد الفرنسيين وتحدث عن معظم الوقائع التاريخية التي طبعت حياة الأمير عبدالقادر السياسية والعسكرية كما ذكر أهم المعارك التي عايشها ولقد حاولنا الاستفادة من بعض هذه المعلومات بعد تعريضها للنقد والتحليل فأخذنا ما هو مناسب للدراسة
- فرونسوا قيزو Français Guizot(histoire parlementaire de France) (1819- 1848)التاريخ البرلماني لفرنسا (1819-1848)، حاولنا الاستفادة من هذا المصدر حيث استقينا منه معلومات قيمة خاصة بالنقاشات التي كانت تتم داخل مجلس النواب الفرنسي حول مجريات الحرب التي شنها الأمير عبدالقادر على القوات الفرنسية، كما جمعنا معلومات عن الأحداث التي كانت تقع بعد انقضاء الحرب.
- لويس بلان Lauis Blanc الثورة الفرنسية تاريخ عشرة سنوات Revolution Française Histoire de dix ans (30-40)، ولقد اعتمدنا هذا المصدر بعد ما تقصينا صحة المعلومات التي جاء بها، وتعريض اغلبها للنقد والتحليل حيث استفدنا كثيرا منها خاصة في الحديث عن الظروف الداخلية التي كانت تعيشها فرنسا خلال العشر سنوات الأولى من تواجد الاستعمار، وما كان يحدث في الكواليس الفرنسية لإضعاف مقاومة الأمير عبدالقادر واحتواءها.

- ليون روش L،Rochers اثنان وثلاثون سنة عبر الإسلام Trente deux ans à travers l'Islam (1832-1864).اصاحب هذه المذكرات جمع معلومات كثيرة حول مقاومة الأمير عبدالقادر، وكانمن بطانته بعدمادعى الإسلام، وسمى نفسه بعمر، كان يتقن اللغة العربية،فعمل ترجمانا في مدينة معسكر، وكان ينقل الأخبار، ومن خلال ذلك حاولنا جمع المادة الخاصة بالأطروحة من هذا الكتاب، بيد أن معلوماته تحتمل الكثير من المغالطات والأخطاء التاريخية، كونه كان يميل كثيرا للطرف الفرنسي، وأثناء إطلاعنا على مذكرات ليون روش، حاولنا استخراج أهم المواقف التي وصف فيها الأمير عبدالقادر، والتي من خلالها يمكن أن نبرز وجهة نظره حول المقاومة الجزائرية، ليسباعتباره شخص أوروبي، بل كممثل لفرنسا، ويدافع عنها، وجاسوسا لحسابها، ومخادعا للأمير عبدالقادر، والثقة التي وضعها فيه، ولو لم يكن روش كذلك لاعتبرت مذكراته مصدرا تاريخيا هاما للتأريخ لمقاومة الأمير عبدالقادر، وان كانت تبقى مهمة للباحثين في تاريخ الجزائر الحديث وعليهم الحذر في التعامل معها.

4- المراجع باللغة العربية:

لقد اعتمدت في دراستي على مجموعة من المراجع العربية التي خدمت الموضوع بشكل خاص نذكر منها أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، أديب حرب التاريخ العسكري والإداري للأمير عبدالقادر، إسماعيل العربي المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبدالقادر، عبدالرحمان الجيلالي تاريخ الجزائر العام الجزء الرابع، يحيى بوعزيز علاقات الأمير عبدالقادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين، وكتاب آخر بعنوان الأمير عبدالقادر رائد الكفاح الجزائري،بالإضافة إلى مؤلف بعنوان كفاح الجزائر، كتاب جمال قنان نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830-1914)، فضلا عن عمر بوزيان جذور اتحاد المغرب والجزائر(1852-1870)، أحمد العماري مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، ثم المكي حلول مسألة الحدود المغربية الجزائرية، بالإضافة إلى إبراهيم ياسين موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولقد اعتمدنا كذلك على بعض الدراسات المختصة الصادرة في عدة مجلات ومن أهمها:

الدراسات التي قام بها الدكتور رابح لونيسي الاستعمار الاستيطاني في الجزائر خلال القرن 19 (مجلة عصور)، ورشيد بورويبة القلاع والحصون التي أنشأها الأمير عبدالقادر (مجلة الثقافة)، عبد الجليل التميمي مغامرة الحماية التونسية على وهران (المجلية التاريخيةالمغربية)،المهدي البوعبدلي الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي (مجلة الأصالة)، حميدة عميراوي الغزو الفرنسي للجزائر منذ 1830 (مجلة سرتا)،أوصديق فوزي دستور دولة الأمير عبدالقادر الملتقى الثقافي تيارت 1996، إسماعيل العربي حكومة الأمير عبدالقادر(مجلة الثقافة والسياحة الجزائر).

5- المراجع باللغة الفرنسية

حيث استفدت كثيرا من بعض المراجع الفرنسية، إذ قمت بجمع مادة علمية غزيرة وشرعت في ترجمتها مع تحري الدقة في نقل المعنى المراد ترجمته ترجمة صحيحة ومن أهم هذه المراجع استعنت بكتاب أكور الوجود المغربي في تلمسان A cour, L’occupation marocaine de Tlemcen،وكتاب شارل روبار أجيرون الأمير عبدالقادر وبداية المقاومة الجزائرية Ageron Ch R, Abdelkader et la première résistance Algériènne،وكتاب بول أزان ظهور عبدالقادر Azan.P, L’émir Abdelkader 1808-1883،بالإضافة إلى مرجع أخر وهو للمؤلف روبار تيتوان الاستيطان الفرنسي في القطاع الوهراني Tinthoin. R., Colonisation et évolution de genre de vie dans la région Ouest d’Oran de 1830 à 1885، وكتاب مولاي بلحميسي "معاركمزغران" Moulay Belhamissi « la batai de mezeghran »وعليه فقد حاولنا الاستفادة من هذه المراجع الفرنسية، بعدما قمنا بنقدها والتأكد من صحتها، وبالإضافة إلى هذه المؤلفات، اعتمدنا على بعض الدوريات الأجنبية كالمجلة الإفريقية« revue Africaine » وجريدة الأخبار، وبخاصة الأعداد الصادرة في الفترة الممتدة من عام 1845-1847، وعلى الرغم من أن هذه المراجع يوجد فيها كثير من التحيز والميل للطرف الاستعماري، فإنها أفادتنا كثيرا، خاصة في توضيح بعض الحقائق التاريخية، وفي الأخير حرصنا على الموضوعية العلمية، وتوثيق النصوص التاريخية لمعالجة الموضوع.

5- الموسوعات والقواميس:

ولقد اعتمدت عليها للتعريف عن ببعض الإعلام والأماكن والمصطلحات التي وردت في الدراسة ومن بينها المنجد لكرم البستاني والإعلام للزركلي وموسوعة أعلام المغرب لمحمدحجي،ومعجم البلدان لياقوت الحموي ولسان العرب لابن منظور كما وظفت معجم مشاهير المغاربة لبوعمران الشيخ والموسوعة العسكرية وكتاب قصة وتاريخ الحضارات بين الأمس واليوم لميشال حداد.

إن هذه المصادر والمراجع قد تناولت في مجملها تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر يمكن تصنيفها إلى صنفين الصنف الأول أرخ وكتب عن الجزائر انطلاقا من نزعة وطنية بعيدة عن أي ضغط أو تزييف ومع هذا الصنف تجد كتابات مغربية كتبت عن الأمير وفق ميولات وأهواء فتارة تمجد وتارة أخرى تذم الرجل وهذا ما لمسناه من خلال الرسائل التي تبادلها الأمير عبدالقادر مع السلطان وعلماء وفقهاء المغرب وسنحاول التعقيب عن هذه الكتابات حتى نضعها في سياقها التاريخي الذي وردت فيه وهناك صنف ثاني أرخ لتاريخ الجزائر انطلاقا من نزعت استعمارية كتبها مؤرخون فرنسيون حيث حاول هؤلاء صياغة ما رأوه مناسبا من تزييف وتحريف الحقيقة التاريخية حول الأمير عبدالقادر ونحن ليس بوسعنا إلا أن نعتمد على هذه الكتابات في دراستنا وهذا ما يجعلنا نقع في التناقضات نتيجة نقص الكتابات العربية و الجزائرية خاصة ولذلك حاولنا توثيق الدراسة بالاعتماد على الكتابات العربية آخذين المغربية نموذجا وبالتالي حرصنا على جمع المادة من دور الأرشيف المغربية مثل وثائق الخزانة الملكية بالرباط والخزانة العامة ومديرية الوثائق الملكية بالرباط وغيرها من المخطوطات المطبوعة والغير مطبوعة وستحاول تقديم جواب تقريبي عن الإشكال المطروح لتوضيح ما كتب المغاربة الأشقاء عن احتلال فرنسا للجزائر وعن مقاومة الأمير عبدالقادر هذا الاحتلال في الفترة الممتدة 1830 إلى 1847 كما ستحاول وضع هذه الكتابات في سياقها التاريخي الموضوعي خاصة كتابات محمد إكنسوس وأبو العلاء إدريس وعليه يمكن القول بان بعض الكتابات قد أنصفت الأمير عبدالقادر وأعطته حقه ومكانته الروحية والعسكرية رغم وجود كتابات تابعة للمخزن أو واقعة تحت

ضغط جهات دخيلة عن المغرب إذ وجدنا هذه الكتابات قد تحولت من المجاملة والود إلى الذم والطعن في صحة الجهاد وهذا ما سنحاول طرحه في دراستنا.

أما بالنسبة للمشاكل التي واجهتني أثناء انجاز هذه الأطروحة، فمن دون أدنى شك فإن محاولة البحث والغوص في مثل هذه المواضيع، لا يخلو من الصعوبات ذلك أن الأمر يتطلب السفر إلى فرنسا و المغرب، خاصة وانه يرتكز أساسا على المادة الأرشيفية وبذلك فلقد واجهتني مشكلة قلة المادة الأرشيفية التي تخدم الموضوع وهذا ما جعل الدراسة صعبة نوعا ما، فلقد اعتمدت على مادة أرشيفية موزعة في أماكن عدة، ولكن حسب اعتقادي تظل ناقصة وغير كافية لمعرفة أمم الحقائق التاريخية في الفترة المدروسة من حياة الأمير عبدالقادر، ولذلك فالمجال مفتوح أمام باحثين آخرين لمواصلة المشوار العلمي.

صعوبة السفر إلى المغرب، حيث كنت مخيرا في العطلة بين السفر إلى هذا البلد، أو فرنسا، ففي المغرب وجدت أثناء سفري الثاني الخزانة الملكية مغلقة وذلك إن القائمين عليها كانوا يقومون بتحويل مقرها، ونفس الموقف صادفني في سنة 2011 عندما سافرت إلى فرنسا على نفقتي الخاصة فوجدت في العطلة الصيفية مركز الدراسات الإسلامية في عطلة، وفي كثير من الأحيان كنت لا أحصل على التأشيرة، ومع كل هذه تمكن بفضل الله تعالى من العودة إلى فرنسا والمغرب عدة مرات آخذا بعين الاعتبار الدوام الرسمي.

صعوبة جمع المادة العلمية نظرا لعدم القدرة على قراءة الوثائق المكتوبة بالخط المغربي القديم من جهة والتناقض الملحوظ والاختلاف الكبير بين المصادر والمراجع فكان من الصعب جدا التوفيق بين هاذين المتناقضين للخروج برأي مرجح، ولتحقيق بعض المخطوطات المغربية، استعنت بالوالد حفظه الله، وببعض حاملي كتاب الله .فجازاهم الله خيرا.

صعوبة وجود ترجمة دقيقة من المصادر الفرنسية إلى العربية، ولذلك فقد حاولت قدر الإمكان إيجاد معنى تقريبي يتطابق مع الكتابة الفرنسية ويتلاءم مع طبيعة الموضوع،ويخدم الدراسة.

عدم القدرة لتحقيق التوازن بين الفصول، وذلك لطول الفترة المدروسة(1830-1847)وضرورة المرور على كل إحداثياتها، من بداية الاحتلال إلى مقاومة الأمير عبدالقادر ونهاية هذه المقاومة، وهذا ما أدى بنا أن نأتي بفصل كبير من حيث المعلومات والكم عن فصل آخر.

الصعوبة الأخرى تكمن في وجود بعض الوثائق الأرشيفية بدون رقم، وهذا ما جعلني اضطر إلى الاتصال ببعض الأساتذة في المملكة المغربية، لتأكيدها والحصول على رموزها، ولقد كانت ثقتي كبيرة فيهم،بحيث أمدوني بكل المعلومات الخاصة وذلك بواسطة الهاتف أو الفاكس.

ومن الصعوبات التي يجب أن تذكر، هي صعوبة التوفيق بين العمل في الجامعة بمعسكر، والإقامة بوهران، والتنقل الدائم بين الولايتين، مما تطلب بذل جهد كبير خلال هذه السنوات الطوال، وسهر الليالي من أجل إنجاز الأطروحة.

ولقد تجاوزنا هذه الصعوبات بحمد الله تعالى وتوفيقه، وتمكنا من إخراج هذا البحث في شكله الحالي، وحسبنا أننا قدمنا عملا متواضعا، فالكمال لله فان أصبنا من الله تعالى وان أخطانا فمن أنفسنا، وأننا نعتذر لكل هفوة أو زلة وقعنا فيها. والله ولي التوفيق.

مدخل تاريخي

الوضع في الجزائر قبيل 1830

مدخل تاريخي:

الوضع في الجزائر قبيل عام 1830:

لقد لاحظنا بعد اطلاعنا على الكتابات التاريخية التي اهتمت بالفترة العثمانية بالجزائر، أن تدهور النفوذ التركي بها كان بعد وفاة الداي محمد بن عثمان باشا ومجيء الخرناجي حسن عام 1791، الذي ساءت في عهده الأوضاع السياسية والاقتصادية، فبسبب سياسة الخزناجي هذا ظهرت أزمة سياسة حادة كان لها انعكاس في المراحل اللاحقة، رغم محاولة بعض الدايات التخفيف من حدتها[1]، ذلك أن، الدولة الجزائرية قد فقدت هيبتها في البحر الأبيض المتوسط، وتلا ذلك حصار فرنسا لها، ثم سقوط الكيان العثماني بالجزائر.

ولقد حاولنا معرفة أوضاع الجزائر الداخلية قبيل الاحتلال الفرنسي، وتحليل أثر انهيار الحكم التركي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما حاولنا الوقوف على الآثار السلبية التي ترتبت عن الحكم المطلق والمنغلق، الذي طبقه العثمانيون بالجزائر، ولذلك طرحنا عدة أسئلة حول طبيعة النظام العثماني قبيل الاحتلال وما هي انعكاساته على مستقبل الجزائر.

أولا الأوضاع الداخلية للجزائر قبيل عام 1830

-1- الأوضاع السياسية:

ذكرت لنا الكتابات التاريخية المتخصصة في الجزائر العثمانية أن الجزائر في أواخر العهد العثماني عرفت اضطرابات سياسية كان سببها الرئيس النظام السياسي التركي، الذي تميز بالاستبداد والانغلاق[2] فأدى إلى تدخل الجيش في شؤون الإيالة، فانتشرت ظاهرة اغتيال الدايات والبايات، وعليه فقد كانت قضايا الحكم والسياسة من صلاحيات الجيش الانكشاري، الذي كان عماد الدولة الجزائرية العثمانية، وهذا ما كان سائدا في استمبول ذلك أن حكام الإيالة من الداي إلى الوزراء والبايات، كانوا من المؤسسة العسكرية، وكان النظام السياسي لا يقبل المناقشة، ولا يسمح إلا للإنكشارية بممارسة

[1]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن 10 إلى 14 هـ، ج1، الجزائر، 1981، ص 138.
[2]أبو العلاء إدريس الابتسام، عن دولة مولانا عبدالرحمن، م خ ع ر خ 4، ص 384.

السلطة السياسية والإدارية، بيد أن هذه المؤسسة لم تتحمل مسؤولياتها بالشكل الذي يخدم المصالح العليا للبلاد، بل طغت عليها المصالح الشخصية، والرغبة في الحصول على المكافئات، والامتيازات، والترقيات، والزيادة في الرواتب، وقد ذكرت لنا الكتابات التاريخية أن الجند بالجزائر أصبحوا يدبرون المؤامرات، ويحدثون الفوضى، ويتمردون على قوادهم، ثم يسعون إلى عزلهم، أو اغتيالهم، وتعيين من يخلفهم ممن يرضخ لرغباتهم[1].

وقد ورد في "اختصار الابتسام أن أفراد الجيش هرولوا وتهوروا، واشتغلوا بالطمع والقرقرة بما لا يعني، والفساد في النساء والولدان، وأثاروا الفتنة بين الكرغل والحظر، وهم أهل البلد، وتركوا السياسة، وفقدوا الحزم، ونبذوا القانون الذي كان متعارفا عند أهلها[2].

أما الناصري فقد ذكر بأن الخلافات التي كانت بين القبائل، قد انتقلت إلى قادة الجيش الانكشاري، فتنافسوا وتحاسدوا، وكثر القيل والقال بينهم، ثم ختموا عملهم بانتهاب المال[3]، وقد ذكر لنا صاحب الابتسام بأن أعمال السلب والنهب، قد شاعت في أوساط الجيش[4]، وقد أكدت المصادر المغربية بأن الجيش الذي كان مكلفا بجلب الأمن وحفظ النظام، صار هو مصدر الخوف والاضطراب[5]، بيد أن هذه المصادر لم تعطنا تفاصيل ما حدث، ذلك أن هذه التفاصيل بقيت مختفية وراء الجمل العامة الواردة في مختلف المصادر والوثائق، عن أعمال الجند في أواخر العهد العثماني، وقد وردت روايات عند أكنوسوس، وصاحب الابتسام والناصري. ومحمد المشرفي، كما وردت عنها إشارات في بعض الرسائل[6].

وقد أكد المؤرخ التركي عزيز سامح ألتر أن الجند في أواخر العهد العثماني بالجزائر أصبحوا يدبرون المؤامرات، ويتسببون في إحداث الاضطرابات، متجاوزين

[1] إلتر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية تر عن التركية عبدالسلام أدهم، ط 1، طرابلس 1971، ص 406.
[2] أبو العلاء إدريس، المصدر السابق، ص 384.
[3] أبو أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم 3، الدولة العلوية، ج 9، تح جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1956، ص 30 – 31.
[4] أبو العلاء إدريس، المصدر السابق، ص 384.
[5] أكنسوس محمد بن أحمد، الجيش العرمرم، نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بالرباط، ج 2، 1918، ص 17.
[6] محمد المشرفي، الحلل البهية في ذكر الدولة العلوية، مخ، خ ع ر د، 1463، ص 384.

السلطة والحكام، بل كانوا يقومون باغتيالهم أو عزلهم، وتعيين ممن يرضون سياسته ومن يخضع لرغباتهم[1].

لقد ذكرت لنا المصادر التاريخية سلسلة من الاغتيالات التي تعرض لها دايات وبايات الجزائر ومن بينها، اغتيال الداي مصطفى باشا سنة 1220 هـ الموافق 1805 م، هذا الداي جاء بعد وفاة جده الداي حسن، حيث كان خزنجيا محبا للعلم والعلماء صالحا، رحيما شجاعا محبا للغير، وهذا ما أكد لنا الحاج أحمد الشريف الزهار[2]، بيد أن سياسته قد أبغضها الجيش الانكشاري والسكان، لما فيها من قوانين، كالمصادرات، الضرائب، امتيازات اليهود والقناصل الفرنسيين خاصة، وبعد اغتياله من طرف فرقة عسكرية انكشارية، رُشّح أحمد خوجا الخيل، ليكون في منصبه، وبعده تم اغتيال أحمد باشا عام 1808 م، وهذا الداي كان متعلما، حازما، وكان سبب اغتياله أن الجند حملوه سبب الفشل في غزو تونس، وبعد سنة اغتال الجند الداي علي الغسال الذي تميزت فترة حكمه بالفوضى، ولم تستمر إلا أربعة أشهر من نوفمبر 1808 إلى فبراير 1809، حيث انقسم الجند إلى فريقين، فريق طالبه بالزيادة في الرواتب والآخر بنهب ممتلكات الجزائريين، وكان سبب اغتياله أنه رضخ لمطالب الجند الذين أرادوا نهب السكان[3]، فقام الجند الرافضون بقتله شنقا، وخلفه الداي علي باشا الذي عُرف بالعلم والمعرفة، لكن سياسته وطباعه كانتا فاسدتان، حيث استبد بالسلطة، وانتشرت في عهده المظالم وغاب الأمن، فقتل في حمامه، ثم أحرق عام 1815، فخلفه الداي عمر باشا الذي كان شيخا مسنا، فكان يقوم بإدارة أعماله ابنه مصطفى، الذي قام بالنظر في رواتب الجند، وحاول التقليل من عددهم، فتسبب في مقتله على يد الآغا عمر أحد قواد الفرق العسكرية، وحل محله علي باشا رغم أنه كان يدرك بأن هذا المنصب كان محفوفا بالأخطار، خاصة وأنه في عهده تعرضت الإيالة الجزائرية للحملة الانجليزية الهولندية التي قادها اللورد إكسموث Lord exmouth

[1] عزيز سامح، المصدر السابق، ص 406.
[2] أحمد شريف الزهار، مذكرات، تح أحمد توفيق المدني، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1980، ص 89.
[3] أبو العلاء إدريس، المصدر السابق، ص 384.

عام 1816 هذه الحملة التي كشفت عيوب البحرية الجزائرية، كذلك في عهده عم وباء الطاعون، وتمرد الجند فلقب بالمنحوس وكانت نهايته القتل شنقا في أكتوبر 1816[1].

وحتى البايات لم يسلموا من غدر الانكشاريين، فالباي محمد عثمان بن محمد الكبير، الذي كان يلقب بالأعور، كان بايا للغرب الجزائري من 1797 إلى 1800، ثم أصبح بايا على الشرق، وفي عهده ثار ابن الأحرش*، وقد قتل هذا البايفي عام 1803، وفي سنة 1806 أعدم الباي عبدالله، الذي ساهم كثيرا في إضعاف مقاومة ابن الأحرش الدرقاوي[2]، وبعد سنة قتل الباي حسين بن صالح، ابن الباي صالح، خنقا، بتهمة التخاذل والتآمر مع الجند، لإفشال الحملة على تونس[3]، وبعد قتل الباي علي بن يوسف التركي عام 1808، خلفه في نفس السنة الباي أحمد شاوش القبايلي الذي لم يحكم سوى خمسة عشر يوما، حيث اغتاله الجند بعدما عمت الفوضى في مدينة قسنطينة، وقد ذرك لنا ابن العنتري في فريدته أن الباي أحمد قتل بدون سبب عام 1811[4]. وتلا ذلك اغتيال الباي محمد نعمان عام 1814، والباي شاكر، والباي مصطفى عام 1818، والباي إبراهيم عام 1820.

وفي بايلك الغرب وجدنا نفس الظاهرة قد انتشرت، حيث اغتيل أربع بايات من 1792 إلى 1830 ، إذ قتل بالسم الباي محمد الكبير عام 1797، والباي محمد بن محمد الكبير عام 1808، وفي عهده قامت اضطرابات سياسية في المنطقة حيث انتفضت الطريقة الدرقاوية والتيجانية، والتف حولها الجزائريون، كما قتل الباي علي قارة عام 1817 بأمر من الداي علي خوجة[5].

أما بالنسبة لبايلك التيطري فلم يشهد ظاهرة اغتيال الموظفين الإداريين، باستثناء، قتل الباي مصطفى الوزناجي عام 1799، ورغم ذلك فقد واجه هذا البايلك عدة مشاكل

---

[1] ألتر عزيز سامح، المصدر السابق، ص 612.
* ابن الأحرش، كان ينتمي إلى الطريقة الطرقاوية، وقد هدد بحركته الوجود العثماني بقسنطينة عام 1220 هـ الموافق لـ 1804 م، لمزيد من الفهم الرجوع إلى أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح المهدي البوعبدلي، قسنطينة 1973، ص 161.
[2] ابن العنتري محمد الصالح، الفريدة المنسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أرضها، ص 106.
[3] ابن العنتري، المصدر السابق، ص 74 75.
[4] ابن العنتري، المصدر السابق، ص 79.
[5] المزاري بن عودة آغا ضلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن 19، تح يحيى بوعزيز، ط 1، ج 2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 344-347.

سياسية كالحركة الدرقاوية بالإضافة إلى الانتفاضات من حين لآخر لبعض القبائل الجزائرية، ومضايقات السلطة.

-2- الأوضاع العسكرية:

لقد أشارت الكتابات التاريخية إلى أن المؤسسة العسكرية، ارتكزت بمدينة الجزائر، لكونها العاصمة الإدارية والاقتصادية للبلاد، حيث انتشرت الثكنات العسكرية فيها دون المدن الأخرى، التي كانت فيها حاميات ونوبات، وقد أحصى لنا شالر SHALER عدد الجيش البري بالجزائر العثمانية الذي قدر بخمسة عشر ألف جندي وضابط[1]، وهؤلاء الجند كانوا يتمتعون بامتيازات عدة، ويشغلون المناصب العليا في الإدارة العثمانية[2]، وقد شكل الأتراك جيش المشاة، أما العرب والبربر فكانوا يشكلون الخيالة في أطراف البلاد، وكانت مهمة الجيش استخلاص الضرائب وحفظ الأمن العام، بيد أنه كانت تنقصه الفعالية في القتال، كما ذكرت لنا المصادر، بأن البحرية الجزائرية بعدما أصابها الضعف اثر الحملة الانجليزية الهولندية عام 1816، استطاعت إعادة بناء أسطولها، حيث تلقت مساعدات من الباب العالي والمغرب الأقصى، وتونس، وطرابلس، لتصبح قوة في الحوض الجنوبي من البحر المتوسط، وقد بلغ عدد البحارة حوالي ستة آلاف بحارا عند الضرورة، كما أتيحت لهؤلاء الفرص للارتقاء إلى المناصب العسكرية، حيث أصبح الرايس حميدو قائدا للبحرية بفضل ذكائه وشجاعته، وكانت مهمة البحرية الجزائرية مراقبة السفن الأوربية وفرض الإتاوات عليها.

وقد أحصى لنا بوتان BOUTIN وديبوا ترانفيل DUBOIS THAINVILLE عام 1809، أن البحرية الجزائرية الحربية قد دب عليها الضعف، حيث بقيت عدة موانئ غير محصنة عسكريا مثل القالة، دلس، شرشال، تنس، أما موانئ مستغانم، وهران، أرزيو،

[1] شالر وليام، مذكرات، 1816-1964، تعريب إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1982، ص 51
[2] شارلر وليام، المصدر السابق، ص 55.

جيجل، القل، عنابة، المرسى الكبير، فكان تحصينها ضعيفا، لا تحتوي إلا على حصن واحد، بينما كان ميناء الجزائر وعنابة يحتويان على خمسة حصون[1].

وبعدما أقر مؤتمر فينا بالنمسا عام 1815 تحريم القرصنة البحرية، بإجماع الدول الأوربية التي حضرت المؤتمر، فلقد نقصت مداخيل الدولة الجزائرية من الغنائم البحرية، بالإضافة إلى ترديات حملة 1816 و1824، التي أضعفت المؤسسة العسكرية، حيث ذكرت التقارير بأن عدد الجنود الانكشاريين عام 1829 لم يتعد 3661 جندي، ولذلك كان لزاما على الدولة الاعتماد على المداخيل المحلية الزراعية، وبفرض الضرائب على السكان، اعتمادا على قبائل المخزن المحاربة، التي وصل عدد أفرادها إلى ثلاثين ألف رجل.

-3- الأوضاع الإدارية:

قبل الغزو الفرنسي للجزائر كانت البلاد تنقسم إلى أربع مقاطعات إدارية، تختلف كل واحدة عن الأخرى من حيث الحيز الجغرافي، والإمكانات الاقتصادية والبشرية والأهمية السياسية، وتمثلت هذه المقاطعات الأربع في دار السلطان، وكانت أصغر مقاطعة، عاصمتها الجزائر، وقد تضمت مدن البليدة، القليعة، شرشال، دلس بالإضافة إلى القرى والمزارع بالريف، وكان بايلك الشرق يعتبر من أهم البايليكات، عاصمته قسنطينة، أما بايلك التيطري، فكان أصغر البايليكات مساحة، وعاصمته مدينة المدية، وكان أقرب البايلكات إلى مقر حكم الداي، وبالنسبة لبايلك الغرب فبعدما كانت عاصمته معسكر، أصبحت مدينة وهران عاصمة له، بعد تحريرها من الإسبان عام 1792[2]، وعليه فإن كل بايلك كان يتكون من مد،ن وأوطان، وأعراش، وقبائل، ودواوير وقياداتها، كما تميزت الإدارة العثمانية في الجزائر بالاستقرار، مع وجود نظام مركزي، واستقلالية كل بايلك إداريا، وارتباط المناطق الأخرى كالأرياف، بواسطة النظام الضرائبي، وقد نشأ توازن بين السلطتين السياسية والقضائية، حيث تعايش المذهبان الحنفي، الذي اتبعته الفئة الحاكمة من الأتراك، وكان أغلب الجزائريين من عرب وبربر، يتبعون المذهب المالكي تبعا للمغرب الأقصى، ولذلك فقد أنشأ العثمانيون محكمتين مالكية وحنفية، فكل واحدة يشرف عليها قضاة

[1] ناصر الدين سعيدي، دور قبائل المخزن في تدعيم سلطة البايلك بالجزائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1979، ص 260-263.
[2] سي يوسف محمد، من خصائص النظام الاداري ببايلك التيطري، ص 270.

ومفتون، وإلى جانبهما كان المجلس العلمي الذي ضم علماء من المالكية والحنفية، وكانت مهمته النظر في المسائل المشتركة ومعالجة قضايا الرعية من معاملات وتصرفات في الأملاك ورد المظالم، وكانت الأحكام تصدر بحضور موفدين عسكريين ويتولون تنفيذها بدون تردد، وكان القضاة في كثير من الأحيان يستعينون بأهل الخبرة والرأي من الأمناء لمساعدتهم في النطق بالحكم[1]، وقد تخصص القضاة في نوعين من القضايا، قضايا جنائية وقضايا مدنية، الجنائية كجرائم القتل الجنح السياسية والإدارية والمالية، وكان من اختصاص الداي والخزناجي وآغا العرب والبايات والقياد وكل في حدود بايلكه[2]، أما بالنسبة للقضاء المدني فكانت الأحكام مستقاة من الكتاب والسنة النبوية، وقد خصصت للقضايا المدنية جلسات يومية ما عدى الجمعة، حيث أشارت المصادر بأن قضايا الأتراك كان ينظر فيها القضاة الحنفيون، أما قضايا الجزائريين فكانت ترد للقضاة المالكيين، وكانت الطعون ترد إلى المفتيين، اللذان كانا يعقدان جلستاهما مرتين في الأسبوع حتى يتم إنصاف المشتكي، ورفع الظلم عنه ويعتبر حكم المفتيين حكما نهائيا لا يقبل الطعن[3].

-4- الأوضاع الاقتصادية:

كانت الزراعة موردا هاما بالنسبة للجزائريين في أواخر العهد العثماني، وقد اختلفت أنماط الاستقلال الزراعي من التل إلى الهضاب العليا، ففي المدن سخرت البرجوازية خماسين لممارسة هذا النشاط، أما سكان المناطق الجبلية، فكانت كل عائلة تمتلك قطعة أرض تنتج فيها محاصيل لتلبية حاجاتها الغذائية اليومية، وفي الهضاب العليا فقد احتكر فيه الأراضي الفلاحية إقطاعيون كبار، لإنتاج الحبوب كالقمح والشعير، واعتمد سكان السهوب

[1] بن حموش مصطفى، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، ص 24-25.

[2] Goid Mouloud L'Algérie sous les turcs. P 203.

[3] شالر وليام، المصدر السابق، ص 48.

على الرعي وتربية المواشي من أغنام وماعز وجمال، ومارس سكان الصحراء كذلك تربية المواشي، وزراعة النخيل بحكم البيئة التي كانوا يعيشون بها[1].

وقد أشار المؤرخون إلى وجود عدة حرف وصنائع في المدن الجزائرية، خلال أواخر العهد العثماني حتى الغزو الفرنسي، ولم يقتصر هذا النشاط على المدن، بل امتد إلى أطراف المدن والقرى والدواوير والمداشر عبر المقاطعات الأربعة، بيد أن الحرف في المدن، كانت أكثر انتشارا من الحرف في الريف، التي اقتصرت على ورشات صغيرة في البيوت، كحرف النسيج، الحياكة، غزل الصوف، صناعة الحلويات، المصبرات، المرطبات، أما الصناعات الراقية، فقد ارتكزت عند نسوة حضريات من فئات غنية، وتمثلت في الطرز على الصوف أو القطن، أو الحرير أو خيط الذهب والفضة، وقد اختلفت ورشات الصناعة من مدينة لأخرى، حسب إمكاناتها المادية والبشرية[2]، وكانت من أهم الورشات التي وجدت في المدن الجزائرية، ورشات للنجارة والحدادة، والسروج والدباغة والصباغة، بالإضافة إلى تحويل الخشب والمعادن، الخراطة، صناعة المسامير، الرخام، مواد البناء، العربات، السباكة، صناعة المدافع، ورشات طحن الحبوب، وقد أكدت لنا الكتابات التاريخية بأن الجزائريين قبل الاحتلال، قد حققوا اكتفاءهم الذاتي من الصناعات التقليدية المتنوعة[3].

أما التجارة فقد مارسها الجزائريون في الداخل والخارج، حيث انتشرت في المدن والأرياف والواحات، معتمدة على القوافل التجارية الشهرية، وحتى قوافل الحجاج والتي كانت تدر أرباحا عليهم، ولقد اعتمدت هذه التجارة على طرق عدة، من الجزائر إلى قسنطينة، المدية، وهران، معسكر، توقرت، المدية، بوسعادة، غرداية، الوادي، بسكرة، والأغواط[4].

وفيما يخص تجارة الموانئ الخارجية فقد تحكمت فيها ثلاثة موانئ تجارية، الجزائر، وهران، عنابة، كما تحكمت في التجارة الخارجية البرية عدة طرق، كطريق وهران تمبكتو

---

[1] Mouloud goid.Op. cit. pp 187.189.

[2] الطاهر عمري، بنية الريف والمدينة في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، ص 221-222.

[3] الطاهر عمري، نفس المصدر، ص 220..

[4] Amine Mohamed. Géographie des eheuges. P 372.

وأهم محطاتها، الخيثر، مشرية، العين الصفراء، البيض، الأبيض سيدي الشيخ، توات، ثم طريق الجزائر تمبكتو وأهم محطاتها: البليدة، بوغار، الأغواط، القليعة، عين صالح، توات، بالإضافة إلى طريق سكيكدة تمبكتو وأهم محطاته: قسنطينة، باتنة، بسكرة، تقرت، ورقلة، البيوض[1]، وكانت الجزائر تتعامل مع البلدان المجاورة بواسطة طريق تونس ومراكش عن طريق فاس تلمسان، وهران، قسنطينة، سطيف، طرابلس، وحتى القاهرة.

وقد أكدت المصادر التاريخية بأن الإدارة العثمانية لم تستطع إرساء، وربط علاقات تجارية، لولا نشاط الجزائريين الذي تمكنوا من إقامة علاقات تجارية بين المدن التلية، وحتى المدن الصحراوية كتوات، عين صالح، وبين تمبكتو والسودان وتافيلالت[2]، وأن هذه العلاقات لم تكن لتتطور، لولا القبائل الصحراوية، كقبائل ورقلة ووادي ميزاب، وتمثلت الواردات في الحناء، ريش النعام، التمر، العبيد، الملح، الأقمشة الإفريقية، الأعشاب الطبية، العاج، وبالنسبة لصادرات الجزائر فكانت في مقدمتها الحبوب، المصنوعات الأوربية، والمنتجات التقليدية التلية، وهنا تجدر الإشارة بأن التجارة الخارجية الجزائرية في أواخر العهد العثماني قد تعرضت لمنافسة حادة مع مصر، طرابلس، تونس والمغرب الأقصى، حيث أحصى لنا شالر ما قيمته بخمسين مليون دولار، كانت في قصر القصبة، وعند الغزو الفرنسي تم نهب مائتي مليون فرنك[3]، ولقد كان أساس التعامل النقدي في الجزائر العثمانية هو الفضة، حيث كانت تسك قطع فضية تزن عشر غرامات، كانت تسمى بالبوقو، والبوقو المضاعف، وقد وجدناها في المصادر تسمى بالقطعة النقدية الجزائرية، وسماها الجزائريون بالدورو الجزائري، حتى يميزوها عن الدورو الاسباني، وكانت هذه القطع مقسمة إلى عدة موزونات، وكانت هناك قطع نقدية من النحاس الصافي تصدرها دار السكة بمدينة الجزائر، وكان اعتماد هذه الأنواع من النقود لأغراض العد في الحسابات التجارية داخل الجزائر وخارجها[4].

---

[1] بليل رحمونة، العلاقات التجارية لإيالة الجزائر مع بعض موانئ البحر المتوسط، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002، ص 90-91.
[2] شالر وليام، المصدر السابق، ص 71.
[3] لاحظ شالر وليان عام 1812 أن العجز في الميزان التجاري الجزائر قد بلغ أقصى مستوياته وقال أنه مبلغ كبير، لمزيد من التفاصيل الرجوع إلى شالر وليام، المصدر السابق، ص 103-104.
[4]Venture de paradis, Alger ou 18ème siècle, Pars Sindbad, 1983, p 221.

وعموما فقد أشار شارل أندري جوليان إلى قضية عجز الميزان التجاري الجزائري، حيث أرجعه إلى انخفاض المنتجات المحلية، أمام وجود طبقة الملاك احتكرت النشاط التجاري واستثنت البرجوازية الجزائرية من التجارة الدولية خاصة مع أوربا، ولكن رغم ذلك بقيت البرجوازية التلمسانية والقسنطينية تمارس تجارتها مع السودان وبعض الأقطار العربية[1].

-5- الأوضاع الاجتماعية:

لقد اختلفت الآراء والكتابات حول العدد الصحيح لسكان الجزائر أواخر العهد العثماني، وكل الإحصائيات كانت تقريبية وغير دقيقة، حيث حدده وليام شالر بأقل من مليون نسمة[2]، بيد أننا نجده في وضع آخر يذكر رقم ثلاثة ملايين نسمة[3]، وهذا ما يتطابق مع رأي بوتان، الذي رصد عدد سكان المدن، واستثنى الذين يسكنون في الريف والرحل[4]، وحسب ما ورد عند أبي القاسم سعد الله في تاريخه الثقافي، فإن عدد سكان الإيالة الجزائرية قد وصل عام 1816 إلى خمسة ملايين جزائري ومعهم إثني عشر ألف نسمة من الأتراك.

لقد كانت الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الجوهرية للمجتمع الجزائري، ورغم تعدد الوحدات الاجتماعية في الأرياف، والتي كانت تسمى بتسميات مختلفة: العرش، القبيلة، الصف، الدشرة، الفرقة، العشيرة، الدوار، وعموما فإن الكتابات التاريخية قد قسمت لنا سكان الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي إلى قسمين:

- القسم الأول ويضم: سكان المدن وكانوا يعيشون مما تدره حرفهم وصنائعهم رغم اختلاف طوائفهم كالأتراك، الكراغلة، الحضر، البرانيون، اليهود، الأسرى، العرب، الزنوج، وبالتالي فالمدينة الجزائرية كانت تأوي مجتمعا مختلفا إثنيا وعرقيا[5].
- أما القسم الثاني فتمثل في سكان الريف، حيث يمكن ترتيب المجتمع الريفي في الجزائر العثمانية على أساس طائفي نظرا لغياب الحرف والصنائع والتجارة في

[1]Julient. CH. l'histoir de l'Algérie contemporaine : conquête et colonisation (1827-1871), Presse Universitaire Française, Paris, 1964. P 19.

[2] شالر وليام، ألمصدر السابق، ص 38.

[3] شالر وليام، ألمصدر السابق، ص 92.

[4]Esquer Gabriel, Reconnaissance de villes fortes d'Alger en 1808, Paris, champion, 1927, p72.

[5]Archive consulaire Français, alger Mi 31. P12.

وسط هذا المجتمع الذي تكون من بربر عرب ويهود، كما بينت لنا المصادر بأن الوضع الصحي للجزائريين في هذه الفترة كان متدهورا حيث انتشرت الأمراض والأوبئة الفتاكة التي انعكست على النمو الديمغرافي للسكان، وهذا بسبب الافتقاد للأطباء، وغياب المصحات باستثناء تلك الخاصة بالأتراك. كما لم توجد سوى صيدلية واحدة بمدينة الجزائر، ولذلك لجأ الجزائريون إلى التداوي بالأعشاب، التمائم، الأحجبة، التقرب للأولياء، السحر والشعوذة، وعليه فلا المدينة ولا الريف سلمت من هذه الظاهرة التي فتكت بأعداد كبيرة من الجزائريين.

إن التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري في أواخر العهد العثماني، كان يأتي في أعلى هرمها الأتراك، الذين كانوا يحتكرون السلطة، وكان منهم الباشوات، البايات، الوزراء، موظفو الديوان، الآغاوات، رياس البحر والقواد، وفي علاقتهم مع السكان، ففي الغالب اعتمدوا على الرشوة وجمع المال، والاستغلال وإضاعة الحقوق، وقد ظهرت فئة جديدة من المولدين العثمانيين من أمهات جزائريات، وكان هؤلاء بحكم انتمائهم إلى العنصر التركي، يطمحون إلى الوصول للمراكز العليا في المجتمع الجزائري، لكن الأتراك اعتبروهم كراغلة أي عبيد السلطان[1]، وهذا راجع لكون الحكام كانوا يريدون إبعاد العامة من أبناء البلاد عن السلطة، أو محاولة المشاركة فيها، ومهما يكن من أمر فقد أثرت هذه الفئة على الوضع السياسي والاجتماعي للإيالة الجزائرية[2]، وبالإضافة إلى فئة الكراغلة كانت هناك فئة تضم الحضر الذين كانوا يسكنون في المدن والمتمثلة في الحرفيين الصناع، المعلمين، التجار، الكتاب، وقد اكتسب الحضر الأندلسيون نفوذا وجاها ومكانة بارزة في أوساط الجزائريين في المدينة والريف الرافضين لسياسة الأتراك، إضافة إلى الوافدين من ميزاب، بسكرة، تقرت، واد سوف، وعموما فإن الجماعات المختلفة قد انصهرت في المجتمع الجزائري.

لقد تميزت الجزائر في أواخر العهد العثماني بأشكال من الطبوع العربية والشرقية والتركية، وحتى المغربية، انصهرت في المجتمع الجزائري، متجلية في نوعية اللباس

[1]Ricaut. Histoire de l'état présent de l'empire ottoman, Paris, 1670, Camoisy, p 347.
[2]Panati philipo relation d'un séjour à Alger, Paris, le Normand, 1820, p 465.

وطريقة تجهيز المنازل، وبعض التقاليد في الأكل والموسيقى، وعلى الرغم من تباعد المسافات بين إستمبول والإيالة، فإن الجزائريين قد اعتبروا أنفسهم مركز إشعاع ثقافي في المغرب والبحر المتوسط، وقد أكد لنا شالر الذي كان قنصلا بالجزائر من 1816 إلى 1824، بأن المرأة الجزائرية قد احتلت مكانة بارزة في مجتمع المدينة رغم أن الأتراك لم يولو لها أهمية خاصة في التعليم، وقد ذكر بأنه سمع بوجود مدارس لتعليم النساء لكنه لم يشاهدها[1].

-6- الأوضاع الثقافية:

نظرا للظروف التي أحاطت بنشأة الإيالة الجزائرية، فقد تطلب الأمر الاهتمام بالقطاع العسكري، والاعتماد على القوة الحربية، بسبب شعور الأتراك بأنهم غرباء عن الجزائريين، فلذلك لم يجر اهتماهم بالقطاع الثقافي، وقد أشارت لنا المصادر بأن الثقافة العربية الإسلامية كانت متدهورة قبيل مجيء العثمانيين، وقد زاد وجودهم في تعميق هذا التدهور واستمراره[2].

لقد ارتكز التعليم الإسلامي في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي لها على الكتاتيب القرآنية، المساجد والمدارس والزوايا لنشر الدين الإسلامي والتعليم العربي، والتي اعتمدت على تبرعات المحسنين الذين كانوا يشرفون على بناء أو صيانة المساجد، وبالتالي فالدولة لم تكن هي المسؤولة عن بناء المساجد، وهذا لا يعني أن بعض الباشاوات كانوا يبنون المساجد للتعبير عن الارتباط الديني، وحب الخير والإحسان[3]، وقد حرص بعض المتعلمين الجزائريين على جمع الكتب، وتأسيس المكتبات، والوقف والقيام بالرحلات العلمية، فكانت هذه المؤسسات الثقافية والدينية بمثابة السلطة الروحية والمدنية للجزائريين في الأرياف والمدن، فالكتاتيب القرآنية كانت مدارس صغيرة فتحها معلمو القرآن الكريم لتحفيظه وتلقينه للأطفال، بالإضافة إلى تعليمهم القراءة والكتابة، ثم تهيئتهم لدراسة الفقه الإسلامي[4].

---

[1] وليام شالر، ألمصدر السابق، ص 58.

[2] Show voyage dans la régence d'Alger, 2ème ed, Tunis, Bouslama, 1980, p 345.

[3] عمراوي أحميدة، الغزو الفرنسي للجزائر، 1830 وردود الفعل حوله، مجلة سيرتا، ما 1980، جامعة قسنطينة، الجزائر، ص 87-88.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1989، ص 17.

وإن ما سجلته الكتابات التاريخية أن المساجد والجوامع كانت منتشرة في القرى والمدن الجزائرية التلية والصحراوية، وكانت كثيرة العدد، أكدت على تلاحم الجزائريين وتضامنهم مشكلة العامل الروحي، حيث انتشرت حولها التجمعات السكنية والأسواق، والكتاتيب[1]، بيد أن العلوم التي انتشرت في هذه الفترة اقتصرت على الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وسجل غياب شبه كلي للعلوم العقلية[2]، وقد أورد شالر في مذكراته أن سبب إهمال الجزائريين للعلوم العقلية، هو تعلقهم بالخرافات والإيمان بالسحر[3].

وقد وجدنا في تحفة الزائر أن الجزائريين لم يهتمو بتحصيل العلوم الأخرى كالطب بسبب قلة الأمراض والأوبئة، فكانوا يتداوون بالأدوية التي يحضرها آباؤهم من الأعشاب والنباتات[4]، ونظرا لتنوع التركيب الطائفي والتعدد العرقي للمجتمع الجزائري، فقد استعملت عدة لغات، حيث اللغة العربية هي لغة الأغلبية، العبرية لغة اليهود، الشاوية عند سكان الجبال، التركية لغة الأتراك، الفرنسية لغة الوكلاء[5].

وعليه فإن المصادر التاريخية قد تحدثت عن انتشار التعليم بالجزائر، وسياسة الدولة تجاهه، فذكرت بأن الأتراك لم يعيرو أية أهمية للعملية التعليمية[6]، بحيث لم يكن في الإيالة الجزائرية وزير خاص بالتعليم، أو وكيل يشرف على قطاع التعليم، كون الأتراك اهتموا بالتجارة وجمع المال، والدفاع عن الحدود، والمحافظة على الاستقرار السياسي، جمع الضرائب لبيت المال[7]، وكانت المداخيل لا تصرف على نشر العلم، إنما على الجيش وموظفي الدولة، فالتعليم بالجزائر كان مسألة خاصة، فالجزائريون كانوا يسهرون على تعليم أبنائهم، ويكنون احتراما كبيرا للمتعلمين، وكانت الأوقاف هي المصدر الرئيس لتمويل التعليم[8]، وكان أساس العلم كما ذكرنا هو الدين وحفظ القرآن الكريم في بداية المعرفة، ثم

---

[1] أبو القاسم سعد الله، ألمرجع السابق، ج1، ص 244.
[2] شالر وليام، ألمصدر السابق، ص 82.
[3] شالر وليام، ألمصدر السابق، ، ص 98.
[4] محمد بن عبدالقادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبدالقادر، تعليق محمد حقي، دار اليقظة، بيروت، 1964، ص 27.
[5] شالر وليام، ألمصدر السابق، ص 39.
[6] Valensi. L. le Maghreb avant la prise d'Alger. P 79.
[7] الجزائر مركز الدراسات التاريخية، وثائق تاريخ الجزائر العثماني خ/هت ة 1240/3435
[8] Archives national Français MI 228-T31-P168-170

تعلم العلوم الشرعية، ثم الحساب لغرض تقسيم التركات بين الورثة، والأجور، وعليه فقد كانت أحكام أغلب الكتابات التاريخية قاسية على التعليم في الجزائر.

وهناك مصادر تاريخية حاولت إنصاف التعليم والمعلمين بالجزائر، قبيل الاحتلال الفرنسي لها، فذكرت لنا أن الجزائريين كانوا يكنون احتراما كبيرا للعلم والعلماء، وهذا ما وجدناه في كتابات فونتوردوبارادي venture de paradis، كما دلت هذه المصادر أن التعليم كان مجانيا، وحرا، وأنه كان أنموذجا للمشاريع الاجتماعية والعلمية[1]، وقد أكد لنا ابن سحنون في الثغر الجماني أن الجزائريين كانوا يتعلمون اللغة العربية، والعلوم الدينية واللغوية، كتفسير القرآن والحديث، بالإضافة إلى النحو والصرف، وفقه اللغة والبلاغة، وإن بعض المتعلمين قد اهتموا بالعلوم الأخرى، بيد أن دراساتهم كانت سطحية وغير معمقة، وكانت الغاية من ورائها سوى الاستفادة منها في الحياة، فالحساب كان لفهم العمليات الأربعة، والاعتماد عليها في التجارة والفرائض، وتقسيم التركات، وكان الفلك يدرس لمعرفة الزوال، وأوقات الصلاة، وليس للملاحة.

ومن المسائل العامة في الحياة الثقافية بالإيالة الجزائرية، احترام الجزائريين للطرق الدينية المحلية، التي كان يعرف أصحابها بالمرابطين، كما كانوا يقصدون في المناسبات الدينية عدة مزارات كمزار سيدي عبدالرحمن، ومزار سيدي عبدالقادر، وفيما يخص التصوف فإنه كان متعدد الطرق والزعماء، ففي الغرب الجزائري، انتشرت الطريقة القادرية، الشادلية، التيجانية، الطيبية، الدرقاوية، الزيانية، وفي الشرق الرحمانية، الحنصالية، الشابية[2].

ومن الجوانب السلبية التي انتشرت بالجزائر قبيل الحملة الفرنسية عليها عام 1830، وجود بعض التجاوزات والانحرافات عن تقاليد الدين الإسلامي السنحاء، كتفشي ظاهرة شرب الخمر، الدعارة، الفساد، الفوضى، كما ساءت العلاقة بين الانكشارية والجزائريين، الذين عانوا من عدة مظالم، وقد حاول علي باشا عام 1817 إجراء بعض الإصلاحات

---

[1] Show Ibid, p 257.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 184.

بعدما انتشر التسيب والانحلال في صفوف الجيش[1]، وكثرة النهب والسرقة، وبخاصة ما كانت تتعرض له قوافل فاس وتلمسان، ومع انهيار السلطة العثمانية بوهران، واضطراب أوضاعها، وتذمر سكانها ظهر فراغ سياسي رهيب، وأصبح مؤكدا أن هذا الوضع سوف لن يستمر، ولابد من إيجاد مخرج.

[1] فريد يك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح إحسان حقي، ط 1، بيروت، دار النفائس، 1981، ص 392.

الفصل الأول
الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر وانعكاساته
1830

- **المبحث الأول: سقوط مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830**
- **المبحث الثاني: المحاولات المغربية لضم مدينة تلمسان**
- **المبحث الثالث: امتداد النفوذ المغربي حتى التيطري**
- **المبحث الرابع: المراسلات المغربية الفرنسية بخصوص الجزائر**

الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر 1830:

لقد اختمرت فكرة الغزو في أذهان الملوك الفرنسيين ابتدءا من هنري الرابعHenri IV "[*] مرورا بـ "لويس الرابع عشرLouis XIV"[◆] و"نابوليونNapoléon[●]"، لقد كان هؤلاء يرغبون في تأسيس إمبراطورية استعمارية مترامية الأطراف، خاصة في شمال إفريقيا، وهذا ما يفسر الإصرار الكبير لـ"نابوليون" لاحتلال الجزائر، لما أوفد جاسوسه "بوتان[★]" عام 1808 بمهمة التجسس، قصدا إعداد تقرير لتحضير الترتيبات لاحتلال الجزائر، وتمكن هذا الأخير من تقديم دراسة متطورة، حيث تمكن بدقة من معرفة وضع الداي، وقوة الجيش العثماني.

لقد اتخذت المصادر الأوربية من حادثة المروحة سنة 1827، السبب المباشر والرئيس لاحتلال فرنسا للجزائر، التي أدت إلى القطيعة التامة بين الطرفين، ويعود سبب القطيعة إلى مسألة القمح، التي ظلت مفتوحة ومعلقة لعدة سنوات، وبدأت تظهر سوء نية فرنسا تجاه الجزائر، بعد أن ساعدتها في الأوقات الحرجة، وقد سمحت التجارة الخارجية للمدينة، خاصة تجارة القمح، التي كانت بيد التاجرين اليهوديين "بكري" و"بوشناق"[^] اللذين استغلا فرصة حصار انجلترا لفرنسا، وأرسلوا كميات كبيرة من القمح إلى فرنسا، وباعوها بخمسة فرنكات للكيلة الواحدة،ولقد قدرت الأرباح بثلاث ملايين وسبع مائة وخمسين ألف فرنك، وهكذا أصبح ثمن القمح دينا بين الداي والحكومة الفرنسية،أعلن

---

[*] هنري الرابع Henri IV :ويعرف أيضا بهنري الثالث ملك نافارا(13ديسمبر 1553 - 14 ماي 1610)، حكمملكة فرنسامن عام1589إلى1610، وهو نفسه هنري الثالث من نافارا، ملكمملكة نافارافي الفترة من1572إلى1610 .وكان أول ملك من آلبوربون، العائلة الملكية الأوروبية المشهورة، وهي فرع من سلالةالكابيتيون .والداهأنطوان دوق فندروموجين الثالثة ملكة نافارا.، الرجوع إلىPierre de Vaissière , Henri IV, Paris, Arthème Fayard et Cie, collection « Les grandes études historiques », 1928, p 708.

[◆] لويس الرابع عشرLouis XIV :(5سبتمبر1638 1 - سبتمبر1715)ملك فرنسا منذ 14مايو1643حتى وفاته. تولى الحكم وهو بسن الخامسة إلا أنه لم يكن يحمل السيطرة الفعلية حتى توفي رئيس الوزراء الكاردينال مازارين في1661 .كان يلقببالملك الشمسوذلك لاهتمامه ورعايته الأدب والفن. وهو الذي قام ببناءقصر فرسايفيفرنسا، الرجوع إلى André Corvisier, La France de Louis XIV Ordre intérieur et place en Europe SEDES, coll. Regards sur l'Histoire, 1994, p 375

[●] نابوليون بونابرت Napoléon Bonaparte ولد في 15 أوت 1769 بجزيرة كورسيكا، هو قائد عسكري، حكم فرنسا في أواخرالقرن الثامن عشر بصفته قنصلاً عامًا، ثم بصفته إمبراطورًا في العقد الأول منالقرن التاسع عشر ، حيث كان لأعماله وتنظيماته تأثيرًا كبيرًا على السياسة الأوروبية، توفي في جزيرة سانت هيلينة في عام 1821، الرجوع إلىOdile Nouvel-Kammerer , L'Aigle et le Papillon. Symboles des pouvoirs sous Napoléon, Paris, Les Arts Décoratifs, 2008. P 256.

[★] ڤانسون-إيف بوتان Vincent-Yves Boutin ولد في يناير1772في قرية لورو بروتون بنواحينانت – توفي عام 1815بسورياكلونل فرنسي متميز فيگراند أرمي .كما قام بعدة مهام تجسسية فيبايليك الجزائرفي 1808. وقد خدمت تلك المهامالغزو الفرنسي للجزائرلاحقاً في ماي 1830، الرجوع إلىOdile Nouvel-Kammerer op, cit, p 300.,

[^] بكري: اسمه ميشال كوهين بن زهوت، اسمه المستعار بكري صاحب تجارة واسعة في أوربا، قد فتح مركزا تجاريا بالجزائر عام 1770. بوشناق: المعروف ببوجناح، من أسرة عرفت بالتجارة قد إلى الجزائر عام 1723، الرجوع إلى أبي القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص 21.

"بكري" و"بوشناق" سنة 1800،بأن الديون بلغت 07 ملايين من الفرنكات، وقد نجح اليهوديان في إقناع فرنسا على تسديد قسط من الديون[1]، وتدخل "تاليران[*]Talleyrand" وزير الخارجية الفرنسي، فدفعت قسطا لليهوديين سنة 1819، قيمته 7 ملايين فرنك، ولذلك قال "بوخوص" في "تاليران" ما يلي: «لو لم يكن الأعرج، وهو يشير إلى تاليران ملك يدي، ما كنت استطيع أن افعل شيء في باريس»، وهكذا تسببت هذه الصفقة الغادرة في خسارة الطرفين أموالا طائلة.

وقد وافق الداي حسين على هذه التسوية،إيمانا منه تسديد فرنسا لهذا الدين في اقرب وقت، لكن فرنسا تناست حقوق الداي، ففي ماي 1820، أعلن الداي ما يلي: «إن الحكومة الفرنسية، قد نفذت جميع التزاماتها بعد انتفاضة أكتوبر 1819، « ولم يكن للداي أي شيء من بطء هذه الإجراءات، فقد اتضح للداي حسين أن هناك مؤامرة كان القنصل "ديفال" طرفا فيها، ورأسها في باريس هو "تاليران"، أخذ الداي يرسل إلى الحكومة الفرنسية عدة رسائل يشكو فيها قائلا: « استطيع رد هذا المبلغ إلى فرنسا في مدة أربع وعشرين ساعة، في حالة ما إذا كان أحد رعايايا مدينا لملك فرنسا»،وواصل الداي إرسال البرقيات، لكن دون جدوى، وهذا ما دفع به إلى فقدان صبره، لعدم تلقيه أجوبة من الحكومة الفرنسية[2].

وبمناسبة عيد الفطر من عام 1243هـ، الموافقة لـ 1826م، جاء السيد "ديفال*Alexander Constantin Duval*[♦]" ليؤدي زيارته كما جرت العادة، فاخبره الداي عن الرسائل التي بعث بها إلى ملك فرنسا، في شأن أداء الدين الذي بقي في ذمة الدولة الفرنسية، وكان جواب القنصل سلبيا،حيث قال له: « إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم»، أراد القنصل من كلامه هذا استفزاز وتحقير الداي، وهذا ما أكده القنصل الأمريكي "وليام شالرWilliam Shaler[*]"، الذي كان من بين الحاضرين، ويؤكد أن القنصل تعمد

---

[1] المازاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا في أواخر القرن 19، تح يحيى بوعزيز، ج 2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 79.

[*]تاليران *(*1754- 1838)شارلموريس*تاليران*Charles Maurice *de Talleyrand**سياسي ورجل دين فرنسي، ولد في باريس، عرف* بدهائهوحنكته السياسية*، الرجوع إلى*Odile Nouvel-Kammerer, op, cit, p 514.

[2] بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للإستعمار الفرنسي، 1830-1838، دار النفائس، بيروت، ط 1، 1980، ص 54.

[♦]أليكسندركونسطنتيندوفال ضابط عسكري فرنسي تميز بالشجاعة والمهارة، وهو الذي كلفه شارل العاشر بالتفاوض مع حكومة الداي باعتباره كان قنصلا لفرنسا قبيل احتلال الجزائر، الرجوع إلى أبي القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 21.

[*] وليام شالر William Shaler: كاتب ومفكر أمريكي ول عام 1778 بمدينة بريج بورت الأمريكية، انظم إلى صفوف البحرية الأمريكية عام 1803 برتبة ضابط، اشتغل كقنصل بهافانا الكوبية عام 1812، ثم عين كقنصل عام للولايات المتحدة في الجزائر عام 1816، توفي عام 1833،

الوقاحة واستفزاز الداي لاستدراجه لإهانته، وهذا ما مس كرامة الداي، لدرجة انه لم يتمالك نفسه من الغضب، وضربه بمروحة"منشة الذباب"،التي كانت بيده على وجهه، وهذا ما يؤكده السيد "بوتان" في قوله: "ضرب الداي حسين السيد "ديفال" على وجهه بمروحة من ريش النعام"، وهناك رواية أخرى تقول أن الضرب لم يقع أصلا، ولكن الداي قام بتهديد القنصل بالضرب[1]، قام القنصل بتضخيم الأمر، وأخبر ملكه بما جرى، فجاءه أمر بالرحيل من الجزائر، فغادرها الفرنسيون الذين كانوا يقيمون معه.

وتكمن أسباب الحملة، في اعتبار فرنسا حكومة رياس البحر في الجزائر تابعة للإمبراطورية العثمانية، التي بدأت في الأفول، وأصبحت الدول الأوربية تتهيأ للاستيلاء على الأراضي التابعة لها، كما أن شارل العاشر، ملك فرنسا، كان يرغب في خلق تعاون وثيق مع روسيا في حوض البحر المتوسط، حتى يقف في وجه السيطرة البريطانية في هذا البحر، والتمركز في ميناء مدينة الجزائر، الذي كان يعتبر في نظر الملك الفرنسي تابعا للإمبراطورية العثمانية المنهارة، التي أصبحت من عدة أزمات ومشاكل[2].

ولقد واجه في عام 1827م،الملك شارل العاشر، معارضة شديدة داخل مجلس النواب،خلقت له مشاكل كبيرة، وأصروا على الإطاحة بحكمه، ولتحويل أنظار الفرنسيين إلى الخارج، اتخذ الحملة على مدينة الجزائر وسيلة، لحل مشاكله، وإسكات المعارضة، وكسب رضا الشعب الفرنسي، وقد اعترف الملك شارل العاشر في قوله: "انه لشيء جميل أن نتقدم إلى برلمان ومفاتيح مدينة الجزائر بيدنا"[3]، فتكون المفتاح الذي يُفتح به حكم فرنسا، في إقامة إمبراطورية واسعة في شمال إفريقيا، ثم أن انهزام الجيش الفرنسي في الحروب الأوربية، وفشله في البقاءبمصر (1798 – 1801)، والانسحاب منها، قد دفع بنابوليون بونابرت أن يبعث بأحد ضباطه إلى الجزائر، في الفترة الممتدة من 24 ماي إلى 17 جويلية 1808، ليضع له خطة عسكرية، تسمح له بإقامة محميات فرنسية في شمال

صدر كتابه الموسوم في الترجمة العربية لإسماعيل العربي بالمذكرات ببوسطن عام 1826، الرجوع إلى William Shaler, Esquisse de l'Etat d'Alger Réédition, Présentation : Claude Bontems, Collection : Bibliothèque histoire du Maghreb

[1] المازاري بن عودة، المصدر السابق، ص 79.

[2] Kaddour M Hamsadji, la jeunesse de l'Emir Abdelkader, office des publications universitaire, Alger, 2007, p 166.

[3] Ibid, p 167.

إفريقيا، تمتد من المغرب الأقصى إلى حدود مصر[1]، وفي عام 1809، قام هذا الضابط العسكري "بوتان"،بتسليم المخطط العسكري لاحتلال مدينة الجزائر إلى نابوليون، واقترح أن تحتل المدينة عن طريق البر، وعند انهزام نابوليون في معركة واترلو سنة 1815، وتحالف الدول الكبرى ضد الجيش الفرنسي في أوربا، شعر ملك فرنسا انه من الأفضل أن يعتمد على سياسة التوسع في شمال إفريقيا، ويعمل على تحقيق انتصار معنوي باهر هناك، حتى يتفادى محاولة القضاء عليه والإطاحة بعرشه[2].

ولقد كانت أوربا بسبب ازدهارها وثرائها الصناعي، تشعر بالحاجة إلى التوسع، واستغلال الأخرى من وراء البحار، هذا التنافس عجل بعزم فرنسا على احتلال المدينة، ومن ثم التوسع على باقي الأقطار، والاستئثار بخيراتها ، وفي سنة 1827م، كتب وزير الحربية الفرنسي "كليرمون تاليران"، تقريرا عن الأوضاع العامة في الجزائر، وخصص بالذات مدينة الجزائر، حيث قال: "توجد مراسي عديدة على السواحل، يعتبر الاستيلاء عليها فائدة كبيرة، وتوجد في شواطئها ملاحات غنية، وإلى جانب كل هذا توجد الأموال المكدسة فيقصر الداي وهي تقدر بأكثر من خمسين مليون فرنك[3]"، وعليه فلقد كانت الجوانب الاقتصادية حافزا قويا، في إقدام فرنسا على احتلال المدينة، التي تطمح في استغلال خيراتها، والبحث عن أسواق جديدة لترويج منتجاتها، كما أن الصراع الذي كان قائما بين الدول المسيحية الأوربية والدولة العثمانية الإسلامية، قد انعكس على المسلمين بمدينة الجزائر، لأن الأسطول الجزائري يعتبر في نظر الدول الأوربية امتدادا للأسطول العثماني، قد دفع بالدول المسيحية في أوربا أن تتعاون فيما بينها، لضرب المسلمين بمدينة الجزائر واسطنبول، وقد كان المسيحيون يتهمون الجزائريين بالقرصنة في عرض البحر الأبيض المتوسط، وسجن المسيحيين، الذين يعملون في السفن، إلى أن تدفع دولهم عنهم الفدية[4]، وتظهر النية المبيتة من طرف فرنسا المسيحية، لاحتلال مدينة الجزائر المسلمة، في التقرير الذي رفعه السيد "كلير مون"، وزير الحربية الفرنسية، إلى مجلس الوزراء

[1]G Esquer, l'histoire de l'Algérie après 1830, 1ère série, Paris, 1924, p 09.
[2]Ch Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871), Paris, 1964, p 65.
[3]G Esquer, op, cit, p 09.
[4]Kaddour M Hamsadji, Op, cit, p 169.

الفرنسي، المؤرخ في 14 أكتوبر 1827، والذي قال فيه: "إنه من الممكن، ولو بمضي الوقت، أن يكون لنا الشرف في أن نمدنهم وبذلك جعلهم مسيحيين"[1]، و نفس الاستنتاج نستخلصه من خطاب الملك الفرنسي شارل العاشر، الذي أعلن أمام الجمعية الوطنية الفرنسية يوم 02 مارس 1830، بأن: "التعويض الهائل الذي أريد الحصول عليه وأنا اثأر لشرف فرنسا، سيتحول بمعونة الله لفائدة المسيحية"[2]، ومن ثمة فإن الحملة العسكرية على مدينة الجزائر ونجاحها، يعتبر انتصارا للمسيحية، وهي استمرار للحروب الصليبية.

ومهما اختلفت الأسباب والذرائع، فإن فرنسا كانت لها الرغبة القوية في احتلال الجزائر، فأعدت العدة، وحسبت لكل شيء، وعندما تهيأت الظروف،قامت بغزو الجزائر، لتتوسع في باقي البلاد الجزائرية، رغم أن الداي أكد لبعض المقيمين بالجزائر،أنه لم يقصد إهانة فرنسا، وأنه مستعد للاعتذار عن الغضب، إلا أن القنصل زاد الأوضاع تعقيدا، فبمجرد وصوله إلى باريس، جهزت فرنسا أساطيلها، وبعثتها إلى المدينة تحت قيادة الأميرال "كوليت"، يطالب الداي عن وجوب تقديم اعتذار للقنصل العام "ديفال"، وكان الإنذار الذي قدمته فرنسا للجزائر بواسطة قنصل "سارديني" "دات لي"، الذي أصبح يرعى المصالح الفرنسية بالمنطقة وتضمن الإنذار ما يلي:

1. إجبار موظفي الجزائر التوجه إلى السفينة وتقديم الاعتذار إلى قنصل فرنسا.
2. عند إعطاء الإشارة يجب رفع العلم الفرنسي فوق القصر وجميع أبراج وحصون المدينة.
3. منع مصادرة الأموال العائدة إلى فرنسا وسفن الدول المتحالفة معها.
4. إلزام القراصنةالجزائريين بعدم تفتيش السفن التي تحمل العلم الفرنسي.
5. إقرار الداي بالامتيازات بالامتيازات القائمة بين فرنسا والدولة العثمانية.[3]

ولقد منحت للداي مهلة 24 ساعة لتنفيذ هذه الشروط، إلا انه رفض الصلح، واعتبر هذه الشروط إذلالا له، ولحكومته بالمدينة، ويقول في هذا الصدد ابن أبي الضياف: "لكن الداي

[1] تقرير سيباستياني إلى لويس فيليب 26 فبراير 1831 A.D.F.M.A.E.M12
[2] دي لابورت إلى المولى عبدالرحمان 25 جانفي 1829 A.M.A.E.C.A.M.2.F
[3] أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، القسم الثالث، الجزء التاسع، تحقيق: جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ص 26-27.

حسين رفض الصلح، رغم أن بطانته كاملة، نصحته بوجوب الصلح لكنه رفض"، واشتد رفض الداي من خلال قوله: "لا نجعل الصلح بيني وبينكم فضلا على أن أعطيكم رجلا من عندي"[1]، وأمام هذا الرفض، هدد الداي بأنه سيفرض حصارا بحريا، فقامت السفن الفرنسية بالإقلاع من المياه الجزائرية من شهر جوان 1827، ومعها القنصل، وبعض الفرنسيين المقيمين بالجزائر، بينما بقيت بعض السفن لمحاصرة شواطئ المدينة، وشرع في تطبيق الحصار في 15 جوان 1827، وكان رد فعل الداي حسين على هذا الحصار، أنه أمر بهدم المؤسسات الفرنسية في القالة وعنابة، وكان ذلك في 26 جوان 1827، ولقد كانت مهمة الحصار سهلة، لبقاء معظم وحدات الأسطول البحري الجزائري في اليونان،للمشاركة إلى جانب الدولة العثمانية في "معركة نافارين"، في أكتوبر 1827، إذ لم تستطع السفن المتبقية أن تواجه الحصار[2]، ولم تكتف فرنسا بهذا الحصار، بل أقدم سفيرها في اسطنبول "ڤيفومينو guiffominotعلى تقديمه للمذكرة المترجمة، التي سلمها لرئيس الكتاب العثماني في 2 أوت 1827، يطالب من خلالها الباب العالي بالتدخل لتأديب الداي حسين، ولقد جاء فيها: "وحيث أن الداي زاد من تعدياته السابقة بتحقير قنصل فرنسا بالجزائر، فإن جناب ملك فرنسا اضطر لطلب ترضية،وبما أن طلبه قد رفض[3]، وعليه فالحرب محققة"، ولكن هذا لم يمنع من القيام بمحاولات لفك الحصار، نذكر تلك المعركة التي كانت بين أسطول فرنسي بقيادة الأميرال "غوليgollet"والأسطول الجزائري، المتكون من إحدى عشر سفينة، حاولت فك الحصار، دامت المعركة عدة ساعات، أدت إلى تراجع القوات الفرنسية، أمام سفن الأسطول الجزائري، كما تكرر الصدام بين الطرفين في أكتوبر 1828، إذ حاول بعض رياس البحر مرة ثانية فك الحصار، بيد أنهم لم ينجحوا، وأضاعوا أربعة مراكب، غرب مدينة الجزائر، ولقد كان الحصار طويلا، وصعبا، تضرر منه الطرفان، حيث كلف فرنسا حوالي 20 مليون فرنك، ولقد أضر بها كثيرا، حيث تراجع التبادل التجاري مع أوربا، وسجل ارتفاعا في الأسعار داخل الأسواق المحلية للمدينة، مما أدى إلى تدهور الأوضاع الداخلية للمدينة، وهكذا أصبح الحصار يقلق الرأي العام في

[1] المازاري بن عودة، المصدر السابق، ص 79.

[2] Kaddour M Hamsadji, Op, cit, p 167.

[3] المازاري بن عودة، المصدر السابق، ص 79.

الجزائر، ونتيجة لهذا، قررت فرنسا التفاوض من جديد مع الداي حسين، ببعث الضابط"لابروتينيرla Broténniere،"وتم اللقاء بين الطرفين في 30 جويلية 1829، واجتمع الوفدان بالقصبة لمدة ساعتين، ونوقشت خلالها نقطتان: النقطة الأولى بعث موفد جزائري للتعبير عن رغبة الداي في إبرام صلح مع فرنسا، أما النقطة الثانية، أن يتعهد الداي بإطلاق سراح أسرى السفن البابوية، بيد الداي حسين رفض، وطلب من الضابط مغادرة المدينة فورا، وحدد الأجل بساعتين، ولكن الضابط لم يستطيع الخروج بسبب الرياح، ولم يقدر على السفر، وكان الداي قد أمر كل من وكيل الخرج، وباش طبجي، أن يضربوا السفينة إذا انتهت الساعتين، فلما انتهت الساعتان،قام البحارة الجزائريون بضرب السفينة الفرنسية التي تضررت كثيرا، ولما وصل "لابروتنير" إلى فرنسا، فقام السلطان محمود بإرسال رسولين إلى مدينة الجزائر، ينصحان الداي بالاعتدال، وعدم الوقوع في الشرك الفرنسي، فلم يستمع الداي لهما، لشدة ثقته في الانتصار[1]، ونتيجة لهذا الحدث، اجتمع البرلمان الفرنسي، واتفق مع جميع الوزراء أن يستعدوا لغزو مدينة الجزائر، واعتقد رئيس الحكومة الفرنسية "بولينياكde bolingaque[*]، انه سيجد الحل لإسقاط المدينة وغزوها، عن طريق تحريض محمد علي، فاستقبل وفدا قادما من مصر، يحمل أراء عرفت فيما بعد باسم "مشروع محمد علي"، لحل الخلاف الدائر بين البلدين، وبناءا على المشروع، فقدعرض محمد علي على فرنسا، أن تساعده في أن يصبح حاكما على طرابلس وتونس والجزائر، واقترح أن يمر جيشه بالساحل الإفريقي الشمالي المحمي بالأسطول الفرنسي البحري، وقد قال محمد علي للقنصل الفرنسي بالقاهرة،،نه قادر على إنهاء المشكلة الجزائرية، بتجنيد 68 ألف رجل و 23 سفينة وتوفير 100 مليون فرنك، لتغطية نفقات الحملة، ولكن في الأخير عارض وزير الحربية "دي بورمون[*]Debormant" مشروع محمد علي عند مناقشته في مجلس الوزراء،

---

[1] لبيب عبدالساتر، المرجع السابق، ص 63.

[*] بولينياك de bolingaque: اقترح في عهد شارل العاشر لرئاسة الوزارة لتعويض مارتينياك Martignac عام 1828، لكن مجل النواب رفض، الرجوع إلى بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للإستعمال الفرنسي، دار النفائس، بيروت، 1983، ص 67.

[*]هو لويس أوغست فكتور دي شاز الملقببالكونت دي بورمون. ولد في 2 سبتمبر 1773 في مقاطعة فريني عين وزيراللحربية في 23 ماي 1825 بعد أن اختاره الملك شارل العاشر لمهمة قيادةالحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر ، لكونه صاحب تجربة في الميدانالعسكري.كلف من طرف الملك الفرنسي بقيادة الحملة العسكرية الفرنسية ضدالجزائر في 11 أفريل 1830 .أصبح مارشال فرنسا في 14 جويلية 1830.لقببالخائن لكونه فر من جيش نابليون بونابرت أثناء معركة واترلو عام1814
كان من دعاة الملكية الرجعية لذلك قربه الملك البربوني شارل العاشر .لميتمتع بنتائج الحملة على الجزائر رغم قيادته لها ونجاحه فيها ,فبمجرد قيامثورة 1830 التي أطاحت بالملك شارل العاشر حتى استدعته حكومة الملك لويسفليب في 18 أوت1830 وعينت مكانه اللواء كلوزيل.توفي في 27 أكتوبر 1846بقصره الموجود في مسقط رأسه، منقول من موقع وزارة المجاهدين.

واعتبره إهانة للشرف الفرنسي في نظره[1]، ذلك أن محمد علي، لم يكن يختلف في نظره كثيرا عن "حسين باشا"، وأمام إصرار "بوليناك"، في استخدام مسلما ضد مسلم، عدل المشروع المقترح عدة مرات، إلا إنه لم يلق التأييد من طرف مجلس الوزراء الفرنسي،وإن تعارض المصالح بين محمد علي وفرنسا، أدى إلى قطع المفاوضات نهائيا.

وهكذا، ففي جلسة 30 يناير 1830، قرر مجلس الوزراء الفرنسي، بعد دراسة استغرقت أربع ساعات،القيام بحملة ضد مدينة الجزائر، وفي 7 فبراير أقر الملك شارل العاشر مشروع الحملة، وأصدر مرسوما ملكيا بتعيين الكونت "ديبورمون" قائدا عاما للحملة، والأميرال "دوبيري "قائدا للأسطول البحري، وقد بدأت الاستعدادات الحثيثة لتنفيذ المشروع.[2]

وبينما كانت فرنسا تستعد للقيام بحملة عسكرية ضد مدينة الجزائر، كانت هذه تستعد أيضا لمواجهة الحملة، أقدم الداي حسين باشا على تخصيص مرتبات لعدد الجواسيس، في كل من ايطاليا ومرسيليا وطولون وباريس، فنقلوا إليه خبر استعداد فرنسا لغزو المدينة، وأنها أعدت أسطولا لإرساله إلى الجزائر[3]، ولهذا كان الداي حسين، على علم بتفاصيل الحملة قبل وقوعها، ونظرا لاعتقاده بأن هذه الحملة، لن تتعدى الضرب من البحر، شأنها شأن الحملات الأوربية السابقة، ففاته أن يعد جيشا ليتمركز حول المدينة، وترك تلك الفرق التي كان عليها أن تقاتل الفرنسيين عند نزولهم إلى البر،وتقييم على مسافة غير بعيدة عن المدينة، أما الاحتياطات الوحيدة التي اتخذت على الجانب البري،هي أن الآغا إبراهيم أمر بإضافة المدافع إلى حامية سيدي فرج، وأرسل إليها بضع مئات من الجنود، كما أقام مخازن للحبوب من القمح والشعير في المدينة وضواحيها[4]، أما الجهة البحرية فقد حضيت بعناية

---

[1] عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 38.

[2] دي لابروت إلى وزير الخارجية الفرنسي 03 جويلية 1830 A.D.F.M.A.E.M.16

[3] في شهر أفريل من عام 1830 قامت فرنسا بإعلام المولى عبدالرحمان سلطان المغرب، بواسطة عامله في مدينة طنجة العربي السعيدي، وأمين الديوانة الطيب البياز، بعزمها على احتلال الجزائر، لتأديب الداي حسين، وحكومته، الرجوع إلى تقرير دي لابورت إلى وزير خارجية فرنسا 12 أفريل 1830 A.D.F.M.A.E.M.19

[4] ورد في كتاب la résistance armée algérienne 1830-1920 الصادر عن وزارة الدفاع الوطني، الجزائر، 1974، في الصفحة 18، بأن قوة الجيش الجزائري كانت تقدر بخمسين ألف، في حين ورد في كتاب مجاهد مسعود، صفحة 14 ما يلي: "وأرسل الداي إلى عماله في المدائن والضواحي يدعوهم إلى الجهاد الأكبر، ويستفز حماستهم للدفاع عن بلادهم، وأوطانهم ...، فوعدوا بإرسال الرجال القادرين على حمل السلاح، ووضعهم تحت إمرته حتى فاق عدد الجنود التي وعدوا بها الباشا 200 ألف رجل، غير أنه لم يصل منهم إلا القليل"، أما أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الحديث، فذكر أن جند الإنكشارية في الجيش النظامي لم يكن يتعد ستة آلاف محارب، أما ولاة البيالكات، فقد وعد الحاج أحمد باي قسنطينة بزج 30 ألف محارب، ووعد حسن باي وهران بتقديم 6000 محارب، وأكد بومرزاق باي التيطري بتقديم عشرون ألف مقاتل، وقد جمع

أكثر، وخاصة الميناء، فقد كانت الحاميات والمواقع الدفاعية تمتد على بضعة آلاف من المدافع الثقيلة،وكانت مزودة بكل ما يلزم من الرجال والذخيرة، وأقيمت كذلك ثلاث سلاسل قوية متينة قرب الساحل داخل الميناء، وكانت السفن الحربية راسية خلفها، وأمامها "خمسون زورقا"، ثمانية منها مزودة بالقذائف، والبقية بالمدافع، كما سمح الداي لجميع العرب والقبائل بحمل السلاح، الذي كان محرما عليهم سابقا، وأخبرهم أيضا بأنه سيأمر بمجرد مشاهدة الأسطول الفرنسي، بأن تطلق المدفعية طلقتين اثنتين، ليسرعوا إلى الحيلولة دون نزولهم إلى البر، أو إعاقتهم عن ذلك على الأقل.[1]

وهكذا قررت فرنسا أن تغزوا مدينة الجزائر، أن تغزو مدينة الجزائر باعتبارها مقرا للسلطة، وبقوات ضخمة، وقد أعدت الحملة إعداد محكما، فقد كان "بوتان" منظما دقيقا، جاء بجميع الترتيبات لاحتلال المدينة، كما عمل "دي بورمون"، منذ تعيينه قائدا على الحملة في التفكير، وجمع المعلومات اللازمة لمهمته، وفي 20 ماي 1830، أذاع "دي بورمون" بيانا على الضباط والجنود، حثهم فيه على حسن الإستعداد،وفي يوم 25 ماي1830، غادرت الحملة الفرنسية ميناء طولون الحربي، وهي تتألف من: 37000جندي من المشاة والفرسان، 27000جندي بحار، 103سفينة حربية، 72سفينة تجارية فرنسية وغير فرنسية، تحمل المؤونة والذخائر والجنود، وتقرر إنزال الجنود عند سيدي فرج، والزحف برا صوب المدينة، والسيطرة على قصر الداي، وكذا ضرورة محاصرة المدينة بالسفن الحربية، ومنع وصول المئونة إليها، فكان أول إنزال لهذه القوات يوم 19 جوان 1830 بميناء سيدي فرج، ولم تكن بحوزة الجزائريين سوى 12 مدفعا صغيرا، وضعها الآغا يحي عند بداية الحصار، ولم يكن للأغا إبراهيم أكثر من 3000 فارس، وكان باي قسنطينة، لا يملكإلاعددا قليلا لمحاربين، أما باي التيطري، فلم يصل إلا بعد عدة أيام من نزول الجيش الفرنسي، وكان قد وعد الباشا بـ 20 ألف فارس، ولكنه حين وصل إلى الميدان لم يأتي سوى ب، 1000 رجل، وبالنسبة لقوات بايلك الغرب التي بعث بها الباي

شيوخ جرجرة ما بين 16 إلى 18 ألف محارب، وجمع أهالي ميزاب أربعة آلاف محارب، بيد أن معظم هذه القوات لم تصل، الرجوع إلى المزاري بن عودة، المصدر السابق، ص 81-82، وكذلك أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 32-35.

[1] يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20، ط 2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص 30.

حسن، فلم تصل في وقتها إلى سيدي فرج[1]، وقد تجمعت هذه القوات في معسكر "اسطاوالي"، وكان الداي حسين ينتظر النصر في معركة اسطاوالي، وفي بداية المعركة كانت الكفة لصالح قوات الداي، فأمر القائد "دي بورمون" بزيادة المدد والمئونة، وقام بشن هجمات مضادة، مكنته من السيطرة على المنطقة، وهزم القوات الجزائرية، وبعد الهزيمة في اسطاوالي، في 19 جوان 1830، هرب الآغا إبراهيم من الميدان، وترك وراءه الجيش، فقام الفرنسيون بالاستيلاء على قلعة مولاي الحسن، وبالتدريج بدأت روح الهزيمة تدب في أوساط الجهاز السياسي والعسكري للمدينة، فجمع الداي حسين أعيان المدينة ورجال القانون والدين، وشرح لهم الوضع الذي أمامهم، وطلب منهم المشورة حول ما يتوجب فعله، لمواجهة الموقف،وقد اقترح حلان، إما مواصلة المقاومة، أو تسليم المدينة والتوقيع أمامهم على معاهدة الاستسلام، وبعد تقليب الموضوع من عدة أوجه،جاء جواب أعيان المدينةباستعداد لمواصلة الحرب، ولكن إذا كان رأي الداي غير ذلك، فهم يطيعون الأوامر، وقد كان للبيان الذي وزعه الفرنسيون بمهارة، تأثيرا على المجتمع الجزائري، وإقناعه بأنهم قد جاءوا حقا لتخليصه من سلطة الأتراك[2]، وقد تسبب هذا البيان في شل الطاقة المحاربة، وتفضيل الحل السلمي، ففي ليلة 2 جويلية عام 1830، اجتمع بعض من أعيان مدينة الجزائر، في قلعة باب البحرية، ولقد كانوا يمثلون التجار وأرباب المال، حيث أجمعوا بأن ضياع المدينة، أصبح أمرا محتما، وأنه إذ ما دخلها الفرنسيون عنوة، فإنهم سيستبيحونها، وينهبون ثرواتها، ويعتدون على النساء، ويقتلون الأطفال، واقترحوا تلافيا لذلك، قبول الاقتراح الثاني للباشا، الذي ينص على الاستسلام بعد توقيع معاهدة، وأن الفرنسيين سيتركونهم يتمتعون بدينهم وتقاليدهم، وسيتركون لهم أملاكهم ومساجدهم وزواياهم، وفي النهاية قرروا عدم مقاومة الفرنسيين عند دخولهم المدينة، وأرسلوا وفدا عنهم إلى القصبة لمقابلة الباشا، وإطلاعه على ما اتفقوا عليه، وقد أجابهم الباشا بأنه سينظر في القضية[3]، وفي يوم 4 جويلية 1830، أرسل الداي حسين كاتبه مصطفى، إلى مقر القيادة الفرنسية

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 32-35.

[2] أبو العباس جعفر الناصري، المصدر السابق، ص 26-27.

[3] Kaddour M Hamsadji, Op, cit, p 181-182

للتفاوض مع "دي بورمون"، كما حضر المفاوضات ايضا أحمد بوضربة، وحسن بن عثمان خوجة، وبعد التفاوض، وقعت معاهدة الاستسلام يوم 05 جويلية 1830.[1]

ولقد نصت هذه المعاهدة على أن يسلم حصن القصبة، وكل الحصون التابعة للجزائر، وميناء هذه المدينة إلى الجيش الفرنسي، صباح اليوم على الساعة العاشرة (بالتوقيت الفرنسي)، ويتعهد القائد العام للجيش الفرنسي تجاه داي الجزائر، بترك الحرية له، وحيازة كل ثرواته الشخصية، ويكون حرا في أن يتصرف هو وأسرته، وثرواته الخاصة، أو أن ينقلها إلى المكان الذي يعينه، ومهما بقي في الجزائر، سيكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام الفرنسي، وسيتولى حرس خاص ضمان أمنه الشخصي، وسلامة أسرته، كما يضمن القائد العام لجميع جند الانكشارية نفس الامتيازات ونفس الحماية، والإبقاء على ممارسة الديانة المحمدية حرة، ولن يلحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات، ولا بدينهم، ولا بأملاكهم، ولا تجارتهم وصناعتهم، وستكون نساؤهم محل احترام والقائد العام يلتزم على ذلك بشرفه، على أن يتم تبادل هذه المعاهدة قبل الساعة العاشرة، وسيدخل الجيش الفرنسي عقب ذلك حالا إلى القصبة، ثم تدخل بالتتابع كل الحصون المدنية والبحرية تحت سيطرته.[2]

وفي يوم 06 جويلة 1830، دخل الجنود الفرنسيين مدينة الجزائر من الباب الجديد بأعلى المدينة، وأنزلت أعلام دولة الداي من جميع القلاع والأبراج، وارتفعت في مكانها رايات الاحتلال الفرنسي، وأقيمت صلاة للمسيحيين، وخطب فيها كبيرا قساوة الحملة، فقال مخاطبا قائد الحملة الفرنسية: "لقد فتحت بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا"، وبعزل الداي عن مدينة الجزائر من طرف الجيش الفرنسي وإرغامه على الاستلام، انتهى العهد التركي بمدينة الجزائر الذي دام 326 سنة، ولقد ذكر المزاري بن عودة في كتابه، بأن الجيش الفرنسي قد دخل المدينة في يوم الإثنين الثالث أو الرابع من محرم سنة 1246 هـ، الموافقة

---

[1] أبو العباس جعفر الناصري، المصدر السابق، ص 26-27.

[2] Hamet.l., Le Gouvernement marocaine et la conquête d'Alger, Documents chérifiens, Annales de l'Académie des sciences coloniales, t.l., 1925, p 55.

لـ 05 جويلية 1830م، وقد قال: "وصارت البهجة وهي أم البهاء من حينها تحت حكم الدولة، وشرعت في التصرف فيا بالأمر والنهي والإقبال والجولة[1].

وحسب ما أشارت إليه المصادر المغربية، فإن إصرار فرنسا على غزو مدينة الجزائر، قد أثار مخاوف المخزن، لما قد ينجم عنه من أخطار محتملة، وبالفعل فلقد قام المغاربة بتعزيز قواتهم، ومضاعفة أعدادها في نواحي عديدة ومختلفة، وشجعوا الجند القائمين على المدفعية بالمكافآت السخية، ولقد أشار القنصل الفرنسي "دي لابورت Delaporte" بأن السلطة المغربية قد اتخذت هذه الإجراءات، ليس لكونها معارضة للحملة الفرنسية على الجزائر، بل لأنها رفضت فكرة تسمية هذا الغزو بحملة شمال إفريقيا[2]، وبقي سلطان المولى عبدالرحمان يتقصى أخبار الحملة الفرنسية، عن طريق عامله بمدينة وجدة إدريس الجراري[3]، وعليه فإن موقف المغرب من الحملة الفرنسية على الجزائر، لم يكن محل اهتمام فرنسا فقط، بل إن هذا الصراع الصليبي، قد أدى بالداي حسين إلى بعث رسالة، إلى السلطان المغربي المولى عبد الرحمان في ماي 1830، يستفهم ويستعلم، عن موقف السلطة المغربية من الحملة الشرسة، التي تستهدف أرضا إسلامية، وحسب ما أورده دي لابورت في تقاريره، التي وجهها إلى رئيس الوزراء الفرنسي دي بولينياك De[*] bolinyaque، ووزير الخارجية سيباستياني Sébastiané، فإن المغرب لا يهتم بموضوع الغزو الفرنسي للجزائر[4]، وقد عبر سيباستياني Sébastiané عن هذا الحياد بقوله: "استجاب بسرعة إلى الخدمات التي طلبناها منه، إنه أفهمنا بأننا نستطيع الحصول منه على أكثر من ذلك من دلائل الرعاية، بدون خوف من المساس بالمشاعر الدينية لرعاياه"[5].

لقد تلقى الفرنسيون ضمانات بعدم التدخل والوقوف على الحياد، وتسهيلات للسفن البحرية من طرف المغاربة في شواطئ الريف، حيث في أبريل 1830، تلقى دي لابورت

[1] المازاري بن عودة، المصدر السابق، ص 82-83.
العربي المشرفي، طرس الأخبار للمسلمين آخر القرن الثالث عشر مع الكار، م خ خ ع ر ك، ص 40.
[2] دي لابورت إلى وزير الخارجية الفرنسي 19 ماي 1830 A.D.F.M.A.M.12
[3] I Hamet, op, cit, p 55.
[*] بولينياك de bolingaque: اقترح في عهد شارل العاشر لرئاسة الوزارة لتعويض مارتينياك Martignac عام 1828، لكن مجل النواب رفض، الرجوع إلى بسام العسلي، المقاومة الجزائرية للإستعمال الفرنسي، دار النفائس، بيروت، 1983، ص 67.
[4]- دي لابورت إلى وزير الخارجية الفرنسي، 19 ماي A.D.F.M.A.M121830
[5]- تقرير سيباستياني إلى لويس فليب، 26 فبراير 1831 A.D.F.M.A.M8

من باشا طنجة العربي السعيدي ضمانا، بأن سفن فرنسا ورعاياها، اللذين يلجؤون إلى شواطئ المغرب من سبتة إلى العرائش، سيتلقون كل المساعدة، وهم بمثابة الأصدقاء، وأكد على ضرورة إبلاغ سكان الريف، والقبائل المقيمة على الشواطئ، بتنفيذ وعده للفرنسيين، وأكد في مضمون طلبه لهم أنه صديق للفرنسيين، وله مصالح تجمعه معهم، لكن على الرغم من الضمانات، والتأكيدات التي تلقاها الفرنسيون، فإن نائب القنصل دي لابورت، طلب من حكومته الحذر والحيطة، بل نصح بعدم اللجوء إلى هذه السواحل باعتبار القبائل سترفض ذلك[1].

وحسب التقرير الذي جاء به محمد تكرت[2]، زعيم قبائل الريف، فقد ذكر بأنه اتصل بسكان القبائل الساحلية في الريف، وقرأ رسالة العربي السعيدي عليهم، وأنهم تجاوبوا معها، وأبدوا نيتهم في تنفيذها، والعمل بها، وأكد أنه وجد الترحيب في كل مكان، والاستعداد لإرضاء السلطة المغربية، ومن جهته قام دي لابورت، بإخبار الحكومة الفرنسية بنتائج جهوده التي قام بها في المغرب، حيث بعث بتقرير في 06 جويلية 1830، أي بعد يوم من غزو فرنسا لمدينة الجزائر، ووقوعها في يد القوات الفرنسية[3]، وبالتالي، فإن هذه الجهود التي قام بها دي لابورت، لم تؤثر على الغزو الفرنسي للجزائر،
فلقد قام نائب القنصل دي لابورت ببعث رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسي بولينياك، في 12 أبريل 1830، يخبره فيها، أن فرنسا بإمكانها الحصول من الأراضي المغربية على كل ما يحتاجه المحاربون الفرنسيون المحاصرون للجزائر، مقابل دفع الإتاوة، وضرورة التفاوض مع السلطان، حول تصدير الحبوب المغربية، التي كان محصولها جيدا و سعرها زهيدا[4].

وقد أمر السلطان المولى عبدالرحمان، الطيب البياز، بالسماح لسفن فرنسا بالحصول على كل المواد الغذائية الطرية، ومواد التموين، دون أداء حقوق الديوانة، بيد أن الفرنسيين واجهوا عدة عقبات أثناء شحن المؤن.

1- تقرير دي لابورت إلى وزير الخارجية، 12أبريل 1830 A.D.F.M.A.M11
2- محمد تكرت إلى والي طنجة 20 جوان 1830 A.D.F.M.A.M16
3- دي لابورت إلى وزير الخارجية الفرنسي 07 ماي 1830 A.D.F.M.A.M12
4- دي لابورت إلى وزير الخارجية، 12أبريل 1830 A.D.F.M.A.M9

ونظرا للضمانات التي كان قد تلقاها الفرنسيون من سلطان المغرب، فإن وكيل التموين العام للجيش الفرنسي، الموجه للحملة، قد قدم إلى المغرب، حيث وصل إلى طنجة في 07 جويلية 1830، و كانت المهمة التي جاء لأجلها تتمثل في استيراد بعض الثيران، لدعم الحملة على الجزائر[1]، بيد أنه عندما التقى بالعربي السعيدي، أكد بأن هذا النوع من المؤن لم يندرج ضمن الاتفاق الذي أقره السلطان، مؤكدا بأن المغرب لم يصدر منذ سنتين الأبقار، غير أن ديل بروك Dilbroque الوكيل الفرنسي لم يفقد الأمل، وبقي ينتظر أوامر جديدة من المولى عبد الرحمان[2].

وقد كتب نائب القنصل الفرنسي دي لابورت رسالة إليه، يطلب السماح بالحصول على 480 ثور، شريطة دفع رسوم معتدلة عنها، غير أن بعض الجهات حاولت عرقلة الصفقة، حيث قام وكيل الجزائر بتيطوان، عبدالكريم بن طالب، بإجراء اتصالات مكثفة مع القنصل الإنجليزي درموند هاي[*] (D. Hay)، بغية إفشال صفقة فرنسا، و بالفعل فقد نجح في تأخير تنفيذ المشروع، حتى تتلقى سلطات تيطوان الجواب النهائي لتصدير الثيران[3].

وقد انتشرت في مدينة طنجة أخبار، مفادها أن إنجلترا كانت رافضة لفكرة تموين المغرب بالمؤن والأغذية لفرنسا[4]، كما قام القنصل الدانماركي بتحريض عامل مدينة طنجة، كي لا تتم الصفقة مع الفرنسيين، كونها تضر بمصلحة الشعب المغربي.

ولكن رغم العقبات التي واجهت فرنسا، فإن تأخير الموافقة على الشحن لم يدم طويلا، إذ سرعان ما أخبر والي طنجة دي لابورت، بأن السلطان قد سمح بشحن أول دفعة من الثيران، وقد برر التأخر في الإذن لهم بعملية إقناع السكان، اللذين انزعجوا كثيرا عندما وصلتهم رسالة تخبرهم عن مدينة الجزائر، وبعد هذه الموافقة التي بعث بها السلطان، تراجع ديل بروك عنها نظرا لارتفاع تكاليفها[5].

[1]- دي لابورت إلى وزير الخارجية الفرنسي 07 ماي 1830 A.D.F.M.A.M12
[2]- دي لابورت إلى وزير الخارجية الفرنسي 09 جويلية 1830 A.D.F.M.A.M17
[*] درموند هاي D. Hay: كان ممثلا لبريطانيا في المغرب، بمدينة طنجة، كان من بين أهم القناصلة الذين اهتموا بجمع التقارير الخاصة بنظام الحكم والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالمخزن المغربي خلال القرن 19، الرجوع إلى M. Ennaji, Note sur le document makhzenien, in *Hespéris-Tamuda* 30 (1992), 66–74
[3]- دي لابورت إلى وزير الخارجية الفرنسي 03 جويلية 1830 A.D.F.M.A.M16
[4]-المرجع السابق.
[5]- المولى عبد الرحمان إلى دي لابورت، 24 جويلية 1830 A.D.F.M.A.M18

وفي 08 أوت 1830، عاد السلطان ليؤكد قبوله بتصدير الثيران المغربية، في رسالة وجهها إلى والي طنجة، وإلى نائب القنصل الفرنسي[1].

وبعدما دخلت الجيوش الفرنسية سيدي فرج، بعث نائب القنصل دي لابورت إلى بولينياك، يخبره بأن الرأي العام في المغرب منشغل بالحملة الفرنسية على الجزائر، والحديث مركز على التخوف من ضم المغرب بعد ذلك[2]، وفي 13 جويلية 1830، وصلت رسالة من قنصل المغرب بجبل طارق، إلى مدينة طنجة، أشارت في محتواها إلى أن المغرب قد انتهج سلوك الحياد تجاه الاحتلال، وفي نفس الوقت تظاهر بالسلم لإرضاء فرنسا، دون دعمها ضد الجزائريين، غير أن خبر الاحتلال لم يصل إلى المولى عبدالرحمان إلا في نهاية شهر جويلية، وقد تفاجأ وأصيب بالذهول[3].

وقد وصف دي لابورت، حالة السكان المغاربة عشية سماعهم خبر سقوط مدينة الجزائر، بأنهم أصيبوا بالذهول، وانزعجوا وحزنوا على إخوانهم الجزائريين، وتظاهر عمال المخزن بالهدوء، وعدم الاهتمام، وذكر بأنهم يأملون في مجيء الإنجليز لنجدة المسلمين، وكانت هذه مجرد إشاعات تداولتها الألسن، للتخفيف من حدة الصدمة[4].

وقد عبر المولى عبدالرحمان عن حادث احتلال الجزائر، بالمصيبة الكبرى التي حلت بالأمة الإسلامية، واحتج لاستسلام الداي حسين، ورضوخه لمطالب وشروط فرنسا، واعتبره ضعفا، وهروبا من المسؤولية، ومن خلال الكتابات الفرنسية، نجد أن موقف السلطة المغربية كان معاكسا تماما لما ذكره الأرشيف المغربي، حيث في 24 ديسمبر 1830، كتب الجنرال كلوزيلClousel* إلى وزير الحرب المارشال سولت، أن السلطان المولى عبدالرحمان قد هنأ بالاحتلال، وأنه كان ينوي القضاء على حكومة الداي، وتخليص

1- المولى عبد الرحمان إلى دي لابورت، 08 أوت 1830 A.D.F.M.A.M19

2- دي لابورت إلى وزير الخارجية الفرنسي 03 جويلية 1830 A.D.F.M.A.M18

3- أبو العباس أحمد الناصري: كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم الثالث، الجزء التاسع، تحقيق جعفر الناصري. دار الكتاب، الدار البيضاء 1956. ص 26، 27.

4-دي لابورت إلى وزير الخارجية الفرنسي 20 جويلية 1830 A.D.F.M.A.M19

*عينتهحكومة الملك لويس فليب قائدا عاما بعد الكونتديبرمونقائدالحملةالعسكرية الفرنسية علىالجزائرمن 12 اوت 1830 الى 21 فبراير1831 . رقي الى رتبة مارشال في 27 جويلية 1831. توفي في 21 افريل 1842بسكوريو بمنطقة قارون العليا.و قد قدم كلوزيل إلى الجزائر شهرسبتمبر 1830،وبقي في منصبه ستة أشهر إلى غاية فبراير 1831 و هو صاحب سجلحافل بالجرائم البشعة في حق الشعب الجزائري ،و كان من دعاةالاحتلالالشامل و أعيد تعيينه للمرة الثانية حاكماعاما على الجزائر ما بينأوت 1835 و فبراير 1837 برتبة مارشال.أما عنسياسته في الجزائر ،فيمكن إجمالها في النقاط التالية: 1) انشأ فرقة مشاة من الجزائريين عرفت بإسم الزواف في أكتوبر 1830. 2)قام بتوزيع الأراضي على فرقه العسكرية. 3)أصدر قرارا بجعل أملاك الأوقاف وإحصائها وإدارتها وحساباتها ترجعالى إدارته الجديدة. عزل من منصبه في 20 فبراير 1831 بعد اتهامه بالذاتية وعدمالدبلوماسية، عاد الى الجزائر سنة 1835 خلفا لديرلون وفي نفس السنة غزا مدينة معسكر . فشل في معركة قسنطينةالأولى سنة 1836.

الجزائريين من سيطرة الأتراك، وأبدى نيته في مساعدة فرنسا ودعمها إن طلبت منه ذلك[1].

وهناك ملخص لتقرير بعث به سيباستياني وزير الخارجية، يشرح فيه موقف المولى عبدالرحمان في أواخر فبراير 1831، حيث ذكر بأن السلطان لم يبال بغزو فرنسا للجزائر، بل قام بتهنئتها، وتحفيزها للقضاء على قوة الأتراك بشمال إفريقيا[2].

وقد فسر جورج إيفر G. Yver وجهة نظر المغاربة تجاه الغزو الفرنسي للجزائر، باعتباره فرصة للحصول على الأراضي، التي كانت محل النزاع بين الجزائر والمغرب، وأن سقوط حكومة الداي ستمكنهم من امتلاكها، لذلك طلب من فرنسا أن توجه الضربة القاضية لطردهم نهائيا من الجزائر[3]، وأن الموقف المزدوج، والمتذبذب لسلطان المغرب، حول احتلال الجزائر، قد حلله سيباستياني، بأنه إما قصد به السلطان خداع الفرنسيين، حتى لا يقوموا بتعزيز القوة الدفاعية في الغرب الجزائري، أو لكي لا يعرفوا أغراضه وطموحاته، التي كان يسعى إليها، وهناك تفسير آخر لدى دي كوسي بريساك De Cosse Braissac، بأن السلطان المغربي كان يعتقد بأن فرنسا ستغادر الأراضي الجزائرية، وبعدها يوسع نفوذه بدون أية عقبة[4]، بيد أن حذر السلطان الشديد، وموقفه المزدوج من احتلال الجزائر، يؤكد لنا شعوره بعدم القدرة على مواجهة فرنسا، وضعفه وتأثره بالمواقف التي أبدتها الدول الأوروبية، التي لها مصالح في الجهة الغربية من البحر البيض المتوسط، كإنجلترا والدولة العثمانية، و تونس و حتى موقف الحكومة الفرنسية.

ولقد أدت مسألة غزو القوات الفرنسية لمدينة الجزائر،إلى إثارة الاهتمام الكثير لدى الدول العظمى، نتيجة الموقع الاستراتيجي لها، وأهميته في البحر البيض المتوسط، وتأثير هذا الغزو على العلاقات الدولية وموازين القوى في أوربا، حيث كان رد فعل الإنجليز تجاه الغزو يتسم بالتردد تارة، إذ أنهم رفضوا وجود أية قوة خاصة فرنسية في الجزائر، فقنصل إنجلترا السير روبرت S Robert رفض الاحتلال، ومن جهة أخرى، نجد إنجلترا البلد الوحيد الذي كان قد أيد الثورة الفرنسية التي قامت في 14 جويلية 1830، وأقيل إثرها

---

[1]- الجنرال كلوزيل إلى وزير الحرب، 24 ديسمبر 1830 Service historique de l'armée de terre, Vincennes, Série : 1H : Algérie 145

[2]- تقرير سيباستياني إلى لويس فليب، 26 فبراير 1831 Service historique de l'armée de terre, Vincennes, Série : 1H : Algérie 146

[3]- G. Yver et autres, l'Afrique du Nord Françoise, Paris, 1974, P 267.

[4]- Decosse, Braissac, P. H les rapports de la France et du Maroc pendant la conquêt de l'Algérie (1830, 1847) paris 1931. P 08.

شارل العاشر*، وعين بدله لويس فليب على عرش فرنسا، وفي ظل هذه الظروف، عارضت الدول الأوربية الحكم الليبرالي، وأيدت الملكية المطلقة، لكن إنجلترا اعترفت بحكم لويس فليب، وهذا ما جعل علاقتها مع فرنسا تتوطد و تتحسن[1].

وقد جاء في المذكرات التي كتبها أحد وزراء خارجية فرنسا، المدعو فرانسوا كيزوFrançois Guizot*، يقول فيها: "بأن الرأي العام بإنجلترا كان مؤيدا للغزو الفرنسي للجزائر، هذا التأييد الذي أبدته إنجلترا، قد فاجأ فرنسا، التي لم تكن تنتظر تعاطفها، والشيء المؤكد،هو أن إنجلترا كانت كذلك تعتقد بأن فرنسا لن تبقى في الجزائر وقتا طويلا، أي سوف ترحل في أقرب الآجال[2] ".

أما بالنسبة للإمارات الإيطالية، فقد أيدت الغزو الفرنسي للجزائر، وفرحت بالقضاء على معقل القرصنة، في الضفة الجنوبية من البحر البيض المتوسط، ونفس الموقف أبدته روسيا وهولندا، كذلك أيد مستشار إمبراطور النمسا مترنيخ* الاحتلال، كونه يتجاوب مع مقررات مؤتمر فيينا 1815، والذي أكد على ضرورة القضاء على القرصنة في البحر الأبيض المتوسط، كذلك الولايات المتحدة الأمريكية، كانت سباقة لبعث رسائل التهنئة باحتلال الجزائر[3].

---

* **شارل العاشر**(9أكتوبر1757فيفرساي 6 - نوفمبر1836فيغوري،إيطاليا) كان آخر ملوك سلالة أسرة أل بوروبن حيث قامت الثورة الفرنسية بطردها منالحكم سنة 1824 وحتى 1830 وخلفه في الحكم لويس فليب، وقبله كان الملك لويسالثامن عشر الذي توفي عام1824 .كان نظام شارل العاشر رجعي وسيء وكان هذا سببا في وجود معارضة قوية منمعظم الاتجاهات السياسية مما أدى إلى قيام الملك شارل العاشر إلى إعطاءالمزيد من الامتيازات إلى الاكليروس وطبقة النبلاء. تزوج شارل العاشر منماري-تريس القادمة من سافواوهو.توفي سنة 1836 بعد فراره إثر ثورة جويلية عام1830، الرجوع إلى Marie-Nicolas Bouillet et Alexis Chassang (dir.), « Charles X de France » dans *Dictionnaire universel d'histoire et de géographie*, Paris, 1878

[1]- CHH. Churchill la vie d'Abdelkader, traduction : Michael Hobart 2 éd, Alger – Paris 1974. P 05.

* فرانسوا كيزو François Guizot: مؤرخ ورجل سياسي فرنسي، ولد في 4 أكتوبر 1787 بمدينة نيم الفرنسية، في الفاتح أوت 1830 عين في منصب وزير الداخلية، لكنه استقال في شهر نوفمبر من نفس السنة، توفي في 12 سبتمبر 1874، الرجوع إلى Laurent Theis, « Guizot et les institutions de mémoire », in Pierre Nora (dir.), *Les Lieux de mémoire, II. La Nation*, Paris, Gallimard, 1986, t. II, p. 569-592

[2]- Guizot mémoire pour servir à l'histoire de man temps 7 VOL Paris 4858 t2. P 261.

*ولد ميترنيخ بمدينةكوبلينزبوسط غربألمانيافي 15 مايو 1773. أبوه هو فرانز جورج كارل والملقب بالكونت فون ميترنيخوالذي كان يعمل دبلوماسيا في خدمة البلاط النمساوى. أما الأم فكانتالكونتيس ماريا بياتريس ألويسيا. عند ولادة ميترنيخ وخلال سنوات عمرهاالأولى عمل والده سفيرا للبلاط النمسوى لدى إحدى الإمارات الألمانيه الوقعهعلىنهر الراينحيث تأثر ميترنيخ الصغير بالأفكار السائدة خلال تلك الفترة بينالأرستقراطيات الألمانيه الواقعه تحت النفوذ الفرنسي والتي تمحورت حولضرورة المحافظة علىالنظام الأوروبى القديمأو ما عرف ب Ancien Régime، عمل ميترنيخ وزيرا لخارجيةالامبراطورية النمسويةفي الفترة من عام 1809 وحتى العام 1848. توفي في 11 جوان 1859، الرجوع إلى A. J. May, The Age of Metternich, Holt, Rinehart & Winston, New York, 1933.

[3]- Julian.CH. A histoire de l'Algérie contemporaine (1827, 1871) paris 1964. P58.

أما بالنسبة للسلطان العثماني محمود الثاني♦، فكان يعتقد بأن الجزائر قادرة على مواجهة الغزو الفرنسي، ولذلك فضل البقاء على الحياد، وعمل على إقناع محمد علي★ والي مصر،بعدم استعمال القوة لتأديب الداي حسين، وهذا بتحريض من فرنسا، ولكن عندما سمع العثمانيون خبر سقوط مدينة الجزائر، شرعوا في بذل الجهود لمحاولة استرجاع ولايتهم الضائعة، وبقي الأتراك يسعون إلى تحقيق هذه الغاية عدة سنوات، لكنهم لم يستطيعوا تحقيق هدفهم، بعدما امتنعت إنجلترا عن مساعدتهم، وانشغالهم في حرب اليونان، وتهديدات محمد علي والي مصر[1].

وبالنسبة لتونس، في عهد حسين باي بن محمد* بدأ احتلالالجزائر،وكان للباي موقفا محايدا، حيث حذرته فرنسا قبل الاحتلال: "إن أردتَ الأمانعلى بلادك فكن في هذه النازلة حبيبا للفريقين، وإن أعنتَ الجزائر من البر،تكون حربا لنا مثله"،ثم أنه لما أتي مركب حربي عثماني ليعزل داي الجزائر، حتى يجنبها الاحتلال، اعتذر له حسين باي عن السماح له بالنزول إلى البر، خوفا من أن تعتبر فرنسا ذلك مساعدة للجزائر، ويضيف ابن أبي الضياف بأن تلكالمسألة قد أثارت سخط الباب العالي، خاصة وأنه قدّم تسهيلات للقوات البحرية الفرنسية، رغم أن تونس كانت إيالة عثمانية، ولم يكتف بذلك، بل امتنع عن تقديم المساعدة للداي حسين، وقام باي تونس ببعث رسالة إلى الجنرال دي بورمونDebormant●، يعبر فيها عن سعادته باحتلال فرنسا للجزائر، وعليه، فقد جاء هذا التأييد للرغبة في الحصول على أراضي من شرق الجزائر، و لتولية أخيه عليها.

♦ محمود الثاني: ولد في 20 جويلية 1785، السلطان الثلاثون للدولة العثمانية، شهد عصره خطوات إصلاح واسعة،تقلد مقاليد الخلافة العثمانية سنة1808موهو في الرابعة والعشرين من عمره، واستقر عزمه على أن يمضي في طريقالإصلاح الذي سلكه بعض أسلافه من الخلفاء العثمانيين، ورأى أن يبدأبالإصلاح الحربي، فكلف الصدر الأعظم "مصطفى البيرقدار" بتنظيم الإنكشاريةوإصلاح أحوالهم، وإجبارهم على اتباع التنظيمات القديمة الموضوعة منذ عهدالسلطان سليمان القانوني وأهملت شيئا فشيئا، توفي في 1 جويلية 1839، الرجوع إلى محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية- دار النفائس- بيروت 1403هـ=1983م.

★ محمد علي: ولد في مقدونيا 1769، أرسله السلطان العثماني سليم الثالث لنجدة مصر وطرد نابوليون منها في صيف 1799، وقد نجح في إزاحة الوجود الفرنسي عام 1801، وفي عام 1805 أصبح واليا على مصر، ومنحه السلطان لقب باشا، توفي عام 1848، الرجوع إلى Fahmy, Khaled. 1998. "The era of Muhammad 'Ali Pasha, 1805-1848" in *The Cambridge History of Egypt: Modern Egypt, from 1517 to the end of the twentieth century*. M.W. Daly, ed. pp. 139–179, Vol. 2. Cambridge: Cambridge University Press. ISBN 0-521-47211-3.

[1]- Ch. Julien, Op. Cit, P58, 59.

*حسين باي بن محمدأوحسين بايأوحسين باشا بايأو حسين باي الثاني ولد عام 1784، باي تونسمن 28مارس1824إلى 20ماي1835، وهو ثامنباياتتونس، توفي عام 1835، الرجوع إلى Ibn Abi L-Diyaf, Chronique des Beys de Tunis et du Pacte fondamental, éd. critique André Raymond, vol. 1, IRMC-ISHMN-Alif, Tunis 1994

●هو لويس أوغست فكتور دي شاز الملقببالكونت دي بورمون. ولد في 2 سبتمبر 1773 في مقاطعة فريني عين وزيرللحربية في 23 ماي 1825 بعد أن اختاره الملك شارل العاشر لمهمة قيادةالحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر ، لكونه صاحب تجربة في الميدانالعسكري.كلف من طرف الملك الفرنسي بقيادة الحملة العسكرية الفرنسية ضدالجزائر في 11 أفريل 1830 .أصبح مارشال فرنسا في 14 جويلية 1830.لقببالخائن لكونه فر من جيش نابليون بونابرت أثناء معركة واترلو عام1814

ولقد تأرجح الموقف الفرنسي بين التردد والغموض، حيث اقترح بولينياكBolignaque* رئيس وزراء فرنسا عقد مؤتمر دولي لدراسة المسألة الجزائرية، وتمثل الاقتراح في عرض حلين: الأول يهدف إلى إعادة تولية الداي حسين على إيالة الجزائر، مقابل دفعها للإتاوة، كونها تبقى تابعة لفرنسا، و الثاني يهدف إلى تجزئة سواحل الجزائر بين الدول الأوربية العظمى، واقترح حلا وسطا، يقضي بالانسحاب من الجزائر، وإرجاعها للدولة العثمانية، بيد أن الجنرال دي بورمون أصر على ضرورة الإبقاء على الأراضي الجزائرية، باعتبارها بلدا مفتوحا، ولابد من فرض السيطرة عليها[1]، وبالفعل فقد قرر الفرنسيون استعمار الجزائر[2].

وبعد الثورة الفرنسية التي قامات في 14 جويلية 1830، سادت في الأوساط الفرنسية فكرة الانسحاب من الجزائر، وهذا ما كانت تعتقده إنجلترا، التي كانت قد أيدت حكم شارل العاشر، وحاولت الإبقاء على صداقتها معه، وعليه، فإن التردد الذي أبدته فرنسا تجاه الاحتفاظ بالجزائر، والذي استمر إلى غاية 1834، سرعان ما أصبح واقعا وأمرا مؤكدا3.

ولقد بشر الفرنسيون قبل دخولهم إلى الجزائر، أنهم يدخلون الحضارة لهذا البلد،الذي كان تحت وطأة الأتراك، لقرون عديدة من الظلم والغطرسة، وأنهبإمكانهم أن يخرجوه من تلك الظروف المزرية، وروجوا لأكاذيب عدة لكسب الرأيالعام الفرنسي والعالمي، بل قالوا أن اهتمامهم بالقضية الجزائرية مردهلإهانة القنصل الفرنسي دوفال، وطرد الأتراك الدخلاء على الجزائر، وتحريرهامنهم، ترى هل طبقت فرنسا ما جاء في المنشور الذي وزعته على الجزائريينعشية الحملة؟وهل أوصلت فرنسا الحضارة، والرقي، والإخاء، والمساواةللجزائريين، بعد أن استقر أمرها في أرجاء الوطنبعداستسلام الداي،والسيطرة

كان من دعاة الملكية الرجعية لذلك قربه الملك البربوني شارل العاشر .لميتمتع بنتائج الحملة على الجزائر رغم قيادته لها ونجاحه فيها ,فبمجرد قيامثورة 1830 التي أطاحت بالملك شارل العاشر حتى استدعته حكومة الملك لويسفليب في 18 أوت1830 وعينت مكانه اللواء كلوزيل.توفي في 27 أكتوبر 1846بقصره الموجود في مسقط رأسه، منقول من موقع وزارة المجاهدين.

*بولينياك جول أرمان: سياسي فرنسي ولد عام 1780،عين كرئيس وزراء فرنسا في الفترة الممتدة 1829 – 301830، كان متطرفافي نزعته الملكية، وفي مارس 1830 طالب مجلس النواب بإقالته، ولكن شارلالعاشر حل المجلس بدلاً من إقصاء بولينياك، وأجريت انتخابات جديدة جاءتثانية بأغلبية من الأحرار، فأصدر بولينياك "مراسيم يوليو " التي حلت المجلسالجديد، حتى قبل انعقاده، وسن قانوناً انتخابياً جديداً، وألغى حريةالصحافة، وهي أمور أدت إلى ثورة يوليو، وقبض على بولينياك بعد الثورة،وأصدر مجلس الأعيان الحكم عليه بالسجن مدى الحياة، ولكن صدر عفو عنه عام 1836، ورحل إلى إنجلترا، توفي عام 1847، الرجوع إلى شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ط 1، القاهرة، 1965، ص 1473.

[1]- G Esquer, histoire de l'Algérie après 1830, 1ere série. PARIS 1924 p 9.

[2]- Ch. Julien, Op. Cit, P 65.

[3]- Ibid. P 09

على مدينة الجزائر وضواحيها، شرعت فرنسا في توجيه فرقها العسكريةللسيطرة على مناطق أخرى، بل وفي توجيه حملات بحرية إلى عنابة، ووهران، وبجاية،وغيرها، وكانت شدة المقاومة سببا في انسحاب القوات الفرنسية عدة مرات من هذهالمناطق، كما أن فرنسا تجاهلت تجاهلا تاما ما تم التوقيع عليه في معاهدة 5جويلية 1830، وهذا ما دفع حمدان بن عثمان خوجة* إلى القول في كتابه" المرآة": (...إني أتساءل لماذا تزعزع بلادي في جميع أسسها وتصاب في جميعمبادئها الحيوية، وإلى جانب ذلك أنظر إلى الأوضاع التي توجد عليها دول أخربمجاورة لنا، فلا أرى واحدة مجبرة على تحمل ظروف مشابهة للظروف المفروضةعلينا... وعندما أدير البصر إلى الجزائر، فإني أرى هؤلاء المساكين يخضعونللاستبداد معرضين للإبادة ولجميع آفات.....)[1].

وبالنسبة للمواقف المحلية، فقد أدى ضعف حكومة الداي،وتوقيعه على معاهدة الاستسلام، إلى انتفاضة الجزائريين ضد سلطة الأتراك بالجزائر، وملاحقتهم وطردهم، خاصة بعدما سلم الداي مفاتيح الجزائر[2]، وقد جاءت معاهدة الاستسلام بعدة بنود، احتوت في مضمونها على عدة محاور، أهمها: تسليم حصن القصبة، وكل الحصون التابعة للجزائر، وميناء هذه المدينة إلى الجيش الفرنسي صباح يوم 06 جويلية 1830، على الساعة العاشرة بتوقيت فرنسا، وتعهد القائد العام للجيش الفرنسي تجاه صاحب السمو الداي حسين، بترك الحرية له، وحيازة كل ثرواته الشخصية، ومنحه حرية التصرف هو وأسرته،في ثرواته الخاصة ونقلها إلى المكان الذي يعينه، ومهما بقيفي الجزائر، سيكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام الفرنسي، وسيتولى حرسخاص ضمان أمنه الشخصي وأمن

*ينتمي حمدان بن عثمانخوجةإلى عائلة جزائرية عريقة في العاصمة كان خاله الحاج محمد أمينا سكة قبلالاحتلال الفرنسي، أما والده ثمان فكان فقيها. ولد حمدان سنة1773،حفظ القرآن وبعض العلوم الدينية على يد والده، ثم دخل المرحلة الابتدائيةالتي نجح فيها بتفوق فأرسله والده مكافأة له مع خاله برحلة إلى استنبول سنة1784م، ثم انتقل إلى المرحلة العليا حيث تلقى فيها علم الأصول والفلسفة وعلوم عصره.بعد وفاة والده شغل مكانه كمدرس للعلوم الدينية، لمدة قصيرة ثم مارسالتجارة مع خاله ونجح فيها، حيث أصبح من أغنياء الجزائر، مما فتح له المجالالقيام بعدة رحلات إلى أوروبا، بلاد المشرقوالقسطنطينيةومنها استطاع تعلم عدة لغات كالفرنسية والإنجليزية مما ساعده على التفتحوتوسيع معالمه والتعرف على العادات والتقاليد، والأنظمة السياسية السائدةفي تلك البلدان. وأثناء الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر ساهم بكل ماليه للدفاع عن مدينة الجزائر.
بعد الاحتلال الفرنسي اشتغل كعضو في بلدية الجزائر وفيها حاول الحفاظعلى ما تبقى للجزائريين من ممتلكات، حيث رفض تسليم عدة مساجد للفرنسيينالذين اتخذوا ذلك حجة لتدميرها وإقامة بدلها مؤسسات وطرق عمومية كما شاركفي لجنة التعويضات الفرنسية لتعويض الأشخاص الذين هدمت ممتلكاتهم لفائدةالمصلحة العامة كما يقول الاستعمار الفرنسي، وفيها بذل حمدان جهودا لخدمةإخوانه الجزائريين ولكن الاستعمار الفرنسي تفطن لنويا الأعضاء الجزائريينالمشاركين في هذه اللجنة فحلها وأغلق باب التعويضات. بعد ذلك شارك كوسيطبين أحمد باي والفرنسيين وأرسل إلىالجنرال سولتمذكرة يصف فيها التجاوزات التي قام بها الفرنسيون في الجزائر، فكان مننتائج هذه المذكرة إنشاء اللجنة الإفريقية للبحث عن الأوضاع في الجزائر .وفي باريس راسل السلطان العثماني وناشده بالتدخل لإنقاذ الشعب الجزائري ثمغادر باريس نحو القسطنطينية في1836وتوفي هناك ما بين 1840/ 1845، الرجوع إلى شفيق غربال، المرجع السابق، ص 196.

[1] حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، دار الثقافة للطباعة - بيروت 1975، ص 76.

[2]- A cour, L’occupation marocaine de Tlemcen. Paris 1908. P 26, 27.

أسرته، وقد خصت كذلك جميع القادة الانكشارية بنفس الامتيازات، ونفس الحماية، كما تناولت المعاهدة الجانب الديني، حيث أقرت الإبقاء على ممارسة الدين الإسلامي، وعدم التعرضلحرية السكان من مختلفالطبقات، ولا بدينهم، ولا بأملاكهم، ولا تجارتهم ولا صناعتهم، وستكون نساؤهممحل احترام، ويلتزم القائد العام بتنفيذ ذلك بشرفه، كما ورد في المعاهدة بأن الجيش الفرنسي سيدخل قبل الساعة العاشرة إلى القصبة، ثم يدخل بالتتابع ليخضع كل الحصون المدنية والبحرية.

وفي يوم 06 جويلة 1830، دخل الجنود الفرنسيون مدينةالجزائر من الباب الجديد، بأعلىالمدينة، وأنزلت أعلام دولة الداي من جميع القلاع والأبراج، وارتفعت فيمكانها رايات الاحتلال الفرنسي، وأقيمت صلاة للمسيحيين، وخطب فيها كبيراقساوة الحملة، فقال مخاطبا قائد الحملة الفرنسية: "لقد فتحت بابا للمسيحية على شاطئ إفريقيا"، وبعد ذلك قامت السلطات الفرنسية بطرد أعداد هائلة من الأتراك من الجزائر في يوم 16 أوت 1830[1]، وعليه فإن الفراغ السياسي الذي تركه الأتراك بالجزائر جعلها تعيش حالة من الفوضى، وأصبحت القبائل الجزائرية في وضع يهدد بخطر حدوث النزاعات والاضطرابات[2]، وفي ظل هذه الأجواء المشحونة بالفوضى والسخط من السلطة العثمانية، التي تهاونت في الدفاع عن البلاد، اضطر عدد كبير من الجزائريين إلى الهجرة نحو المغرب، حيث استقرت الأفواج الأولى في مدينة تيطوان، التي قصدوها هروبا من الاستعمار الفرنسي، وبحثا عن المؤن والاستقرار، وهناك تقارير مغربية تبين لنا بأن المولى عبدالرحمان، طلب من عامله في تيطوان بالإحسان إليهم وإكرامهم، و تقديم كل المساعدة لهم[3]، ومن جهة أخرى قام العامل بإدماج الجزائريين في شتى الأعمال، العسكرية والمدنية، تبعا لميولاتهم، وخبرتهم و كفاءتهم[4].

وتذكر المراسلات المغربية، بان استسلام حكومة الداي حسين وضعفه الذي أبداه تجاه الغزو الفرنسي للجزائر، لم تكن فئة الكراغلة تتوقعه[5]، خاصة بمدينة وهران، التي كان

---

[1]- M Emerit, A propos des rapports Franco Marocains de 1845 à 1849. Paris 1948. P26, 27.

[2]- العربي المشرفي، طرس الأخبار بما جرى للمسلمين آخر القرن الثالث عشر مع الكفار. مخ، خ ع ر ك 496. طرس الأخبار، ص40.

[3]- المصدر نفسه، ص40.

[4]- حسونة الدغيس إلى دي لابورت 07 أوت 1830 م و ع

[5]- M Emrit, op, cit, P28.

يحكمها الباي حسن[1]، وكانت حينئذ عاصمة لبايليك الغرب الجزائري، وكان سكانها لا يتعدون ثلاثة آلاف نسمة[2]، بالإضافة إلى المؤسسة العسكرية التي كانت تضم ثلاثمائة جندي[3]، وعليه فقد ثارت قبائل الغرب الجزائري، التي رفضت مساعدة الأتراك، وعلى رأسها قبيلة الحشم التي كانت تنحدر في أصلها إلى الشجرة الشريفة، حيث لقبوا أنفسهم بالشرفاء، وأسسوا زاوية لهم سموها "القادرية"، في القيطنة بمعسكر، وكان الشيخ محي الدين هو مرابط الطريقة القادرية في الجزائر، وبالفعل رفضت الزاوية دعم الباي حسن، وفي مقدمة الرافضين ابن الشيخ محي الدين عبدالقادر.

وفي تقارير الجنرال الفرنسيبوايي Boiyer، الذي تولى قيادة الحملة على وهران في سبتمبر 1831، ذكر بأن باي وهران، عندما سمع بخبر سقوط مدينة الجزائر، حاول جمع شيوخ قبائل الغرب، لكنهم رفضوا مساعدته، واتفقوا على الإذعان لفرنسا، ودفع الإتاوة لها بشرط عدم إخضاع وهران، والمرسى الكبير لسلطتها[4]، وفي طرس الأخبار للعربي المشرفي، يذكر بأن الباي حسن، حاول إقناع شيوخ وعلماء وهران، للسعي لدى بوايي Boiyer، قائد الحملة عليها، لإقناعه ببقاء الباي تحت سيطرتهم، وتأدية ماكان يؤديه للداي حسين، وقد وصل هذا الاقتراح لدي بورمون، الذي كان في مدينة الجزائر[5]، ولكن هذا الأخير، لم يتردد في بعث سفينتين حربيتين بقيادة ابنه لويس دي بورمون Louise Debormant، فسلم الباي حسن وهران، والمرسى الكبير، مقابل السماح له بأخذ ثرواته، ومغادرة المدينة ولم تبق فيها سوى أقلية يهودية، وبعض الجند الأتراك، رافضين الخضوع للعدو الكافر[6]، وفي مقدمة اللذين تركوا وهران، المزاري شيخ قبيلة الدواير، حيث رحل رفقة عائلته وأصحابه وجيرانه، و شركائه[7]، وإن هذا الحدث لم يمر هكذا، فقد سمع به دي

[1]- L Galibret, Op. Cit, L'Algérie ancienne de puis les premiers établissements cocttogénois jusqu'a l'expédition du Gal Randan en 1835 Alger 1913. P 371.
[2]- Ibid., P28.
[3]-العربي المشرفي، المصدر السابق، ص40.
[4]- M. Emerit, op, cit, P26, 27.
[5]- العربي المشرفي، المصدر السابق، ص40.
[6]- M. Emerit, op, cit, P28
[7]-العربي المشرفي، المرجع السابق، ص40.

لابورت بطنجة في السابع أوت 1830، حيث عرف بأن سكان وهران قد هجروا مدينتهم بالجملة، و سيطر عليها الفرنسيون، وأن بايها خضع لهم[1].

وقد أشار مارسال إمريت، بأن شيخ قبيلة الزمالة، الحاج المرسلي، حاول إقناع الباي حسن*بعدم الخروج مع قواته من المدينة، والخضوع لفرنسا، لكنه رفض، وفضل الاستسلام، وتسليم الجيش الفرنسي كل الحصون[2]، و قد تمكن هذا الأخير من الاستيلاء على المرسى الكبير، وحصونها في 14 أوت 1830، بعد القضاء على حكم شارل العاشر♦.

وقد أشارت وثائق الأرشيف الفرنسي، بأن الفرنسيين قاموا بتخريب كل حصون وهران، ثم انسحبوا منها، واعتقد سكانها بأن القوات الفرنسية، سترافق هذا الانسحاب بالعودة إلى بلادها، وإخلاء مدينة الجزائر[3]، وقد أدى هذا الانسحاب من مدينة وهران، إلى انتشار الفوضى بكل إقليمها، حيث قامت القبائل المجاورة بالاستيلاء على ثروة وأملاك الباي[4]، فوجد نفسه في موقف جد معقد، وفي حرب مباشرة معهم، وتلى ذلك انعدام الأمن، وانتشار النهب والسرقة، وبخاصة قوافل فاس وتلمسان[5]، ومع انهيار السلطة العثمانية بوهران، واضطراب أوضاعها، وتذمر سكانها، ظهر فراغ سياسي رهيب، وأصبح مؤكدا أن هذا الوضع سوف لن يستمر، ولا بد من إيجاد المخرج.

---

[1]- حسونة الدغيس إلى دي لابورت، 07 أوت 1830 م و ع.

* الباي حسن: أصله من الأناضول، عمل كجندي في صفوف الحامية التركية بتلمسان وعندما أنهى عمله اشتغل بالتجارة و كان بارعا في مدينة وهران، و قد قربه الباي بوكابوس و تصاهر معه، حيث زوجه ابنته و أوصى له بالحكم، فأصبح بايا عام 1827 على وهران. و بعد احتلال المدينة من طرف القوات الفرنسية رحل إلى الإسكندرية في مارس 1831 و حمل معه أموالا طائلة .
الرجوع إلى محمد الهادي الحساني، الرمجع السابق.ص 121.

[2]- M. Emerit, op, cit, P26, 27.

♦ شارل العاشر: Chales X ولد في فارساي عام 1758، حفيد لويس الخامس عشر، وشقيق لويس السادس عشر، تولى حكم فرنسا عام 1824، إلى غاية 15 جويلية 1830، عندما حل المجلس النيابي الحكومة وأسقط عن العرش، وعوض بلويس فيليب، الرجوع إلى بسام العسلي، المرجع السابق، ص 67.

[3]- L Galibret, op, cit. P 371.

[4]G. H. AT. 1 H 4.

[5]- Benabitalib, Histoire d’Alhadj Abdelkader, RA, Alger, P422.

المحاولات المغربيةلضممدينة تلمسان:

بعدما عمت الفوضى وانعدم الأمن في إقليم وهران واضطربت الأوضاع التي باتت تنذر باكتساح فرنسي وشيك لهذا الإقليم، اضطر السكان إلى طلب الحماية من السلطة المغربية، والجدير بالذكر أن هذا القرار لم يأت إلا بعدما استنفذت كل الحلول وفشل كل المحاولات، نذكر منها محاولة محمد بنونة الذي كان من التجار الكبار لمدينة تلمسان، وقد ربط علاقات وطيدة بالمدن المغربية وخاصة مدينة فاس، وكان له نفوذ واسع في المناطق المجاورة لتلمسان، ولذلك قام باستلام منصب قائد المدينة خلفا لبورسالي بن عودة قائد الحامية التركية[1]،ولقد أدى هذا الإجراء إلى الاصطدام بين الحضر أنصار بنونة* وبين الأتراك المتحصنين في قلعة المشور[2]، ولذلك سعى بنونة إلى كسب تأييد القبائل المجاورة[3] إلا أنه اصطدم بمعارضة قبيلة أنجاد المتحالفة مع الأتراك[4]، ولذلك اضطر محمد بنونة إلى الإستنجاد بالمغرب[5].

وهناك محاولة قام بها بعض من المرابطين وزعماء القبائل، الذين طلبوا من محي الدين أن يتزعمهم للتصدي للأخطار المحدقة بهم، وحسب المصادر فإنه أكد على عدم قدرته على مواجهة قوة فرنسا واكتفى بالإشادة بتعاطف السلطة المغربية مع الجزائريين[6]، ولذلك سافرت بعثة جزائرية،تتكون من عشرة شيوخ ومرابطين محملة بالهدايا[7].

ولقد ذكرت المصادر أن قبيلة الحشم التي ينتمي إليها محي الدين، لم تكن ضمن هذا الوفد الذي استقبل بحفاوة في فاس[8]،وهناك رسالة بعث بها السلطان مولاي علي بن سليمان سليمان إلى عامل وجدة إدريس بن دحمان الجراري يوم 10 أكتوبر 1830 ذكر فيها بأن

---

[1]M. EMERIT, L'ALGERIE à l'époque d'Abdelkader, collection de documents indits sur l'histoire de l'Algérie avant 1830, 2° série, Paris, 1951, p 15.

* بنونة أصله فارسي جاء إلى تلمسان في عام 1830 لمطالبة سكانها بالاعتراف بسلطة المولى عبدالرحمن، حاصر الكراغلة في المشور، وبعد فشله في إخضاعهم عاد إلى المغرب عندما ظهر الأمير عبدالقادر، ثم سرعان ما انظم إلى قوات الأمير إلى جانب البوحميدي الولهاصي، الرجوع إلى Doumas. A l'occupation marocaine de Tlemcen 1830-1836. RA Alger, OPU 52, 1908, p 36-37

[2]Decosse Brissac, les rapports de la France et du Maroc pandant la conquête d'Algérie 1830-1847, Paris, 1831 . P 9.

[3]L. Roches. Trente deux aux à travers l'islam, 1832-1864, Paris, 1884-1885, pp. 239-240.

[4]M. Emerit, op, cit, p 240.

[5]L. Roches, op, cit, P 15.

[6] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 146-157.

[7] Ch. H. Churchill. La vie d'Abddelkader, Traduction: Michel Habart, 2° ed, Alger, 1974, P61.

[8] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 146-147.

الوفد الجزائري لم يشارك معه الحشم وبنو عامر[1]، وقد أشار الناصري بأن سكان معسكر والحشم والمرابطين وأهل غريس لم يقدمو ولاءهم للسلطان إلا بعدما دخل تلمسان[2]، وعليه وعليه فإن السكان قد قرروا الاستنجاد بالسلطة المغربية، وكان ذلك في بداية شهر أوت، عندما طلبوا من عامل مدينة وجدة أن يتوسط لهم عند السلطان، وقبول بيعتهم له لإصلاح أمورهم وحمايتهم من أعدائهم[3].

وقد أشارت المصادر المغربية أن الوفد الجزائري وصل إلى مدينة مكناس في 20 أوت 1830 حيث استقبلهم المولى عبدالرحمان بحفاوة وأكرم منزلهم[4]، وقد أشار صاحب الابتسام أن الوفد الجزائري أكد للسلطان، "أن أهل الوطن أرادوا الدخول في طاعتك وعندنا من المال والسلاح ما تقوم به محلتك، ونعينك على من عصى، فقد أبينا الدخول في عقد أهل الكفر ونحن أهل الإيمان"[5].

بيد أن السلطان لم يقدم موقفه من مطالب الوفد[6]، وذلك لأنه كان بحاجة إلى وقت للتفكير ومشاورة أهل الرأي في المغرب، وهناك تقرير لدي لابورط إلى وزير الخارجية بتاريخ 30 سبتمبر 1830، ذكر فيه بأن سلطان المغرب قد أعلم قادة جنده بمطالب سكان تلمسان وبين لهم خطورة المسألة وصعوبتها، وقد تجاوب الجند مع سلطانهم وأبدوا طاعتهم له[7]، وقد قام بعد ذلك السلطان بتقديم عقد بيعة أهل تلمسان إلى العلماء لتقديم مواقفهم[8] فأشار أكنسوس بأن المواقف تضاربت واختلفت، فبعض العلماء أيده واعتبر البيعة فرصة لتوسيع نفوذ السلطة وتدعيم قوتها، والبعض الآخر حذر السلطان من قبول البيعة، ومن عواقب ذلك، ومن بين الشخصيات التي أيدت البيعة ذكر أكنوسوس قاضي الجماعة بفاس محمد عبدالهادي العلوي، الذي كان السلطان يعتمد على رأيه كثيرا في حل المسائل المعقدة[9]، وهناك رأي يعارض ما ذكره أكنوسوس، حيث ذكر محمد المشرفي في الحلل

[1] I. Hamet. Le gouvernement marocain et la conquête d'Alger, Paris, 1925. P64.

[2] الناصري، المصدر السابق، ص 30 - 31

[3] الدغيس إلى دي لابورط 7 أوت 1830 A.D.F.M.A.E.N21

[4] الناصري الاستقصاء ص 27.

[5] أبو العلاء إدريس، الابتسام عن دولة بني هشام، كلية الآداب بالرباط، 1918، ص 383.

[6] محمد المشرفي، المصدر السابق.

[7] الناصري، المصدر السابق، ص 27.

[8] دي لابورط إلى وزير الخارجية مولي، 30 سبتمبر 1830 S.H.A.T.1H5

[9] دي لابورط إلى وزير الخارجية مولي 30 سبتمبر 1830 S.H.A.T.1H5

البهية أن قاضي الجماعة بفاس، قد نهى السلطان عن قبول بيعة أهل تلمسان، مستندا إلى كونهم كانوا في العهد التركي يشيدون بالسلطان العثماني، ويخطبون باسمه في المنابر، وأنهم لا يزالون مرتبطين ببيعته[1]، وبالنسبة للناصري فإنه ذكر بأن علماء المغرب قد اختلفوا في مواقفهم تجاه البيعة، بيد أنه لم يذكر أحدا منهم[2]، وقد أيد الحجوي فيما كتب أكنوسوس حول موقف عبدالهادي العلوي، حيث ذكر بأنه عارض البيعة خوفا من عواقبها، أما المعارضين الآخرين فكانت حجتهم عدم قدرة الجيش المغربي على تحمل الصعاب وضعف المؤسسة العسكرية[3]، ولقد اشترط العلماء المغاربة لقبول البيعة أمران: الأمر الأول هو الحصول على إذن من السلطان العثماني الذي كانت له بيعة شرعية من الجزائريين، والأمر الثاني أن أهل تلمسان لم يتفقو كلهم على مبايعة السلطان المغربي، كالأتراك الذين رفضوا الذهاب إلى مدينة فاس[4]، بيد أن سكان تلمسان استطاعوا في النهاية اقناع السلطان بقبول بيعتهم، حيث أثبتوا في رسالتهم أنه من حقهم الانفصال عن السلطة العثمانية التي عجزت في الدفاع عن ممتلكاتها الإسلامية، كما أكدوا تأييدهم للسلطان وتقديم طاعتهم له، وعليه فقد قبل المولى عبدالرحمان البيعة، وكلف قادته بالإستعداد لتجهيز حملة على تلمسان[5].

في بداية شهر أكتوبر، بعث كاتب السلطان محمد بن إدريس العمراوي إلى عامل وجدة، لإعلامه باتصال أعيان تلمسان بالسلطان الذي أكرم منزلهم[6]، وقام بتعيين ابن عمه مولاي علي بن مولاي سليمان خليفة له في تلمسان[7]، وبعد خمسة أيام كتب للقبائل الجزائرية المحادية للمغرب يعلمها بأنه وافق على مبايعتهم له وكلف عامل وجدة بتقديم المساعدة لخليفته[8]، وقد تضمنت رسائل السلطان حرصه على مساواة الجزائريين مع المغاربة في الحقوق والواجبات[9].

---

[1] أكنوسوس، المصدر السابق، ص 16 – 17.
[2] مجمد المشرفي، المصدر السابق، ص 203.
[3] محمد بن الحسن الحجوي، النفس النفيس في ترجمة الوزير ابن إدريس، مخ، خ ع ر، ح 139، ص 26.
[4] DECOSSE BRISSAC, op, cit. P9.
[5] CH. H. churchill. Op.cit. p62.
[6] الناصري، المصدر السابق، ص 29-30.
[7] الناصري، المصدر السابق، ص 29-30.
[8] I. HAMET. op. cit. p64.
[9] المولى عبدالرحمان إلى رؤساء الدواير 1246 هـ 1830

ولما غادر خليفة السلطان مدينة فاس رحلت معه قوة متكونة من الجيش المخزني، كانت تضم خمسمائة فارس من الوادايا وعبيد البخاري وأولاد جامع والشراكة والحيانية[1]، ومن مائة رام من الرباط وسلا[2]، ومجموعة من المدفعيين، وهناك كتابات مغربية ذكرت بأن خليفة السلطان إلى تلمسان جاء وحده، وأن القوات العسكرية ظلت في المغرب حتى وصوله إلى تلمسان[3].

ولقد ذكرت لنا الكتابات التاريخية أن موكب خليفة السلطان ضم عدة شخصيات كالشيخ العربي الوزاني رئيس الزاوية الوزانية، وقاضي ورئيس للخيل ومحتسب[4]، وفي 10 أكتوبر كتب السلطان إلى عامل وجدة يأمره بتوجيه رسائل إلى القبائل الجزائرية والتي تبايعه بالاستعداد لملاقات خليفته في تلمسان، خاصة بني عامر، الحشم والزمالة، وفي الرسالة التي وجهت لهذه القبائل، يتضح حرص السلطان في علاقته معها أن يكون هو المطلوب من طرف هذه القبائل الأربعة، ولذلك برر في رسالته أسباب قبوله لبيعة أهالي تلمسان وهي جمع كلمة المسلمين وحمايتهم وإبعاد خطر الكفار عنهم[5].

وفي 7 نوفمبر 1830 وصل موكب خليفة السلطان إلى تلمسان، وخرج سكانها لاستقباله وكان معهم بعض من سكان الدواير والزمالة، ونظرا لعدد الجند الهائل خاصة مع انضمام جند وجدة، فكان من الصعب احتواء مدينة تلمسان لهذا العدد الهائل، وقد نزل خليفة السلطان وقادة الجيش المغربي في قصر الباي القديم، وأقامت حاشيته في دار المخزن[6]، وقد أخبر الخليفة السلطان بدخولهم في طاعتهم باستثناء الحامية التركية التي كانت لا تزال تعسكر بالمشور وترفض الانسحاب منه[7]، وقد دل هذا الموقف على عدم ثقة الأتراك في السلطة الجديدة، كما أشار العربي المشرفي لدخول تلمسان تحت السلطة المغربية، واعتبر ذلك مخرجا ومبعثا للأمل في النفوس[8].

---

[1] دي لابورط إلى وزير الخارجية 1 نوفمبر 1830. S.H.A.T.1H5

[2] A. COUR. L’occupation marocain de Tlemcen 1830-1836, RA, OPU, N° 52, Alger, 1908, p35.

[3] الناصري، المصدر السابق، ص 30.

[4] أبو العلاء إدريس، المصدر السابق، ص 383-384.

[5] I. HAMET. op. cit. P 35.

[6] A. cour. op. cit. pp 35-36.

[7] I. HAMET. op, cit. pp 68-69.

[8] العربي المشرفي، طرس الأخبار بما جرى للمسلمين آخر القرن الثالث عشر مع الكفار، مخ، خ ع ر، ك، 496، ص 58-60.

وبعد استقرار المغاربة بتلمسان، شرعوا في توثيق صلاتهم بالقبائل المجاورة وكسب تأييدها، ببعث رسائل تحمل اسم خليفة السلطان، وكانت من بين هذه الرسائل تلك التي وجهت إلى سكان مدينة مستغانم التي كانت خاضعة لحامية تركية يقودها إبراهيم بن عثمان، وقد تضمنت الرسالة دعوة الخليفة إلى تأييد السلطان ومحالفته[1].

وقد ذكرت بعض المصادر المغربية، بأن عدة قبائل قد قدمت بيعتها لخليفة السلطان، حيث أتت إلى تلمسان وفود من أهل معسكر، والحشم، وأهل غريس، وبني شقران، وحميان[2]، كما أشارت المصادر بأن محي الدين وابنه عبدالقادر، قد سارعا إلى تقديم بيعتهم بيعتهم مع بني مجاهد، وبني عامر، وقبائل أخرى[3]، ولقد شجعت بيعة شرفاء معسكر القبائل القبائل إلى تقديم مناصرتها للسلطة المغربية بتلمسان[4]، حيث وصلت نصوص البيعة إلى المولى عبدالرحمان[5]، وقد ورد في هذه الرسالة: "أن المبايعين أشهدوا على أنفسهم أنهم عقدوا البيعة لمولانا الإمام أيده الله وأدام عزه وعلاه، والتزموا بالسمع والطاعة، وفي جيدهم انتضموها، بيعة تامة مستوفية الشروط، وافية العهود، ووثيقة الرباط، فقبلها الكل وارتضاها وأوجب العمل بمقتضاها"[6].

وبالتالي فقد دخلت معظم قبائل إقليم وهران في طاعة السلطان حيث أرسل زعيما الدواير المازاري وعمه بن الحضري بن إسماعيل بنص بيعتهما[7]، كما أكد المرابط محي الدين بأن: "القبائل من ثغر الجزائر إلى بلده كلها متشوقة لجنابه (السلطان) ومنتظرة لأوامره"[8]، كما كتب محمد بن عبدالقادر بأن خليفة سلطان المغرب قد لقيه الناس في تلمسان بالطاع،ة وأذعنوا له، وسارت خيله في البلاد إلى مليانة شرقا، وبث العمال وجبى الأموال[9]، وقد تحدث هـ شرشيل عن النجاح الكبير الذي حققه المغرب في إقليم وهران، حيث أصبحت صلاة الجماعة تؤدى باسم السلطان، واعتقد الناس بأن الجزائر قد خضعت

[1] المولى علي إلى سكان مستغانم أوت 1830 S.H.A.T.1H6.
[2] الناصري، المصدر السابق، ص 31.
[3] CH. H. Churchill. op, cit. p62.
[4] محمد المشرفي، المصدر السابق، ص 205.
[5] الناصري، المصدر السابق، ص 30.
[6] I. HAMET. op, cit. p 70.
[7] محمد المشرفي، المصدر السابق، ص 206.
[8] I. HAMET. Opcit.p 70.
[9] Ibid. pp 66-67.

بدون مقاومة إلى السلطة المغربية[1]، هناك من رفض بيعة السلطان، وتدخله في شؤون القبائل الجزائرية، ومن بينهم شيخ الدواير مصطفى بن إسماعيل* ورئيس الزمالة مورسلي.

ورغم رفض بعض القبائل البيعة، فإن المولى عبدالرحمان قد شرع في بذل جهوده من أجل دعم إقليم وهران، وإمداده بالعدد والعدة والمال[2]، حيث بدأت القوافل تغدوا تلمسان محملة بالإمدادات العسكرية منذ 7 نوفمبر 1830، كما حملت هذه القوافل هدايا تمثلت في كسوة لأعيان القبائل لاستمالتهم[3].

وفي أوائل ديسمبر 1830، بعث السلطان المغربي بثلاثمائة فارس ورام من الجيش المغربي مدعمين، ولم تتوقف عملية الإمدادات العسكرية منذ حرص السلطة المخزنية على السيطرة على تلمسان، وقد دلت على ذلك عدة رسائل كتبت بتاريخ 6، 13، 15 جانفي 1831، ومن خلال مضمون هذه الرسائل، نستنتج حرص السلطان على توجيه القبائل المغربية للسيطرة على الأراضي الجزائرية، حيث طالب قبائل بني مطير بالتوجه نحو معسكر، مؤكدا دعمها بالمؤن والمدفعية وبمائة من خيرة الفرسان من الحياينة[4]، وفي 31 جانفي 1831 بعث السلطان إلى خليفته بتلمسان يخبره بأنه دعمه بقوة إضافية قوامها خمسمائة وأربعة وخمسين جنديا جيء بهم من العرائش والصويرة، وعبيد مراكش والريف[5]، وعليه يمكن أن نقول بأن السلطة المغربية قد بعثت في شهر واحد من وجودها بمدينة تلمسان أكثر من ألف مغربي.

وحسب دي لابورط فإن الجيش المغربي قد وصل إلى حوالي 8000 رجل[6]، ذلك أنه كان يراقب كل التحركات المغربية، ويبلغ الحكومة الفرنسية بها في رسائل كان يوجهها لها، حيث ذكر في مضمونها أن السلطان المغربي كان حريصا على توجيه الإمدادات والمؤن العسكرية نحو تلمسان، وفي بعض الرسائل ذكر بأن السلطان أمر كل قبيلة مغربية

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 146-147.

* ولد بالعامرية عام 1769 وتوفي بالبيوض عام 1843، خدم الأتراك مدة طويلة حتى أصبح آغا الدواير والزمالة، تحالف مع الفرنسيين ضد الأمير عبدالقادر، حيث كان جنرالا ضمن القوات الفرنسية، الرجوع إلى أديب حرب، التاريخ العسكري والسياسي للأمير عبدالقادر، ج 1، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص 55-56.

[2] CH. H. Churchill. op, cit. p62.

[3] الناصري، المصدر السابق، ص 31-32.

[4] Ibid. p72.

[5] CH. H. Churchill. op, cit. p 60.

[6] دي لابورط إلى وزير الخارجية سيباستياني 13 يناير 1831. S.H.A.T1H6.

بتجنيد مائة فارس، وأشار كذلك بأن قيادة هذا الجيش أسندت إلى ابن عمه مولاي محمد بن الطيب، ومولاي عبدالملك زيزون.

وأشارت الرسالة التي بعث بها دي لابوط في 26 جانفي 1831 أن قوة عسكرية إنطلقت من مدينة طنجة محملة بالمدافع والقنابل، وكانت هذه الذخيرة موجهة إلى تلمسان مرورا بمدينة فاس، كما ذكر في تقريره بأن أخ خليفة السلطان بتلمسان مولاي الحسن قد كون قوة عسكرية إضافية بلغت 1200 رجل كانت وجهتها تلمسان[1]، كما أشار في رسائله بأن الإمدادات الحربية التي كان يبعث بها السلطان كان يشرف على إيصالها إلى تلمسان 2000 مغربي[2].

وفي مضمون الرسائل التي كان يبعث بها دي لابورط، فإن بذل السلطان كل هذه الجهود لتعزيز نفوذه وسلطته بتلمسان، ظنا منه بأن القوات الفرنسية كانت تنوي الخروج من الأراضي الجزائرية بسبب علاقاتها المضطربة مع الدول الأوربية، وهذا ما حفز السلطان إلى محاولة التوغل حتى مشارف مدينة الجزائر بعد مغادرة الفرنسيين طبعا[3].

وقد اضطرت هذه التقارير التي كان يبعث بها دي لابورط إلى وزير الخارجية الفرنسية سيباستياني، إلى تحذير الملك لويس فيلب من خطورة التحركات المغربية وتواجدها بتلمسان عددا وعدة، وتزايد الإمدادات والنجدات المدعمة بخيرة قادة المخزن، وقد أشار في تقريره بأن الجيش المغربي الذي كان مرابطا بتلمسان قد بلغ عشرة آلاف جندي، وقد بالغ دي لابورط في إحصائه لهذه الإمدادات، وحجم القوة العسكرية المغربية، حتى يقنع حكومته بضرورة التحرك لوضع حد للتحركات المخزنية في الأراضي الجزائري[4].

ولقد قام دي لابورط في رسالة وجهها إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 27 جانفي 1831 بتحديد قائمة لأهم القادة المغاربة الذين بعثهم السلطان المغربي إلى تلمسان،

[1] دي لابورط إلى وزير الخارجية سيباستياني 21 فبراير 1831. S.H.A.T1H6.

[2] دي لابورط إلى وزير الخارجية سيباستياني، نفس المصدر.

[3] DECOSSE BRISSAC.op, cit. P15.

[4] تقرير سيبيستياني إلى لويس فيليب 26 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6

كما أكد أكنوسوس أن السلطان قد انتقى للتوجه إلى تلمسان خيرة الفرسان المغاربة، حيث لم يبعث إلى أعيان القبائل ورؤسائها مثل الطاهر بن مسعود وابن الطاهر العقيلي، وابن فرحون، وإدريس بن دحمان عامل وجدة بالإضافة إلى عبيد السلطان[1].

كما اشار دي لابورط في تقريره إلى قائمة ضمت تسعة من القادة المغاربة المتواجدين في تلمسان، وذكر أن هؤلاء كانوا من خيرة الفتيان في المخزن وهم: مولاي علي خليفة السلطان، عبدالملك زيزون، مولاي الحسن بن المولى سليمان، محمد بن الطيب، بناصر أميمون رئيس قبيلة كروان، وابن فرحون، وأبو قصيبة، وابن بادي[2]، وتجدر الإشارة أن هناك قائمة من القادة المغاربة لم يشر إليها دي لابورط مثل محمد بن الطيب، إدريس الجراري عامل وجدة، أحمد أمجوط، بوزيان الشاوي، عبدالقادر الراضي، وأحمد بن المحجوب[3].

ونظرا لحرص السلطان على ضم الإقليم الغربي من الجزائر، فقد أولى عناية كبيرة بالجوانب المادية والتنظيمية لقواته، فكان يحث القادة على ضرورة تقديم رواتب الجند في وقتها، وبانتظام، وأوصى بتكثيف الجهود والتفاهم مع المتطوعة، وعدم إكراههم على العمل[4]، كما أشار في رسالة بعث بها إلى عامل وجدة إلى ضرورة السهر على مصلحة الجيش المخزني، وتنظيم قواته وأن الجند هم بحاجة ماسة إلى الرعاية ونظرا لدورهم الذي كانوا يؤدونه[5]، وحرص السلطان كذلك على تنبيه القادة المغاربة المتواجدين في تلمسان بأهمية الجوانب المادية، وبخاصة المالية، وضرورة الدقة في حساب الأموال، وحسن توظيفها، وصرفها،ا أي رسم قيمة المداخيل والمصاريف[6].

وحرصا من السلطان المغربي على إخضاع إقليم وهران، ودعم قواته بتلمسان، قام ببعث شيخ الزاوية الوزانية الحاج العربي إلى تلمسان، وكان دوره هو إقناع أهل تلمسان بضرورة الطاعة والإنصياع لأوامر ونواهي السلطان، وتكثيف الجهود وتسهيل مهام الجند

---

[1] أكنوسوس، المصدر السابق، ص 17.
[2] دي لابورط إلى سبستياني 27 جانفي 1831 S.H.A.T1H6
[3] I. HAMET. op, cit. p 61.
[4] Ibid, p 61.
[5] I. HAMET. op, cit. p 61.
[6] Ibid. p 60.

المغاربة في البلاد، ولقد كان اختيار السلطان لهذا الشيخ صائبا، ذلك أن الزاوية الوزانية كان لها اتباع ومريدون في إقليم وهران، خاصة الزمالة والدواير، وعليه فإن الظروف كانت مواتية ومساعدة للسلطان المغربي وممثليه لإخضاع تلمسان ثم كامل إقليم وهران[1].

لقد أدى تواجد القوات المغربية بتلمسان إلى لجوء الأتراك إلى لمشورهم* وانعزالهم، وكان موقفهم هو رفض السلطة الجديدة، فبقوا في حصنهم كونهم كانوا يأملون في استعادة سلطتهم في إقليم وهران بعد سقوطها في الجزائر[2]، ورغم الموقف الذي أبداه الكراغلة تجاه المغاربة، إلا أن سلطان المغرب المولى عبدالرحمان قد أوصى خليفته بضرورة معاملتهم بالحسنى، وعدم استخدام القوة ضدهم[3]، والملاحظ أن السلطان ما كان لينتهج سلوكا غريبا كهذا تجاه الأتراك، إلا لأنه كان يفكر في السياسة التي تصلح للتخلص منهم، ولذلك اتبع في البداية سياسة اللين والمهادنة أي الصبر والمصابرة، وفي المقابل عمل على كسب ثقة القبائل الجزائرية حتى تلتف حول السلطة المغربية، ولا يبقى سوى الأتراك، وحينئذ يضطر إلى استخدام القوة، حيث كان متأكدا أن أمر الكراغلة لا يعالج إلا بالحرب والسجن، والاعتقال وتطبيق الأحكام عليهم بإبعاد زعمائهم، وتجريدهم من نفوذهم[4]، وعلى الرغم من من أن السلطان كان يحبذ الحل الأول أي مهادنة ومسايسة الأتراك، فإن التصادم قد وقع بين المغاربة والأتراك، حيث قام المولاي علي بسلسلة من الاعتقالات، فأسر أكثر من 30 من الرؤساء الأتراك، وفرض عليهم غرامات مالية باهظة، وتم إذلالهم واحتقارهم وساءت أحوالهم[5].

وعندما علم المولى عبدالرحمان بخبر إخضاع أتراك تلمسان، طالب المولى علي بمواصلة العملية حتى تجريدهم من ممتلكاتهم، وعدم مهادنتهم أو الاتفاق معهم[6].

---

[1] DECOSSE BRISSAC.op, cit. P15

* المشور: عبارة عن قلعة محصنة بمثابة مدينة داخل مدينة، تشغل الجزء المرتفع الجنوبي من تلمسان، تحتوي على مسجد وحمام، ثكنة عسكرية، ويخترقها مجرى مائي، الرجوع إلى A. cour. op, cit-p 60

[2] A. cour.Op-cit-pp 36-37.

[3] I. HAMET. Opcit. Pp 68-69.

[4] I. HAMET. Opcit. Pp 67-68.

[5] المولى علي إلى ابن الحضري إسماعيل، 14 جمادى الثانية 1246 هـ/ 24 نوفمبر 1830 S.H.A.T.1H6

[6] I. HAMET. Opcit. P72.

ولقد حاول مارسيل إيمري أن يحلل أسباب تصادم السلطة المغربية مع الأتراك في تلمسان، فذكر بأن فشل المغاربة في إقناع الأتراك بضرورة الخضوع وتسليم المشور، هو السبب الجوهري لقيامهم بتخريب المنازل التركية، وسلب الممتلكات[1]، فتحصن الأتراك بالمشور، قابله المغاربة بتدمير المنازل، وتخريب الترع التي كانت تمون المشور بالماء، حتى انقطع، ولم يبق إلا في جوف الأرض[2]، ولما زاد الحصار وساءت حال الأتراك بتلمسان، طلبوا الصلح والتفاوض مع ممثلي السلطان، فبعثوا برسلهم لكنهم اعتقلوا وكبلوا ورُحّلوا إلى فاس[3]، وهناك أمروا بطاعة السلطان والانصياع لأوامره، وبعد استجابتهم له أمر بإطلاق سراحهم، والإحسان إليهم[4]، وهكذا ظهر السلطان بمظهر الرحمة والخير، عكس مظهر القوة الذي أظهره ممثلوه في تلمسان، ولقد أشار دي كوسي بريساك بأن المولى عبدالرحمن قد أحسن استقبال المعتقلين الأتراك، ومعهم بورسالي زعيمهم، لكنه لم يسمح لهم بالعودة إلى تلمسان حتى نهاية 1831[5]، وبعدما أصبح أمر السيطرة وإخضاع مشور تلمسان أمرا واردا، عادت القوات الفرنسية إلى إقليم وهران[6]، وقد اغتنم الأتراك الفرصة لمحاولة استرجاع سلطتهم، فعادوا إلى مقاومة السلطة المغربية، بعدما تخاذلت القبائل الجزائرية التي كانت متحالفة مع السلطة المغربية، وأمام هذه الأوضاع الخطيرة اضطر المولى حسن إلى الطلب من السلطان السماح له بسحب قواته من تلمسان، بيد أن المولى عبدالرحمان رفض السماح له بالتخلي عن المدينة وتركها للأتراك، وأمر بمعاقبة المتمردين والقضاء عليهم ،واعتبرهم المسؤولين عن تردي الأوضاع واضطرابها في إقليم وهران[7].

ولقد أدى رد فعل السلطان تجاه الأتراك إلى انقسامهم بين معارضين للوجود المغربي ومؤيدين له، ولذلك طالب المولى عبدالرحمن بضرورة عزل الأتراك المسالمين، حتى لا تتم معاقبتهم مع المتمردين[8]، وقد بلغ عدد الأتراك الذين أيدوا السلطان المغربي

[1] A. cour. Opcit-pp 36-37.
[2] M. EMERIT. Opcit. Pp 36-35.
[3] A. cour. Opcit-pp 35-36.
[4] I. HAMET. Opcit. P72.
[5] DECOSSEBRISSAC .OPCIT. P17
[6] I. HAMET. Opcit. P72.
[7] دي لابورط إلى سيباسياني في 10 جانفي 1831 .S.H.A.T.1H5
[8] I. HAMET. op, cit. P60.

أكثر من مائة، وهناك رسالة وصلت إلى دامريمون DAMREMON (الجنرال الفرنسي قائد الحامية الموجهة نحو وهران)، أن حوالي مائة تركي بتلمسان تحالفوا وانظموا إلى السلطة المغربية[1]، ورغم حجم الإمدادات العسكرية والقوات الهائلة التي استخدمها ممثلو السلطان، وتحالف القبائل الجزائرية ضد الأقلية التركية، فقد صمد الأتراك في مشورهم بالرغم من كثرة الضربات المدفعية على تحصيناتهم[2]، وقد أشارت بعض المصادر بأن الأتراك قد تلقوا المساعدة من اليهود في الدفاع عن حصنهم[3]، بالرغم من أن الناصري قد أشار بأن المولى علي قد تمكن من القضاء على الأتراك وتدمير مشورهم[4]، فإن هذا الحصن التركي بقي في أيدي الكراغلة، وقد أدى هذا الفشل الذريع إلى إدراك مدى عجز السلطان عن إخضاع حصن كان يوجد داخل مدينة تابعة له.

لقد كان رد فعل باي وهران بعد سقوط مدينة الجزائر، وتدخل السلطة المغربية في شؤون مدينة تلمسان غريبا، كونه اعتبر الاحتلال فرصة لامتلاك بايلك الغرب، فراح يقاوم التدخلات المغربية باعتبار الإقليم لا يزال من ممتلكات السلطة العثمانية، ولذلك قام الباي حسن بدعوة سكان تلمسان والقبائل إلى رفض مبايعة السلطان المغربي الذي فشل[5]في إقناعهم، ومع هذا الفشل طلب من السلطان رفض بيعة الجزائريين، باعتبار الإقليم لا يزال تابعا للسلطان العثماني، بيد أن المولى عبدالرحمن رفض طلبه[6]، وهناك تقرير للباي حيث ورد فيه بأنه بعث برسالة إلى ممثل السلطان المغربي المولى علي الذي كان بتلمسان، وكان محتواها يتضمن طلب المساعدة على تحقيق السلم مع القبائل الجزائرية[7]، بيد أن المولى علي رفض التعاون مع الباي، واشترط عدم التخاذل أمام الفرنسيين، كما هدد بالاستيلاء على وهران بالحرب[8]، وبالتالي فقد ضمن رد المولى علي الذي برر فيه التواجد المغربي بتلمسان، بحجة مبايعة أهلها للمولى عبدالرحمان بصفة شرعية، واعتراف القبائل الجزائرية في إقليم وهران بسلطته، واتهم السلطة التركية بالتخاذل أمام الفرنسيين وترك المسلمين

[1]Ibid. p61.

[2] الجنرال بوابي إلى وزير الحرب 13 ماي 1831 S.H.A.T.1H13

[3] الجنرال دامريمون إلى الجنرال كلوزيل 25 جانفي 1831 S.H.A.T.1H6

[4] الناصري، المصدر السابق، ص 30

[5] باي وهران إلى الجنرال كلوزيل، د ت، ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H6

[6] باي وهران إلى الجنرال كلوزيل، د ت، ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H6

[7] باي وهران إلى الجنرال كلوزيل، د ت، ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H5

[8] باي وهران إلى الجنرال كلوزيل، نفس المصدر.

الجزائريين في يد الكفرة، كما أشار بأن السلطة المغربية قد بعثت إلى السلطة العثمانية وفدا يخبره بتدهور الأوضاع بالجزائر بعد فشل رعاياه في الدفاع عنها، وتسليمهم مدينة الجزائر، وعدم الذود عنها إلا بربع القوة العسكرية، رغم ادعائهم بأنهم كانوا قادرين على التصدي للقوات الفرنسية[1]، وعليه فإن سلطان المغرب قد أكد على مشروعية وجود قواته بتلمسان، استنادا إلى مبايعة القبائل له وتأييد سكان تلمسان لسلطته، كما أكد على انهيار السلطة التركية نظرا لعجزها عن تخليص الجزائريين من يد الفرنسيين، ونظرا لعدم وجود نص صريح أو مكتوب حول الوفد الذي بعث به السلطان المولى عبدالرحمن إلى استمبول، فإن هذا الأمر يمكن اعتباره مجرد ادعاء، أو إشاعة، أراد بها تخويف الداي حسين، وقد أشار دي لابورت إلى هذه الإشاعة[2]، كما أشار الجنرال كلوزيل CLOUZEL بأن بعض المغاربة يقومون بنشر خبر تكليف السلطان العثماني للمولى عبدالرحمن بمحاربة الفرنسيين وتخليص الجزائريين منهم، ثم منحه السيادة عليها، حيث أشار الجنرال بأن هذه الأخبار انتشرت ووجدت آذان صاغية[3] وأدت إلى إضعاف سلطة الباي بوهران[4].

وابتداءا من ديسمبر 1830 بدأت القوات الفرنسية تراقب التحركات المغربية، وتتقصى الأخبار، ومن بين الأخبار تلك المراسلات التي تمت بين الباي حسن والسلطان المغربي، ومن بينها دعوة الباي لوسيط مغربي، حتى يصلح بين السلطة التركية والقبائل الجزائرية، وقد رفض المولى عبدالرحمن هذا الطلب[5]، بيد أن هذا الخبر وصل إلى الفرنسيين مزيفا بمعنى طلب الداي خضوعه للسلطة المغربية ورفض السلطان طلبه[6].

ومهما يكن من أمر فإن المراسلات التي تمت بين الباي والسلطان المغربي قد دلت على عدم وجود قابلية للتفاهم، ولذلك كان الحل بالنسبة للسلطة المغربية هو تشديد الحصار على مدينة وهران[7]، وبالتالي شعر الباي بالعزلة وفكر في الانحياز للقوات الفرنسية التي

[1] المولى علي إلى باي وهران 29 جمادى الأولى 1246 هـ الموافق لـ 14 نوفمبر 1830 S.H.A.T.1H6
[2] دي لابورط إلى وزير الخارجية سباستياني 6 ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H5
[3] الجنرال كلوزيل إلى وزير الحرب 24 ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H5
[4] I. HAMET. Opcit. Pp 67-68.
[5] دي لابورط إلى وزير الخارجية سباستياني 6 ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H5
[6] باي وهران إلى الجنرال كلوزيل 28 سبتمبر 1830 S.H.A.T.1H5
[7] تقرير إلى الجنرال كلوزيل 28 سبتمبر 1830 S.H.A.T.1H4

كانت تنتظر الفرصة السانحة للعودة إلى وهران[1]، علما بأن سكان المدينة كانوا يعتقدون بأن الفرنسيين لن يعودوا إليها[2].

وبعدما أدرك الجنرال كلوزيل عجز الباي عن حماية وهران، بدأ يجهز في قواته لغزوها، وإرغام الباي حسن على الرحيل إلى تركيا[3]، وكان يفكر في تكليف زعيم قبيلة الدواير مصطفى بن إسماعيل بإدارة شؤون المدينة، مقابل إيواء وتموين الفرنسيين[4].

وفي نوفمبر حاصرت السفن الحربية الفرنسية سواحل مدينة وهران[5]، وفي 14 ديسمبر 1830 نزلت القوات العسكرية في برها، وأرغم الباي حسن على تسليم المرسى الكبير[6]، وفي 4 جانفي 1831 احتلت المدينة بأكملها[7]، وقد قام الباي بتبرير تخاذله وعجزه وعجزه أمام القوات الفرنسية، بكونه كان محقا لأنه حقن دماء المسلمين[8]، وبعدها حمل ممتلكاته وغادر مع عائلته إلى الإسكندرية ابتداءا من 3 مارس 1831[9].

وهكذا أصبح من الصعب على السلطان المغربي السيطرة على إقليم وهران وإخضاعه، بعدما أصبح يواجه قوتان، الأتراك العثمانيون الذين تحصنوا في مشورهم بتلمسان، والقوات الفرنسية التي احتلت مدينة وهران والمرسى الكبير، ورغم ذلك فإن هذا الحدث قد أدى ببعض القبائل الجزائرية في إقليم وهران إلى تأييد السلطة المغربية، كقبيلتي الدواير والزمالة، اللتان اعتبرتهما القوة الضاربة في إقليم وهران، باعتبارهما كانتا ضمن المخزن العثماني سابقا، حيث كان يعتمد عليها الأتراك كقوة إضافية لإخضاع بعض القبائل التي تخرج عن طاعتهم، كما كان يعتمد عليها لجمع الضرائب.

---

[1]M EMERIT.Opcit. P30.
[2]M EMERIT.Opcit. P30.
[3]C.H.A Julien. Histoire de l'Algérie contemporaine. La conquête et les études de la colonisation (1827-1871), Paris, 1964, P60-68.
[4] باي وهران إلى الجنرال كلوزيل د ت ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H5
[5]M EMERIT. Opcit. P30.
[6]Tinthoin R. Colonisation et évolution de genre de vie dans la région ouest d'Oran de 1830 à 1885, Alger, 1945,, 1945,, p 30.
[7]M EMERIT.op, cit. P30.
[8]Tinthoin R. op, cit, p 30.
[9]Ibid. p68.

لقد كانت قبيلتا الدواوير والزمالة من القبائل الجزائرية التي تمتعت بامتيازات كبيرة في إقليم وهران، كونها كانتا تعملان إلى جانب السلطة التركية، وبالتالي فقد تمكنت هاتان القبيلتان من استغلال الأراضي، والإعفاء الضريبي الذي كان مفروضا على القبائل الأخرى باستثناء بعض الضرائب[1]، فإن الدواوير والزمالة كانت لهما قوة ونفوذ سياسي وعسكري في الإقليم الغربي، وإن انهيار السلطة العثمانية انعكس عليهم ذلك أنهم أصبحوا مهددين بالزوال وفقدان مكانتهم وامتيازاتهم، وقد حام الخوف حول مصيرهم بالإقليم الغربي خاصة بعد احتلال الجزائر.

والجدير بالملاحظة أن المصادر والمراجع قد ذكرت بأن سلطان المغرب بعدما كسب ولاء وتأييد سكان تلمسان، سعى إلى كسب تأييد شيخي الدواوير والزمالة من خلال مكاتبتهما، وقد تلقى مصطفى بن إسماعيل، وأخوه ابن الحضري بن إسماعيل، رسالة في بداية أكتوبر 1830، كما تلقى شيخ الزمالة الحاج مرسلي، ومعاونوه قدور بن وريد، وعدة بن قدور رسالة في نفس الفترة[2]، أول فيها السلطان تحليل الأسباب التي أدت به إلى قبول مبايعة سكان تلمسان وقد خاطبهم بقوله:

"وقد ذكروا لنا رغبتكم في هذا الأمر ودخولكم معهم فيه، وأنتم أول من قام به وسعى في جمع كلمة المسلمين، إذ أنتم جيش تلك النواحي، وعليكم مدار أمره، وقد تعين عليكم القيام به، فإن العدو الكافر منتظر الفرصة في المسلمين وتفريق كلمتهم، فأرغموا أنفه، وافعلوا ما يسوءه من اجتماع كلمتكم مع إخوانكم"[3].

وعليه فمن خلال هذه الرسالة، نستنتج أن السلطان حاول أن يقنع شيوخ الزمالة والدواوير بأنهم إن بايعوه لن يفقدوا نفوذهم وسيطرتهم على الإقليم الغربي، ودورهم كقبائل المخزن، وهناك رسائل أخرى وجهها المغاربة إلى الزمالة والدواوير كرسائل، القائد إدريس الجراري التي نص فيها بضرورة التعجيل بتأييد خليفة السلطان المولى علي

[1] DECOSSEBRISSAC, op, cit. P17

[2] المولى عليالى رؤساء قبيلة الزمالة 29 جمادى الأولى 1246 هـ الموافق لـ 15 نوفمبر 1830.

[3] المولى عبدالرحمان إلى رؤساء قبيلة الدواوير، دت، 1830 S.H.A.T.1H5 et A.M.A.E.C.RM.V3.F96

بتلمسان[1]، علما بأن هذا الأخير قام كذلك بتوجه رسالة حث فيها الدواوير والزمالة على ضرورة توحيد صف المسلمين[2]، كما حذر من نوايا الإدارة التركية والباي حسن في وهران[3]، وفي رسالة وجهها قائد الزمالة إلى المولى علي، أشار فيها بأن تأييد الباي حسن في وهران كان هدفه التصدي للقوات الفرنسية الكافرة[4]، كما أكد في رسالة أخرى على حفاظ السلطة التركية على قوتها ونفوذها في الإقليم[5]، وفي جواب المولى علي من خلال الرسالة التي وجهها للزمالة والدواوير، أبرز فيها أصلهم العربي الإسلامي، وتميزهم عن العنصر التركي[6]، بيد أن مصطفى بن إسماعيل، ومعه الدواوير رفضوا الخضوع إلى مطالب السلطة المغربية وتمسكوا بمواقفهم تجاهها، رغم حرصها الشديد وإلحاح السلطان على كسب ولائهم، خاصة بعد أحداث المشور بتلمسان والفشل المغربي الذريع في إخضاع الأتراك المتحصنين في قلعتهم، وبالتالي تخوف الدواوير والزمالة من نوايا المغاربة، وظلوا متمسكين بمواقفهم إلى غاية فبراير 1831[7].

ولكن رغم فشل السلطة المغربية في كسب تأييد الزمالة وقادتها، فإن الجهود التي بذلتها لم تذهب هباءا، بحيث في أوائل شهر ديسمبر 1831، تلقى السلطان رسالة بعث بها المازاري وعمه ابن الحضري بن إسماعيل، تضمنت هذه الرسالة تقديم أغلب الدواوير لبيعتهم وتأييدهم للوجود المغربي بإقليم وهران[8]، أما ما تبقى من الزمالة والدواوير الذين رفضوا تدخل السلطان المغربي في شؤونهم، فقد رحلوا من وهران بعدما وقعت سفينتهم في قبضة الفرنسيين بعد رحيل الباي حسن[9]، وتوقع المغاربة انضمامهم إلى إخوانهم بتلمسان بيد أنهم رفضوا ذلك وقد أشار الجنرال بيرتزين BERTHEZENE إلى سبب انسحاب الزمالة من وهران، وهو الإفلات من قبضة الجند الفرنسيين واتقاء شرهم، دون تأييد السلطة المغربية[10]، وفي ظل هذه الظروف تمكن المازاري من إقناع عمه مصطفى بن

---

[1] إدريس الجراري إلى رؤساء الزمالة، دت، S.H.A.T.1H6 1830

[2] المولى عليإلى مصطفى بن إسماعيل 20 جمادى الأولى 1246 هـ الموافق بـ 6 نوفمبر 1830 S.MAT.1H6

[3] A. cour.Opcit-p 70

[4] I. HAMET. Opcit. Pp 68-69

[5] المولى عليإلى مصطفى بن إسماعيل 20 جمادى الأولى 1246 هـ الموافق بـ 6 نوفمبر 1830 S.MAT.1H6

[6] المولى عليإلى رؤساء الزمالة 29 جمادى الأولى 1246 هـ الموافق لـ 15 نوفمبر 1830. S.H.A.T.1H6

[7] A. cour. Opcit-p 70

[8] I. HAMET. Opcit. P70.

[9] قائد السفينة داسو إلى وزير الحرب 20 جانفي 1831 S.H.A.T.1H6

[10] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 27 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6

إسماعيل الذي توجه إلى تلمسان مع حلفائه من الزمالة لتقديم البيعة لخليفة سلطان المغرب[1]، وهناك تقارير لبيرتزين أشار فيها أن زعيم الزمالة توجه إلى المولى علي بغرض الاتفاق والتشاور، حول حالة أتراك مشور تلمسان الذين ظلوا متحصنين، بيد أن السلطة المغربية قامت باعتقال مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، وبعض من زعماء الدواوير والزمالة، وكبلوا ثم سيقوا إلى مدينة فاس[2]، وأشار الناصري بأن خليفة السلطان المغربي بعدما أجهز على زعماء الدواوير والزمالة قام بتجريدهم من متاعهم وأملاكهم[3]، غير أن هذا التصرف أدى إلى فقدان الثقة بين السلطة المغربية وقبيلتي الدواوير والزمالة، وهذا ما اضطرهم إلى الرجوع لوهران وتحالفهم مع ممثل باي تونس الذي عينته القوات الفرنسية حاكما على المدينة[4]، وهكذا فشل المغاربة في إخضاع الدواوير والزمالة، رغم ما قام به سلطانهم من جهود، كتحريضه للقبائل ضد القوات الفرنسية، ومحاولاته كسب مبايعة الإقليم له، وتحذيره من مغبة الخضوع للفرنسيين، وتأكيده على ضرورة حصارهم، وقطع التعامل معهم، ومقاطعة تجارتهم[5]، وقد وصلت بعض هذه الرسائل التي كان يبعث بها المغاربة إلى السلطات الفرنسية[6]، وبعدما رحل الباي حسن من وهران ساءت الأوضاع الاقتصادية بها بسبب الحصار الذي ضربه المغاربة، خاصة بعدما كلف المولى علي رجاله بمنع التجار العرب من إدخال بضاعتهم إلى وهران[7]، وقد ندد بذلك الجنرال دامريمون في رسالة وجهها للجنرال كلوزيل في أواخر جانفي 1831، وعليه يمكن القول بأنه على الرغم من احتلال فرنسا لوهران وحصار المغاربة لها فإن القبائل التي كانت تسكنها استطاعت أن تسترجع تماسكها وتتغلب على الصعاب خاصة بعد اعتقال زعمائها، وهذا أكبر فشل منيت به السلطة المغربية في إقليم وهران.

---

[1] Decosse Brissac, les rapports. P16.

[2] محمد بن إدريسإلى محمد أشعاش 17 رمضان 1246 هـ الموافق لـ 1 مارس 1831، في الخزينة الحسنية م.و.مح1.

[3] الناصري، المصدر السابق، ص 30.

[4] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 27 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6

[5] المولى علي بن الحضري 14 جمادى الثانية 1246 هـ الموافق لـ 29 جانفي 1831 م S.H.A.T.1H6

[6] باي وهران إلى الجنرال كلوزيل، د ت، 1830 S.H.A.T.1H5

[7] الجنرال دامريمون إلى الجنرال كلوزيل 30 جانفي 1831 S.H.A.T.1H6

امتداد النفوذ المغربي من الإقليم الغربي حتى التيطري:

ابتداءا من سبتمبر 1830 وبعدما علمت فرنسا بخبر توجه الزمالة والدواير لمبايعة المولى عبدالرحمان، سارع نائب قنصل فرنسا بالمغرب دي لابورت DE LAPORT إلى محاولة إفشال هذا الأمر، وتم ذلك من خلال بعثه برسالة إلى المختار الجامعي، موجهة للسلطان، جاء في مضمونها أن مسألة تلمسان وإخضاع القبائل المجاورة لها يعتبران دربا من المغامرة، وقد يتسببان في إفساد العلاقة بين المغرب وفرنسا[1]، وهناك رسالة أخرى بعث بها في 29 سبتمبر 1830 إلى محمد بن إدريس العمراوي، حذر فيها من إخضاع سكان تلمسان وتحريض السلطان للقبائل[2]، كما بعث برسالة إلى عامل طنجة العربي السعيدي الذي أكد له رغبة السلطان في إخضاع سكان تلمسان[3]، وكانت الردود على هذه الرسائل كلها تدل على إصرار السلطة المغربية على الحصول على البيعة، ومن بين هذه الرسائل، تلك التي بعث بها محمد بن إدريس العمراوي عامل مكناس، مؤكدا فيها بقوله: "أن سكان تلمسان مسلمون أحرارا، وقد وردوا لحضرة سيدنا مستجيرين، به وراغبين في الدخول في إيالته"، كما كذب الادعاءات الفرنسية التي قالت بأن فرنسا هي الوريث الوحيد للدولة العثمانية، وأشار كذلك: "بأن الأتراك إنما كانوا محتلين وارتكبوا مظالم عدة في حق الجزائريين وقد قهرهم الله فخرجوا من البلاد"[4]، وعليه فإن رسالة إدريس العمراوي قد أثارت سخط وغضب وغضب وزير الخارجية الفرنسي سيباستياني SIBASTIANI، الذي انتقد دي لابورط، وحذره من التساهل والتهاون في أمر تلمسان، وأمره بالتنسيق مع الجنرال كلوزيل ووزير الحربية[5]، وبالتالي فإن العلاقات بين السلطة المغربية وفرنسا قد توترت، وأصبح العلاج بيد العسكريين بدلا من الدبلوماسيين، وبالفعل فقد سارعت فرنسا لإظهار قوتها العسكرية، بإرساء سفنها الحربية بسواحل مدينة وهران، وكان هذا الإجراء بمثابة الرد العسكري على نوايا المغرب التوسعية، وقد تم تعيين الجنرال كوزيلCLOUSAL* قائدا عاما للجيش

---

[1] دي لابورط إلى وزير الخارجية مولي، 30 سبتمبر 1830 S.H.A.T.1H5

[2] دي لابورط إلى محمد بن إدريس 29 أكتوبر 1830 A.M.A.E.C.P.M.V3.F.78

[3] دي لابروط إلى وزير الخارجية ميزون 6 نوفمبر 1830 S.H.A.T.1H5

[4] محمند بن إدريس إلى دي لابورط 2 جمادى الثانية 1246 هـ الموافق لـ 18 نوفمبر 1830 A.M.A.E.C.P.M.V3.F.78

[5] وزير الخارجية سيباستياني إلى دي لابورط ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H5

* كلوزيل: 1772-1842، شارك في ثورة 14 جويلية 1830، منحت له فرصة قيادة الجيش الفرنسي في الجزائر، تحصل بعدها على رتبة ماريشال، فشل في سياسة الحرب المصغرة، الرجوع إلى العربي الزبيري، الكفاح المسلح، المرجع السابق.

الفرنسي في إفريقيا ابتداءا من 12 أوت 1830[1]، وكان هذا الجنرال من القادة العسكريين المتحمسين الذين كانوا يؤمنون بفكرة أن الفرنسيين هم ورثة الأتراك في الجزائر[2]، وهكذا بدأ هذا الجنرال بالتحرك، عندما وجه إنذارا إلى سلطان المغرب يعلمه بالانسحاب نهائيا من إقليم وهران، أو إعلان الحرب عليه، بالقيام بقصف المدن المغربية واحتلال الأراضي، بيد أنه لم يتلق أي جواب من طرف السلطان[3]، فسارع إلى تجهيز قوة عسكرية بقيادة الجنرال دابريمونDEBAURMENT** لإرغام القوات المغربية على الانسحاب إلى ما وراء حدود بايلك الغرب، دون أخذ أي شيء منه[4].

غير أن هذا الجنرال بعد احتلاله للمرسى الكبير، تثاقل عن أمر إرغام السلطة المغربية بسحب قواتها من وهران، وقد ذكرت المصادر بأنه لم يقم بذلك لأنه كان ينتظر الأوامر من باريس، حتى يشرع في تطبيق سياسته تجاه المغرب[5].

وفي 24 ديسمبر قام الجنرال كلوزيل بإرسال تقرير إلى وزير الحرب، في محاولة لإقناعه بضرورة احتلال وهران وأهمية هذه المدينة[6]، بيد أنه لم يشر في تقريه لمسألة إزاحة القوات المغربية من الأراضي الجزائرية[7]، وقد تزامن هذا الحدث مع إرسال الجنرال الجنرال أوفري OUVRIER، الذي وصل إلى طنجة بسفينة حربية لإنذار سلطان المغرب، وأمره بسحب قواته من إقليم وهران، وحسب ما جاء في مضمون الرسالة التي بعث بها الجنرال كلوزيل إلى دي لابورط في يوم 09 ديسمبر 1830: "أنه لابد على السلطة المغربية أن تقدم الترضية التامة لفرنسا، وأن لا تعارض احتلالها لوهران، وأن تتعهد بتقديم كل التعويضات عن كل الأضرار التي لحقت جراء تواجد القوات المغربية بإقليمها، وقد حملت الرسالة التي بعث بها معنى التهديد والتحذير من مغبة رفض الأوامر الفرنسية، عندما ذكر الجنرال فيها إصراره على مهاجمة القوات المغربية في وهران، وفرض

---

[1]CH. A. Julien. Histoire de l'Algérie contemporaine 1827 – 1871, Paris, 1946, pp64-65.
[2]S. G SELL et autres. Histoire de l'Algérie, Paris, 1956, p 201
[3] DECOSSE. BRISSAC. op, cit. P11.
** دابريمون: Luis Auguste victor De Baurment، ولد عام 1773 التحق بالمدرسة العسكرية في 1788، شارك في الحروب النابوليونية، تولى مسؤولية قيادة الحملة على الجزائر عام 1830، عُزل في أوت من نفس السنة، لمزيد من التفاصيل، الرجوع إلى Henry D. Les conquérants de l'Algérie 1830-1852 ? Berger, paris, 1930, p 10.
[4]CH. A. Julien. op, cit. P68.
[5]A. cour, l'occupation marocaine de Tlemcen 1830-1836, R.A opu N° 52, alger 1908. P38
[6] الجنرال كلوزيل إلى وزير الحرب 24 ديسمبر 1830
[7] الجنرال كلوزيل، المصدر السابق.

الحصار على الموانئ المغربية، واحتلال بعض العمالات الساحلية عن طريق السفن الحربية الفرنسية"[1] (النص بالفرنسية موجود في قائمة الملاحق).

وبالفعل فقد حل الجنرال أوفري بمدينة طنجة يوم 21 ديسمبر 1830، بيد أن دي لابورط حذره من تداعيات إصراره على تقديم إنذار لسلطان المغرب، واعتبر ذلك سببا في توتر العلاقات بين فرنسا والسلطان، وطالبه بالتريث، بيد أن المبعوث الذي بعث به الجنرال كلوزيل أصر على إيصال تهديداته[2]، وكانت ردة فعل السلطة المغربية في طنجة أن قامت بإرغامه على الخضوع للحجر الصحي سبعة أيام، وبعد ذلك طالبه عامل طنجة بضرورة الرحيل رافضا إيصال التهديدات إلى السلطان باعتبارها تمس بكرامته وتهينه، وقد حاول دي لابورط توجيه رسالة أخرى بيد أن العامل رفض تسليمها إلى السلطان، ولكنه أخبره بتأزم لعلاقات بينه وبين دي لابورط[3]، وعليه فقد كان رد فعل السلطان تجاه هذه الأزمة سلبيا إذ لم يهتم بها، ولكن في 30 ديسمبر بعث وزير الخارجية الفرنسي برسالة إلى دي لابورط تحمل في مضمونها تهديدات فرنسا، ومطالبته المغاربة بإخلاء إقليم وهران، وقد وصلت هذه التعليمات إلى السلطان المغربي عن طريق عامله العربي السعيدي[4].

لقد اعتبر دي لابورط رفض السلطان استقبال مبعوث فرنسا، واستلام التحذير بمثابة إعلانه عن قطع علاقاته مع فرنسا[5]، وعليه فإن وزارة الخارجية الفرنسية أمرت مبعوثها بمغادرة الأراضي المغربية يوم 05 جانفي 1831، وقد توجه هذا المبعوث إلى مدينة الجزائر[6]، وبعدها قام سلطان المغرب ببعث رسالة إلى خليفته بتلمسان، حذر فيها قواته من من مغبة الخضوع لتهديدات فرنسا، كما أوضح فيها الإجراءات الواجب اتخاذها تجاهها، وقد ركز فيها على ضرورة الصرامة، والتمسك بمدينة تلمسان، وغلق كل المنافذ والأبواب، ووضع حد للأطماع الفرنسية[7]، وفي المقابل وصل الجنرال كلوزيل انتقادا، وجهه له وزير الحربية الفرنسي إثر فشله في إقناع المغرب بالانسحاب من تلمسان، وأن هذا الفشل سيؤثر

[1] DECOSSE. BRISSAC. op, cit. P11.

[2] دي لابررط إلى وزير الخارجية سباستياني 28 ديسمبر 1830 S.H.A.T.1H5

[3] دي لابورط إلى الجنرال كلوزيل 31 ديسمبر 1831 S.H.A.T.1H5

[4] دي لابورط إلى الجنرال كلوزيل 02 جانفي 1831 S.H.A.T.1H6

[5] دي لابررط إلى وزير الخارجية 03 جانفي 1830 S.H.A.T.1H6

[6] دي لابورط إلى الجنرال كلوزيل 13 جانفي 1831 S.H.A.T.1H6

[7] دي لابررط إلى وزير الخارجية 10 جانفي 1830 S.H.A.T.1H6

على مستقبله، وبالفعل فقد أقال الجنرال كلوزيل وعين مكانه الجنرال بيرتزين BERTHEZENEفي فبراير 1831[1]، وفي نفس الوقت وجه وزير الخارجية الفرنسي تعليمات إلى دي لابورط حتى يخبر المغاربة بضرورة السعي لتحسين علاقاتهم مع فرنسا، وإصلاح ما فسد[2]، كما قامت بعض السفن الحربية الفرنسية بمناورات عسكرية على سواحل مدينة تيطوان، لإبراز قوة فرنسا ورد اعتبارها[3].

وفي نفس الوقت بعث دي لابورط برسالة إلى المولى عبدالرحمان مؤرخة بيوم 31 جانفي 1831 أشار فيها عن غضب فرنسا بسبب تدخل قواته واستيلائها على تلمسان، واعتبر ذلك خطأ لم تقصد منه السلطة المغربية إفساد العلاقة الحسنة مع مل فرنسا، كما اقترح في رسالته الإسراع في إعادة المياه إلى مجاريها وإصلاح ما فسد[4].

وفي أواخر فيفري 1831 جاء الرد المغربي عن رسالة دي لابورط عندما تلقى رسالة محمد بن إدريس جاء في مضمونها سعي المغاربة إلى التخفيف من حدة توتر العلاقات بينهم وبين فرنسا، ووضع حد للخلاف حيث قال: "فليس ثمة النفع حتى يحتاج إلى الشنآن عليه، وإنما ثم أعرُب أجلاف لا نفع ولا مروءة لهم"[5]، كما أكد في رسالته أن أهل تلمسان قد بايعوه باعتبارهم مسلمين أحرارا، ولهم الحق في اختيار من يحكمهم، وأكد كذلك في رسالته: "بأن التلمسانيين هم الذين طلبوا اللجوء إلى السلطة المغربية وتقديم ولائهم لها، وأن الشرع أكد على الذود والدفاع عمن دخل في البيعة وحمايته، ومحاربته إذا خرج عن البيعة، واعتبرها بمثابة الدخول في الإسلام ثم الارتداد عنه، كما أكد السلطان في رسالته عن حسن نواياه من دخوله إلى تلمسان، واستند إلى حجج وبراهين شرعية وأخلاقية، واعتبرها تاريخيا من حقهم، وأنها كانت من قبل ملكا لأجداده[6].

ومع هذا التصريح غير الواضح، قدم وزير الخارجية الفرنسية اقتراحا، أشار فيه إلى التدابير الواجب العمل بها تجاه السلطة المغربية، وإعطائها فرصة حتى 15 مارس،

---

[1] M. EMERIT. L'Algérie à l'époque d'Abdelkader, ed La rousse, Paris, 1951, pp 15-16

[2] وزير الخارجية إلى دي لابورط جانفي 1831 S.H.A.T.1H6

[3] محمد داوود، تاريخ تيطوان، ج8، ص 218-219.

[4] دي لابورط إلى المولى عبدالرحمان، 31 جانفي 1831 A.M.A.E.C.P.M.V3.F112

[5] محمد بن إدريس إلى دي لابورط 6 رمضان 1246 هـ الموافق لـ 20 فبراير 1831 م A.M.A.E.C.P.M.V3.F118

[6] المولى عبدالرحمان إلى دي لابورط 6 رمضان 1246 هـ A.M.A.E.C.P.M.V3.F120

وإذا لم يستجب المغرب لمطالب فرنسا، ستبعث له سفينة حربية إلى ميناء طنجة، لتحذيره وإرغامه على الانسحاب من تلمسان، كما رأى ضرورة تقوية الحامية العسكرية بوهران والسواحل الغربية القريبة من مدينة تلمسان[1]، وعليه فقد أمر وزير الدفاع الفرنسي الجنرال بيرتزين بتعزيز الحامية الفرنسية بالقوة الدافعة والاستعداد لأي مواجهة محتملة مع المغرب[2]، وهكذا اضطر المولى عبدالرحمان إلى الانسحاب من مدينة تلمسان، وقام بإرسال تحذير إلى والي مدينة تيطوان، ينبهه بضرورة تعزيز حامياته خاصة على السواحل، وهذا ما يدل بأن المولى عبدالرحمان كان يخشى أن يحدث لبلاده ما حدث للجزائر، حيث قال: "وقد علمتم ما جرى على الجزائر المشحونة بالعدد والعدة والأموال والعساكر، وما فعل من المكر والحيل حتى غصب المسلمين فيها، وطمع فيها سواها، ودخل قبائل الأعراب بالخداع والطمع حتى أوهى كيدهم، وفض جموعهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[3].

ومع التحركات الفرنسية في البحر المتوسط، خاصة قرب سواحل مدينة تيطوان، تأكد المولى عبدالرحمان من نوايا الفرنسيين وبدأ يحذر عماله ويأمرهم بالحزم واليقظة[4].

وبالفعل فقد بدأت القوات المغربية تستعد لمواجهة الأخطار، حيث شهد المغرب موجة من الغليان وحشد القوى في المدن والقبائل وتموينها بالذخيرة والسلاح[5].

ولقد كانت السلطات الفرنسية على علم بالإستعدادات التي قام بها المغرب، وتأكد الدبلوماسيون الفرنسيون من أن المولى عبدالرحمان، لم يفقد الآمال في الرجوع إلى تلمسان، وأنه ينوي أن يقود بنفسه الجيش المغربي والتوسع في غرب الجزائر، وعللوا ذلك إلى كونه كان يعتقد أن فرنسا ستنسحب قريبا من الجزائر[6].

وهكذا ومن خلال دراستنا للوجود المغربي بتلمسان، نستنتج بأن عدة قبائل من إقليم وهران قد قدمت بيعتها وخضوعها للسلطان، باستثناء قبائل تلمسان ومعسكر، وبالفعل فإن قبائل الدواير، وزمالة والبرجية والغرابة وسكان مستغانم، رفضوا الخضوع للسلطة

---

[1] تقرير وزير الخارجية إلى لويس فيليب 26 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6

[2] BERTHEZENE. Relatifs a la colonisation de l'Algérie, Paris, 1917, p76.

[3] م. و. م الوثائق، العدد1، ص 464.

[4] محمد داوود، المصدر السابق، ص 218-219.

[5] دي لابررط إلى وزير الخارجية سيباستيان 21 جانفي 1831 S.H.A.T.1H6

[6] تقرير وزير الخارجية سيباستيان إلى لويس فيليب 26 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6

المغربية، رغم جهود ممثلي المولى عبدالرحمان لإقناع هذه القبائل بتقديم ولائها، بيد أن تواجد القوات الفرنسية في وهران حال دون اتصال الممثلين المغاربة بأعيان هذه القبائل، وبالتالي فقد اكتفى السلطان بالقبائل الموالية، والتي قدمت بيعتها له وحرص على تمسكها ببيعتها وعدم نقضها، وقد أمر خليفته بتلمسان بتذكيرهم بواجباتهم، فقال: "إنكم رغبتم في بيعتكم فلان أي السلطان، وطلبتم نصرته وإعانته، وأنتم أمم موافرة وجنود متكاثرة، فإن كنتم تحافظون على شروط البيعة وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، وتقاتلون على دين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي هو دينكم وتدافعون عن أحبابكم وأولادكم، وبلادكم، لتدركوا عز الدنيا وشرف الآخرة، فنحن من جملتكم نقاتل في سبيل الله، فإنما أتينا رِدءا لكم وإعانة وإن كنتم لا تقاتلون على دينكم وأولادكم وبلاكم، وترضون بالدخول تحت كنف الكفار وإعطاء الرتبة لهم فمالنا ومالكم"[1]، وقد بين السلطان في رسالته كذلك أن فرنسا قد فشلت في كل مناوراتها العسكرية لزعزعة الاستقرار بالمغرب[2].

ولقد دلت المصادر بأن المغاربة قد وجهوا عدة حملات عسكرية في محاولة إخضاع القبائل الرافضة تقديم البيعة للسلطان ومن بين هذه الحملات الحملة التي وجهها قائد قبيلة كروان المغربية أو ميمون[3]، وحملة إدريس الجراري التي استهدفت إخضاع قبيلتي الدواير والزمالة، وقد تمكن من أسر شيوخها[4]، ومضاعفة للإحتياطات قام السلطان بإرسال ابن عمه المولى عبدالمالك إلى تلمسان، لتقديم المساعدة اللازمة وحثه على العمل الجماعي[5]، فقال: "وجعلنا أمركم شورى بينكم، فلا تقطعوا أمرا دونه ولا تفعلوا رأيا حتى يتفق رأيكم ورأيه عليه"[6].

[1]T.HAMET. opcit. p72
[2] Ibid. pp 60-61.

[3] دي لابورط إلى الجنرال كلوزيل 13 جانفي 1831 S.H.A.T.1H6
[4] الناصري، المصدر السابق، ص 30-31

[5]I.HAMET. opcit. p74

[6] محمد بن إدريس إلى محمد أعشاش 17 رمضان 1246 هـ الموافق لـ 24 فبراير 1831م، الخزينة الحسنية، م. 9، مج1.

ولقد أشار الناصري في الكتابة عن فترة وجود المولى علي بتلمسان أنه قد "افترقت كلمة العرب لضعف إيمانهم، وقلة همتهم، فجلهم مال إلى الدخول في حزب النصارى، عندما استولوا على مدينة وهران في هذه الأيام"[1].

وما يؤكد بأن وجود القوات المغربية بتلمسان كانت له نتائج سلبية، أن المولى عبدالرحمن قد أمر قواته بالانسحاب من كامل إقليم وهران، ونظرا لتقلص عدد الجند الفرنسيين الذين عاد أغلبهم إلى فرنسا، اضطر الجنرال كلوزيل إلى الاعتماد على باشاوات مسلمين، كانوا قد اعترفوا بالسيادة الفرنسية على الأقاليم الثلاث الجزائرية، قسنطينة التيطري ووهران[2]، وعليه فقد تولى ابن أخ باي تونس أحمد بن مصطفى خير الدين آغا* إدارة إقليم وهران[3]، وبموجب الاتفاق الذي انعقد بين كلوزيل وباي تونس، فإن المرسى الكبير تبقى تحت سيطرة القوات الفرنسية، كما يبقى الباي الجديد خاضعا لفرنسا، ويتعهد بتقديم إتاوات سنوية قدرت بـ مليون فرنك فرنسي، كما تضمن الاتفاق شروط أخرى خاصة بالتجارة، ونشاط الأوربيين في الجزائر، إضافة إلى مسؤولية تغيير البايات التي أصبحت من صلاحيات الإدارة الفرنسية[4] .

وقد وصل خير الدين آغا نائب الباي أحمد بن مصطفى ومعه 200 فارس بدون خيول يوم 11 فبراير عام 1831[5]، وكان ينتظر التحاق قوات إضافية من تونس لتعزيز القوات العسكرية بوهران[6]، ولكن بعد سبعة أيام أصدر وزير الخارجية الفرنسي قرارا اعتبر فيه الاتفاق الذي تم مع باي تونس لاغيا، بحجة أن الاتفاق ليس من صلاحيات واختصاصات الجنرال كلوزيل[7]، وبعد سماع التونسيين بالخبر أصيبوا بخيبة أمل كبرى نتيجة رفض الحكومة الفرنسية لتواجدهم بوهران[8]، كذلك لكونهم لم يجدو لا الأموال، ولا

---

[1] الناصري، المصدر السابق ص 32.

[2] DELORT, sur l'ouvrage du G. ol. Berthézine, dix, huit mais à Alger, Paris, 1834, p 61.

* خير الدين آغا، هو الذي أوفده باي تونس مع 250 جندي إلى وهران للتمهيد للتمهيد لتنصب أحمد بن أخ الباي على القطاع الوهراني، تبعا لاتفاقية بين كلوزيل وباي تونس في 06 فبراير 1831 مقابل ضريبة سنوية. الرجوع إلى تشرشيل، حياة الأمير عبدالقادر، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 137.

[3] ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، ص 176. CH. A. Julien. Opcit. p69.

[4] ملخص الاتفاق بين الجنرال كلوزيل وباي تونس 6 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6

[5] حاكم وهران إلى دي لابورط 11 ألإريل 1831 S.H.A.T.1H7

[6] G.E squer. Histoire de l'Algérie après 1830, 1ère série, Paris, 1924, p 11

[7] دوليسبس إلى وزير الخارجية 21 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6

[8] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب. 27 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6

المؤن، بل وجدوا سكانها رافضين تماما تواجد قوات أجنبية على أرضهم[1]، وهذا ما اضطر خير الدين إلى طلب إلغاء الاتفاق والرحيل من وهران في 16 فبراير 1831[2].

وفي أواخر شهر فبراير 1831 وصل خبر الاتفاق، الذي تم بين باي تونس والجنرال كلوزيل إلى المولى عبدالرحمان، فراسل خليفته بتلمسان يطلب منه تزويده بالمعلومات الخاصة بالاتفاق، والقبائل التي أيدت هذه السلطة الجديدة بإقليم وهران[3].

بيد أنه وبالرغم من عدم مساعدة الظروف على بقاء التونسيين بوهران، ورغبة الباي الجديد في الرحيل عنها، فإن ظروفا أخرى ساعدت على استقرارهم بضعة أشهر، مثل وصول شحن من المواد الغذائية ،ومبايعة الدواير والزمالة للباي الجديد، وعدم اكتراثهم بالحصار الذي ضربه المغرب عليهم، وكل هذه العوامل سمحت ببقاء التونسيين بوهران، وعدم إلغائهم للإتفاق مع كلوزيل[4]، الذي كتب إليه الجنرال بيرتزين يحثه على ضرورة تكريس الاتفاق، حيث قال: " ... وإلا رأينا هذه المدينة تسقط بأيدي المغاربة وبالتبعية يسقط كل الإقليم، مما سيجعل وضعنا في الجزائر صعبا لأن مجاورة مولاي علي ستؤدي لا محالة إلى انتفاضة القبائل في الجبال، وستعطي حيوية أكبر للمتآمرين في مدينة الجزائر[5].

ولقد كان انسحاب القوات المغربية من تلمسان من جملة العوامل التي ساعدت على استقرار الحكم التونسي بوهران، ورغم ذلك فبمرور الوقت بدأت الأوضاع بوهران تتدهور، خاصة بعد رفض الدواير والزمالة مساندتهم للسلطة التونسية، وظهور خلافات بينهما وبين الفرنسيين، وعليه فقد بات انسحاب التونسيين من وهران أمرا حتميا[6].

ولقد ذكرت المصادر بأن التونسيين غادروا وهران في يوم 22 أوت 1831[7]، بيد أن ابن أبي الضياف ذكر بأن رجوعهم كان في شهر سبتمبر[1]، ويمكن أن يكون هذا التاريخ هو

---

[1]DELORT. Opcit. p11 et CH. A. Julien. Opcit. p70
[2]I.HAMET. opcit. p74
[3] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب. 08 مارس 1831 S.H.A.T.1H7
[4]CH. A. Julien. Opcit. p70
[5] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب. 27 فبراير 1831 S.H.A.T.1H6
[6]CH. A. Julien. Opcit. pp 81-82.
[7] فودوار نائب حاكم وهران إلى وزير الحرب 21 أوت 1831 S.H.A.T.1H8

المصادف لوصولهم إلى تونس، كما ذكر الجنرال بوايي BOYER بأن التونسيين عندما رحلوا من وهران قد نهبوا كل شيء ومنحوا التجار اليهود والحضر رخصا للإستيراد، ويمكن أن يكونوا قد باعوها لهم بأثمان باهظة[2]، بيد أن ابن أبي الظياف ذكر بأن خير الدين آغا رجع إلى تونس ولم يأخذ معه شيئا[3].

وهكذا ساهم الوجود التونسي بوهران في إضعاف التواجد المغربي بإقليم وهران وكان السبب الرئيس في انسحاب المغاربة من الاقليم الضعف الكبير الذي داهم الجند المغاربة، وبالفعل في يوم 8 مارس 1831 أمر المولى عبدالرحمن خليفته مولاي علي بتجميع قواته والانسحاب من تلمسان، للرجوع إلى مدينة فاس[4]، ولقد أشار وزير الخارجية الفرنسي دي لابورط في 3 أفريل بأن انسحاب المغاربة من تلمسان كان بسبب تلك المذكرة التي أرسلها إلى سلطان المغرب[5]، وقد أكد هـ شورشل أن السلطان تخوف بعد وصول الإنذار الفرنسي، فاضطر إلى إصدار قرار بالانسحاب من تلمسان[6]، بعدما دام التواجد المغربي بها قرابة الستة أشهر[7].

غير أن موقف السلطان من البعثة التي أرسلها الكولونيل أوفري، والرد الواضح الذي رد به على التهديدات الفرنسية بتاريخ 21 فبراير 1831، يؤكد بأن الضغوط الفرنسية لم تكن سببا في انسحاب المغاربة من تلمسان، وقد ذكر دي كوسي بريساك في تعليقه عن أسباب انسحاب السلطة المغربية، حيث قال: "يجب أن يكون المرء قليل الاطلاع على الشؤون الخارجية حتى يصدق بأن الانسحاب كان خضوعا للضغوط الفرنسية"، ثم أضاف "كانت أسباب سحب الخليفة نوعا آخر تماما، فقد كان سلوكه غير المستقيم، وغير المتبصر، وتجاوزات قواته ومعارضة العناصر التركية بإقليم وهران هي التي أدت إلى انسحابه"[8]، أما المشرفي في الحلل البهية، فقد ذكر بأن انسحاب القوات المغربية من تلمسان كان بقرار

---

[1] ابن أبي الضياف إتحاف أهل الزمان. م.م. ص 178.
[2] الجنرال بوابيإلى وزير الحرب 1 أكتوبر 1831 S.H.A.T.1H9
[3] ابن أبي الضياف المصدر السابق ص 178
[4] I.HAMET. opcit. p76
[5] دي لابورط إلى وزير الخارجية 3 ألإريل 1831 S.H.A.T.1H7
[6] تشرشل هنري، حياة الأمير عبدالقادر، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 62.
[7] محمد بن عبدالقادر، تحفة الزائر .م.م ص 146-147
[8] محمد المشرفي بن المصطفى، المصدر السابق. ص 206.

من خليفة السلطان، وبدون علم هذا الأخير بذلك[1]، ولقد أشار شارل أندري جوليان CH. A. Julien بأن السلطان استدعى خليفته في 8 مارس 1831، ليضع حدا لتجاوزات ممثليه ضد القبائل والأتراك خاصة[2].

وبالنسبة للكتابات المغربية، فقد ربطت إنسحاب المولى علي من تلمسان بالاضطرابات، وأعمال النهب التي قام بها المغاربة، وقد أشار الناصري عندما اضطربت الأوضاع بتلمسان فقال: "حينئذ رأى السلطان استرجاع تلك الجيوش التي لم يبق الطمع في صلاحها، بعد أن أمر بالقبض على القائد إدريس، لكونه سعي به عنده، وأنه مشارك في نهب الكرغلية، والزمالة، والدواير، وتقاعد عن النفيس من أثاثه فرجعت المحلة"[3].

وقد ذكر صاحب الابتسام بأن التصادم الذي حدث بين القوات المغربية وبقايا الأتراك بتلمسان هو السبب الوحيد الذي اضطر السلطان إلى إصدار أمر الانسحاب من المدينة[4]، كما أكد محمد المشرفي أن سبب سحب الخليفة لقواته من تلمسان، كان هو أعمال النهب والسلب والبطش التي تعرض له الأتراك والقبائل الجزائرية من طرف القوات المغربية[5]، كما أشار صاحب الابتسام أنه بعدما ازداد الفساد والنهب وتضرر سكان تلمسان تلمسان من ذلك، سارع السلطان بإصدار أمر الانسحاب[6]، وعليه فإن المصادر المغربية كلها اتفقت على أن أسباب الانسحاب من تلمسان هي أساب عسكرية بحتة، تمثلت في فساد المؤسسة العسكرية التي لم تعد عاملا للأمن والاستقرار، بل مصدرا للخوف واضطراب الأوضاع، وقد قامت البعض من هذه المصادر بوصف الأوضاع التي آلت إليها مدينة تلمسان قبيل انسحاب المغاربة منها، حيث أشارت إلى أعمال النهب والسلب العارمة التي عمت البلاد، وهناك عدة روايات تحدثت عن الأوضاع التي آلت إليها تلمسان، وهذا ما أشار إليه أكنوسوس، وصاحب الابتسام، والناصري، ومحمد المشرفي، كما نجد بعض الإشارات في رسائل المولى عبد الرحمان، وقد ذكر في اختصار الابتسام: "أن أفراد الجيش

---

[1]DECOSSE. BRISSAC. Opcit. Pp 12-13
[2]CH. A. Julien. Opcit. P82.

[3] الناصري، المصدر السابق، ص 32.
[4] أبو العلاء إدريس. المصدر السابق. ص 384.
[5]محمد المشرفي، المصدر السابق.ص 206.
[6] أبو العلاء إدريس، المصدر السابق،. ص 384

هرولوا وتهورا، واشتغلوا بالدمع والقرقرة، والاشتغال بما لا يعني، والفساد في النساء والولدان، والتوغير بين الكرغل والحضر، وهم أهل البلد وتركوا السياسة وضيعوا الحزم، ونبذوا القانون الذي كان متعارفا عند أهلها"، وقد أدى هذا السلوك إلى الاستنكار، ودفع بالكثيرين إلى قبول طاعة الفرنسيي،ن "فعند ذلك انحل ما كان مبرما من البيعة، وخاف الكرغلية على أنفسهم، فافترق أهل تلمسان فرقتين، وانحاز كل فريق لناحية من البلد، فالمغاربة والحضر من جهة، والكرغلية من جهة أغلقوا قصبتهم، ووجهوا أفواه مدافعهم نحو المدينة، وجعلوا يرمون مدافعهم على دار المخزن التي فيها المغاربة، وأعلنوا بالرجوع عن البيعة وبقوا على ذلك أياما وبعثوا للسلطان يعلمونه بما هم فيه من الضيق والحصار، وأنهم خائفون من وقوع الحملة عليهم[1].

وبالنسبة للناصري، فقد أشار بأن الأوضاع التي سادت المدينة، والخلافات التي كانت قائمة بين القبائل، قد انعكست على المؤسسة العسكرية المغربية، حيث ذكر: "فتحاسدوا، وكثر القيل والقال منهم على السلطان، ثم ختموا عملهم بانتهاب أثاث الكرغلية، وتقاعدهم عليهم، ثم بانتهاب مال الزمالة والدواير، وماشيتهم في جوار الشريف سيدي العربي الوزاني"[2]، كما أشار الناصري بأن القائد أحمد بن المحجوب البخاري كان من الذين تسببوا في أعمال الفوضى والإضطراب، التي شهدتها تلمسان وأنه لم يبال لا بالمولى عبدالرحمن، ولا بخليفته المولى علي، وكان من أشد المنافسين للقائد إدريس الجراري، ومع ذلك فقد شارك معه في أعمال السلب والنهب[3]، أما بالنسبة للقائد إدريس الجراري فقد كان من الذين شاركوا في النهب، ويمكن القول بأنه أقدم على ذلك مخافة معارضتهم، وبطشهم به[4]، ولقد بين السلطان ما قاله الناصري عندما بعث برسالة إلى إدريس الجراري أثناء توتر توتر الأوضاع بتلمسان، وقد حمل مضمون الرسالة معاني موافقته على ما قام به من نهب،

[1] نفس المصدر.
[2] الناصري، المصدر السابق.ص 32
[3] نفس المصدر. ص 33.
[4] نفس المصدر، ص 32.

حيث قال له: "فلا عهدة عليك، بل من تمام عقلك مساعدتك لمن نهب، ولو منعتهم من ذلك لتفاقم الأمر هناك"[1].

وعليه يمكن القول بأن طرح الناصري يؤكد بأن المؤسسة العسكرية المغربية في تلمسان كانت تعاني من اختلال كبير وخطير، ويعني به ظهور المنافسة الحادة في صفوف القادة، وهذا ما أدى إلى تنامي العصيان تجاه السلطان وممثليه، وهذا ما يفسر سطوتهم واستيلائهم على أملاك الدواير، والزمالة، والأتراك، وبالتالي نستنتج من خلال هذه الرواية أن القوات المغربية عندما غزت تلمسان، قامت بقيادة إدريس الجراري بالإستيلاء على ممتلكات الزمالة والدواير، ثم رجعت إلى تلمسان، ولم تقدم هذه الممتلكات إلى خليفة السلطان، بل وزعها القادة المغاربة فيما بينهم، ولم يكتف هؤلاء بذلك، بل أقدموا على مصادرة ممتلكات الأتراك، وأموالهم بالمدينة، فساءت الأوضاع بها وانتشر النهب والاضطراب، ولقد حاول أكنسوس والناصري تحليل الأسباب الحقيقية التي أدت إلى تمرد الجيش المغربي، بيد أن تحليلهما كانا متناقضين، فرأى أكنسوس أن فساد المؤسسة العسكرية المغربية تعود أسبابه إلى مبالغة السلطان في إكرام القادة، وإعلاء الشأن، وفي تلمسان أراد كل واحد أن تكون له سلطة الحل والعقد بالمدينة، التي أصبح سكانها كالغنم الضائعة[2]، وبالنسبة للناصري فقد أرجع فساد الجيش إلى عدم اهتمام السلطان به، رغم أن قادته كانوا يبدون طاعتهم المطلقة له في الظاهر، أما في الحقيقة فهم يكرهون السلطان المولى عبدالرحمن، الذي كان قد أغفل دورهم قبل غزو تلمسان، ولكن بعد ذلك تعاظم شأنهم، فاشتدت سطوتهم، فخرجوا بذلك عن طاعة السلطان وممثله بتلمسان[3].

ورغم اختلاف التحليلين بين أكنسوس والناصري حول علاقة الجيش المغربي بالمولى عبدالرحمن، فإن طرحهما يتفق حول مسألة، واحدة تتمثل في أن تدهور أحوال المؤسسة العسكرية المغربية كان قبل غزو تلمسان، وأن هذا الفساد يشمل باقي القوات العسكرية كعبيد البخاري، وقد حاول دي لابروط تحديد الأسباب الجوهرية التي أدت إلى تمرد الجند المغاربة، وذلك في رسالة وجهها إلى وزير الخارجية، حيث ذكر بأن المغاربة

[1] نفس المصدر، ص 35-36.
[2] أكنسوس، المصدر السابق، ص 17.
[3] الناصري، المصدر السابق، ص 33.

عندما رجعوا من تلمسان إلى مدينة فاس، ثاروا ضد السلطان وطالبوه بدفع مستحقاتهم التي حرمهم منها[1]، وبالتالي يمكن أن نرجع هذا السبب لتفسير تمرد الجيش المغربي وثورته ضد السلطان، وذلك اعتمادا على بعض المعطيات، كانت في مقدمتها قصر الفترة الزمنية التي بقي فيها الجيش المغربي بإقليم وهران، الذي اضطربت فيه الأوضاع، خاصة بعد دخول القوات الفرنسية وفتور العلاقة بين قبائل الدواير والزمالة مع المولى عبدالرحمن، وقد أدى ذلك إلى عدم قدرته على تحمل مصاريف الجيش، كذلك يمكن إدراج سبب الاضطراب، عدم تزامن هذه الأحداث مع موسم الحصاد، لأن السلطة المغربية كانت تقوم بجباية الضرائب في كل موسم حصاد، ويمكن إضافة سبب آخر وهو عجز ممثلي السلطان في استخلاص الأموال التي كانت في مشور تلمسان عند الأتراك، واكتفائهم ببعض الممتلكات التي كانت عند سكانها، وبالتالي نستنتج بأن السلطة المغربية لم تكن لها الأموال الكافية لتغطية نفقات الجند بانتظام، زيادة على مصاريف أخرى، ولقد سعى المولى عبدالرحمن لمعالجة هذا الوضع، عندما طلب من المولى علي دفع مستحقات الجيش بانتظام، وذلك في رسالة وجهها له بتاريخ 13 يناير 1831[2]، وبالتالي فإن هذا الوضع المزري الذي وصل إليه الجيش المغربي، هو الذي دفع بأفراده إلى استخلاص مستحقاتهم بواسطة الاستيلاء والنهب، وقد أدى ذلك إلى التمرد والانحلال، وانتشار الفوضى والاضطراب، التي لم يتحدث السلطان عليها في رسالته، واتهم الجزائريين بعدم مساعدتهم لممثليه، ونقضهم لما تضمنته نصوص مبايعتهم له، حيث قال: "فإن كان أولئك القوم عند أقوالهم ومرادهم في الخدمة والصلح، فهم يحرصون علينا ولا نحرص عليهم، ومن ارتد على عقبه فلا حاجة لنا به، حتى يقف على رأيه، ويعلم عاقبة أمره، ومن وجعته الضرس يبحث عن الكلاب، وما كلفنا الله بهذا، ولا حاجة لنا بقتال المسلمين وسفك الدماء بغير حق"[3].

وفي الابتسام يصور صاحبه انسحاب القوات المغربية من تلمسان حيث قال: "خرجوا هاربين لا يلوي أحدهم على أحد من شدة ما أصابهم من الخوف والجزع، وما

[1] دي لابورط إلى وزير الخارجية 9 ماي 1831 S.H.A.T.1H7

[2] I.HAMET. opcit. P60

[3] Ibid. p76

كانوا عليه من الانحلال والإعياء في خيلهم وسلاحهم واختلاف كلمتهم" واعتبر السبب في ذلك هو الجشع والطمع[1].

وفي الرسالة يشير السلطان إلى عدم التخلي النهائي عن إقليم وهران، رغم أنه أمر جنده بالانسحاب، حيث أمر خليفته بتحويل كلمة الأشياخ وسياستهم مع عامل وجدة، عندما قال: "فمن عاهد الله عليه فعاملنا بوجدة يتصرف معه على وجه الطاعة والصلح"[2].

لقد دلت المصادر أن انسحاب السلطة المغربية من تلمسان، لم يسمح لفرنسا بالسيطرة على إقليم وهران كانت الذي كانت ظروفه تتعقد، ذلك أن سكان المغرب الأوسط لم يتحالفو معها، وهذا ما أكده هنري طيراس H. TERASSE[3]، ولكسب الفرنسيين تأييد القبائل لسلطتهم قام الجنرال بوايي ببعث رسالة إلى وزيره المختار الجامعي، طالب فيها السلطان بالإفراج عن زعيمي قبيلتي الدواير والزمالة، مصطفى بن إسماعيل وامورسلي، اللذان كانا بمدينة فاس[4]، بيد أن الوزير رد على الرسالة بأنه يرفض إيصال هذا الطلب إلى السلطان، وذكر بأنه ليس من حق المسيحيين التدخل في شأن الرعايا المسلمين، وأكد الجامعي بأن الزعيمين لم ينقضا بيعتمها التي أعطياها للسلطان[5]، وقد كان يأمل الجنرال بوايي في عودتهما إلى وهران لما لهذه العودة من تأثير على موقف القبائل من الوجود الفرنسي، خاصة بعدما انتشرت أعمال العنف، التي قام بها خير الدين آغا الذي كان نائبا لباي تونس، وقد تضررت القبائل خاصة في منطقة مستغانم من تلك الأعمال، وأدت إلى نقمتها على فرنسا وتونس، وقد ازداد التذمر خاصة عندما قتل علي بن مصطفى بن إسماعيل على يد الحامية الفرنسية بأحد الحصون القريبة من وهران[6]، وكانت ردة فعل القبائل قوية، حيث قام الدواير والغرابة وعلى رأسهم الحبيب بن عالم بضرب حصار مشدد على وهران[7].

---

[1] أبو العلاء إدريس. المصدر السابق. ص 38

[2] I.HAMET. opcit. P70

[3] H. TERRASSE. Histoire du Maroc. P 320.

[4] حاكم وهران إلى دي لابورط 11 أبريل 1831 S.H.A.T.1H7

[5] دي لابورط إلى وزير الخارجية سيباستياني 25 ماي 1831 S.H.A.T.1H7

[6] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 18 أبريل 1831 S.H.A.T.1H8

[7] وزير الحرب إلى بيرتزين 9 جويلية 1831 S.H.A.T.1H8

أما بالنسبة للوضع بتلمسان، قد ذكر أكور أن الأوضاع بها تدهورت، حيث حدث الاصطدام بين الحضر والأتراك عقب انسحاب القوات المغربية، وكان ذلك عندما قام الحضر بمحاصرة الأتراك في المشور، ومنع دخول المؤن إليهم، وكان رد فعل الأتراك هو قطع الماء عن مدينة تلمسان[1]، وفي رسالة وجهها القائد العام الفرنسي بيرتزين إلى وزير الحرب، ذكر فيها بأن الأتراك كانوا محاصرين في مشورهم، وأن حالتهم كانت سيئة للغاية، وأن قائدهم مصطفى بن الباي عثمان الذي جاء بعد بورسالي، قد استنجد بباي تونس، الذي كان في وهران قبل أن يضطر إلى الخضوع[2]، بيد أن بايات تونس لم تكن تسمح له الظروف بمساعدة الأتراك الذين استنجدوا به، وبالتالي فقد تمكنوا من حل النزاع مع الحضر بطريقة سلمية، وقد أشار أكور بأن مقدم الطريقة القادرية بتلمسان، اقترح على الحضر والأتراك الاحتكام إلى محي الدين رئيس الطريقة القادرية بالجزائر، وبالفعل فقد لبى محي الدين الدعوة وحضر إلى تلمسان، واستطاع حل النزاع، حيث أضاف أكور أن محي الدين قد تمكن من إعادة الهدوء والطمأنينة إلى مدينة تلمسان، حيث عين محمد بن نونة قائدا للحضر، وبورسالي قائدا للأتراك، رغم أنه كان بفاس ولم يرجع منها إلا في أواخر عام 1831[3]، القبائل في الإقليم الغربي، اتفقوا على منح لقب سلطان لمحي الدين، حيث أرسلوا الوفود إلى مركز سلطته بالقيطنة، بيد أنه رفض ذلك وأشار إليهم بإعادة المحاولة لدى سلطان المغرب[4]، وفي طرس الأخبار يؤكد العربي المشرفي أن محي الدين كان من بين الذين فرحوا بانسحاب السلطة المغربية من تلمسان، وذكر بأنه كان يقول علانية: "أحب المجوس يتحكمون في وطننا، ولا أحب المغاربة أن يتحكموا فيه"[5] وقد ذكر بأنه سمع هذا منه بنفسه، ولكن العربي المشرفي في مخطوطه كان قد حرص على التحامل وبشدة على محي الدين، وعلى ابنه عبدالقادر وإلصاق كل العيوب والتهم بهما، ذلك بأن محي الدين لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يتفوه بمثل هذه الأقوال.

---

[1] A. cour. L'occupation. Pp 40-41.

[2] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 28 أفريل 1831 S.H.A.T.1H7

[3] A. cour. opcit. P 41.

[4] CF. H. CHERCHILL, la vie d'Abdelkader. P 62.

[5] العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 75.

وأمام هذا الاختلاف في الروايتين، يمكن القول بأن محي الدين قد رفض عرض تولي منصب السلطان، ولكن قبل أن يقوم بمهمة الحكم بين المتنازعين بمدينة تلمسان، وبالتالي فالأوضاع بإقليم وهران في الفترة التي أعقبت انسحاب المغاربة، لم تكن مساعدة للقوات الفرنسية وحلفائها، وهذا ما أتاح للسلطة المغربية فرصة معاودة تجربة جديدة في الأرض الجزائرية، وقد وصلت إلى دي لابورط أخبار عزم السلطان المغربي تهييئ حملة عسكرية جديدة على تلمسان، حيث بعث برسالة يحذر فيها وزير الخارجية الفرنسي، وقد ذكر في مضمون الرسالة حتى أسماء من سيكلفهم بقيادة هذه الحملة، حيث أشار إلى أخ السلطان المولى المأمون بن هشام[1]، ثم ذكر ابن أخيه المولى الحسين[2]، وجاء اسم محمد بن العامري كذلك ضمن القادة الذين كلفهم المولى عبدالرحمان بغزو تلمسان[3]، ولقد أدرك وزير الحرب الفرنسي التناقض الموجود في الرسائل التي بعث بها دي لابورط خاصة مع تزامن انسحاب السلطة المغربية من تلمسان وتمرد جيش الودايا بمدينة فاس، ذلك أن الظروف لم تسمح للمغاربة بالتفكير في حملة ثانية[4]. ذلك أن هذا التمرد العسكري لم يسمح بتحقيق فكرة الحملة على تلمسان[5]، خاصة وأن الأوضاع بالمغرب قد اضطربت، واستمر هذا الوضع طيلة شهري أفريل وماي وبداية جوان[6]، وبعدما هدأت الأوضاع بمدينة فاس، عاد السلطان للتفكير في بعث حملة جديدة على غرب الجزائر، ابتداءا من شهر جويلية عام 1831، ولقد أشار هـ شورشيل بأن رغبة المولى عبدالرحمن في توجيه حملة على الإقليم الغربي لم تكن إلا بعد إلحاح وفد من الجزائريين بعث بهم محي الدين[7]، بيد أن الكتابات الفرنسية قد ذكرت بأن المجهودات التي قام بها مصطفى بن إسماعيل والمرسلي بفاس هي التي أدت إلى إقناع المولى عبدالرحمن بفكرة بعث عامله إلى تلمسان.

[1] دي لابورط إلى وزير الخارجية 9 ماي ي1831 S.H.A.T.1H7
[2] دي لابورط إلى حاكم وهران 12 جوان 1831 S.H.A.T.1H8
[3] نفس المصدر
[4] وزير الحرب إلى الجنرال بيرتزين 30 أفريل 1831 S.H.A.T.1H7
[5] دي لابورط إلى حاكم وهران 12 جوان 1831 S.H.A.T.1H8
[6] أكنسوس، المصدر السابق، ص 17-18
الناصري، المصدر السابق، ص 24-25
أبو العلاء إدريس، المصدر السابق، ص 385-387.
[7]CH. H. CHURCHILL. op.cit. P62.

ولقد ذكر شارل أندري جوليان بأن الأمر الذي حفز السلطان على العودة إلى غزو الإقليم الغربي من الجزائر، هو الضمانات التي قدمها له زعماء الدواير والزمالة، بالإضافة إلى ترديات غزو الفرنسيين لمدينة المدية التي عزم سكانها على مقاومتهم، وقد فشلت حملة بيرتزين على هذه المدينة في 29 جويلية 1831[1]، وفي الرسالة التي بعث بها دي لابورط يذكر فيها بأن مصطفى بن إسماعيل قد طلب من السلطان أن يبعث معه قوات مغربية إلى الجزائر لحفظ الأمن، وتحقيق الاستقرار، وتكريس نفوذ السلطة المغربية بالجزائر[2]، وفي تقرير آخر بعث به في 30 ماي ذكر أن زعيمي الدواوير والزمالة اقترحا على السلطان التدخل في تلمسان واستعدادهما لمد يد العون، وجعل الإقليم الغربي من الجزائر تحت سلطته[3]، ولقد أشار الجنرال بوايي، الذي كان متواجدا بوهران في سبتمبر 1831 أن مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، ومعهم أحد أغنياء تلمسان ويسمى بومدين أخ بن نونة، سعوا إلى إقناع المولى عبدالرحمان بإرسال خليفته إلى إقليم وهران، وتأكيدهم بمساعدته لاخضاع المنطقة لسلطته[4]، ولقد أكد السلطان لمحمد بن العامري بأن لا يبقى بالإقليم طويلا، إلا إذا تأكد من اعتراف السكان بسلطته، وهذا الطرح لا يتعارض مع ما ذكره الجنرال بوايي، عندما قال بأن مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، التزما بدعم السلطة المغربية بالإقليم خوفا على حياتهم[5].

لقد عين محمد بن العامري الذي كان دي لابورط يتتبع كل تحركاته[6]، وبخاصة عندما استطاع أن يضع نهاية لتمرد جيش الوداية[7]، وكان خروج هذا العامل من مدينة فاس في بداية شهر أوت، ومعه مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، وكان برفقة قوة عسكرية مكونة من ثلاثمائة فارس[8]، ولقد ذكر دي كوسي بريساك وشارل أندري جوليان بأن هذه القوة وصلت إلى مدينة تلمسان يوم 16 أوت 1831[9]، بيد أنه في الرسالة التي بعث بها

---

[1] BERTHEZENE. Op.cit. P 95.

[2] دي لابورط إلى وزير الخارجية 25 ماي 1831 S.H.A.T.1H7

[3] BERIHEZENE. Op.cit. P91.

[4] الجنرال بوابيإلى وزير الحرب. 21 سبتمبر 1831 S.H.A.T.1H9

[5] دي لابورط إلى حاكم وهران 12 جويلية 1831. S.H.A.T.1H8

[6] دي لابورط إلى حاكم وهران 12 جويلية 1831. S.H.A.T.1H8

[7] الجنرال بوابي إلى الجنرال بوايي 1831 S.H.A.T.1H10

[8] الجنرال بوايي إلى الجنرال بيرتزين 31 أكتوبر 1831 S.H.A.T.1H9

[9] DECOSSE BRISSAC. op.cit. P17. CHA. Julien. op.cit. P82.

محمد بن العامري إلى سكان مستغانم، أشار فيها بأنه دخل إلى تلمسان يوم الخميس 25 أوت 1831[1].

إن ما نلاحظه عن فترة وجود بن العامري بتلمسان هو نقص المصادر التي كتبت حول هذه الفترة خاصة المغربية، باستثناء الفرنسية والجزائرية، ولكنها تبقى ناقصة وغير موثوقة، حيث كتب عن هذه الفترة أ.كور ودي كوسي بريساك بالإضافة إلى شارل أندري جوليان بيد أن هذه الكتابات جاءت جد مختصرة، أشارت عن موقف الأتراك منه، ودعم زعماء الدواير والزمالة له، وعن فشله في إخضاع وهران ومستغانم، وتحويله لمعسكر مركزا لسلطته[2].

وهناك فقرات لـ هـ شورشيل تحد ث فيها عن وجود ابن العامري في تلمسان، عندما قال بأن المولى عبدالرحمان، قد ردّ على طلب محي الدين بإرسال هذا الوكيل السري إلى معسكر[3].

إن وثائق الأرشيف المغربي تمدنا بحقائق تاريخية هامة، وهذا ما نجده في رسالة محمد بن العامري التي بعث بها إلى سكان مستغانم، أشار فيها عن حفاوة الاستقبال الذي لقيه من سكان تلمسان، وزيارته لضريح الولي أبي مدين الغوثي، ولقائه بأتراك المشور، وفي تحليله لهذا الدخول قال: "فلقونا في الطريق وفرحوا بنا غاية ونهاية، وأطلقوا المدافع (كذا) كم مرة، وأخرجوا (كذا) البارود مرارا، وحاصله بما فعلوه (كذا) أخوالهم الحضر، فعلوه الكرغلية في الطاعة وزيادة، وقد حضروا معنا أعيان الحضر في المشور، وأكلوا وشربوا وتسامحوا".

"وفي اليوم الرابع أعد الحضر بدورهم مأدبة، ودعوا إليها الأتراك، ويوم الأحد عملوا (كذا) الحضر الطعام، وقدموا جميع الأعيان كراغلة وأتراك وأكلوا وشربوا، وعقدنا بينهما صلحا تاما قاطعا للنزاع والخصام، ولم يبق بينهما سوى الخير والإحسان"[4].

---

[1] محمد بن العامري إلىأهل مستغانم 30 أوت 1831 S.H.A.T.1H9

[2] DECOSSE BRISSAC. op.cit. P17. CHA. Julien. op.cit. P83.

[3] Ch. CHURCHILL. Op.cit. P 18.

[4] محمد بن العامري إلىأهل مستغانم 30 أوت 1831.

إن هذه الرسالة التي بعث بها محمد بن العامري تعتبر محاولة جادة منه لإقناع أهل مستغانم بالخضوع لسلطته، كما فعل التلمسانيون، وهي تبين مدى نجاحه منذ البداية في إخضاع المدينة الأمر الذي لم يستطع تحقيقه من سبقه من الممثلين، الذين بعث بهم السلطان، وبخاصة مصالحته لأتراك المشور والحضر، وقد أشار الجنرال بوايي في رسالته إلى النص الذي قرأه ابن العامري على سكان تلمسان، فطلب منهم مساعدته وشد أزره، ومحالفته بغية القضاء على الاضطراب والنزاعات، التي تسبب فيها الاحتلال الفرنسي للجزائر، ونبهه للعدو المشترك حيث أشاد ببطولات الجزائريين لطرد الإسبان، وفي الخطاب الذي ألقاه ابن العامري أكد انتماء السلطان إلى الشجرة النبوية الزكية، وذلك أنه أعطى لهذا النص الصفة الدينية، وأن هدفه هو الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وطرد الكفار[1].

لقد بينت الرسالة التي بعث بها السلطان المغربي المولى عبدالرحمن بواسطة ابن العامري، الذي قرأها على سكان تلمسان، أن السلطة المغربية ظلت أهدافها في الإقليم الغربي هي نفسها، أي إرساله للممثلين، وإقناع السكان بالخضوع لسلطتهم، وتحذيرهم من العدو المشترك، ومخاطر بقائه على الأرض الجزائرية، ولكن تجربة ابن العامري هذه المرة جاءت مختلفة عن التجارب التي قام بها من سبقه من الممثلين، مثل المولى علي، ذلك أنه اعتمد على القوة المحلية الجزائرية، حيث شكلها من الدواير والزمالة وبعض المتطوعة، وهذا ما يؤكد بأن السلطان كان يهدف إلى تكوين قوة عسكرية جزائرية محلية نواتها مغربية، بيد أن الجنرال بوايي قد أكد في التقارير التي كان يبعث بها، أن حضر تلمسان لم يخضعو لابن العامري، ولم يسلموه المدينة، ذلك أنه لم تكن له نية البقاء بها وأكد كذلك بوايي أن أتراك المشور اعترفوا بسلطة هذا الممثل من اجل تحقيق السلم والأمن في المدينة[2]. كما أكد بأن الحصار الذي ضرب على الأتراك، والذي استمر طيلة أربعة أشهر هو الذي اضطرهم إلى الاعتراف بالسلطة المغربية[3]، كما أشار بأن الأتراك طلبوا من بن العامري أن يضمن لهم تموين مشورهم، والتزام السكان بدفع رواتبهم، وعدم تدخل الجند

[1] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 4 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H9
[2] الجنرال بوايي نفس المصدر.
[3] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 21 سبتمبر 1831 S.H.A.T.1H9

المغاربة في شؤونهم، وعندما وعدهم بتحقيق أهدافهم سمحوا لهم بالدخول إلى مشورهم والصلاة بمسجدهم[1]، وعليه يمكن أن نحلل هذا الموقف الذي أبداه الأتراك من ابن العامري أنهم كانوا يهدفون إلى الابقاء على الحامية التركية العسكرية بمدينة تلمسان، وترقب القوات الفرنسية التي كانت قد احتلت وهران، وبالتالي لا نفسر مهادنتم للسلطة المغربية خضوعا، واستمرار للسلم مع الحضر غير أن المغاربة قد أبقوا على المورسلي بن عودة قائد أتراك تلمسان، وبقي بمدينة فاس، حتى ضمن التزام الأتراك بطاعتهم، وخضوعهم لابن العامري.

لقد حرص ممثل السلطان محمد بن العامري أثناء تواجده بتلمسان، على حشد القبائل في الإقليم الغربي، وبخاصة المحيطة بوهران، بغية التصدي للقوات الفرنسية، وكان يضن بأن أتراك مستغانم سيسلكون نفس السلوك، الذي سلكه أتراك تلمسان، حيث بعث إليهم رسالة في 30 أوت 1831 أخبرهم فيها بأن سلطان المغرب المولى عبدالرحمن قد عينه لتمثيله في الإقليم الغربي من الجزائر، كما طلب منهم ببعث ممثليهم للانضمام إلى صفه، حيث قال: "وأنتم يأمركم بمجرد وصول كتابنا هذا إليكم، عينوا لكل جهة قائدا، وقدموا إلينا بمسيرتكم، وتحضرون لقراءة كتابكم الموجه إليكم من حضرة سيدنا، وتحملونه إلى بلدكم مع قائدكم من وطنكم وبلدكم، أم من عندنا، وما ترون منا بحول الله وقوته، إلا ما يسركم ويرضيكم"[2].

وفي 11 سبتمبر 1831 عاد ابن العامري لكتابة رسالة أخرى لسكان مستغانم، بعدما لم يتلق أي رد منهم على رسالته الأولى، وقد أكد فيها على ضرورة نبذ الخلاف بين الأتراك والعرب، كما طالبهم بالتحالف معه ومع أتراك تلمسان بيد أن أهل مستغانم لم يهتمو برسالته، ونظرا لكون أهل مزغران كانت علاقتهم بهم عدائية، فقد قبلوا باقتراحات ابن العامري من خلال تبادل الرسائل بينه وبين أعيان هذه المدينة الصغيرة، وقد تضمنت هذه الرسائل دعوة ابن العامري إلى نبذ الخلاف والتصالح بين أهل مستغانم ومزغران،

[1] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 4 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10
[2] محمد بن العامري إلى أهل مستغانم 21 ربيع الأول 1247 هـ S.H.A.T.1H9

واستعداده لبعث ممثليه من أجل عقد الصلح بينهم[1]، وقد أشار الأرشيف الفرنسي بوزارة الحربية بفانسين إلى هذه الرسالة وهي مترجمة ومؤرخة بـ 11 سبتمبر 1830.

وبالفعل فقد اجتمع أعيان المدينة لعقد الصلح مع أهل مزغران، حيث كتب قاضيها محمد بن يدر إلى أهل مستغانم، وإلى قائدها التركي إبراهيم بن عثمان ليعلمهم بأنه اجتمع بمحمد بن العامري الذي عين الحاج قدور بن إدريس قائدا عليهم، وأبقى على قاضي مزغران في منصبه، كما قام محمد بن العامري بتعيين ممثلين عنه، وبعث بهم إلى مزغران، للإشراف على عقد الصلح بينها وبين مستغانم، كما طلب منهم تكوين قوة تشارك فيها كل القبائل المجاورة، والاستعداد لمواجهة القوات الفرنسية[2]، كما أشار في رسالته إلى ضرورة قبول الاقتراحات المغربية وعدم رفضها، حيث قال: "وإن لم ترضو بالصلح نبعث (كذا) له مع أصحابه (أي أصحاب ابن العامري) وحاصله نحن ناصحون لكم، فلا تغتروا بالفرنسيين الذين يكذبون عليكم كما كذبوا على أهل الجزائر"[3].

وهكذا تمكن محمد بن العامري من إقناع عدة قبائل في الإقليم الغربي بضرورة الوقوف في وجه القوات الفرنسية المسيطرة على مدينة وهران، وكانت حاميتها تتكون من 1200 جندي[4]، بيد أن هذه الحامية قد تميزت بقوة تحصين قلاعها، وتوفرها على أعداد هائلة من المدافع، والاستعداد الجيد بالإضافة إلى التسليح والتنظيم، وانتشار الأسطول البحري على السواحل المحيطة بالمدينة، أما بالنسبة لقوة ابن العامري فكان عدد فرسانها لا يتعدى 150 فارسا مغربيا[5]، بالإضافة إلى قوات شكلتها قبائل الدواير والزمالة ومتطوعة من قبيلة الحشم[6]، بيد أن هذه القوات كانت تفتقر للتنظيم والتسليح، وبخاصة سلاح المدفعية، ورغم ذلك فقد قام محمد بن العامري بضرب حصار على مدينة وهران، وقطع الطرق الرئيسة التي كانت تأتي منها الإمدادات لتغطية حاجيات الفرنسيين الغذائية، كالحبوب، أو الأعلاف، والأخشاب، وقد بادرت القبائل المجاورة بفرض الحصار، لإضعاف القوة

[1] محمد بن العامري إلى أهل مستغانم 3 ربيع الثاني 1247 هـ S.H.A.T.1H9
[2] محمد ولد الطاهر إلى محمد إياخ 16 أكتوبر 1831 S.H.A.T.1H9
[3] محمد بن يدر إلى أهل مستغانم د ت 24 أكتوبر 1831 S.H.A.T.1H9
[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 25 أفريل 1832 S.H.A.T.1H12
[5] الجنرال بوايي إلى الكونت دي مورلي 8 فبراير 1832 S.H.A.T.1H11
[6] حاكم وهران فودواز إلى وزير الحرب 16 سبتمبر 1831 S.H.A.T.1H9

العسكرية الفرنسية، إبتداءا من منتصف شهر سبتمبر 1831[1]، وفي هذه الأثناء كان محمد بن العامري معسكرا قرب وادي سيق، ينتظر دعم قوات أهل مستغانم، مزغران، أرزيو، ومعسكر[2]، حتى يقوم بهجوم كبير ومباغت على الفرنسيين بمدينة وهران، ولتحقيق ذلك بعث برسالة إلى القبائل المجاورة، وخاصة في معسكر، وغريس يحرضهم على الجهاد[3]، وفي نفس الوقت قام المولى عبدالرحمن ببعث رسالة وجهها إلى مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، دعا فيها إلى حشد القوى والقبائل لطرد الكفار وقد جاء في مضمون هذه الرسالة التي ترجمت عن الفرنسية: "لتنهض القبائل كرجل واحد ولتسير كلها إلى قتال العدو الكافر ويجب أن يضيقوا عليه ويهاجموه بدون كلل يشمروا على ساعد القوة، والجد لتحقيق النصر"[4].

وبالفعل فقد بدأت قوات محمد بن العامري في شن هجماتها على مدينة وهران، ابتداءا من يوم 8 أكتوبر 1831، واستمرت إلى غاية اليوم السابع عشر[5]، لتستأنف الضربات في اليوم العشرين من نفس الشهر[6]، وقد أشار الجنرال بوايي قائد وهران في رسالته التي بعثها إلى جنرال بيرتزين يوم 11 أكتوبر 1831، حيث قال: "لقد حدث هذا الصباح مثلما حدث في الأيام الأربعة الأخيرة ... بضع مئات من المشاة، ومثلهم من الفرسان حاولوا الاقتراب، وقد أبعدتهم المدافع ... ومن فوق حصن سانتاكروز santacruz الذي يشرف على السهل على بعد ستة فراسخ رأيت في عدة اتجاهات كتلا من المشاة والفرسان"[7].

وقد تمكن ابن العامري من الحصول على المدافع من معسكر، كما استطاع أن يتفاوض مع أهلها، حتى يقدموا له الدعم العسكري[8]، وبالتالي فقد تواصلت المعارك في الإقليم الغربي، وهذا عكس ما اعتقده دي كوسي وشارل أندري جوليان[9] يوم 22 أكتوبر،

---

[1] حاكم وهران إلى وزير الحرب 16 سبتمبر 1831 S.H.A.T.1H9

[2] DECOSSE BRISSAC. Op.cit. P17

[3] محمد بن يدر إلى أهل مستغانم د ت 24 أكتوبر 1831 S.H.A.T.1H9

[4] P.H. D'ESTAILLEUR. CHANTRAINE. L'emir magnanime. Abdelkader le croyant, Paris, 1959, p 38.

[5] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 1 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10

[6] نفس المصدر.

[7] Cal. BERTHEZENE, relatifs à la colonisation de l'Algérie, Paris, 1917, p 102.

[8] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 1 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10

[9] DECOSSE BRISSAC. Opcit. P18

وقد أكد الجنرال بيرتزين هذا الأمر في رسالة بعث بها في 1 نوفمبر يخبر فيها وزير الحرب بتعرض وهران لهجمات متتالية استمرت حتى 23 أكتوبر[1]، ولقد أدى هذا إلى شعور القوات الفرنسية بالخوف، وعدم القدرة على الخروج لمواجهة المغاربة، وعليه فقد طالب الجنرال بوايي بإرسال تعزيزات عسكرية إلى وهران، ومحاربة ابن العامري الذي كثف هجوماته على وهران، وتمكن من عزلها، بضرب حصار عليها دام ستة أسابيع[2]، ولكن مع حلول شهر ديسمبر تغير الوضع، حيث قام ابن العامري ببعث رسالة مع الحاج مورسلي قائد الزمالة إلى الجنرال بوايي، يخبره فيها بالأمر الذي جاء من أجله حيث قال: "إنني قمت بمكاتبة (كذا) خليفة السلطان في شأن مصالحكم ومصالحنا ومصالح الجميع"[3]، وفي رسالة أخرى ترجمت إلى الفرنسية قال مرسلي: "أعلمكم بأنه جاء مع أشخاص مغاربة من قبل السلطان من أجل تسوية الأمور لكم ولنا وللمدينة" كما طالب في رسالة أخرى بإطلاق سراح بعض الجزائريين المعتقلين بمدينة وهران"[4]، كما أكد مورسلي على الأمر الذي جاء من أجله في رسالة أخرى كتبها إلى زعيم الطائفة اليهودية بوهران آنج عمار، حيث قال: "نريد أن نجتمع معكم من أجل الأمور التي تهمنا وتهم الجنرال، ونطلب منك أن تخبرنا عن اليوم الذي نستطيع أن نجتمع فيه"[5]، وعليه يمكن أن نقول في هذا الصدد أن هذه هذه الرسائل لم تحدد الأهداف التي كانت تسعى إليها السلطة المغربية، كما أنها تؤكد رغبتهم، في تغيير الأوضاع بالإقليم الغربي، على أساس اعتراف كل طرف بسلطة الآخر، وبعد تركيز ابن العامري على وهران، وفرض الحصار عليها، والقيام بعدة هجومات قام بتحويل أنظاره إلى مستغانم، حيث كتب قائدها إبراهيم بن عثمان رسالة إلى الجنرال بوايي يوم 20 نوفمبر 1830، يخبره بأن مدينته تتعرض لهجومات قوات ابن العامري، ومعه القبائل التي ناصرته، وأهل مزغران، الذين قاموا بتخريب بعض المزارع المحيطة بالمدينة، كما أشار هذا القائد التركي إلى عدم قدرته على التصدي لقوات ابن العامري الهائلة، إذ استنجد بالجنرال بوايي حتى يقدم له الدعم العسكري والمالي، ويوفر له الحماية

[1] الجنرال بيرتزين إلى وزير الحرب 1 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10
[2] الجنرال بوايي إلى الكونت دي مورني 8 فبراير 1832
[3] الحاج مورسلي إلى الجنرال بوايي ديسمبر 1831 S.H.A.T.1H10
[4] نفس المصدر.
[5] الحاج مورسلي إلى آنج عمار ديسمبر 1831 S.H.A.T.1H10

وهذا ما يؤكده في قوله: "أرجوا أن تبسط ذراعك علينا ولا تنسانا أبدا"[1]، وقد أشار أ.كور أن ابن العامري كان من أبرز القادة الذين تزعموا الهجومات على مدينة مستغانم[2]، غير أنه في هذه الظروف توجه إلى معسكر، وترك أمر مستغانم بيد أهل مزغران، الذين كانوا يكرهون الأتراك، الذين اعتقلوا رجالاتهم، وهذا ما يتضح في رسالة بعثوا بها إلى الجنرال بوايي يوم 20 نوفمبر 1831، حيث اشتكوا فيها من الأتراك الذين اعتبروهم سببا في بؤسهم وشقائهم طيلة وجودهم، وقد أشارت المصادر بأن مستغانم ظلت تتعرض لهجمات أهل مزغران حتى نهاية شهر نوفمبر 1831[3]، ومهما يكن من أمر، فإن وزير الحرب الفرنسي قد أمر بتخصيص رواتب منتظمة ودائمة للضباط والجنود الأتراك المتبقين في مستغانم ابتداءا من جانفي 1832 ، وقد استفاد أتراك وهران من نفس الإجراء، حيث دلت المصادر بأن عددهم كان يصل إلى سبعين تركيا[4]، وبالتالي فإن الحامية التركية بوهران أصبحت بمقتضى هذا الإجراء تتلقى رواتب دائمة، كما تحرص على تقديم طاعتها وولائها للجنرال بوايي، وعليه يمكن القول بأن السلطة المغربية لم تتمكن من إخضاع المدينتين مستغانم ووهران، وأن نتائج هذا الفشل مكنت فرنسا أن تحوّل مستغانم إلى محمية تابعة بصفة مباشرة إلى حاكم وهران الفرنسي[5].

إن تواجد ابن العامري بمعسكر مع نهاية شهر أكتوبر 1831، كان لرغبته في تحويلها إلى قاعدة له بدلا من تلمسان، التي واجه فيها عدة مشاكل، وبالتالي فإن تحويل معسكر إلى مركز لنشاط المغاربة، يؤكد إصرارهم على التصدي للفرنسيين بوهران، وقطع الطريق البري أمامهم والمؤدي إلى مدينة الجزائر، وفي 30 أكتوبر بعث الجنرال بوايي إلى وزير الحرب برسالة، يخبره فيها بأن ابن العامري قد سيطر على مدينة معسكر، وأصبح يستقبل الوفود التي كانت تأتي من مليانة والمدية، وكانت تأتيه بالهدايا، وأنه فرض الضرائب والأعشار على أهلها، الذين أكدوا على طاعتهم للمولى عبدالرحمن[6]، وقد أشار

[1] إبراهيم بن عثمان إلى الجنرال بوايي 20 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10
[2] سكان مزغران إلى الجنرال بوايي 20 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10
[3] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 1 يناير 1832 S.H.A.T.1H11
[4] نفس المصدر.
[5] ملخص رسائل دورو فيكو وبوايي إلى وزير الحرب S.H.A.T.1H12
[6] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 30 أكتوبر 1831 S.H.A.T.1H11

بوايي في رسالته أن ابن العامري قد أضر كثيرا بمصالح فرنسا في الإقليم الغربي، ودعا إلى ضرورة وضع حد لنشاط المغاربة، وطردهم بالقوة من المدن التي سيطروا عليها[1].

وحتى يوطد المغاربة أقدامهم سعوا إلى حث القبائل المجاورة لمعسكر للدخول في طاعة السلطان، وهذا ما قامت به قبيلتي الدواير والزمالة، بواسطة مصطفى بن إسماعيل والمورسلي، اللذان قاما ببعث الرسائل إلى قبائل الإقليم الغربي، وقد تأكد الجنرال بوايي أن ابن العامري كان يحاول السيطرة على معسكر، والقبائل المحيطة بها، بواسطة نشاط زعيمي الدواير والزمالة، كما أن اهتمام المغاربة بالمدينة كان لأهميتها، ولدورها الذي لعبته خلال الاحتلال الاسباني لمدينة وهران، حيث حولها الأتراك إلى عاصمة لبايلك الغرب، كما أن جزءا هاما من الدواير والزمالة كانوا يسكنون بالمدينة، وعليه فقد دعم مصطفى بن إسماعيل والمورسلي ابن العامري، حيث أمدوه بألف ومائتي فارس للسيطرة على معسكر، وكان ابن الحضري والمازاري من بين الذين صاحبوا القوات المغربية المتوجهة نحو المدينة، وقد لقي ابن العامري ترحيبا كبيرا وتأييدا من المرابطين الذين كان لهم نفوذا قويا في الإقليم الغربي، وإقليم التيطري، وكان على رأسهم محي الدين شيخ القادرية بالجزائر، والذي كان له نفوذ كبير في معسكر، والقبائل المجاورة لها بالإضافة إلى مرابطي مدينة المدية، الأخوان قويدر بن عيسى ومحمد بن عيسى، ومرابطي مليانة أولاد سيدي أحمد بن يوسف، كما ساندته الطائفة التيجانية التي كانت تنشط بعين ماضي بالجنوب الجزائري[2]، وفي رسالة بعث بها الجنرال بوايي إلى وزير الحرب في 4 نوفمبر 1831، ذكر بأن المرابطين وعلى رأسهم محي الدين يقومون بتحريض القبائل ويدعوهم للخروج لنصرة السلطان ومحاربة المسيحيين بالسلاح[3]، بيد أن هذا الجنرال قد أشار إلى وجود خلاف بين ابن العامري وقبيلة الحشم المجاورة لمعسكر، وذكر في تقاريره بأن هذا الخلاف قد تجدر وأدى إلى التصادم بين الطرفين[4]، وقد فسر بوايي بتخوف القبائل بمعسكر من ابن العامري بخشيتهم من تجدد أعمال السلب والنهب التي تعرضوا لها أثناء يذكر أن ابن

[1] نفس المصدر

[2] BERTHEZENE. Opcit. P 103

[3] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 4 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10

[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 22 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10

العامري عند دخوله معسكر قام بذبح مائتي من جنود الحامية التركية[1]، بيد أن الجنرال بوايي أشار إلى العكس، حيث ذكر بأن أهل معسكر العرب هم الذين قاموا بقتل الأتراك البالغ عددهم 150 جنديا، وكان هذا قبل مجيء ابن العامري إلى معسكر[2] .

ولقد أشار هذا الجنرال كذلك إلى الحصار الذي عان منه أتراك معسكر بعد خروج المولى علي منها، وتعرض الحامية التركية إلى الإبادة فيما بعد، وهذا كان من بين الأسباب التي حالت دون عقد الصلح بين أهل مزغران وأتراك مستغانم، وأن هذه العوامل أدت إلى رفض الحشم الخضوع لابن العامري، الذي حالفه الزمالة والدواير، ألد خصامهم[3]، كما أن الجنرال بوايي كان يأمل في فشل ابن العامري في توحيد قبائل الإقليم الغربي لطرد الفرنسيين، وعليه فقد كثف من اتصالاته بشيوخ القبائل، حيث بعث برسالة إلى مصطفى بن إسماعيل والمازاري والحاج المورسلي زعيم الزمالة[4]، وبالفعل فقد أكد مورسلي في رسالة بعث بها إلى هذا الجنرال على نيته في مد يد المساعدة للفرنسيين، وحينما أدرك المغاربة ومعهم ابن العامري أن وجودهم بالجزائر باتت نهايته وشيكة، ابتداءا من شهر مارس 1832[5]، بعث بوايي برسالة إلى ابن الحضري بن إسماعيل، يطلب منه إقناع أخيه مصطفى بن إسماعيل بعدم التعامل مع المغاربة، ومحالفة ابن العامري[6]، وقد اضطر ابن العامري إلى مغادرة معسكر، حيث بعث مصطفى بن إسماعيل برسالة يخبره فيها بشروع المغاربة في الرحيل عن الأرض الجزائرية، وأنه سيتكفل بإيصالهم إلى بلادهم[7]، وبعد هذا الفشل الذي تلقاه ابن العامري بمعسكر، بادرت بعض القبائل كالغرابة وشيخها الحبيب بن عالم، بإعلان قبولها لسلطة الفرنسيين، واستعدادها لتلقي الدعم والحماية والتزامها بتموين مدينة وهران بالمؤن[8]، غير أن هذا الإجراء الذي قامت به الغرابة أدى إلى ظهور انقسامات داخلها، حيث رفض خليفة هذا السلطان التحالف الذي كان مع الفرنسيين، وناقض سياسة الحبيب بن عالم، ولكن هذا الأخير لم يستطع منافسته فبادر بمصالحته، وكان الشيخ محي

[1] DECOSSE BRISSAC. Opcit. P18

[2] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 21 سبتمبر 1831 S.H.A.T.1H9

[3] الناضر العسكري إلى وزير الحرب 10 جويلية 1831 S.H.A.T.1H9

[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 30 أكتوبر 1832 S.H.A.T.1H9

[5] الحاج مرسلي إلى الجنرال بوايي د ت ديسمبر 1831 S.H.A.T.1H10

[6] الجنرال بوايي إلى ابن الحضري بن إسماعيل 7 مارس 1832 S.H.A.T.1H12

[7] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 1 أبريل 1832 S.H.A.T.1H12

[8] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 10 مارس 1832 S.H.A.T.1H12

الدين هو الذي صالح بينهما[1]، وبالتالي فالسياسة التي انتهجها بوايي تجاه القبائل، والمتمثلة في زرع الأحقاد والتفريق قد فشلت، ولم تتحقق الأهداف التي كان يطمح إليها، حيث ذكر في تقرير بعث به إلى وزير الحرب قال فيه: "إن السلام في أفواه الجميع، لكن قلوبهم بعيدة عنه، وأن العلم الفرنسي هو ما يريدون" ولقد جاء التعليق على سياسة بوايي تجاه قبائل الإقليم الغربي، من طرف الكاتب غاليبير GALIBERT، حيث أكد على فشل هذا الجنرال في سياسته، وكانت من نتائج هذا الفشل ثورة القبائل على الفرنسيين[2].

لقد ذكرنا سابقا أن عامل السلطان ابن العامري عندما حل بمعسكر، بادرت وفود إقليم التيطري بزيارته وتقديم الهدايا له، وبخاصة مدينة المدية ومليانة، التي فشل الفرنسيون في إخضاعها في صيف 1831[3]، كما ذكرت المصادر بأن سكان مدينة البليدة قد عرضوا على محمد بن العامري استعدادهم لطاعة المولى عبدالرحمن، وقد أبدت الطريقة التيجانية نيتها قي قبول الخضوع للسلطة المغربية، هذه الطريقة التي كان يترأسها محمد بن أحمد الصغير التيجاني، وكان مركزها بعين ماضي، وقد سارع سكان الإقليم إلى بعث الرسائل إلى فاس[4]، كما أشارت الكتابات بأنهم شكلوا وفدا ورحل إلى المغرب لتقديم الهدايا إلى المولى عبدالرحمن، وتهنئته بعيد الفطر[5]، ورغم فشل ابن العامري في إخضاع الأتراك في معسكر ومستغانم، فإنه نجح في التقرب منهم في البليدة ومليانة، والدليل أنهم بعثوا بممثليهم إلى ممثل السلطان، عندما كان مستقرا بمعسكر، وبالتالي يمكن تحليل قبول أتراك التيطري الخضوع لسلطة السلطان المغربي، لشدة خشيتم من القوات الفرنسية التي فشلت في احتلال مدينتي المدية، وعنابة في نوفمبر 1831، وبالتالي كانوا يأملون في الحصول على الحماية المغربية[6].

وبالفعل فقد شكل سكان البليدة ومليانة والمدية وفدا سافر إلى مكناس لتهنئة السلطان بعيد الفطر، لعام 1247 هـ الموافق لـ 04 مارس 1832م، وقد بدأت رحلة هذا الوفد في 30

---

[1] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 1 أبريل 1832 S.H.A.T.1H12
[2] GALIBERT. L'ALGERIE ancienne et moderne depuis les première établissement, Paris 1854, p 413.
[3] Ch. A. JULIEN. Opcit. P82..
[4] دي لابورط إلى الجنرال بوايي 28 ديسمبر 1831 S.H.A.T.1H11
[5] ملخص رسائل الجنرال دورو فيكو DUROVIGOإلى وزير الحرب S.H.A.T.1H11
[6] سكان المدية إلىابراهيم باي قائد عنابة 13 يناير 1832 S.H.A.T.1H12

يناير 1832، وقد أشارت الرسالة التي تلقاها الجنرال دوروفيكو DUROVIGO، بأن سلطان المغرب قام بتعيين ابن دحون حاكما على مدينة المدية، وجعل بوعنان قاضيا عليها[1]، كما أشار الجنرال بوايي في رسالة بعث بها إلى وزير الحرب في 28 فبراير 1832، بأن السلطان المغربي قد بعث مائة فارسا مغربيا إلى معسكر في اليوم الرابع والعشرون من نفس الشهر، وكانت مهمتها حراسة مرابطي المدية الأخوان سيدي قويدر بن عيسى وسيدي محمد بن عيسى، وهما في طريق العودة إلى مدينتهم، كما أشارت الرسالة إلى تكليف السلطان أربعمائة فارسا بحماية مرابطي مليانة أولاد سيدي أحمد بن يوسف[2]، وفي ظل هذه الظروف كان ممثل السلطان محمد بن العامري يواجه عدة مشاكل في معسكر، بالإضافة إلى تعاظم ضغط القوات الفرنسية للقضاء على النفوذ المغربي بالجزائر، وقد دلت المصادر بأن الوفود التي سافرت إلى المغرب كانت تأمل في الحصول على الدعم والحماية المغربية، غير أن السلطان خيب آمالهم[3]، حيث ذكر الجنرال بوايي والسفير دي مورني، بأن الوفود الجزائرية لم تتلق من السلطان أي شيء، وأن آمالهم في وعوده قد تلاشت، وأن قضيتهم قد ضاعت[4].

ورغم ذلك فإن المولى عبدالرحمن قد كلف مائة فارس مغربي بحراسة وفدي المدية ومليانة، حيث رحل الجزائريون من المغرب ابتداءا من 1 أفريل 1832، وفي الطريق فإنهم واجهوا عدة مشاكل، كانت أهمها تحرشات ابن الغماري شيخ قبيلة أنكاد، الذي أراد الانتقام منهم بسبب تأييدهم للسلطة المغربية[5]، ولقد تشجع الجنرال بوايي وبدأ يضغط على المغاربة وعلى الأتراك، الذين كانوا يملكون أراضي ومزارع بنواحي وهران، وقد ساعده في ذلك بورسالي بن عودة الذي أبدى استعداده المطلق لدعم القوات الفرنسية ونقل أخبار المغاربة، وتزويد الفرنسيين بها، وفي نفس الوقت تشير المصادر بأن بورسلي بن عودة عندما لجأ إلى فاس قبض عليه وأودع السجن مدة خمسة عشر شهرا، إلى أن عفا عنه المولى علي، كما ذكرت بأن بورسالى عندما أطلق سراحه عاد إلى تلمسان وعينه السلطان

---

[1] الكونت دي موري إلى الجنرال دوروفيكو 28 فبراير 1832 S.H.A.T.1H12
[2] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 28 فبراير 1832 S.H.A.T.1H11
[3] DECOSSE. BRISSAC. Opcit. P27 – CH. A. JULIEN. OPCIT. P96.
[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 5 أفريل 1832 S.H.A.T.1H12
[5] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 15 أفريل 1832 S.H.A.T.1H12

قائدا على أتراك المشور، وعلى مدينة تلمسان كلها، كما كلفه بإقناع الدواير والزمالة بضرورة تأييد المغرب، ومواجهة الخطر الفرنسي، والانتقام من اليهود الذين وضعتهم القوات الفرنسية كجواسيس في وهران، وقد أبدى بورسالي استعداده لمحاربة النصارى واليهود وتخليص وهران منهم[1]، غير أن الجنرال بوايي لم يتخوف منه، لأنه كان مدركا بأنه ينتظر انسحاب ابن العامري من تلمسان، وبعدها سيكون من أكبر حلفاء فرنسا.

وفي رسالة بعث بها بورسالي بن عودة إلى الجنرال بوايي، ذكر فيها بأن السلطان المولى عبدالرحمن قد كلفه بحماية أتراك مشور تلمسان، حتى يتمكنوا من العيش بالمدينة آمنين، شأنهم في ذلك شأن الحضر والقبائل الأخرى[2]، ومن خلال الرسالة يمكن أن نستنتج استنتاجين، أو احتمالين، فإما أن بورسالي قد خدع المولى عبدالرحمن، حتى يطلق سراحه ويغادر فاس، أو إما أنه كان يهادن الجنرال بوايي خوفا منه وعلى مستقبل الأتراك بتلمسان، وقد أشار الجنرال إلى موقف بورسالي تجاه القوات الفرنسية، عندما ذكر أن هذا القائد أكد على دعم الفرنسيين، وتزويدهم بالمعلومات الخاصة بمدينة تلمسان وما جاورها[3]، ورغم ذلك فقد استمرت الأوضاع على حالها بين الأتراك والحضر، وكانت القوات الفرنسية تدعم الأتراك ماديا ومعنويا بمدهم بالذخائر الحربية، وفي الوقت الذي رأينا فيه توجه وفود التيطري إلى المغرب لتهنئة السلطان المغربي بعيد الفطر، غادر وفد من تلمسان يمثل الحضر برئاسة بومدين بن نونة، الذي حمل معه الهدايا الفاخرة، وحسب التقارير التي كانت تصل إلى الجنرال بوايي، فإن سفرة بن نونة إلى المغرب لم تكن من أجل التأييد والتهنئة، إنما كانت لبحث مسألة الضغوط الفرنسية على إقليم وهران، وضرورة وضع حد لها، وذلك بهبة من السلطان لنجدة المسلمين وتخليصهم من المسيحيين[4].

[1] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 13 مارس1832 S.H.A.T.1H13
[2] بورسالي بن عودة إلى الجنرال بوايي 1 مارس 1832 S.H.A.T.1H12
[3] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 6 مارس1832 S.H.A.T.1H12
[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 20 مارس1832 S.H.A.T.1H12

المراسلات المغربية الفرنسية بخصوص الجزائر:

لقد كانت فرنسا على دراية تامة بكل ما يجري في فاس، وما يحضره سلطان المغرب من قوة استعدادا لتجهيز حملة على الجزائر، حيث تأكد من ذلك في 14 أوت 1831، عندما توجه محمد بن العامري إلى الإقليم الغربي من الجزائر[1]، وقد حاول نائب قنصل فرنسا بمدينة طنجة دي لابورط أن يحذر المغاربة من هذا الغزو، في رسالة كتبها إلى المختار الجامعي، وقد حملت في مضمونها معاني التحذير، والتخويف من مغبة غضب فرنسا، ومن تداعياته وانعكاساته الخطيرة على مستقبل العلاقات بين المغرب والفرنسيين، وعليه فقد تخوف نائب القنصل من نشاط السلطة المغربية في إقليم وهران، وخطورته على المدينة نفسها[2]، بيد أن المختار الجامعي تأخر في الرد عن رسالة دي لابورط واكتفى بإعلامه بأن رسالته قد وصلت، وأنه سيسعى بإيفاده بكل المعلومات الخاصة بالحملة المغربية على الجزائر[3]، وقبل أن يصل هذا الجواب إلى نائب القنصل الفرنسي، قام وزير الخارجية سيباسياني بتوجيه تعليمات صارمة له يطلب فيها من المغرب توضيحات دقيقة عن التطورات التي شهدها الإقليم الغربي من الجزائر، وتحديد الأهداف التي يطمح إليها السلطان المولى عبدالرحمن، من نشاط قواته بهذا الإقليم، كما أكد في رسالته على ضرورة الانسحاب الكلي والعاجل من مدينة تلمسان، والالتزام بعدم الرجوع إليها في المستقبل، واعتبر هذا الإجراء العامل الوحيد لإبقاء العلاقات الحسنة بين فرنسا والمغرب، كما أكد من أن الأراضي الجزائرية هي من حق الدولة الفرنسية التي أخذتها بقوة السلاح[4]، وبالرغم من حرص فرنسا سياسيا على هذه المسألة، فإن دي لابورط لم يقدم على بعث الرسالة إلى المولى عبدالرحمن إلا في يوم 19 نوفمبر 1831، ويمكن أن نفسر هذا التردد في أن نائب القنصل كان بحاجة إلى دعم معنوي يعطي لرسالته وزنا، وبالتالي انتظر حتى وصلت ثلاث سفن حربية فرنسية إلى سواحل مدينة طنجة، وأعلمت المغاربة بتحركات وتحرشات محمد بن العامري بإقليم وهران، وقد جاء في مضمون الرسالة التي بعث بها دي لابورط إلى

---

[1] دي لابورط إلى المختار الجامعي، 3 سبتمبر 1831 A.M.A.E.C.P.M.V , 3F. 165

[2] دي لابورط إلى المختار الجامعي، نفس المصدر.

[3] المختار الجامعي إلى داي لابورط 26 أكتوبر 1831 A.M.A.E.C.P.M.V.3F.166

[4] وزير الخارجية إلى دي لابورط 19 أكتوبر 1831 S.H.A.T.1H9

المولى عبدالرحمن: "إن حكومتي تطلب من جلالتكم سحب ابن العامري من تلمسان التابعة لإقليم وهران، لكي يسود التفاهم الكامل بين البلدين، وإن السفن الحربية هنا تنتظر جواب جلالتكم حول موضوع تلمسان"[1]، وقد أجاب السلطان على رسالة نائب القنصل بتاريخ 29 نوفمبر 1831، وحملت رسالته توضيحات دقيقة عن نشاط المغاربة بالأراضي الجزائرية، ودور ابن العامري في إقليم وهران، وتعتبر هذه الرسالة من أخطر الرسائل، التي كتبها المولى عبدالرحمن إلى فرنسا، حيث ذكر فيها، بأن عرب الجزائر لهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم، وهم ليسوا بحاجة إلى القوات المغربية لمساعدتهم، وعن وجود محمد بن العامري، ذكر السلطان بأن وجوده كان بمقتضى مبايعة الجزائريين من قسنطينة إلى تلمسان، وأن هذه البيعة شرعية، ولم تكن بيعة المكره، وبالتالي فمن واجب السلطة المغربية أن تعترف بحقها وتقبلها، لأن الجزائريين مسلمين[2].

إن هذه الوثيقة تعتبر من أوضح وأهم الوثائق المغربية التي أبرز فيها المولى عبدالرحمن مواقفه تجاه قضية الجزائر والجزائريين أمام فرنسا، فقد أكد أن هذه البلاد من شرقها إلى غربها تابعة له، بحكم البيعة الشرعية التي قدمها له أهلها، وكان في رسائله التي سبقت لا يذكر إلا مدينة تلمسان وأهلها، وبعض القبائل المجاورة لها، ورغم فشل محمد بن العامري في عملياته العسكرية التي شنها على مدينة وهران، إلا أن سلطان المغرب بقي متمسكا بمبادئه، وثابتا على موقفه، وحقه على الأراضي الجزائرية، ولتأكيد الفرنسيين على عزمهم في البقاء بالجزائر، شرعت حكومتهم في اتخاذ عدة إجراءات وتدابير منذ بداية شهر ديسمبر، ومن بين هذه الإجراءات أنها قررت تقسيم المناطق التي احتلت إلى مناطق مدنية، ومناطق عسكرية، وكان هذا الإجراء كمرحلة أولى لبداية استغلالها، وقررت فرنسا إطلاق اسم ألجيري « ALGERIE » كاسم رسمي للجزائر[3]، كما تلقى الجنرال بوابي دعما عسكريا لمساعدة قواته، والتصدي لأي هجوم محتمل من المغاربة[4]، أما الخطوة الثانية التي خطتها فرنسا فكانت أكثر فاعلية وخطورة، حيث قامت في بداية شهر جانفي 1831 بتشكيل

---

[1] دي لابورط إلى المولى عبدالرحمان 19 نوفمبر 1831 S.H.A.T.1H10

[2] المولى عبدالرحمان إلى دي لابورط 22 جمادى الثانية 29/1247 نوفمبر 1831 A.M.A.E.C.P.M.V.3.F179

[3] DESTAILLEUR. CHANTRAINE. PH. L'Afrique à la croisée des chemins Maroc-Algérie-Tunis, Paris 1955, p 37.

[4] دي لابورط إلى الجنرال بوايي 26 ديسمبر 1831 S.H.A.T.1H 11

وفد ترأسه الكونت شارل دي مورني conte Charles de Morne، الذي رحل إلى مدينة طنجة، وكانت المهمة التي كلف بها، أن يرغم المغرب على عدم التدخل في إقليم وهران، بالإضافة إلى مطالبته بالانسحاب الفوري من مدينة تلمسان، وعدم التدخل في الجزائريين وبخاصة الأتراك، والحرص على إبقاء العلاقات الحسنة، ودعمها بالتبادل التجاري مع القوات العسكرية المتمركزة بالإقليم[1].

وقد وصل الكونت دي مورني إلى طنجة في 25 جانفي 1832، وتحدث عن حفاوة الاستقبال، الذي حظي به من طرف قوات المخزن بالمدينة، كما ذكر في رسالة بعث بها إلى دي لابورط بوهران، بأن قادة المخزن طالبوا المختار الجامعي، بإقناع المولى عبدالرحمن على ضرورة الخضوع لسياسة فرنسا والموافقة على مطالبها، خاصة فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضي الجزائرية[2]، وقد كتب شارل أندري جوليان، ودي كوسي ومارسيل إيمري عن هذه المهمة، التي بعث بها الكونت دي مورني، حيث ذكر مارسيل بأن هذا الكونت لم يأت وحده، بل جاءت معه قوات مدعمة بأسطول حربي[3]، وهذا ما نفسر به مخاوف رجال المخزن بمدينة طنجة، وضغطها على السلطان، وبعد حوالي شهر قضاه هذا الكونت بمدينة طنجة، سمحت له السلطات المغربية بالسفر إلى مدينة مكناس، التي وصل إليها في 15 مارس 1832، أي بعد عيد الفطر بعشرة أيام[4]، وبالتالي فالمولى عبدالرحمن سمح له بالمجيء بعدما استقبل الوفود التي كانت تأتي من الجزائر لتهنئته بعيد الفطر، وإخباره بالأوضاع والظروف التي تعيشها الجزائر.

وفي يوم 22 مارس 1832 سمح المولى عبدالرحمان للسفير الفرنسي الكونت دي مورني بالدخول عليه في قصره بمكناس[5] ، حيث خلد هذا الاستقبال الرسام الفرنسي دولاكروا « DELACROIX » في لوحته الشهيرة الموجودة والمحفوظة في قصر فرساي بباريس، وقد كان هذا الرسام من الشخصيات التي رافقت السفير خلال رحلته لمقابلة

---

[1] دي لابورط إلى الجنرال بوايي 4 جانفي 1832 S.H.A.T. 1H11

[2] دي لابورط إلى الجنرال بوايي 12 فيفري 1832 S.H.A.T. 1H1

[3] M. EMREIT. L'ALGERIE à l'époque d'Abdelkader. L'histoire de l'Algérie avant 1830, Paris 1951, P 16

[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 29 مارس 1832 .S.H.A.T. 1H12

[5] DECOSSEBRISSAC. Les rapportes de la France et du Maroc pendant la conquête d'Algérie 1830-1847, Paris 1931, p 24.

سلطان المغرب، وبعد مراسيم الاستقبال وتبادل المجاملات بين السلطان والسفير الفرنسي، تخلف الطيب البياز الذي كان أمينا لميناء طنجة، والتاجر الفاسي الطالب بن حبون، والوزير المختار الجامعي بالتفاوض مع الكونت دي موروني، وقد تلخصت مطالب الفرنسيين في ستة محاور قدمت للمفاوضين المغاربة، وهي: مغادرة الأراضي الجزائرية، والرحيل من تلمسان، واستدعاء محمد بن العامري، عدم التدخل في الشؤون الداخلية الخاصة بالقبائل الجزائرية، السماح للوفود الممثلة لقبائل في الإقليم الغربي بالرحيل من مدينة مكناس، والعودة إلى بلادها، وعدم تعيين وكلاء أجانب لتمثيل السلطان في مدينة الجزائر، بالإضافة إلى التزام السلطات المغربية بإرجاع المراكب الثلاثة، التي كان البحارة الجزائريون قد غنموها من فرنسا خلال حصارها للسواحل الجزائرية[1].

وقد أبدى المغاربة استجابتهم لمطالب فرنسا بعد عدة مشاورات، وتم الاتفاق نظريا على عدة مسائل تخص تلمسان، والمناطق المجاورة لها، وفي رسالة بعث بها دي موروني يوم 4 أفريل إلى الجنرال بوابي، أكد فيها بأن السلطة المغربية قد تراجعت عن فكرة أحقيتها بتلمسان، والأراضي المحيطة بها، وأن المولى عبدالرحمن قد تعهد بعدم التدخل في المشاكل التي قد تقع بين الجزائريين وفرنسا، كما ذكر بأن السلطان قد أكد بأن الجزائر تعود الآن إلى فرنسا، وأن ما قام به ابن العامري سوف يعاقب عليه وبشدة[2].

بالفعل فقد بعث المولى عبدالرحمن برسالة إلى ملك فرنسا، يخبره فيها بتعهد مملكته بعدم التدخل في شؤون الجزائريين، وبسحب قواته من تلمسان نهائيا[3].

ولقد أشار شارل أندري جوليان، بأن سفارة الكونت دي موروني هي التي أقنعت السلطات بالإقلاع عن فكرة البقاء بتلمسان، وضرورة سحب قواته منها، بالإضافة إلى ممثليه في المدن الجزائرية كالمدية ومليانة[4]، وبالنسبة لدي كوسي بريساك فإنه حلل نجاح دي موروني في مهمته، يعود إلى ضغطه على تجار فاس وطنجة والقناصل الأجانب الذين

---

[1]DECOSSEBRISSAC. Opcit. P25

[2] الكونت دي موروني إلى الجنرال بوابي 4 أفريل 1832 SH.AT. 1H12

[3] DECOSSE BRISSAC. Opcit. P26

[4]CH. A. JULIEN. Opcit. P 96

حذروا المولى عبدالرحمن من تداعيات اضطراب العلاقات مع فرنسا على التجارة المغربية[1].

ولكن تجدر الإشارة بأن قرار السلطان في الحقيقة، لم يأت بعد سفارة دي مورني، بل اتخذه قبل ذلك، وقد وصل الخبر إلى الكونت دي مورني، عندما كان في مدينة طنجة من قبل عاملها، وعليه فإن المولى عبدالرحمان قرر سحب قواته من الأراضي الجزائرية، نتيجة عدم قدرة ابن العامري على إخضاع الإقليم والمشاكل التي واجهها في إقليم وهران خاصة، كما أن استدعاء ممثلي المغرب من مدينتي مليانة والمدية، لم يقع إلا بعد عام 1834.

وبالنسبة للتعهدات التي قدمها السلطان حول الحياد، وعدم تدخله في شؤون الجزائريين، فإن هذه المسألة ظلت وعودا ولم تكن حولها أي ضمانات للتقيد بها، وبالتالي فيمكن القول بأن سفارة الكونت دي مورني إلى مكناس، كان هدفها حمل السلطان المولى عبدالرحمن على الاعتراف بالاحتلال الفرنسي للجزائر، وبأحقية فرنسا في امتلاك كل الأراضي الجزائرية، هذه الفكرة التي كان يرفضها ويعارضها منذ احتلال مدينة الجزائر.

ولقد ظل قرار سحب محمد بن العامري من الأراضي الجزائرية يتداول في عدة تقارير لدي لابورط، والجنرال بوايي، والسفير دي مورني مدة خمسة أشهر، قبل أن تتجسد هذه الفكرة على أرضية الواقع[2]، وابتداءا من شهر فبراير 1832، أصبحت هذه التقارير تؤكد بقاء محمد بن العامري في مدينة معسكر، وبأن بقاءه يمكن تفسيره برفضه الرضوخ لأوامر السلطان، وخوفه من بطشه وعقابه عند العودة[3].

وفي 12 فبراير وصل تقرير إلى الجنرال بوايي، يوضح بأن سبب بقاء محمد بن العامري بمعسكر، أن قبائل الحشم منعته من مغادرة المدينة، حتى تضمن عودة وفود قبائل

[1] DECOSSE BRISSAC. Opcit. P 26.

[2] دي لابورط إلى وزير الخارجية. 9 نوفمبر 1831. S.H.A.T. 1H10

[3] دي لابورط إلى الجنرال بيرتزين. 22 جانفي 1832 S.H.A.T. 1H11

وهران، التي كانت قد توجهت إلى مدينة مكناس لحضور احتفالات عيد الفطر، وتجديد البيعة للمولى عبدالرحمن، هذه الوفود التي كان من ضمنها وفد قبائل الحشم[1].

وفي تقرير آخر، وصلت إلى السلطات الفرنسية أخبار دخول قوات مغربي،ة مكونة من مائة فارس إلى معسكر ،وأربعمائة آخرون إلى مدينة تلمسان، بيد أن الفرنسيين لم يعرفو الهدف من بعث هذه القوة، حيث أشارت التقارير بأن هذه القوة جاءت لدعم محمد بن العامري ضد القوات الفرنسية، وبعض الخصوم من القبائل الجزائرية، وبعض التقارير ذكرت بأن السلطان بعث بهذه القوة حتى ترغم محمد بن العامري للعودة إلى المغرب، بيد أن المصادر ذكرت بأن هذه التقارير لم تكن دقيقة في رصد الأخبار، ذلك أن مدينة معسكر لم يكن بها سوى سبعون فارسا، لأن البقية كانوا في المدية ومليانة[2].

وعليه يمكن القول بأن قرار الانسحاب المغربي من الأراضي الجزائرية كان مجرد تعهد ألقى به عامل مدينة طنجة العربي السعيدي إلى السفير دي مورني، هذا الأخير الذي أبلغها إلى الجنرال بوايي، وإلى وزير الحرب، والي باريس، وكان غرض العامل منه طمأنة الجانب الفرنسي، وربح الوقت، بحيث لا يمكن أن يرفض محمد بن العامري الامتثال لأوامر المولى عبدالرحمن الذي طالبه بالانسحاب من مدينة معسكر، وبالتالي فإن قرار سحب قوات ابن العامري من الأراضي الجزائرية، أصبح ينظر إليه بجدية ابتداءا من أواخر شهر جانفي 1832، وبعدها امتثل وانصاع لأوامر سلطانه.

وبالفعل مع نهاية شهر جانفي 1832، أصبح أمر انسحاب محمد بن العامري أمرا حتميا، نظرا للتطورات التي شهدتها هذه الفترة، والتي أكدت فشله في إخضاع الإقليم الغربي من الجزائر تحت سلطة المغرب، حيث لم يستطع إزاحة الوجود الفرنسي من مدينتي مستغانم ووهران، كما لم يتمكن من استمالة أنصار فرنسا إلى صفه، خاصة بعدما قامت بتقوية مواقعها الدفاعية بالمنطقة، كما توترت العلاقة بينه وبين قبيلة الحشم، بالإضافة إلى عودة التوتر، وأعمال العنف إلى مدينة تلمسان، بين أتراك المشور والحضر، وفي الفترة التي وصل فيها السفير الفرنسي إلى مدينة طنجة، كان بقاء محمد بن العامري في

[1] دي لابورط إلى الجنرال بوايي 12 فبراير 1832 S.H.A.T. 1H12

[2] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 10 مارس 1832 S.H.A.T. 1H12

إقليم وهران أمرا مستحيلا، ودربا من الخيال، وعليه فإن السلطة المغربية التي قامت ببعث عمالها بهذا الإقليم قد فشلت في توحيد قبائله، وضم مدنه للوقوف في وجه فرنسا، التي سعت بكل ما تملك من قوة لإحباط المحاولات المغربية بالجزائر.

وفي 22 مارس 1832، وهو اليوم الذي التقى فيه السفير دي مورني مع السلطان المولى عبدالرحمن بمدينة مكناس، قام محمد بن العامري بالرحيل من مدينة معسكر، وقد تكفل بحراسته مصطفى بن إسماعيل وفرسانه في طريقه إلى المغرب، ونظرا لوجود قبائل الحشم وبني عامر في هذا الطريق، فقد اضطر ابن العامري إلى تغيير اتجاهه شمالا، حتى يصل إلى مدينة تلمسان، وبعد يومين كان قد وصل إلى غرب وهران أين كانت تتواجد بعض بيوت قبيلة الدواير[1]، ورغم المشاكل التي اعترضته أثناء رحيله، خاصة ملاحقات بني عامر له، فقد تمكن من الوصول إلى مدينة تلمسان يوم 05 أفريل 1832 وكان معه الحاج بن الحضري بن إسماعيل، وقد استضافهما الأخوين بنونة[2].

ولقد ذكر دي كوسي بريساك أن بن العامري عندما رحل من معسكر، بقي بتلمسان حوالي شهر، وهذه الحقائق التاريخية هي نفسها التي جاء بها الجنرال بوايي في تقاريره[3]، بيد أنهما لم يفسرا الأسباب الجوهرية لبقائه في تلمسان، وعدم مغادرتها إلا في شهر ماي، وقد حاول أ.كور A.COUR تحليل الأسباب، حيث ذكر بأن ابن العامري بقي في تلمسان حوالي شهرا، لأنه كان ينوي البقاء بها والاستقرار، بيد أنه لم ينجح، بل زاد في إشعال نار الفتنة بين الأتراك والحضر، خاصة وأن الأتراك صمدوا ولم يسلموه مشورهم، وتلقوا الدعم من حلفائهم أنجاد الذين كان يتزعمهم محمد بن الغماري♦.

وفي تقرير الجنرال بوايي ذكر بأن انسحاب محمد بن العامري من الإقليم الغربي، قد ترك تأثيرا سيئا في نفسية سكانه، الذين تذمروا نتيجة رؤية المغاربة يغادرون أرضهم، بعدما علقوا عليهم كل الآمال في تخليصهم من الغزاة المسيحيين، كما أشار هذا الجنرال، بأن

[1] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 26 مارس 1832 S.H.A.T. 1H12

[2] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 05 أفريل 1832 S.H.A.T. 1H12

[3] DECOSSEBRISSAC. Opcit. p. p 29.30

♦ محمد بن الغماري: هو شيخ قبيلة أنجاد، كون حلفا مع مصطفى بن إسماعيل لمحاربة الأمير عبدالقادر، والقبيلة هي مجموعة من الرحل منتشرين بجبال التل وبلاد حميان، وهم قسمين أنجاد شراقة والغرابة، الرجوع إلى مذكرات الأمير عبدالقادر، المصدر السابق، ص 121.

محمد بن العامري كان بإمكانه أن يستميل سكان الإقليم إلى صفه، ويجعل منهم القوة الضاربة للوقوف في وجه الجند الفرنسيين، خاصة وأنه كان يمثل سلطان المغرب الذي كان يعتبر أصله يرجع إلى الشجرة النبوية الزكية[1].

وبالفعل فقد غادر محمد بن العامري مدينة تلمسان في بداية شهر ماي 1832، متوجها نحو مدينة فاس، ثم التقى بالسلطان في شهر جوان بالرباط[2]، وبالتالي يمكن القول بأن مغادرة محمد بن العامري لإقليم وهران، لم يكن سببها تلك السفارة التي ترأسها دي موريني، وإنما لخشية المولى عبدالرحمن من فرنسا، التي شك بأنها ستطالبه بتقديم تنازلات خطيرة، ولم يخطئ دي كوسي بريساك عندما ذكر بأن قرار المولى عبدالرحمن سحب ممثليه من إقليم وهران، كان سببه فشل هؤلاء وعدم قدرتهم على إخضاع سكانه، بالإضافة إلى نشاط الجنرال بوايي في المنطقة[3].

[1] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 05 أفريل 1832 S.H.A.T. 1H12
[2] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 17 ماي 1832 S.H.A.T. 1H13
[3] DECOSSE. BRISSAC. Op.ct. p28.

الفصل الثاني
ظهور الأمير عبدالقادر بن محي الدين، وتسارع الأحداث بالأراضي الجزائرية (1832-1834)

- المبحث الأول: مبايعة عبدالقادر بن محي الدين بالإمارة
- المبحث الثاني: معاهدة ديميشال وموقف المخزن المغربي منها
- المبحث الثالث: سياسة الاحتلال الواسع ومواجهة الأمير عبدالقادر لها

مبايعة عبدالقادر بن محي الدين بالإمارة وموقف سلطان المغرب منها:

لقد تناولت فلسفة الإسلام مسألة الحكم، اعتمادا على الأحكام الشرعية المنظمة لتولية الحكام، حيث ترك الإسلام المسألة للأمة في اختيار من يحكمها. من خلال تقديم البيعة، وإن كلمة البيعة في لغتنا تعني العهد، أو المعاقدة[1]، وقد وردت هذه الكلمة في عدة آيات قرآنية، كما جاءت في عدة أحاديث نبوية شريفة، كقوله تعالى بعد باسم الله الرحمن الرحيم: "

۞ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ "[2]، وعليه يمكن القول بأن القرآن الكريم جاء صريحا، فالآية الكريمة واضحة تؤكد أن الله سبحانه وتعالى قد رضي على المؤمنين الذين بايعوا الرسول – صلى الله عليه وسلم -، فكانت هذه البيعة بمثابة ترجمة حقيقية للتأكيد على حق الأمة في اختيار من يحكمها، مصداقا لقوله تعالى: "

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ "[3] ، وقوله تعالى كذلك: "

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ

[1] محمود الخالدي، البيعة في الفكر السياسي الإسلامي، الجزائر، شركة الشهاب، 1988، ص 10.
[2] سورة الفتح الآية 18.
[3] سورة التوبة الآية 111.

﴿عَظِيمًا أَجْرًا فَسَيُؤْتِيهِ ٱللَّهَ عَلَيْهُ عَٰهَدَ بِمَا أَوْفَىٰ و﴾"[1]، فبيعة النبي – صلى الله عليه وسلم – كانت بمثابة العهد والميثاق الذي تم بين المسلمين وبينه على أساس نصرة الدين داخل كيان سياسي كان يرغب في إقامته في المدينة المنورة، وعليه فقد اشترط المسلمون في تولي الحكم وجود البيعة الشرعية، التي لا تعقد إلا لمن كان مسلما وبالغا، وعاقلا رضت به الأمة فاختارته غير مكرهة، ولقد توافرت هذه الشروط لعقد البيعة للأمير عبدالقادر، فكانت بيعة قامت على رضا واختيار القبائل، وهي صورة لما منحه الإسلام للأمة لإعلاء كلمة الله وتوحيد الصف، فهذه البيعة عقدت بحضور علماء غريس وفضلاء الجهات المجاورة وعلمائها، مثل سدي الأعرج، محمد بن حواء[*]، بن يخلف وإخوانه، عبدالرحمن بن الحسن، ومحمد بن الثعالبي من زلامطة، وأولاد أحمد بن علي كما حضر البيعة الكتبة وأبناء عمه[2]، وعليه فقد تمت مبايعة الأمير عبدالقادر، وكانت بيعة شرعية قامت على اختيار المسلمين لشخصه لتوافر الشروط كالإسلام والاقتداء بالقرآن والسنة النبوية الشريفة ورضا المسلمين، فهي بيعة شرعية تشبه إلى حد كبير في مواقفها وشروطها بيعة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وبيعة الصحابة الأحباء – رضي الله عنهم – الذين جاؤوا من بعده، كما تؤكد هذه البيعة الارتباط بالانتخاب والإرادة الحرة في الاختيار، وهذا ما نستنتجه من خطابه الذي ألقاه على جموع الرجال الذين بايعوه: "والرجل الذي يكلمكم الآن ليس بوال، ولا بموظف، وإنما هو رجل منكم، ابن الذي سيحكم بالعدل على هدى القرآن وسنة الرسول الكريم، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وغايتنا وحدة شمل القبائل، والقضاء على الفساد، ومواصلة الجهاد، ودولتنا تحتاج إلى دعم سيادتها، والتقيد بنظامها الإسلامي، واحترام قوانينها، هذه الدولة هي دولتكم، وانتصارها هو انتصار لكم"[3].

وعليه يمكن القول بأن الأمير عبدالقادر كان يسعى بعد البيعة إلى تعميم المسؤولية في أوساط القبائل الجزائرية من أجل رفع الهمم لحماية الجزائر من الاستعمار الكافر، فكان

---

[1] سورة الفتح الآية 10.

[*] هو محمود بن الطاهر بن حواء، صاحب نظم الجواهر في سلك أهل البصائر، شرح فيه أعمال أبي رأس الناصري في شرح طريقة مسلم بن عبدالقادر في الحكم والمواعظ والأمثال، الرجوع إلى أبي القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، دار المغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1998، ص 188.

[2] محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق على الشنوني، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص 181.

[3] الجزائري محمد بن عبدالقادر، تحفة الزائر وتاريخ الأمير عبدالقادر، دار اليقظة، الجزائر، 1964، ط 2، ص 59.

خطابه بمثابة اليمين الذي قدمه لمن وضع ثقته به، والتعهد بالالتزام بما وعد به من الاجتهاد والعمل على تحقيق العدل والمساواة، وهكذا تمكن الأمير من إقناع القبائل في الإقليم الغربي وتنظيمها، مستمدا تعاليم حكمه من القرآن وتعاليم السنة النبوية الشريفة، وقد ساعدته الظروف أن ينظم هذه القبائل ويشكل بواسطتها القوة الضاربة في ظل ظروف الحرب، ولذلك سعى في البداية إلى تكوين قوة عسكرية للوقوف في وجه القوات الفرنسية التي كانت قد احتلت عدة أجزاء من البلاد مباشرة بعد توقيع الداي حسين لمعاهدة الاستسلام مع الجنرال ديبورمون[1]، معلنا بذلك زوال الحكم التركي بإيالة الجزائر، وكذلك ضعف باي وهران واستعداده للخضوع للقوات الفرنسية، ومع حلول عام 1831، وعلى إثر الفراغ السياسي الرهيب الذي تركه رحيل هذا الباي والفوضى الكبيرة التي شهدتها مدينة وهران، قامت القوات الفرنسية بإحكام سيطرتها على الأراضي الجزائرية تحقيقا لمشروعها التوسعي الذي اندرج في إقامة إمبراطورية فرنسية واسعة بشمال إفريقيا، وقد أدرك أعيان الإقليم الغربي خطورة الوضع، حيث هبوا تحت إمرة الشيخ محي الدين للتصدي للجيش الفرنسي المتمرس، حيث خاضوا عدة معارك، كانت أهمها خنق النطاح الأولى والثانية، ورأس العين، ونظرا لبسالة الأمير عبدالقادر في هذه المعارك وشجاعته التي أظهرها، اختارته الأمة ليكون قائدا لها، وبذلك قد تمت البيعة الأولى في 21 نوفمبر 1832 بحضور وجهاء وعلماء وسكان سهل غريس، حيث اجتمعوا تحت شجرة الدردار وكانت هذه البيعة بيعة خاصة، وفي 4 فبراير 1833 تمت البيعة العامة بساحة مسجد معسكر، حيث حضرت قبائل الإقليم الغربي وأعيانها من القلعة، هوارة بني شقران، سجرارة، غريس، المكاحلية، المجاهر والبرجية[2].

لقد ذكرت المصادر بأنه بعد رحيل محمد بن العامري من معسكر، ظهر محي الدين زعيم الطريقة القادرية الذي صمم على محاربة القوات الفرنسية، كما أشارت بعض الكتابات أن ممثل السلطان المولى عبدالرحمن لم ينسحب من تلمسان، إلا بعدما سلم كل

[1] الجزائري محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 52.
[2] المارشال دي بورمون DE BOURMONT ولد عام 1773 بماين شاركفي حروب نابوليون، تولى قيادة الحملة على الجزائر عام 1830، عزل عن منصبه في أوت 1830، توفي عام 1846، الرجوع إلى Henry. D. les conquérants de l'Algérie (1830 – 1852) Berger, le vrault Paris, 1930, p 10.

سلطاته إلى محي الدين وهذا بتكليف من السلطان المغربي نفسه[1]، بيد أن كتابات أخرى كما ورد عن محمد بن عبدالقادر، أو هنري شورشيل فإنها لم تشر إلى هذه الحقائق التي وردت في كتابات شارل أندري جوليان، ودي كوسي وأوكوست كور، حيث ذكرت بأن سكان معسكر عرضوا على محي الدين أن يكون أميرا عليهم، لكنه رفض واكتفى بقيادتهم لجهاد الفرنسيين[2]، ولقد أشار الناصري بأن قبائل الحشم وبني عامر♦ جاؤوا لمبايعة محي الدين بيد أنه لم يقبل بها بسبب تقدمه في السن[3]، كما أن الناصري لم يتعرض لفكرة تعيين المولى عبدالرحمن لمحي الدين خليفة له.

وللحديث في هذا الموضوع لابد من الاعتماد على وثائق وزارة الحرب الفرنسية التي توجد فيها معلومات وافرة حول الفترة التي أعقبت محمد بن العامري من معسكر، حيث ذكر الجنرال بوايي قائد وهران في تقاريره إلى وزير الحرب بأن المغاربة ظلوا في الإقليم الغربي وكانوا يحرضون القبائل لمحاربة القوات الفرنسية، كما ذكر بأن السلطان قد بعث بأكثر من ثلاثين مرابطا من فاس والريف بغية حث الجزائريين على الجهاد، كما أكد بأن السلطان قد بذل كل الجهود من أجل الإبقاء على النفوذ المغربي في الإقليم، بالإضافة إلى حث الجزائريين على حرب الفرنسيين ورفض الاحتلال[4].

وفي 09 ماي 1832، اجتمعت قبائل الإقليم الغربي مع محي الدين بهدف مبايعته سلطانا، بيد أنه رفض المبايعة وأجاب بقوله: "أريد أن أكون واحدا منكم، وأنا عند أوامر مولاي عبدالرحمن سلطاننا وسيدنا"[5]، ومن خلال هذا الرد يمكن القول أن محي الدين أصبح خليفة للمولى عبدالرحمن، وهذا ما وصل إليه الجنرال بوايي، الذي وصله تقرير عن هذا الاجتماع من قاضي آرزيو أحمد بن الطاهر[6]، الذي ورد فيه بأن محي الدين، قد أخبر القبائل المجتمعة بأن السلطان ينوي تعيين الحاج مصطفى بن الباي عثمان حفيد الباي محمد

---

[1] A. Cour, op.cit, pp 43-44.
[2] CH. H. CHURCHILL, La vie d'Abdelkader, traduction Michel habort, 2ème edition, Alger 1974, p 63.
♦ بنو عامر مجموعة بطون بلغت حوالي 26 بطنا، تتكون من 7365 خيمة، تتوزع في المنطق التابعة حاليا لولاية سيدي بلعباس، ولقد أكدوا وفاءهم للمقاومة الشعبية التي قادها الأمير عبدالقادر، وبعد هجرتهم إلى المغرب لأسباب مبهمة، قام المخزن المغربي بإبادتهم أثناء عودتهم إلى الجزائر، الرجوع إلى l'echo d'Oran, N°82 samedi 2 mai 1846
[3] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 147.
[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب المارشال سولت 10 أفريل 1832 C.H.A.T. 1H12
[5] أحمد بن الطاهر، قاضي آزيو إلى الجنرال بوايي 12 ماي 1830 S.H.A.T. 1H13
[6] أحمد بن الطاهر، قاضي آزيو إلى الجنرال بوايي 12 ماي 1830 S.H.A.T. 1H13

الكبير[1] حاكما وقائدا، حيث تأكد بوايي من هذه المعلومات من خلال مصادر أخرى[2]، غير أن مصادر الأرشيف المغربية لم تتحدث عن الحاج مصطفى بن الحاج عثمان ولم نجد اسمه إلا في وثائق الأرشيف الفرنسية، حيث ذكره الجنرال بوايي في عدة تقارير كان أهمها التقرير الذي بعث به إلى وزير الحرب في 25 أفريل 1832 تضمن عرض تقدم به زعيما الدواوير والزمالة مصطفى بن إسماعيل والمرسلي دعا فيه السلطات الفرنسية إلى تعيين باي تركي من تلمسان على إقليم وهران، وتكون مدينة معسكر مقرا له التي يجمع فيها حامية عسكرية مكونة من ألفي جندي من تلمسان ومستغانم، وفي المقابل يلتزم هذا الباي بتقديم ضرائب سنوية إلى فرنسا، وقد جاء هذا الاقتراح بعد قناعة أصحابه بأن زعماء القبائل في الإقليم لن تقبل الخضوع لرئيس من بينها، وأن اختيار باي تركي بات ضروريا، حتى تعود القبيلتان الزمالة والدواوير إلى سابق عملهما كقبائل مخزنية تعمل لخدمة الباي الجديد[3]، وقد تأكد الجنرال بوايي بأن الزمالة والدواوير كانتا متخوفتان من التطورات التي كانت تحدث في إقليم وهران، وبخاصة تجمع وتقارب القبائل الصغرى ورغبتها في تقوية نفسها بتجميع الأسلحة والخيل، وأن هذه التطورات تهدد لا محالة القبائل المخزنية، وتتسبب في تغيير التوازن السابق بين القبائل الجزائرية في إقليم وهران[4].

ومن خلال هذه الأحداث يمكن القول بأن محي الدين قد قبل برئاسة مصطفى بن باي لقبائل الإقليم الغربي، لأنه كان يسعى لتبديد تلك المخاوف، كما كان يهدف إلى الحصول على الذخائر والأسلحة التي كانت موجودة في مشور تلمسان، بيد أن الأتراك في تلمسان قد امتنعوا عن مد محي الدين بالأسلحة التي كان بحاجة إليها[5].

كما أشارت المصادر بأن مصطفى بن الباي عثمان، قد سعى إلى الحصول على اعتراف فرنسا به بايا على إقليم وهران مقابل خضوعه لسلطتها، حيث استعمل الوسائط من أجل تحقيق هذه الغاية، عندما طلب من صهره قائد مستغانم إبراهيم بن عثمان إقناع الجنرال بوايي، كما حاول مع شيخ قبيلة أنكاد محمد بن الغماري، الذي كان حليفا لأتراك

---

[1] أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، الطبعة الأولى، 1973، قسنطينة، ص 144.

[2] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 14 ماي 1832 S.H.A.T 1H13

[3] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 25 أفريل 1832 S.H.A.T 1H12

[4] الجنرال بوايي إلى الجنرال دورو فيكو 22 ماي 1832 S.H.A.T 1H13

[5] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 17 ماي 1832 S.H.A.T 1H13

مشور تلمسان[1]، ولقد تخوف الجنرال بوايي من هذه التحركات، واعتبرها محاولة لزعزعة الوجود الفرنسي بالإقليم، وأبدى رفضه للفكرة، وأصر على خضوع كل القبائل لسلطة فرنسا[2]، وهكذا فشل الأتراك في إعادة نظامهم بالإقليم، خاصة بعدما تخلت عدة قبائل عن مصطفى بن الباي، بسبب رغبته في الخضوع لسلطة فرنسا، ورغم ذلك استمر الأتراك في بذل الجهود من أجل تقوية نفوذهم حتى عام 1833.

وعليه فقد بقي الأتراك رافضين مد يد العون لمحي الدين لمواجهة القوات الفرنسية، رغم أن المولى عبدالرحمن كان يدعوا إلى ضرورة التعاون مع محي الدين[3]، بيد أن محي الدين بدأ في تجهيز قوة عسكرية، وشرع في مضايقة الحامية الفرنسية التي كانت تسيطر على مدينة وهران، وفي 17 أبريل 1832 حدث أول تصادم بين القوتين[4] وفي بداية شهر ماي تلقى الجنرال بوايي إنذارا من طرف محي الدين، وفي مضمون الإنذار دعا محي الدين الجنرال إلى الإسلام، وخيره بين الانسحاب من وهران أو الحرب، كما حمل هذا الإنذار طابع التحدي عندما قال: "إن المدينة التي تحتلها هي لنا سلمها لكم الباي حسن بدون قتال، أما نحن فنريد أن ننتزعها منكم والسلاح في اليد"[5]، ولقد بقي محي الدين يشن غاراته غاراته ويطوق مدينة وهران إلى غاية منتصف شهر جوان، حيث أضر كثيرا بمصالح فرنسا، وكبدها خسائر كبيرة، ولقد وصلت الأخبار إلى مدينة طنجة والمغرب عن طريق بعض الجزائريين اللاجئين، وقد كذب الجنرال بوايي تلك الأخبار ولم يعترف بالخسائر الضخمة التي تكبدتها حاميته العسكرية[6].

وبعد توقف دام حوالي شهرين ونصف واصل محي الدين حربه ضد الفرنسيين، حيث دعا القبائل في الإقليم إلى الجهاد ابتداءا من 31 أوت 1832[7]. وقد أشارت المصادر

---

[1] الجنرال بوايي إلى الجنرال دوروفيكو 22 ماي 1832 S.H.A.T 1H13

[2] P. AZAN, l'Emir Abdelkader, 1808-1883, Paris, 1925,p 16.

[3] P. AZAN, op. cit, p 11.

[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 2 ماي 1832 S.H.A.T 1H13

[5] محي الدين إلى الجنرال بوايي د.ت ماي 1832 S.H.A.T 1H13

[6] دي لابورط إلى الجنرال دوروفيكو 26 ماي 1832 S.H.A.T 1H13

[7] أحمد بن الطاهر إلى الجنرال بوايي 12 ماي 1832 S.H.A.T 1H13

بأن محي الدين قد حث قبائل الإقليم الغربي على طرد الفرنسيين من مدينة وهران وتخليصها من يد الكفار[1].

وعليه يمكن القول بأن كل المحاولات التي قام بها كل من الأتراك والدواير والزمالة قد باءت بالفشل، بحيث لم يستطيعو سد الفراغ السياسي الكبير الذي تسبب فيه رحيل محمد بن العامري من الإقليم الغربي، ورفض فرنسا لمشروع إعادة النظام التركي بالإقليم، وقد أدى هذا الوضع إلى حمل محي الدين راية الجهاد رغم كبر سنه، وقد نجح في كسب تأييد القبائل، حيث أصبح فقهاؤها ومرابطوها يلحون عليه لمبايعته أميرا عليهم، لكنه كان دائما يرفض الفكرة ويصر على ذلك، وابتداءا من شهر نوفمبر 1832 قام بتقديم ابنه عبدالقادر للإمارة، وقبلت قبائل الحشم والغرابة وبني عامر بهذه البيعة، حيث دخل الأمير عبدالقادر مدينة معسكر، واستقبله أهلها بحفاوة[2]، وحينها لم يكن الأمير عبدالقادر يتجاوز سنه الأربعة وعشرين ربيعا[3]، وقد ذكر الناصري في وصفه للأمير قائلا: "كان له عدة أولاد ليس الحاج الحاج عبدالقادر أكبرهم، ولا أعلمهم، ولا أصلحهم، وإنما كان فيه مضاء وإقدام، فأسعفوه شرط أن يكون نظره منسحبا عليه، ومشيرا بما تدعوه الضرورة إليه"[4]، ولقد كتبت البيعة الأولى في 26 نوفمبر 1832، أما البيعة الثانية فتمت في فبراير 1833، وبعد ذلك قام العلماء الذين بايعوا الأمير عبدالقادر بتوجيه بيان لرؤساء القبائل في أنحاء الإقليم، لإعلامهم بأن أمر الإمارة الإسلامية قد آل إلى ناصر الدين عبدالقادر بن محي الدين، وأن مبايعته تمت بموافقة العلماء والأشراف والأعيان في معسكر، وحثوا الناس على تقديم الطاعة والولاء له[5]، وفي نفس الوقت قام الأمير عبدالقادر بتوجيه بيان إلى القبائل، لإخبارها بأن أهل معسكر والقبائل المجاورة لهم قد بايعوه أميرا عليهم، كما دعاهم للحضور وتقديم بيعتهم[6]، ولقد دلت المصادر أن مضمون نص البيعة الثانية التي تمت في بداية شهر فبراير 1833 كان أوسع من الأولى، وقد شاركت فيها عدة قبائل، وأن فقرات المبايعة كانت تشبه

---

[1] P. AZAN, op.cit, p 12.

[2] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب المارشال سولت 3 ديسمبر 1832 S.H.A.T 1H18

[3] P. AZAN, op.cit, p 15.

[4] الناصري السلاوي، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، القسم الثالث، الدولة العلوية، ج 9، تحقيق جعفر الناصري دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ص 42.

[5] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 161.

[6] محمد بن عبدالقادر، نفس المصدر، ص 162.

كثيرا النصوص التي كانت سائدة في المغرب، ومن خلال مضمون تلك الفقرات التي جاءت فيها نستنتج عدة نتائج، كانت لها علاقة بالسلطة المغربية، فالنتيجة الأولى هي أن القبائل التي بايعت الأمير عبدالقادر هي نفسها التي بايعت في وقت مضى سلطان المغرب، علما أن نص البيعة لا يشير إلى السلطا،ن ولا لبلاده، أما النتيجة الثانية فإن مبايعة الأمير عبدالقادر كانت بيعة تامة وكاملة، مكنته نظريا من الجمع بين السلطتين الزمنية والدينية، أما النتيجة الثالثة فإن المبايعة قد منحت لعبدالقادر لقب الأمير وليس السلطان أو الباي، وبموجبها يعتبر عبدالقادر أميرا مستقلا استقلالا تاما، ولقد ذكر محمد بن عبدالقادر في تحفة الزائر بأن الشيخ محي الدين عندما سافر مع ابنه إلى المشرق تلقى أنباءا بأن عبدالقادر سيصبح سلطانا في الجزائر[1]، وقد أشار جورج إيفر في كتابه بأن عبدالقادر اكتفى بلقب أمير، ورفض لقب سلطان، وقد رأت بعض المصادر بأن الأمير عبدالقادر قد اكتفى بلقب أمير احتراما للسلطان المولى عبدالرحمن ولتفادي المساس بمشاعره.

إن مبايعة الأمير عبدالقادر ابن محي الدين قد اعتبرها المولى عبدالرحمن عاملا هاما وضروريا لصد الأخطار الفرنسية وإبعادها دون اللجوء إلى الوقوع في صراع مباشر مع فرنسا، أما بالنسبة للأمير عبدالقادر، فلقد كان بحاجة ماسة إلى دعم السلطان المولى عبدالرحمن وذلك لتثبيت سلطته على القبائل الجزائرية ومحاربة فرنسا وجندها، وعليه فقد اعتبر الأمير عبدالقادر دعم السلطة المغربية له بمثابة العامل الأساس لكسبه القوة والثقة لمواجهة القوة الفرنسية، ولذلك فقد حاول كل واحد التقرب من الآخر.

لقد دلت المصادر بأن الأمير عبدالقادر بعد مبايعته الثانية، قد اكتفى بلقب خليفة السلطان المولى عبدالرحمن، وكان طرحها يعتمد على ما جاء في تقارير الجنرالات الفرنسيين[2]، بيد أن الناصري في الاستقصاء يرى أنه بعدما غادر محمد بن العامري تلمسان، اجتمعت قبائل الإقليم الغربي وبايعت الحاج عبدالقادر بن محي الدين بالإمارة، وكان ذلك بموافقة المولى عبدالرحمن[3]، وقد أبدى الأمير بقاؤه في تبعية روحية للمغرب، وهذا ما أشار إليه الجنرال بوايي في تقاريره، حيث ذكر بأن الأمير عبدالقادر كان يشير إلى

[1] محمد بن عبدالقادر، نفس المصدر، ص 146-148.
[2] D'ESTAILLEUR, CHANTRAINE, l'Emir magnanime Abdelkader le croyant, Paris, 1959, pp 40-41.
[3] الناصري، الاستقصاء، ص 49.

اسم المولى عبدالرحمن في مستهل رسائله التي كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل الجزائرية[1]، كما أشار هذا الجنرال بأن السلطان كان قد بعث برسالة إلى الأمير عبدالقادر ليهنئه بالإمارة، وليحثه على محاربة القوات الفرنسية[2]، وبما أن الأمير كان بحاجة ماسة إلى حماية السلطان المغربي، فقد ذكر دي كوسي بريساك بأن عبدالقادر بن محي الدين قد أدرك بأن دعم السلطة المغربية له عامل مهم للنجاح في سياسته تجاه الفرنسيين، ولذلك كانت تحركات الأمير تتم باسم المولى عبدالرحمن[3]، وقد أشار الجنرال فوارول VOIROL بأن القبائل الجزائرية إلى ما وراء معسكر قد أبدت استعدادها التام للخضوع لسلطان المغرب، والاعتراف بزعامة الأمير عبدالقادر، مادام مرتبطا باسم السلطان المغربي[4]، ولقد ذكرت المصادر الفرنسية بأن الأمير عبدالقادر قد بعث وفدا محملا بالهدايا إلى المولى عبدالرحمن، كما أرسل بعض التجار لشراء الأسلحة، وفي هذه الأثناء طلب الفرنسيون من الأمير عبدالقادر تسليم أسراهم، بيد أنه رفض وصرح بأنه لا يمكنه التصرف إلا بعد موافقة هذا السلطان، هذا الأخير الذي طلب منه عدم إطلاق سراحهم[5]، وعليه يمكن القول أن علاقة الأمير بالمولى عبدالرحمن كانت تتحكم فيها المصلحة المشتركة، ذلك أنه كان بحاجة إلى دعمه لمواجهة قوات فرنسا، ثم إن السلطان كان بحاجة إلى من يمثله في الجزائر للوقوف ضد فرنسا دون المواجهة المباشرة.

ولما سمع الفرنسيون بالرباط الذي تم بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمن، قام القنصل ميشان MECHIN - الذي عين قنصلا في مدينة طنجة بدلا من دي لا بورط ابتداءا من 02 مارس 1833- ببعث باحتجاج إلى السلطان على تدخله في شؤون فرنسا بالجزائر، وفي 20 أفريل 1833 قام المولى عبدالرحمن ببعث جواب إلى القنصل، يؤكد فيه بأنه تلافيا للوقوع في صدام مباشر مع فرنسا، قام بسحب ممثله محمد بن العامري، وسحب قواته على الرغم من أن القبائل الجزائرية قد بايعته بيعة شرعية لا إكراه فيها، كما طالب الفرنسيين بأن يسعوا إلى تحقيق الأمن، والاستقرار في الأرض الجزائرية، التي تعطلت

[1] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 12 ديسمبر 1832 S.H.A.T. 1H18
[2] الجنرال بوايي، نفس المصدر.
[3] DECOSSE BRISSAC, op.cit , p 35
[4] G ESQUER, correspondance du gol vairol (1833-1834) coll de dociméd dur histoire d'Algérie après 1830, 1[ère] série, Paris, 1824, p 131.
[5] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 25 ديسمبر 1832 S.H.A.T. 1H18

فيها التجارة وانقطعت طريق الحج، وتضرر التجار المغاربة الذين لم تأمن صادراتهم ووارداتهم، وفي مضمون الرسالة يطالب السلطان ملك فرنسا بالسعي للوقوف على أمر هذا البلد، أو منحه فرصة الإشراف عليه، كما حدد السلطان في هذه الرسالة موقفه من الأمير عبدالقادر ومحي الدين حيث قال: "ومحي الدين وولده هو من بايعنا ودخل في سلك طاعتنا ولم نرهما قط، والوطن وطنهما وتلك بلادهما، فلا كلام لنا معهما"[1].

لقد دلت الرسالة التي بعث بها المولى عبدالرحمن إلى ملك فرنسا عن السياسة الجديدة التي انتهجها تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، الذي لم يسيطر على كامل الأرض الجزائرية، إذ بقيت أغلبها غير خاضعة للفرنسيين، الذين أثبتوا فشلهم في السيطرة عليها، وتحقيق الأمن فيها، كما دلت الرسالة بأن السلطان كان يرفض تماما بقاء البلاد الجزائرية في الفوضى والاضطرا،ب لأنها تعرض مصالحه للضرر، وعليه فقد خير السلطان فرنسا بين إخضاع كل الأراضي الجزائرية وتوفير الأمن والاستقرار بها، أو الانسحاب منها وتركها لمن يكون قادرا على ذلك، وفي مضمون الرسالة يؤكد السلطان قناعته بعدم قدرة فرنسا على السيطرة على كل الجزائر، ولقد أخطأ الفرنسيون عندما اعتقدوا أن المولى عبدالرحمن قد سحب محمد بن العامري وقواته من الأراضي الجزائرية وتركها للقوات الفرنسية[2].

ولقد دلت المصادر بأن الأمير عبدالقادر ضل يوجه كل أنظاره واهتماماته إلى إقناع سكان تلمسان على مبايعته، وفي هذه الظروف كان محمد بنونة يحتل منصب قائد الحضر في المدينة، وكان يعاونه في أداء مهامه حوالي خمسين فارس مغربي[3]، وبالفعل فلقد قام الأمير عبدالقادر ببعث رسالة إلى حضر مدينة تلمسان، وأتراك المشور، مباشرة بعد مبايعته من طرف أهل معسكر، حيث طلب منهم تقديم بيعتهم وإعلان طاعتهم، وأشار بول آزان في هذا الخصوص، بأن محمد بنونة لم يرضخ لأوامر الأمير عبدالقادر، بحجة أن أهل تلمسان قد قدموا بيعتهم للسلطان المولى عبدالرحمن، وأنهم لن يطيعوا إلا أوامره[4]، بيد أن

---

[1] المولى عبدالرحمن إلى الجنرال دوروفيقو 6 مارس 1833 S.H.A.T 1H19

[2] القنصل ميشان إلى وزير الخارجية دي بروكلي 17 أفريل 1833 A.M.A.E.P.M.V.A.F.34.35

[3] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 12 ديسمبر 1832 S.H.A.T 1H18

[4] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 13 ديسمبر 1832 S.H.A.T 1H18

أتراك المشور لم يحددو موقفهم، لا بقبول البيعة أو رفضها[1]، وعليه يمكن القول أن أهل تلمسان الحضر والأتراك قد تحفظو من تقديم بيعتهم للأمير عبدالقادر، ولقد ساهم هذا الموقف في تقارب الفئتين من بعضهما، حيث كانت لكل طرف أسبابه الموضوعية لرفض المبايعة[2]، ولكن في أواخر شهر مارس اضطربت العلاقة بين الفئتين بسبب حدوث أعمال سلب ونهب قام بها بعض الأتراك، وقد ساعد هذا الظرف الأمير في السيطرة على المدينة وإخضاع سكانها تحت سلطته.

لقد كتب الناصري على إخضاع الأمير عبدالقادر لمدينة تلمسان، حيث قال بأن سكانها لبوا دعوة الأمير عبدالقادر، واشترطوا عليه الاعتراف بسلطة المولى عبدالرحمن عليهم، فوافقهم الأمير عبدالقادر على طلبهم، وأخذ عليهم البيعة، وبين نيته في طاعة السلطان، وأشاد به عندما خطب بالناس على منابر مدينة تلمسان[3]، وعلى نقيض ما أشار إليه الناصري في الاستقصاء، كابن الأمير عبدالقادر محمد، وابن عمه الحسين بن علي أبو طالب، والعربي المشرفي، وهنري شورشيل، فإن هؤلاء أشاروا بأن الأمير عبدالقادر قد أخضع المدينة وأهلها بالقوة، وبعد قتال عنيف، ففي تحفة الزائر ذكر محمد بن عبدالقادر بأن الأمير عبدالقادر بعدما وصله خبر خروج محمد بنونة عليه، خرج إليه بجنده في صيف 1833، واستعد بنونة لملاقاة الأمير وقتاله، بيد أن أتراك المشور تظاهروا بمحالفة الأمير عبدالقادر، فأصبح الحضر يقاتلون على جبهتين، حتى انهزموا واستولى الأتراك على ممتلكاتهم[4]، وقد ذكر العربي المشرفي بأن محمد بنونة بعد انهزامه، فر إلى ضريح أبي مدين الغوثي خارج تلمسان، وقد ألقى عليه القبض الأمير عبدالقادر وعفا عنه[5]، لكن الأرجح أن محمد بن نونة بعد انهزامه أمام الأمير عبدالقادر، وفقدان منصبه، اضطر للرحيل إلى المغرب، ولم يرجع إلى تلمسان إلا بعدما تدخل المولى عبدالرحمن الذي أصلح بين المتخاصمين، ولقد أشارت الكتابات بأن الأمير عبدالقادر بعد إخضاعه مدينة تلمسان،

---

[1] A. COUR, l'occupation marocaine de Tlemcen septembre 1830 janvier 1836, R.A.O.P.U N° 52, Alger, 1908, p 46.

[2] الجنرال بوايي إلى وزير الحرب 12 جانفي 1833 S.H.A.T 1H19

[3] الناصري، المصدر السابق، ص 42.

[4] العربي المشرفي، بن علي، طرس الأخبار بما جرى للمسلمين آخر القرن 13 مع الكفار، مخ. خ ع ر. ك 496، ص 55-57.

[5] العربي المشرفي، المصدر نفسه، ص 56.

قام بتعيين أحد أعيان الحضر وهو حمادي الصقال[1]، غير أن الأتراك رفضوا تسليم مشورهم، رغم أنهم قدموا للأمير الهدايا دلالة على مبايعتهم له، وخضوعهم المطلق لسلطته، إلا أنه أصر على تسليمهم للمشور، واضطر إلى محاصرتهم[2]، وفي ظل هذه الظروف عاد الأمير عبدالقادر إلى مدينة معسكر في شهر جويلية، وخلالها وصله خبر وفاة والده، المرابط الشيخ محي الدين[3]، ولقد أشارت بعض التقارير بأنه بعد إخضاع الأمير عبدالقادر لتلمسان، حدث اضطراب في العلاقة بينه وبين المولى عبدالرحمن، وهذا ما نجده عند ميشان[4]، بيد أن الناصري يذكر بأن الأمير عبدالقادر بعد سيطرته على مدينة تلمسان، سارع إلى مراسلة المولى عبدالرحمن، وإعلان الخضوع له[5]، وفي الرسالة ذكر بأنه يعتبر نفسه من ضمن قواده وجنده[6].

وفي يوم 16أكتوبر 1833، قام المولى عبدالرحمن بإصدار أوامر مشددة إلى عماله في المدن المغربية، والثغور المجاورة للجزائر، بمصادرة كل القوافل المتجهة نحو الأراضي الجزائرية، خاصة القوافل المحملة بالأسلحة والذخيرة، وضرورة أسر التجار الذين يحملونها، كما طالب من عامله في مدينة تيطوان محمد أشعاش بمنع إنزال الأسلحة والذخيرة في مراسي مدينته، ومصادرة الموجهة إلى تلمسان[7]، وفي نفس السياق فقد أشار دي كوسي بريساك، بأن قافلة كانت محملة بالسلاح ومتوجهة إلى تلمسان، أجبرها المغاربة على العودة، ومنعت من مغادرة الأراضي المغربية[8]، ولقد حاول ميشان تحليل موقف المولى عبدالرحمن من الأمير عبدالقادر، حيث ذكر بأنه كان منزعجا لتحركات الأمير في تلمسان، الذي لقب نفسه بلقب أمير مستقل عن السلطة المغربية، فقام بمنع وصول الإمدادات العسكرية، حتى يحول دون ظهور قوة جديدة منافسة على حدود بلاده[9]، بيد أن ميشان لم يحدد سبب ازدياد مخاوف السلطان من الأمير، غير أن سقوط مدينة تلمسان في

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 169.

[2] A COUR, op cit, p 47.

[3] محمد المصدر السابق، ص 170.

[4] الناصري، المصدر السابق، ص 42.

[5] الناصري، نفس المصدر، ص 42.

[6] DECOSSE BRISSAC, op cit, p 35.

[7] الناصري، المصدر السابق، ص 42.

[8] DECOSSE BRISSAC, op cit, p 37.

[9] ميشان إلى وزير الخارجية دي بروكلي 16 أكتوبر 1833 A.M.A.E.P.M.V.4.F.50.52

يد الأمير بقوة السلاح، وتعيين محمد البوحميدي الولهاصي، رئيس قبيلة ولهاصة، المقيمة قرب وادي تافنة خليفة له، وترحيل محمد بنونة الذي كان من الرجال المخلصين للمولى عبدالرحمن، قد أدت إلى ظهور الخلاف، غير أن هذا الخلاف بين الطرفين لم يدم طويلا، وذلك لأن الأمير عبدالقادر كان قد اكتسب شعبية وتعاطف كبيرين، خاصة وأنه ظهر لمحاربة الفرنسيين، ولذلك حاول بعض المرابطين ورؤساء القبائل وغالبية المغاربة، الضغط على المولى عبدالرحمن من أجل تغيير سياسته تجاه الأمير عبدالقادر، وإلغاء الإجراءات والأوامر التي أصدرها، وبالفعل فقد تراجع عن ذلك، ولما سمع الأمير بذلك قام بإرسال الهدايا إليه، التي رد عليها ببعث مائة قنطار من البارود والرصاص والكبريت[1]، وقد أشارت بعض الكتابات أن شحنات الأسلحة والذخائر أصبحت تغادر الأراضي المغربية نحو تلمسان وبكل سهولة[2] ، وفي تقرير للجنرال دي ميشال GALE* DESMICHELLES، الذي عين بدلا من الجنرال بوايي قائد وهران في أبريل 1833، ذكر بأن المولى عبدالرحمن رد عن الهدايا التي بعث بها الأمير عبدالقادر، بإرسال مائتي بندقية، ومائتي سيف، وكميات هائلة من الذخيرة، حيث احتفل الأمير بوصول هذه الهدايا في مدينتي تلمسان ومعسكر، وأطلقت المدافع، وتم إكرام الوفد الذي جاء مع تلك الهدايا[3]، وكان هذا محاولة جادة من طرف الأمير لإذابة جليد الأزمة السياسية الجادة، التي كانت بينه وبين المولى عبدالرحمن، وإن هذا التقارب لم يرضه الفرنسيون، حيث قدم قنصل فرنسا احتجاجا إلى السلطات على هذا التقارب، وقد أجاب السلطان بأنه بعث بالهدايا إلى عبدالقادر ردا على هداياه، وأنه سيسعى إلى منع تموينه ومساعدته في المستقبل، لكن في 22 فبراير 1834 ذكر وزير الحرب قوارول بأن الأمير عبدالقادر قد وصلته هدايا كبيرة، كان أهمها ثلاثمائة بغل محمل بالذخيرة[4].

---

[1] ميشان إلى وزير الخارجية دي بروكلي 16 أكتوبر 1833 A.M.A.E.P.M.V.4.F.50.52

[2] M, EMERIT, op cit, p 17.

* دي ميشال (1779 – 1845) التحق بصفوف الجيش الفرنسي كحاكم لإقليم وهران عام 1833، لمزيد من المعلومات الرجوع إلى أديب حرب، التاريخ العسكري والسياسي والإداري للأمير، ج 1، ص 175.

[3] DECOSSE BRISSAC, op cit, p 37.

[4] G. ESQUER, corresp, VOIRD, p 423.

:

نظرا لكثرة النفقات العسكرية فقد اضطرت فرنسا إلى تخفيض هذه المصاريف وتقليص عدد قواتها العاملة بالجزائر[1]، خاصة خلال عام 1834، وقد صادق البرلمان والحكومة الفرنسية على هذا المشروع القاضي بتجميد السياسة الاستيطانية، والتركيز على السواحل الجزائرية، دون التوغل في الأراضي الداخلية وإخضاعها للإدارة الفرنسية، مع توظيف رؤساء جزائريين في المناطق الأخرى، يكونون موالين للسلطة الاستعمارية، وسيادتها على البلاد[2]، وقد طلب من قائد وهران الجنرال ديميشال DIMICHALE تطبيق هذه القرارات بطريقة سلمية، فكان هذا الإجراء يخدم الأمير عبدالقادر، الذي كان في حاجة ماسة إلى السلم، حتى تكون له الفرصة والوقت لإخضاع القبائل المتمردة، والرافضة الخضوع لسلطته، كقبائل المخزن التركي، بالإضافة إلى التصدي لتحركات أحمد باي في الشرق، الذي امتد نفوذه إلى حدود مدينة المدية[3]، وبناءا على هذه المعطيات، عقد الطرفان الأمير عبدالقادر والجنرال ديميشال معاهدة سلام، اشتهرت وعرفت بـ "معاهدة ديميشال"، التي احتوت على ستة محاور، جاءت لتنظيم العلاقة بين القوات الفرنسية المرابطة في الإقليم الغربي، وبين الأمير عبدالقادر، كما شملت تحديد مناطق نفوذ فرنسا، ومناطق نفوذ الأمير عبدالقادر، ولقد حاولت التركيز في هذه المعاهدة على المسائل التي كانت لها انعكاسات على علاقة المولى عبدالرحمان بالأمير عبدالقادر، وخاصة ما جاء في مقدمتها والمحور الأول، وقد ورد في نصها المترجم من الفرنسية إلى العربية ما يلي:

"إن الجنرال قائد القوات الفرنسية في مدينة وهران وأمير المؤمنين le prince des fideles سيدي الحاج عبدالقادر بن محي الدين قرر الشروط التالية:

توقف الأعمال العدائية بين الفرنسيين والعرب ابتداءا من يوم 26 فبراير 1834، وأن الجنرال قائد القوات الفرنسية والأمير عبدالقادر، لن يهملا شيئا لتثبيت هذا الاتحاد، والصداقة، التي يجب أن تكون بين شعبين اقتضت إرادة الله أن يعيشا تحت نفس السيادة،

---

[1] G. ESQUER, Histoire de l'Algérie après 1830, 1ère série, Paris, 1926, pp 15-16.
[2] ALAZARD et autres, Histoire et Historiens d l'Algérie, Paris, 1931, p 274.
[3] M. EMERIT, l'Algérie à l'époque d'Abdelkader, collection de document sur l'histoire de l'Algérie avant 1830, 2ème série, Paris, 1851, p 38.

ولهذا الغرض، فإن ممثلين مرسولين من قبل الأمير عبدالقادر يقيمون في وهران ومستغانم وآرزيو، ومن أجل تفادي الاصطدامات بين الفرنسيين والعرب، فإن ضباط فرنسيون يقيمون في معسكر"[1].

كما نصت هذه المعاهدة على فتح الأسواق أمام الطرفين، والتزام الفرنسيين باحترام الدين الإسلامي ومقدساته، والتزام الجزائريين برد الأسرى الفرنسيين، والتزام هؤلاء كذلك، برد كل من يفر من القصاص إلى وكلاء الأمير عبدالقادر[2].

إن ما نلاحظه من خلال هذا المحور هو وصف الجنرال ديميشال الأمير عبدالقادر بـ "أمير المؤمنين"، ولقد حاول بعض المؤرخين معرفة الأبعاد التي كان يهدف إليها هذا الجنرال من وراء هذا الوصف، من خلال طرحهم لعدة تساؤلات، كانت في مقدمتها هل كان غرض ديميشال إثارة الشقاق بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان؟، أم جاء هذا الوصف خطأ، لم يقصده هذا الجنرال[3]، أو كان يجهل معناه الحقيقي.

بيد أن المصادر التاريخية تشير بأن مصطلح أمير المؤمنين لم ترد المرة الأولى في هذه المعاهدة، بل وردت في رسالة بعث بها الأمير عبدالقادر إلى رئيس قبيلة الزمالة في أواخر عام 1832، والتي كان يطالبه فيها بالانتقال من المناطق المحاذية لمدينة وهران إلى المناطق الداخلية، وقد ورد فيها ما يلي: "إن بأمر المنصور بالله، واضع طابعه أعلاه، أمير المؤمنين سيدك ومولاك عبدالقادر الذي أعانه الله"[4]، والملاحظ أن الأمير عبدالقادر كان يتحاشى استعمال هذا اللقب في مراسلاته مع الحكومة المخزنية المغربية.

ويمكن استنتاج ملاحظة أخرى على هذه المعاهدة، حيث ارتبطت بقضية سيادة كل طرف على مناطق نفوذه، وقد حاول ديميشال حمل الأمير عبدالقادر على الاعتراف بالسيادة الفرنسية، مع الالتزام بدفع ضرائب سنوية[5]، بيد أنه لم يحصل من الحاج عبدالقادر، لا على اعتراف صريح بسيادة فرنسا على الجزائر، ولا بتعهد بدفع الإتاوة، وقد جاءت هذه

---

[1] تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبدالقادر، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجزائرية، 2004، ص 88.

[2] حميدة عمراوي معاهدة الدوائر والزمالة، 16 جوان 1835، مجلة الثقافة، الجزائر، العدد 88، ص ص129 – 130.

[3] DESTAILLEUR – CHANTRAINE, L’Emir Magnamine Abdelkader le croyant, Paris, 1953, p 50.

[4] الأمير عبدالقادر إلى داوود العربي، د ت 1832 SH. A. T. 1H18

[5] J. ALAZARD, op.cit, pp 203-204.

الفكرة، التي حاول من خلالها الجنرال إقناع الأمير عبدالقادر، في الفقرة التي جاءت في البند الأول من معاهدة ديميشال، "شعبين اقتضت إرادة الله أن يعيشا تحت نفس السيادة"، فمن خلال هذه العبارة أراد ديميشال أن يقنع الأمير عبدالقادر بأن الشعب الجزائري والفرنسي يخضعان لسلطة ملك فرنسا، وفي نفس الوقت، كانت تعني بالنسبة للأمير عبدالقادر، أن الفرنسيين والجزائريين بالجزائر، هم تحت سلطة هذا الجنرال، دون غيره من الجنرالات، وعليه يمكن القول أن ديميشال قد بادر إلى إبرام هذه المعاهدة دون دراسة جوانبها، والتفكير في خلفياتها، ولذلك فقد اعتبرت بعض المصادر بأن ديميشال قد تسرع في عقد معاهدة السلام مع الأمير عبدالقادر، ولم يدرس مسألتها مع الحكومة الفرنسية[1].

وعليه فقد أصبح الأمير عبدالقادر محاصرا في وسط سلطتين، السلطة المغربية التي اعترف بها ظاهريا، والسلطة الفرنسية التي أخفى الاعتراف بها، نظرا لغموض بنود المعاهدة وفقراتها، فالأمير عبدالقادر كان يهدف إلى ربح الوقت، والتفرغ لبناء أركان الدولة الجزائرية الحديثة، وإن الصلح كان بالنسبة له أمرا ضروريا، وذلك ما نستنتجه من خلال الرسالة التي بعث بها إلى السلطان العثماني عبدالمجيد، حيث ذكر فيها بأن الفرنسيين تحملوا شروطه التي أملاها عليهم لعقد الصلح، وقد تحملوها لأن الصلح يثني من عزيمة المسلمين، ويمتنعون عن الجهاد في سبيل الله[2].

ولقد اعتبر الجنرال ديميشال المعاهدة منعرجا سياسيا كبيرا في تاريخ فرنسا، وحدثا كبيرا، تحقق بواسطة الانتصارات التي أحرزها الجيش الفرنسي في الإقليم الغربي من الجزائر، الذي خضع لسلطته[3].

وعليه فقد كانت المعاهدة تخدم الطرفين، رغم انعكاساتها، فبالنسبة للأمير عبدالقادر، استفاد من فترة السلام مع فرنسا، وتفرغ للقضاء على خصومه المحليين، كما حصل على الدعم العسكري، حيث استفاد من كميات هائلة من الذخيرة وأنواع الأسلحة، كما قدم له

[1]CH. A. JULIEN, Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871), Paris, 1964, 1964, p 104.
[2] عبدالجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ليبيا تونس الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 221 – 226.
[3] تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص 89.

الجنرال ديميشال الدعم لتنظيم جيشه وتشكيل العسكر النظامي من خلال إمداده بقادة عسكريين لتدريب الجيش[1].

وعندما سمع سلطان المغرب بالمعاهدة، غضب غضبا شديدا من الأمير عبدالقادر، وسارع إلى إرسال بنونة إلى تلمسان، ونصبه ممثلا له في المدينة[2]، وقد أشارت بعض الكتابات التاريخية بأن المولى عبدالرحمان لم يرض بتلك المعاهدة، وأنها ستؤدي لا محالة إلى توتر العلاقة مع بعضهما البعض، بيد أن مصادر أخرى تؤكد لنا بأنه رغم معاهدة ديميشال، فإن العلاقة بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان ظلت مستمرة، ولم تتوقف[3]، وقد أشار مارسيل إميريت M.EMERIT بأن الأمير عبدالقادر قبل الموافقة على شروط معاهدة ديميشال قام بمشاورة عمه علي أبو طالب وميلود بن عراش، وهما من كبار مساعديه، فنصحاه بالرجوع إلى المولى عبدالرحمان، كما ذكر بأن السلطان رد على الأمير عبدالقادر بأنه إن كانت له القدرة على مواجهة القوات الفرنسية فلابد من ذلك، وإن كان غير قادر على ذلك فإن الحل هو السلم، واعتبر ذلك أمرا ضروريا لا يتعارض مع الدين ولا مع الشرف، وعليه فإن المولى عبدالرحمان لم يعارض المعاهدة ولكنه تخوف منها[4].

وقد أشار قنصل فرنسا بطنجة لهذه المسألة، عندما ذكر بأن المعاهدة لم تتسبب في توتر العلاقة بين سلطان المغرب والأمير عبدالقادر، حيث لم تنقطع الاتصالات بين الطرفين بل بقيت مستمرة، من خلال تبادل الرسائل والهدايا، وقد وصلت هذه الأخبار إلى وزير الحرب الفرنسي، الذي أدرك بأن الأمير عبدالقادر قد انتهج أسلوبين مختلفين تجاه فرنسا[5]، أي الإبقاء على ارتباطه الروحي بالسلطة المغربية، من خلال بعث الوفود وتبادل الهدايا من جهة، ومهادنة فرنسا وقبول دعمها من جهة أخرى، ورغم تقيد الأمير ببنود المعاهدة، فإنه لم ينقطع عن مراسلة السلطان وتبادل الهدايا معه، وقد كثرت احتجاجات الفرنسيين عن هذه العلاقة، ولم تنقطع تنديدات القادة العسكريين الفرنسيين، كالجنرال دوري

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 218.

[2] A COUR, L’Occupation marocaine de Tlemcen septembre 1830 – janvier 1836, RA, 1908, p 49.

[3] DECCOSE BRISSAC, op.cit, p 38.

[4] M. EMERIT, op.cit, p 38.

[5] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 188.

ديلان DROUET D'ERLANT،والجنرال تريزال TRIZEL، الذي عين كقائد على وهران، خلفا لديميشال في فبراير 1835.

وقد ذكر أكور بأن مجيء محمد بنونة إلى تلمسان، لم يكن لمواجهة الأمير عبدالقادر، الذي أبرم معاهدة صداقة وسلام مع الفرنسيين، وإنما كان من أجل توضيح العلاقة، وحمل بعض التوصيات لتوطيد الصلة بينهما[1]، كما أشار أكور بأن الأمير عبدالقادر لم يتردد في تعيين محمد بنونة قائدا للحضر في مدينة تلمسان[2]، حيث أكد بول آزان بأن الأمير عبدالقادر قد أعاد محمد بنونة في منصبه كقائد للحضر، بعد تدخل السلطان، وأصبح هذا العامل يستقبل الوفود والرسل باسم الأمير عبدالقادر، كالضابطين الفرنسيين اللذان بعث بهما الجنرال ديميشال، ويتعلق الأمر بدوماليني DEMALIENY وتاتاران TATARAN[3].

لقد أكد المولى عبدالرحمان دعمه للأمير عبدالقادر، من خلال الوقوف في صفه لإخضاع القبائل المتمردة، والقضاء على خصومه، ويظهر ذلك في تدخل السلطة المغربية في النزاع الذي نشب بين الأمير عبدالقادر ومصطفى بن إسماعيل رئيس قبيلة الدواير، بسبب امتناع بني عامر عن دفع المعونة التي فرضها عليهم[4]، حيث كلف مصطفى بن إسماعيل بمعاقبة بني عامر، بيد أنه بالغ في عقابهم، ولما تدخل الأمير عبدالقادر طالبا منهم التوقف رفض، فاضطر الأمير إلى إيقافه بالقوة، حيث بعث له بقوة لكنها انهزمت في 11 أفريل 1834[5]، ثم عاد الصراع بين الطرفين من جديد في شهر جويلية، حيث تدعمت قوات قوات الأمير عبدالقادر بقوات قبيلة أنكاد، بيد أن مصطفى بن إسماعيل طلب من ديميشال الدعم لكنه فشل[6]، ومع فشله تمكن الأمير عبدالقادر من إخماد هذه الفتنة، وفي طرس الأخبار ذكر العربي المشرفي بأن الحرب بين الدواير وبني عامر بقيت مستمرة، حتى تدخل المولى عبدالرحمان، الذي بعث للطرفين بكتاب أمرهم فيه بطاعة الأمير عبدالقادر[7]،

[1] تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص 33.

[2] A. COUR, l'Occupation, op, cit,p 13.

[3] P AZAN, op.cit, p 33.

[4] تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص 93

[5] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 188.

[6] CH. CHURCHILL, op.cit, pp 95-96.

[7] العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 96.

وفي تحفة الزائر لمحمد بن عبدالقادر، لا نجد الإشارة إلى تدخل المولى عبدالرحمان، إذ اكتفى بذكره بأن مصطفى بن إسماعيل بعد انهزامه، طالب من زعماء القبائل الرحيل إلى المغرب، والدخول في طاعة المولى عبدالرحمان، لكن زعماء هذه القبائل رفضوا خوفا على مصالحهم[1]، وكان من بين الذين رفضوا الرحيل إلى المغرب الأقصى، ذكر محمد بن عبدالقادر كل من ابن الغماري شيخ قبيلة أنكاد، والمازاري، الذي كان من قادة قبيلة الدواير، كما ذكرت بعض المصادر أن مصطفى بن إسماعيل بعد انهزامه، حمل غنائمه التي غنمها من الأمير ولجأ إلى المولى عبدالرحمان، الذي استقبله بفتور كبير، وطالبه بالعودة إلى الجزائر، حيث بعث معه مبعوثا لمصالحته مع الأمير عبدالقادر[2]، وهناك رأي آخر يرى بأن الأمير عبدالقادر هو الذي بادر بإرسال المبعوثين مع الهدايا، فقام السلطان ببعث رسالة إلى مصطفى بن إسماعيل، يطالبه فيها بالدخول في صف الأمير عبدالقادر[3].

ولقد قام بنشر هذه الرسالة عبدالرحمان بن زيدان، والتي كانت مؤرخة في 1 محرم 1250 هـ الموافق لـ 10 ماي 1824 م، حيث ذكر السلطان في مستهلها: "خادمنا الأرضى مصطفى بن إسماعيل، وبعدما وصلنا كتابك الأول والثاني، مخبرا بما شجر بينكم وبين الحاج عبدالقادر بن الحاج محي الدين، وبعد التحذير من استغلال الفرنسيين لهذا الخلاف، خاطبه قائلا: "وأنت في ذلك القطر من العقلاء والرؤساء النبلاء، فكان من حقك الأنسب لمثلك، أن تصلح ما أفسد الحاج عبدالقادر، وتسعى في ألفة المسلمين، وتنظر في العواقب، وتقصد بذلك وجه الله وحياطة المسلمين، وعليه فإن أردت رضى الله ثم رضانا، فاجتهد في الصلح بين خدامنا الدواير والزمالة، والشيخ ابن الغماري مع الحاج عبدالقادر بن محي الدين، لتجتمع كلمة المسلمين، ويكونوا يدا واحدة على من سواهم ونفسا متحدة على من عاداهم".

ولإتمام هذا الصلح، ذكر السلطان في هذه الرسالة ما يلي: "وها نحن وجهنا من خاصتنا وخيار جيش أخوالنا، صاحبنا حامله محمد بن العربي ليحضر الصلح المذكور،

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 215.

[2] A. COUR, op.cit, p 48-49.

[3] D'ESTAILLEUR. CHANTRAINE, op, cit, p 51.

وإياك والتراخي"[1]، إن هذه الرسالة تؤكد لنا بأن مصطفى بن إسماعيل لم يرحل إلى المغرب لملاقاة المولى عبدالرحمان، وإنما بعث بالرسائل والشكاوى من الأمير عبدالقادر، ونستنتج من الرسالة أن ابن الغماري شيخ قبيلة أنكاد لم يقف في صفه، وأن السلطان جاء في صف الأمير عبدالقادر، وفي الفقرة الأخيرة من الرسالة نستنتج أسلوب التحذير عندما ذكر السلطان "وإياك والتراخي"، وعليه فإن السلطان قد بذل كل الجهود، من أجل تحقيق الأمير عبدالقادر فكرة جمع صفوف القبائل، وقد أدى انهزام مصطفى بن إسماعيل إلى انضمام المازاري وابن الغماري إلى صف الأمير عبدالقادر، وقد حاول المازاري التوسط للصلح بين المتخاصمين، بيد أن مصطفى بن إسماعيل بعد لقائه بالأمير عبدالقادر، خرج مقتنعا بأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يضع يده في يد الأمير، أو يمد له يد العون[2]، ولقد اضطر إلى ترك رئاسة قبائل المخزن التي انضمت إلى صف الأمير عبدالقادر، ثم لجأ إلى أتراك مشور تلمسان[3].

وهنا استطاع الأمير عبدالقادر أن يكسب تأييد المولى عبدالرحمان، ويجعله يقتنع بأن معاهدة ديميشال لم يعقدها الأمير عبدالقادر، إلا لحاجته لكسب الوقت، حتى يتفرغ لخصومه، واستغلال الظروف لجمع القبائل وشحن القوى لمواجهة فرنسا، ومواصلة الجهاد[4].

ولقد كان الجنرال دي ميشيل لا يريد مواجهة الأمير عبدالقادر في معارك حربية نظامية مجهولة العواقب، وبخاصة بعدما ضربت عليه القبائل في الإقليم الغربي الحصار، ومنعت إمداد قواته بالأغذية والمؤن، بعدما أقنعها الأمير بضرورة قطع العلاقات مع الجيش الفرنسي، ومحاربته بمختلف الطرق، وخاصة الأسلوب الاقتصادي، كما حذر الأمير من التعاون مع الكفار بالعقاب الشديد، كما تمكن من الحصول على فتوى استصدرها كبار علماء المنطقة، نصت على اعتبار كل من يتعاون مع الفرنسيين أو يمد لهم يد المساعدة مرتدا عن دين الإسلام ومستنصرا، ونظرا للسياسة التي انتهجها الأمير عبدالقادر تجاه

[1] عبدالرحمن بن زايدان، المصدر السابق، ص 32 – 33.
[2] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 216.
[3] A. COUR, op.cit, p 50.
[4] CH. H. CHURCHILL, op, cit, p 93.

القوات الفرنسية، فقد وجد الجنرال دي ميشيل نفسه مضطرا إلى أن يتبع أسلوب المهادنة واللين، والتفاوض مع الأمير عبدالقادر، فشرع في مراسلته، والمطالبة بالصلح، وإطلاق سراح المعتقلين، بيد أن الأمير عبدالقادر لم يهتم بهذه الرسائل والاقتراحات التي قدمها دي ميشيل، ولكن بعد إصرار هذا الأخير وكثرة إلحاحه، قام الأمير ببعث رسالة أبدى فيها استعداده للتفاوض، وكان يأمل في إيجاد الفرصة لتثبيت أركان دولته، وتعزيز نفوذه على القبائل، خاصة تلك التي رفضت الخضوع لسلطته، ورفعت عصى العصيان في وجهه[1]، كما وجد الأمير في عقد الهدنة مع الفرنسيين، فرصة لاكتساب صفة الشرعية، والاعتراف من طرف الأعداء، ولقد كانت بداية المفاوضات في سبتمبر 1833، عندما وجه دي ميشيل عدة رسائل إلى الأمير عبدالقادر، وقد كلف ترجمانه عبدالله عصبون*، حيث طلب منه بالإفراج عن الأسرى الفرنسيين الذين وقعوا في أسره، وقد حملت رسائله في طياتها معاني التهديد، والتخويف من عواقب رفض مطالب فرنسا، بيد أن الأمير أجاب عن هذه الرسائل بأسلوب الاستخفاف، وذكر بأن الأسرى يحضون برعاية وحماية قواته، كما أكد أنه غير مجبر على إطلاق سراحهم لعدم وجود أي اتفاق أو معاهدة تلزمه بذلك، وهكذا تمكن الأمير من إرغام فرنسا على الاعتراف به خصما شرعيا، وصاحب نفوذ في الإقليم الغربي من الجزائر، وتجسد ذلك في الدخول في باب المفاوضات العلنية، حيث بعث الجنرال دي ميشيل مندوبين عنه للتفاوض باسمه بخصوص الأسرى، ونتج عن هذا اللقاء توقيع معاهدة الصلح، والتي عرفت بمعاهدة دي ميشيل يوم 24 فبراير 1834[2]، وقد نصت هذه المعادة على إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، وحرية التجارة، والسماح للأمير عبدالقادر باستخدام ميناء أرزيو، وفتحه أمام التجارة الخارجية اللازمة لسكان الإقليم، في المدن الكبرى كمستغانم، ووهران، اللتان سيطرت عليهما القوات الفرنسية، بالإضافة إلى منع الفرنسيين من المناطق التابعة لنفوذ الأمير عبدالقادر، دون الحصول على تأشيرة من مندوبيه في وهران وآرزيو ومستغانم، ومن طرف قائد الحامية الفرنسية[3]، وقد احتوت هذه المعاهدة

---

[1] عبدالجليل التميمي، بحوث ووثائق، ص 221 – 226.
* عبدالله عصبون، من أصل سوري، شارك برتبة كومندان في جيش نابوليون إلى غاية 1814، التحق بدي ميشال عام 1833، وعينه ترجمانا له في المفاوضات مع الأمير، ثم أصبح قنصلا لفرنسا بمعسكر حتى عام 1835، الرجوع إلى مذكرات الأمير عبدالقادر، المصدر السابق، ص 153.
[2] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 218.
[3] يحيى بوعزيز، الأمير عبدالقادر رائد الكفاح الجزائري، الطبعة الثانية، دمشق، 1954، ص 196.

عدت فقرات، كانت أهمها تلك التي نصت على انفراد الأمير عبدالقادر بالسلطة في أغلب أرجاء الإقليم الغربي من الجزائر، باستثناء آرزيو وهران ومستغانم، وقد ساهمت هذه المعاهدة في حدوث نوع من الهدوء في هذا الإقليم، وهذا ما مكن الأمير عبدالقادر من التوسع وإخضاع القبائل المتمردة، ولقد دلت المصادر بأن الجنرال دي ميشيل قد أبدى استعداده لدعم الأمير بالذخيرة والسلاح، والاستفادة من المدربين العسكريين لتعزيز قواته وتأهيلها لاستعمال مختلف الأسلحة[1]، وهكذا بدأت آثار المعاهدة تظهر على الصعيدين الاقتصادي والعسكري.

لقد أثارت هذه المعاهدة ضجة كبيرة ومشاكل كانت سببا في نقضها، حيث رفضت الحكومة الفرنسية الموافقة عليها، كون دي ميشيل قد بادر بإبرامها مع الأمير عبدالقادر دون دراستها ومعرفة جوانبها، وأنه تسرع في عقدها ولم يقم بمشاورة الحكومة الفرنسية[2]، وعليه فقد اعتبرت هذه المعاهدة عملا شخصيا قام به الجنرال دي ميشيل مع الأمير عبدالقادر، الذي استغلها أيما استغلال، وبدأ يوجه أنظاره نحو الإقليم الشرقي، الذي لم تتعرض المعاهدة لمصيره، حيث وسع نفوذه في إقليم التيطري، وبخاصة في مدينة المدية ومليانة، وأخضع واحة بسكرة، كما تفرغ لمواجه خصومه الدواير والزمالة ورئيسها مصطفى بن إسماعيل، الذي كان من أشد الرافضين للخضوع لسلطة الأمير عبدالقادر، لدرجة أنه فضل التعاون مع القوات الفرنسية[3]، وذلك بعدما فشل في الإطاحة بالأمير عبدالقادر والقضاء على سلطته، وعليه فإن هذه المعاهدة قد لقيت رفضا كبيرا من طرف البرلمان الفرنسي، كما أدت إلى سخط واحتجاج الحاكم العام دوري ديرلون على تحركات الأمير عبدالقادر في الإقليم الغربي، كما أقدم على مطالبة الأمير عبدالقادر بالكف عن التوسع في إقليم التيطري، وأصر على إقالة دي ميشيل، وتعيين تريزل TREZEL بدله، وقد كان هذا الجنرال من أنصار الحرب على الأمير عبدالقادر، حيث صمم على نقض هذه المعاهدة، وسعى لإيجاد الأسباب والحجج، والتي وجدها في قبيلتي الدواير والزمالة، اللتان أعلنتا ولاءهما للقوات الفرنسية، والدخول في طاعتها، بالإضافة إلى الالتزام بدفع الإتاوة،

[1]CH. H.CHURCHILL, op.cit, p 88.

محمد بن عبدالقادر المصدر السابق، ص 216.

[2]CH. A. JULIEN, op.cit, p 104.

[3] العربي المشرفي، ألمصدر السابق، ص 96.

وقد اعتبر الأمير عبدالقادر ذلك خرقا لبنود المعاهدة، وطالب برفع الحماية الفرنسية على الدواير والزمالة، بيد أن تريزل رفض ذلك، وبالتالي فإن الهدنة مع فرنسا لم تدم طويلا، بحيث بعد انقضاء ستة عشر شهرا، عاد التوتر من جديد ابتداءا من شهر جويلية 1835، عندما اتفقت القبيلتان مع تريزيل من أجل حمايتهما، مقابل الاعتراف بسيادة فرنسا عليهما[1]، وأمام هذا الرفض أصبحت الحرب بين الطرفين أمرا حتميا.

بعدما شرع الطرفان في تنفيذها مباشرة، وبخاصة في المناطق التي كانت خاضعة للقوات الفرنسية، حيث شرع الجزائريون الذي غادروا أراضيهم يعودون إليها بصفة تدريجية، ويمونون الأسواق بالمواد الغذائية، ورغبة من السلطات الفرنسية تسهيل المعاملات، قامت بوضع الموازين والمقاييس تحت تصرف التجار، وخصصت الشرطة الخاصة لتأمين هذه المعاملات، ونتيجة لهذه الإجراءات بدأت السفن التجارية ترسوا بميناء المرسى الكبير[2]، وأصبحت جموع القوافل تتجه من الجنوب نحو الشمال، محملة بالمنتجات الصحراوية والإفريقية، كالصوف، الجلد المدبوغ، الحرير، السجاد، وكانت هذه السلع تتدفق على تلمسان من المغرب الأقصى خاصة، ونتيجة لرداءة الأحوال الجوية بأوربا، اضطرت القوات الفرنسية إلى طلب العلف من الأمير عبدالقادر، الذي أمر القبائل بمد الفرنسيين بالعلف، ولقد سهلت هذه المعاهدة كذلك في تداول العملة الفرنسية في الريف الجزائري لأول مرة في التاريخ، بالإضافة إلى العملة الاسبانية، ولقد اعتبر الفرنسيون ذلك عاملا هاما في نشر الحضارة الفرنسية كما كانوا يزعمون، ورغم ذلك فإن الجهات المعارضة للمعاهدة من الفرنسيين اعتبروا هذا الإجراء غير كافي لترضية فرنسا، ومع ذلك قام الفرنسيون بضبط أسعار المنتجات، وتحديد سعر القمح والشعير، حيث ساهم انخفاض السعر في تموين الجيش الفرنسي بكميات هائلة تكفيه لسنوات عديدة، ومن الإجراءات التي قام بها الطرفان، إعلان الأمير عبدالقادر أسماء الناس الذين يمثلونه في مستغانم ووهران وآرزيو، كالحاج الحبيب في وهران، وولد محمد في آرزيو، ويهوذا بن داران في الجزائر، وبالنسبة للجنرال ديميشيل، فقد عين ممثلا له وهو الكومندان عبدالله عصبون، وفي ظل هذه الظروف، كان

[1]CH. H.CHURCHILL, op.cit, p 105-107.

[2] من تقرير الجنرال ديميشيل إلى وزارة الحربية الفرنسية بتاريخ 14 ديسمبر 1834، الرجوع إلى إسماعيل العربي العلاقات الدبلوماسية في عهد الأمير عبدالقادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 45.

الأمير عبدالقادر يعمل على تدعيم الأسس لإقامة الدولة الجزائرية الحديثة، وتنظيم علاقاتها مع فرنسا، وقد واجهته عدة مشاكل، كانت في مقدمتها ظهور بعض الزعماء من القبائل الجزائرية، الذين دعوا لأنفسهم الزعامة والقيادة، مثل مصطفى بن إسماعيل شيخ الدواير، وشيخ قبائل الشلف سيدي العربي، وشيخ أنجاد الغماري، ولقد تطور الأمر، حيث وقع الاصطدام بين هؤلاء في 23أفريل 1834، وبعد صراع طويل تمكن الخصوم من إضعاف قوة الأمير، وتشتيت شمل جيشه، ورغم ذلك، فإن الجنرال دي ميشيل لم يقم بمحاولة تعديل بنود المعاهدة، بل عرض على الأمير عبدالقادر المساعدة العسكرية حتى يستعيد نفوذه، ويتخلص من خصومه[1]، ولقد ترفع الأمير عبدالقادر، ورفض مساعدة دي ميشيل العسكرية، واكتفى بإرسال الميلود بن أعراش* إلى وهران، ليشتري من القيادة العليا الفرنسية السلاح والذخيرة، حيث اشترى 400 بندقية وكميات من الذخيرة[2]، وبذلك تمكن الأمير من تحقيق انتصارات على أعدائه، واستعاد نفوذه، حيث تدعم بوفود جاءت من الجزائر والمدية وقسنطيمة وعنابة، وعرضوا عليه رغبتهم في الدخول في صفه، ولقد كان موقف الجنرال دي ميشال من هذا المخطط السياسي إيجابيا، بحيث اعتبره يخدم مصلحة فرنسا بالدرجة الأولى، كونها كانت تسيطر على المناطق الساحلية، واعتبر استتباب الأمن والاستقرار في المناطق الداخلية، يضمن بقاء القوات الفرنسية في المناطق الأخرى.

وهكذا تمكن الطرفان من خلق جو من التفاهم والسلام بينهما، حيث أصبح الفرنسيون يمونون المدن المحتلة بكل ما تحتاجه من مؤن، واستفاد الجزائريون من التبادل التجاري[3]، لدرجة أن الأمير قام بعقد اتفاق شراكة في خريف 1834، توصل من خلاله إلى تصدير الصوف، القمح، الشعير، الشمع، الجلود والزيوت إلى إسبانيا، واستيراد الأسلحة، القهوة، السكر، الشاي، التوابل، وقد اعتبر جزيرة رشقون هي القاعدة البحرية التي يتم فيها التبادل التجاري، ولقد ضمت هذه الشركة شخصيات يهودية وإنجليزية وإسبانية، وأصبحت بذلك هذه الجزيرة تحل تدريجيا محل ميناء وهران، وكان هدف الأمير عبدالقادر من هذه

[1] DESMICHELS Oran sous le commandement du général DESMICHELS, onsil 1835, p 140-150.

* الميلود بن عراش: ولد في بني شقران نشأ في ظل الحكم العثماني، عينه الأمير آغا على معسكر في خلافة ابن التهامي، عُرف بالشجاعة والمهارة فأسند إليه الأمير الشؤون الخارجية، حيث أشرف على معاهدتي دي ميشيل وتافنة، الرجوع إلى تشرشل شارل هنري، المصدر السابق، ص 16.

[2] تقرير الجنرال دي ميشال، المصدر السابق، ص 153-154.

[3] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، 216.

الشركة، هو تنويع علاقاته التجارية وضمان استقلالية دولته اقتصاديا، ووضع توازن بين التبادل التجاري الفرنسي والبريطاني، ولهذا ظهرت مخاوف السلطات الفرنسية، وبدأت المعارضة في فرنسا، وفي القيادة العليا لجيش الاحتلال، على وجه الخصوص تعمل لنقض معاهدة دي ميشيل، وفي 22 جويلية 1834 يقرر ملك فرنسا إنشاء الولاية العامة، ويعين أول والي عام دوري ديرلون، الذي كان عضوا من الأعضاء البارزين في مجلس الشيوخ، وفي بداية أكتوبر 1834، بعث الأمير عبدالقادر ببعثة إلى الجزائر، برئاسة ميلود بن عراش، لتقديم التمنيات إلى الوالي العام الجديد، وقد استقبل الوفد الجزائري بحفاوة، حيث أبدى الفرنسيون نيتهم في التعايش مع الجزائريين، بيد أنه لم يرد بصراحة على مشروع الأمير باستتباب الأمن، من حدود تلمسان إلى أقصى حدود قسنطينة[1]، وبعد حث الجنرال دي ميشيل على ضرورة الموافقة للاستفادة من الامتيازات التي ضمنتها المعاهدة، طالب بتكميلها بمعاهدة أخرى واضحة، كما أكد على ضرورة تحديد مناطق نفوذ الأمير عبدالقادر في شرق الجزائر، وضبط مناطق السيادة الفرنسية معه، كما أكد على موافقة الملك عليها، بيد أن الأمور لم تسر على هذا المنوال، إذ سرعان ما بدأ الوالي العام ينتقد سياسة ديميشيل، ويحمله مسؤولية ما يحدث من تطورات في الإقليم الغربي خاصة، وفي 26 ديسمبر 1834، بعث برسالة إلى وزير الحرب، أشار فيها إلى الأخطار التي قد تنجر عن نشاط الأمير في المناطق الداخلية، نتيجة الترضيات الكبيرة، التي قدمها له دي ميشال، كما طالب بعزله، حيث اعتبره متورطا مع الأمير عبدالقادر في تلك المعاهدة، واقترح تعيين الجنرال تريزال قائدا للقوات الفرنسية بوهران، والذي تم تعيينه في 20 جانفي 1835[2].

وعلى كل حال، فإن عقد معاهدة دي ميشال في 26 فبراير 1834، قد ساهمت في فتور العلاقة نوعا ما بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان، حيث أصبح الأمير يحتكر ميناء آرزيو ورشقون، ولم يعد بحاجة إلى مساعدة السلطة المغربية لتموينه بالسلاح والذخيرة، ومن جهة السلطان، فقد تبين وجهة نظر العناصر الدينية، التي لم تعتبر المعاهدة إجراءا تكتيكيا، بل تحالفا مع الكفار، وضعفا وتسليما للفرنسيين، وبذلك أصبحت العلاقة بين

[1]DESMICHELS, Oran sous le commandement du DESMICHELS, op, cit, p 154.
[2]CH. CHURCHILL, op.cit, pp 105-107.

معسكر ومكناس شبه متوقفة، ومن خلال المادة العلمية التي حصلنا عليها، وجدنا موقفين متباينين تجاه هذه المعاهدة، فهناك من رآها قد تسببت في فتور العلاقة الجزائرية المغربية، كونها كانت مع الأعداء والكفار، ولقد ذكرت بعض المصادر، بأن المولى عبدالرحمان قد غضب كثيرا من معاهدة ديميشال، وقام بإرسال محمد بنونة إلى تلمسان، لاستئناف العمل كممثل له في المدينة[1]، وقد ذكر دي كوسي بريساك بأن السلطان لم تنل رضاه المعاهدة[2]، خاصة بعدما أصبح الأمير عبدالقادر في غنى عن المساعدات، التي كان يتلقاها برا من المغرب، بعدما أصبح ميناء رشقون وآرزيو تحت سيطرته[3].

وهناك رأي آخر رأى في المعاهدة بأنها ساهمت في توطيد العلاقة بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان، لأن الأمير قبل أن يعقدها أكد على الرجوع إلى السلطان، وهذا ما أكده ممثل فرنسا بمعسكر إلى الجنرال ديميشال في شهر جويلية 1834، حيث ذكر بأن الأمير عبدالقادر عندما شاور عمه أبو طالب والميلود بن عراش حول الشروط التي وضعتها فرنسا لعقد المعاهدة، أشارا له هؤلاء بضرورة إعلام سلطان المغرب بها، ومشاورته، وحسب هذا التقرير، ذكر الممثل الفرنسي بأن المولى عبدالرحمان رد على استفسار الأمير عبدالقادر، بأنه إذا كان قادرا على مواصلة الحرب وطرد الفرنسيين، فلا يجب أن يتراجع، وإذا لم تكن له القدرة على ذلك فإنه لن يعارض موقفه[4]، وبالفعل، فقد ذكر محمد بن عبدالقادر بأن المولى عبدالرحمان بعد إبرام المعاهدة قام بإرسال وفد لتقديم التهاني، وكان هذا الوفد مصحوبا بالهدايا الثمينة، بالإضافة إلى كميات هائلة من الذخيرة والسلاح، ولقد ذكرت بعض المصادر الفرنسية بأن الاتصالات بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان ضلت مستمرة، وبقي الطرفان يتبادلان الهدايا[5]، وعليه فإن الرأي الأول ذكر بأن السلطان قد غضب، واعتبر ذلك تحالفا مع الكفار، لابد من إعادة النظر والتأكد منه، أما بالنسبة لاستغناء الأمير عن الدعم المغربي بعد حصوله على آرزيو

---

[1] العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 96.

[2] DECOOSE BRISSAC, op.cit, p 38.

[3] ياسين إبراهيم،موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر، رسالة ماجستير، المغرب، ص 204.

[4] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 188.

[5] A. COUR, op.cit, p 49.

ورشقون، فإن المصادر الفرنسية تؤكد بأن الكميات الهائلة التي كانت تصل الأمير من المغرب عن طريق البر، لا يمكن مقارنتها من حيث الحجم بتلك التي كانت تصله بحرا[1].

وعلى الرغم من أن مقاومة الأمير عبدالقادر لم تكن تتعدى حدود القبيلة والمنطقة، فإنه وظف كل الوسائل، وسخر كل الإمكانات من أجل مواصلة جهاده، فتفاوض مع الفرنسيين، ووقع المعاهدة معهم، والتي اعتبرت اعترافا صريحا ورسميا بهذا الزعيم والمقاومة، وقد أدى هذا الاعتراف إلى جر المولى عبدالرحمان سلطان المغرب على الاعتراف بها كذلك[2].

بيد أن المعاهدة مع دي ميشال أثارت نقاشا حادا في باريس، وبخاصة في أوساط البرلمان الفرنسي، وبعض ضباط الجيش، حيث نظر إليها هؤلاء بنظرة التساهل وتقديم التنازلات، وقد ساد عدم الرضا والارتياح، وأصبح الفرنسيون يناورون في الكواليس من أجل إلغائها والتشدد تجاه الأمير عبدالقادر، وكان من أبرز القادة العسكريين الفرنسيين الذين رفضوا بنود المعاهدة، الجنرال تريزالTREZEL* الذي كان يراقب الأمير عن كثب، ويتحين الفرص للوقوف في وجهه، وبالفعل فقد اغتم فرصة تصدي الأمير عبدالقادر لموسى بن الحسين الملقب بـ "أبو حمار♦" هذا الأخير الذي قام بالاستيلاء على مدينة المدية، ولقد حاربه الأمير وخلص المدينة منه، وعلى غثر هذا الحدث، ثار الجنرال تريزال، الذي اعتبر تصرف الأمير عبدالقادر بمثابة الخرق الصريح لمعاهدة دي ميشيل، وبدأ يناور سياسيا وعسكريا، حتى يتمكن من إقناع الوالي العام، لإصدار قرار إلغاء المعاهدة، وإعلان الحرب على الأمير، بيد أن الوالي لم يكن في البداية متحمسا للفكرة، لكنه اعتمد على توصيات لجنة التحقيق التي كانت تفضل فكرة الاحتلال الواسع للأراضي الجزائرية، فقام بشن هجومات على مواقع الأمير، معتقدا بأنه لا يستطيع الوقوف والتصدي

---

[1] DESTAILLEUR, CHANTRINE, op.cit, p 51.
[2] ALAZARD et les autres, op.cit, p 274.
* تريزال TREZEL ولد في باريس عام 1785، انخرط في الجيش عام 1805 ارتقى إلى عدة مراتب عسكرية، عين قائدا على القطاع الوهراني عام 1835، الرجوع إلىchangarnier, op.cit, p 10
♦ أبو حمار: هو الحاج موسى الدرقاوي، أصله من مصر، كان ضمن جنود محمد علي، ظهر في الجزائر أثناء توقيع معاهدة دي ميشيل، حيث اتهم الأمير بالتخلي عن جهاد الكفار، ادعى بأنه المهدي، وبقدرته على الخوارق والكرامات، حاربه الأمير وشتت جمعه، وعين على مدينة المدية خليفة له وهو محمد البركاني، الرجوع إلى محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 250-251.

له، واختار مكانا قرب وادي سيق*، ولقد ترك الأمير القوات الفرنسية تتحرك بكل حرية، واكتفى بمراقبتها، وفي نفس الوقت كان يعد للخطة العسكرية التي تمكنه من تطويق الجند الفرنسيين، بالفعل عندما حلت القوات الفرنسية قرب مستنقعات المقطع، انقض الأمير عبدالقادر عليها بقواته في يوم 28 جوان 1835، قضى خلالها على ربع الجيش الفرنسي، ولقن تريزال درسا في البطولة والشجاعة[1].

ولقد أذهب هذا الجنرال بتهوره الفرصة على الوالي العام الذي كان يبحث في الخطة التي يتفاوض من خلالها مع الأمير عبدالقادر، حيث وجه رسالة إلى تريزال قال فيها: "كم يؤلمني أن أعرف أنك قمت بحركة هجومية، بعد أن أوصيتك مرارا وتكرارا بأن تتجنب كل ما من شأنه أن يعكر صفو السلام، وأنا أفم كيف تسرعت بهذا الشكل، واغتنمت أول فرصة للتدخل بالسلاح، وأما هروب مصطفى والكولغوليين، فقد تكون ذات فائدة في حالة ما إذا واجهتنا ضرورة قصوى لقطع العلاقات مع عبدالقادر، ولكنني سأنتظر نتيجة المفاوضات التي سيجريها الكومندارن لاموريسيار بالنيابة عني، وسيحاول هذا الضابط الحصول على تنازله عن القبائل التي تقيم في ضواحي وهران، ولكنه إذا وقع ما لا أنتظره، وأصبحت كل محاولة للصلح مستحيلة، فإني أفضل أن تقوم بهجوم خاطف على العدو، وتضطره إلى الدخول في ترتيبات معنا، بدلا من أن تعسكر في مكان بعي عن وهران، حيث يمكن أن تتعرض مواصلاتك للانقطاع"[2].

وهكذا كانت لمعركة المقطع آثار كبيرة على مستقبل فرنسا بالجزائر، الأمر الذي أدى بهذه الأخيرة إلى إعادة النظر في حساباتها، حيث استدعت من جديد الجنرال كلوزيل المتحمس لسياسة الاحتلال الواسع، وأمام هذا الوضع الجديد، لجأ الأمير عبدالقادر لأسلوبين جديدين، حيث ضرب حصارا اقتصاديا على مدينة وهران ووسط البلاد، وشرع في الاتصال بالحكومة الانجليزية في محاولة لكسب تأييدها لمقاومته من جهة، ولفت نظرها لمنافسة فرنسا من جهة أخرى، كما قام بتحصين مدينة معسكر، وشحنها بالعدد والعدة، إدراكا منه بأن القوات الفرنسية لن تنسى الهزيمة في المقطع، وبالفعل قرر الجنرال كلوزيل

---

*واد سيق: واد بمقاطعة معسكر يمتد على مسافة 220 كلم، يتصل بواد المقطع، الرجوع إلىdumas, op.cit, p 44

[1] إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبدالقادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 44.

[2] محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1831-1854، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ط 2، الجزائر، أوت 1985، ص 44.

غزو مدينة معسكر، وقد دافع عليها الأمير عبدالقادر ببسالة وشجاعة، لولا تخاذل بعض رؤساء القبائل، فتمكنت القوات الفرنسية من احتلال المدينة، بعد ما أجلى الأمير سكانها، ولقد كان لهذا الحدث تأثيرا كبيرا على نفسيته، الأمر الذي أدى به إلى التفكير في التنحي عن السلطة، بيد أنه عدل عن الفكرة بعد إلحاح شيوخ القبائل المؤيدة وأعيانها[1]، وعاد من جديد لتنظيم الصفوف، فقام بمحاصرة المدن التي كانت تتواجد بها القوات الفرنسية، وشن عدة هجومات كانت أهمها معركة واد السكاك في 6 جويلية 1836، حيث قاد الخليفة البوحميدي الولهاصي وابن التهامي الفرقة الأولى للمشاة غير النظاميين[2]، وقد تكبدت القوات الفرنسية خسائر كبيرة، واسر الأمير 130 جنديا، وغنم 500 بندقية، وهذا ما أشارات إليه المصادر الفرنسية[3].

وعلى إثر هذه الهزيمة التي مني بها الجيش الفرنسي، سارع الجنرال بيجو إلى بعث رسالة إلى الأمير عبدالقادر، قال فيها: "أستطيع أن أعرض عليك السلام بصراحة نبيلة لأنني أحس في نفسي بقوة تامة لتكوين جيشي، وبنشاطي وحيويتي الشخصية .. إذا كنت تنصت إلى صوت الإنسانية والحكمة، فابعث برجال تثق بهم، ليحملوا إلى مقترحاتك، لكي أحولها إلى ملك الفرنسيين"[4]، وعلى إثر هذه الرسالة، فكر الأمير عبدالقادر في مقترحات الجنرال بيجو، واقتنع بأنه بحاجة إلى فترة سلام والوقت لاسترجاع الأنفاس وتنظيم الصفوف بالإضافة إلى التموين والتمويل.

---

[1] إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 46.
[2] MARTIMPREY, souvenir d'un officier d'état major, maison contint, Oran, 1886, p 40.
[3] BELLEMARE, Abdelkader sa vie politique et militaire, France, 2003, p 80.
[4] CH.H.CHERCHIL, op.cit, pp 120-121.

:

بعد عزم الجنرال تريزالTRIZEL*على غزو مدينة معسكر عاصمة الأمير عبدالقادر، تجددت الحرب من جديد، حيث توجه هذا الجنرال إلى المدينة على رأس قوة عسكرية تكونت من ألفين وخمسمائة جندي، بيد أن القوة مُنِيت بالهزيمة في منطقة تدعى بالمقطع في يوم 28 جوان 1835، حيث خسر تريزال ثلاثمائة قتيل ومائتي جريح حسب المصادر الفرنسية[1]، وبعد هذه الهزيمة قامت فرنسا بعزل الجنرال تريزال عن وهران[2]، وإقالة الحاكم العام دوري ديرلان، وتعيين المارشال كلوزيل[3]♦CLOUZEL، وبعد هذا النصر الذي أحرزه الأمير عبدالقادر بعث برسالة إلى المولى عبدالرحمان لإخباره بالنصر على فرنسا[4]. كما احتفظ الأمير عبدالقادر بعدد كبير من الأسرى الفرنسيين، وقد احتج القنصل الفرنسي ميشان على احتفاظ الأمير عبدالقادر بهم، وطالب من المولى عبدالرحمان إطلاق سراحهم، بيد أن السلطان وفي رسالة بعثها إلى هذا القنصل أجاب بأن هؤلاء قد دخلوا في الإسلام، وأنهم أحرار في أرض الإسلام[5]، بيد أن السلطان سمح لهم بالعودة إلى بلادهم، حيث تم ترحيلهم من طنجة ومدينة الصويرة[6].

وقد أذاع الناس في المغرب خبر انتصار الأمير عبدالقادر على القوات الفرنسية، وقد ألهب هذا الخبر حماسهم وزاد من إعجابهم به، كما ذكر الناصري أن المولى عبدالرحمان لما رأى ما عليه الحاج عبدالقادر، من جهاد عدو الدين، وحماية بيضة المسلمين، أعجبه حاله، وحسنت منزلته عنده، لأنه رأى أنه قام بنصرة الإسلام على حين لا ناصر له، فصار السلطان يمده بالخيل والسلاح والمال المرة بعد المرة[7]، وحسب المصادر الفرنسية، فإن الأمير عبدالقادر كان يتلقى الدعم المعنوي والمادي من المغرب، حيث كان

---

* تريزال TRIZEL جنرال فرنسي 1786-1860 بدأ في الجيش الفرنسي مع نابوليون، شارك في معركة المقطع، عين وزيرا للحرب عام 1835، لمزيد من المعلومات الرجوع إلى العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 19.

[1] MAL. BOSQUET, lettre du maréchal BOSQUET, 1830-1858, NANCY, 1894, p 58

[2] الناصري، المصدر السابق، ص 43 – 44.

[3] P. AZAN. Les débuts d'Abdelkader, Tome 1, Oran 1920, pp 49 – 52.

♦ كلوزيل CLOUZEL 1772-1842، شارك في ثورة 14 جويلية 1830 حصل على رتبة مارشال بالجزائر، فشل في تطبيق سياسة الحرب المصغرة، التحق بعدها بمجلس النواب الفرنسي، الرجوع إلى أديب حرب، المرجع السابق، ص 51.

[4] GESQUER. Correspondance du Mal Clouzel 1835-1837, Paris, 1949-1950, p 111

[5] المولى عبدالرحمن إلى القنصل ميشان، 1 شعبان 1251 هـ الموافق لـ 22 نوفمبر 1835 E.C.P.M.V.4.F.126.

[6] GESQUER. Op.cit. P 288.

[7] الناصري، المصدر السابق، ص 44.

السلطان يدعمه بالذخيرة والسلاح، ومن خلال هذه التقارير التي كان يبعث بها المارشال كلوزيل إلى وزير الحرب، فإن الدعم العسكري الذي كان يقدمه المغرب إلى الأمير كان يتمثل في المدافع، البارود، البنادق، الرصاص، وكانت هذه الذخائر تجلب من جبل طارق إلى ميناء رشقون، ثم توجه إلى معسكر، وقد زادت هذه الإمدادات خاصة في الفترة الممتدة ما بين شهري سبتمبر ونوفمبر، ونتيجة لاستخدام المغاربة لهذا الخليج، قام كلوزيل باحتلاله والاستيلاء على جزيرة رشقون الواقعة مباشرة أمام مصب نهر تافنة، ولقد كان هذا المارشال يلح على إخبار الحكومة الفرنسية، وضرورة التعجيل في تطبيق مشروعه التوسعي لغزو معسكر وتلمسان، كما كان يحذر من استمرار الإمدادات المغربية، وعدم تأخير غزو تلمسان، لأن ذلك اعتبره تقصيرا، وأنه سيؤدي إلى عودة النفوذ المغربي إلى المدينة، وسقوطها في يد المولى عبدالرحمان[1].

ولقد استمر الأمير عبدالقادر في جلب المعونة العسكرية من المغرب، كما حاول من الاستفادة من دعم الحكومتين الانجليزية والأمريكية، حيث بعث برسالتين في 22 سبتمبر 1835، الأولى وجهها إلى قنصل إنجلترا بطنجة دريمون هاي D. HAY، والثانية إلى ملكها غليوم الرابع GUILLOUM IV، وقد أجابت الحكومة البريطانية الأمير عبدالقادر عن طريق قنصلها، بأن الظروف لا تسمح بالاستجابة لمطالبه[2]، ورغم ذلك فقد أبدى الانجليز استعدادهم للوساطة بينه وبين ملك فرنسا، ويبدوا من خلال هذا الجواب أن الأمير عبدالقادر، قد أخطأ في اختيار الوقت المناسب لمراسلة ملك إنجلترا، لأن العلاقات بين ملك فرنسا وملك إنجلترا كان يسودها التفاهم، والاتفاق على استقرار الأوضاع السائدة، ويبدوا كذلك من خلال الأجوبة، أنها تعرضت للتزييف والتحريف، نتيجة عمل المترجمين في لندن.

ولقد أخطأ بول آزان في ترجمة فقرات رسائل الأمير عبدالقادر، ومن بينها الفقرة التي جاء في نصها الأصلي: "تلاقوننا في أي مرسى تريدونها من مراسي الجزائر، إلى طاعة مولانا أمير المؤمنين عبدالرحمان"، فبعد الترجمة أصبح نصها: "سنتفاهم معكم

---

[1] GESQUER. Op.cit, P 278.

[2] أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبدالقادر الجزائري، ش و ن الجزائر، 1983، ج 2، ص 51.

للمتاجرة في أي مرسى يعجبكم من مراسي الجزائر التي هي تحت سلطة سيدنا أمير المؤمنين عبدالرحمان"[1]، وقد ذهب دي كوسي بريساك إلى القول بأن الأمير عبدالقادر كان يقدم نفسه في رسائله كنائب عن سلطان المغرب[2]، بيد أن الأمير في رسائله التي كان يبعثها، كان دائما يذكر اسم "أمير المؤمنين"[3].

وبعد فشل الأمير عبدالقادر في كسب تأييد الإنجليز، حاول الاتصال بالأمريكيين، من خلال رسالة بعث بها إلى قنصل أمريكا بطنجة جيمس، حيث اقترح الأمير إقامة تعاون لمواجهة فرنسا، وذلك بأن يقاتل الأمريكيون الفرنسيين في البحر، ويتكفل هو بهم في البر، حيث اغتنم الأخير توتر العلاقات بين الطرفين.

وبعد هذا النصر الذي أحرزه الأمير عبدالقادر على الجنرال تريزال، والذي تكبّد خسائر فادحة للفرنسيين، وقد ترك هذا الانهزام آثار شديدة السوء في باريس، حيث تخوف العسكريون أن تقوم الحكومة الفرنسية بتغيير فكرتها وموقفها من احتلال الجزائر، فبادروا بالضغط عليها لإبقاء حامياتها العسكرية بالجزائر، وفي ظل هذه الظروف بادرت الحكومة الفرنسية بمحاولة التخفيف من حدة هذه الصدمة، وتهدئة الرأي العام الفرنسي، بإجراء تغيرات على مستوى القيادة، فأقالت الحاكم العام ديرلون، والجنرال تريزال حاكم وهران، كما تم استدعاؤهما من الجزائر، وعُيِّن المارشال كلوزيل حاكما عاما، والذي كان من دعاة الاحتلال الشامل للجزائر منذ عام 1830، وعندما حل بالجزائر هذه المرة كان مصمما على غزوها، ولتحقيق سياسته كرس كل الجهود من أجل القضاء على قوات الأمير عبدالقادر، فسار بنفسه إلى معسكر على رأس قوة عسكرية كبيرة، تتكون من أحد عشر ألف رجل، مدعمة بستمائة فارس من قبائل الدواير والزمالة، وثلاثمائة من أتراك المشور، كما شارك في هذا الغزو الدوق دورليان DUC D'ORLEANS ابن الملك الفرنسي[4].

---

[1]P. AZAN. L'Emir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulmon ou patriotisme français, ed HACHETTE, Paris 1929, p 60
[2]DECOSSE BRISSAC. Op. cit. p 36
[3] عبدالجليل التميمي، المرجع السابق، ص 213 – 216.
[4]CH. A. JULIEN. Histoire de l'Algérie contemporaine (1830-1852), Paris, 1964, p 128.

وعندما سمع الأمير عبدالقادر بهذه التحركات، غادر تلمسان التي كان يحاصر فيها الأتراك ومصطفى بن إسماعيل*، وبادر بتنظيم قواته للدفاع عن مدينتهم[1]، وكان هذه المرة مدركا بأنه لن يقدر على مواجهة القوات الفرنسية الهائلة، من خلال بعض المعارك التي خاضها في الثالث ديسمبر 1835، فاضطر الأمير إلى إخلاء المدينة التي دخلها كلوزيل في 06 ديسمبر 1835، وقد دب الهلع والفزع في النفوس، حيث بادر الحشم إلى نهب ممتلكات السكان، وتخريب مقر الأمير، ودار الخزائن[2].

وقد كانت صدمة الأمير عبدالقادر بموقف أنصاره قوية من صدمة الهزيمة أمام كلوزيل، وحسب ليون روشLeon ROCHES♦ فإن الأمير بقي يتذكر الغدر الذي لقِيَه من أنصاره الذين لم يكونوا يلقبونه إلا بـ "سلطان الغابة"[3]، وبعد انسحاب كلوزيل من معسكر تركوا المدينة طعما للنيران، ثم عاد رؤساء الحشم طالبين من الأمير الصفح والعفو، على ما بدر منهم في حقه وفي حق البلاد، ولشدة غضبه عنهم وحزنه العميق، فقد اقترح عليهم أن يعينوا رجلا آخر غيره لقيادتهم، وأنه قرر الرحيل إلى المغرب، بيد أنهم توسلوا إليه أن لا يتخلى عنهم ويتركهم بلا راع، وبعد إلحاح كبير قبل الأمير بالبقاء[4]، وقد كان من الأنصار الذين تخلوا عن الأمير عبدالقادر قائدا الدواير والزمالة، مصطفى بن إسماعيل والمازاري٭، الذي التحق بالمارشال كلوزيل، والذي عينه خليفة لإبراهيم باي قائد مستغانم، كما منحه لقب "آغا سهل وهران"، وهكذا فقد الأمير نهائيا الآمال في كسب ولاء وتأييد الدواير والزمالة، حيث بقيت هذه القبائل تابعة للقوات الفرنسية في خدمة جنرالاتها، لدرجة تحريض هذه القبائل على الأمير عبدالقادر، بغية القضاء عليه، وفي أواخر شهر ديسمبر تمكن الأمير عبدالقادر من مباغتة قبيلة أنكاد، وأتراك تلمسان، ومصطفى بن إسماعيل خارج المدينة، في منطقة عيشوبة، حيث وجه لهم ضربة عسكرية قاسية، بيد أن مصطفى

---

* مصطفى بن إسماعيل، ولد بالعامرية عام 1769، توفي بالبيوض عام 1843، خدم الأتراك وكان آغا للدواير، حارب إلى جانب الفرنسيين ضد الأمير عبدالقادر، عين جنرالا عام 1839، الرجوع إلى أديب حرب، المرجع السابق، ص 55 – 56.

[1] MEMERIT L'ALGRIE. P 19 – 20.

[2] محمد بن عبدالقادر، تحفة الزائر، ج 1، ص 248-249.

♦ ليون روش LEON ROCHES أحد الجواسيس الذين دستهم المصالح الفرنسية في صفوف الأمير عبدالقادر، تظاهر بالإسلام وسمى نفسه عمر، وتزوج مع جزائرية، وبعد نقض معاهدة تافنة 1839 عاد للقوات الفرنسية، وعين ترجمانا لدى بيجو، الرجوع إلى مذكرات الأمير، محمد الهادي الحساني، ط 2،دار هومة، الجزائر، 1998، ص 67.

[3] LEON ROCHES. TRENTE deux ons. T1. P 147.

[4] H. CHURCHILL. La vie d'Abdelkader, traduction MICHEL HABART, 2ème ed, Alger, 1974, P 113 – 114.

٭ المزاري هو ابن أخ مصطفى بن إسماعيل، كان آغا خلال الوجود العثماني، وأحد رؤساء الدواير والزمالة، تحفظ أثناء مبايعة الأمير عبدالقادر، وانضم إلى القوات الفرنسية التي عينته آغا على مدينة مستغانم في عهد كلوزيل، الرجوع إلى دوما مذكرات الأمير، المصدر السابق، ص 82.

بن إسماعيل وزعماء أتراك تلمسان استنجدوا بالمارشال كلوزيل في وهران، وطلبوا منه التعجيل بإنقاذهم من بطش الأمير عبدالقادر، حيث ساهم المازاري كثيرا في إقناع كلوزيل، بضرورة الاستجابة لنجدة هذه القبائل، التي كانت تعتبر من بقايا النظام العثماني بإقليم وهران، وكانت في خدمته، وهكذا انظم خصوم الأمير عبدالقادر إلى القوات الفرنسية بإقليم وهران[1].

ونظرا لعدم تكافئ القوى العسكرية بين الأمير والقوات المتحالفة، فإن الأمير عبدالقادر اضطر[2] إلى الانسحاب من المدينة، وعدم الدخول في حرب مع الفرنسيين، فغادر تلمسان بعد أربعة أيام من خروج كلوزيل من وهران، وفي اليوم الموالي دخلها الفرنسيون، وكان الأمير يضن بأنهم سرعان ما يخرجوا منها كما خرجوا من معسكر، بيد أنهم قرروا البقاء فيها، ورتبوا حامية عسكرية بها بقيادة الكابتان كافينياكCAVAIGNAC*، كما تخلى الأتراك عن مشورهم وسلموه للقادة الفرنسيين، ونظرا لحاجة هؤلاء للأموال لتعويض ما أنفقوه أثناء الحملة على تلمسان، فإن كلوزيل قد فرض ضرائب على الأتراك والتي أثقلت كاهلهم[3]، أما الحضر فاضطروا إلى التهرب من هذه الضرائب، حيث فرت عدة عائلات من تلمسان، ورغم مساندة قبيلة أنكاد للفرنسيين، فإنها هي الأخرى لم تسلم من سياسة الضرائب التي فرضها كلوزيل، حيث اضطرت إلى التصالح مع الأمير عبدالقادر ومساندته[4].

لقد أثار غزو كلوزيل لتلمسان، وترتيب حامية عسكرية بها تخوف المولى عبدالرحمان، الذي كانت له امتيازات اقتصادية بها، كما أوجس خيفة من تعاظم خطر الوجود الفرنسي بها، الذي أصبح على مقربة من الأراضي المغربية، ولذلك بعث السلطان برسالة إلى ابنه سيدي محمد بفاس، والتي حملت في مضمونها معاني التأسف والحسرة على خيانة القبائل، وتأييدهم للنصارى، كما دعا فيها إلى الاستعداد لإبعاد هذه الأخطار،

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 255.

[2]A. COUR. L'Emir Abdelkader, 1808-1886, ed HACHETTE, Paris, 1929, p 58

* كافينياك CAVIGNAC 1802-1857، الابن الثاني لجان بابتيست كافينياك، خدم في الجزائر، ثم أصبح حاكما عاما عليها، عين رئيسا للهيئة التنفيذية عام 1848، كان من خصوم لويس نابوليون، الرجوع إلى أبي القاسم سعد الله، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط 2، ش و ن، الجزائر، 1981، ص 270.

[3]P. AZAN. Opcit. P 70.

[4]DELAMARTINIERE. Documents pour servir à l'étude du nord ouest Africain, Lille, 1897, p 19.

وتعزيز الحدود بالعدة المانعة، والقوة الدافعة، من خيول وذخيرة وأسلحة وفرسان[1]، وبالفعل فقد بادر المغاربة باتخاذ كل التدابير لحماية حدودهم، ابتداءا من وادي تافنة[2]، بيد أن كلوزيل تضايق من وجود القوات المغربية قرب واد تافنة*، واعتبر ذلك خرقا لأراضي الإقليم الغربي، الذي اعتبره من ممتلكات فرنسا، كما أنه رفض الحدود التي رسمها المغاربة أثناء الحكم التركي بالجزائر، ولذلك فكر الفرنسيون في إقامة قاعدة عسكرية على مصب الوادي، ومنع المغاربة من الدخول إلى تلمسان، ولذلك حاولت القوات المغربية منع القوات الفرنسية من إقامة هذه القاعدة، حيث وقعت عدة اصطدامات بينهما، والتي انتهت بفشل كلوزيل في تحقيق فكرته، حيث ذكر في تقرير بعث به إلى وزير الحرب بأن قوات مغربية حالت دون تجسيد الفكرة التي غزت من أجلها القوات الفرنسية تلمسان، كما أشار إلى تاريخ وقوع أول معركة، والتي كانت في يوم 26 جانفي 1836، واستطاع تشتيت المغاربة بواسطة المدافع، بيد أن الدواير والزمالة لم يتمكنوا من مطاردة الفرسان المغاربة الفارين من نيران المدافع، وأمام هذا الفشل ذكر كلوزيل بأنه اضطر إلى تقوية صفوفه[3]، بينما القوات المغربية استطاعت أن تلتحق بالقوات الجزائرية بقيادة الأمير عبدالقادر، حيث عسكرت في مكان يسمى "سبع شيوخ" شرق وادي تافنة، وشرعت القوتان في التخطيط للهجوم على القوات الفرنسية ومباغتتها، وكان ذلك في يوم 27 يناير 1836، حيث فاجأت كلوزيل الذي اضطر إلى سحب قواته والعودة إلى تلمسان، بعدما استنجد بالجنرال بيريغو PERREGAUX، أما القوات المغربية فقد عادت إلى المغرب[4]، بيد أنه هناك تقرير لبول آزان، يشير فيه بأن القوات المغربية التي حددها كلوزيل بخمسمائة فارس، لم تشارك إلى جانب الأمير عبدالقادر في هذه المعارك[5].

لقد ذكر كلوزيل بأن الهجوم الذي شنه الأمير عبدالقادر مع القوات المغربية، قد أدى إلى عزل قواته ومنعها من العودة إلى تلمسان، كما حمل مسؤولية هذا الفشل في تحالف

---

[1] ابن زيدان، أتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الرباط، 1929-1933،، ج5، ص 38 – 39.
[2] الناصري، المصدر السابق، ص 26 – 60.
* واد تافنة، ينحدر من جبال تلمسان ويصب في البحر المتوسط قرب بني صاف، وأطلق اسمه على المعاهدة التي تمت بين الأمير عبدالقادر والجنرال بيجو عام 1937، الرجوع إلى مذكرات الأمير، المصدر السابق، ص 120.

[3] GESQUER. Op.cit. pp 464 – 468.
[4] GESQUER. Op.cit. P 469.
[5] P. AZAN. Op.cit. P 73.

القوات المغربية التي كان يقودها العربي القبيبي قائد وجدة، وقائد قبيلة الأحلاف بوزيان بن الشاوي، كما ذكر كلوزيل بأن المغاربة كانوا يتبادلون الرسائل التي كانت كلها تدعوا إلى الجهاد وحرب الكفار[1]، ويبدوا بأن الجنرال كلوزيل قد بالغ كثيرا في عرضه للمعلومات الخاصة بدور القوات المغربية في إفشال خطته، وهنا نستنتج بأنه حاول تضخيم هذا الدور للتقليل من قوة الأمير عبدالقادر، وقدراته العسكرية، وهذا حتى يبرر فشله، كما أن المصادر تشير بأن القوات المغربية بقيت معسكرة على الضفة الغربية لواد تافنة، ولم تتجرأ على اجتياز الغربية منه، بيد أن الأمير عبدالقادر كان متأكدا من أن القوات الفرنسية سترجع للسيطرة على المنطقة، ولذلك بدأ في تجهيز نفسه، وشحن القوى حتى يكون على أهبة الاستعداد للتصدي لغزو آخر، ومن أجل تدعيم صفوفه بالجند بعث برسالة إلى سكان فقيق في الخامس أبريل 1836، جاء في مضمونها أن الجزائريين المسلمين قد عانوا كثيرا من محاربتهم للكفار، كما حاول إقناعهم بضرورة إمداده بالجند والذخيرة[2]، بيد أن سكان فقيق لم يلبوا طلب الأمير عبدالقادر، وذلك للظروف التي كانوا يمرون بها، حيث اجتاح المنطقة وباء الطاعون الذي فتك بالعشرات منهم، كما أنهم عانوا من اضطرابات عشائرية كانت بين "زناكة" و"الوداغير" منذ عام 1835، وهذا ما أكده صاحب رسالة "فقيق ما بين 1845 – 1908"، ومن خلال الرسالة نجد بأن الأمير عبدالقادر لم يكن متأكدا من استجابة هؤلاء لطلبه، وهذا ما نلمسه من خاتمتها عندما قال: "وإن اكتفيتم بنظر المكتوب، ولم تجيبو داعي الله، فهذا الواجب في حقنا وحسابنا جميعا على الله"[3].

ولقد تأكد الأمير عبدالقادر من كل الشكوك ابتداءا من شهر أبريل، عندما جهزت القوات الفرنسية في وهران حملة جديدة، بغية فك الحصار عن حامية تلمسان المحاصرة، حيث بدأت هذه الحملة يوم 07 أفريل 1836، وكان على رأسها الجنرال دارلانجDARLANGES* الذي قاد ثلاثة آلاف جندي مدعم بفرسان مصطفى بن إسماعيل[4]، وقد أصر هذا الجنرال على التوجه إلى تلمسان، لتموين الحامية الفرنسية رغم أن الأمير

---

[1]GESQUER. Op.cit. Pp 494 – 498.

[2] مزيان أحمد فكيك ما بين 1845 – 1903، الجزء الأول، ص 123-126.

[3] مزيان أحمد فقيق ما بين 1845 – 1903، الجزء الأول، ص 123-126.

* دارلانج DARLANGES التحق بالجيش الفرنسي عام 1823 وأصبح جنرالا سنة 1834، عين قائدا على وهران في عام 1843، الرجوع إلىMontrond, op.cit, pp46 - 48

[4]Ch. H. CHURCHILL. Op.cit. P 117.

عبدالقادر كان قد حشد له قوات هائلة، تراوح عددها ما بين ثمانية آلاف إلى تسعة آلاف جندي، وقد قاد هذه القوة خليفة الأمير في تلمسان البوحميدي الولهاصي، الذي تدعم ببعض الفرسان المغاربة[1]، وهكذا وقعت المعركة في منطقة "سيدي يعقوب" على مقربة من مصب واد تافنة، في ضفته الغربية، وكانت في يوم 25 أفريل 1836، غير أن هـ شورشيل لم يذكر بأن الأمير عبدالقادر قد تدعم بقوات مغربية، حيث أشار بأن الأمير كان في مدينة ندرومة، ولما سمع بانطلاق حملة دارلانج نحو تلمسان بادر بلقائه، وحصاره، لقطع الطريق عنه وإجباره على الانسحاب[2]، وفي اليوم الموالي، عاود دارلانج مسيرته نحو تلمسان، انطلاقا من محطة رشقون♦، حيث استعان بقوات مصطفى بن إسماعيل لاستكشاف المنطقة، وقد باغتته قوات الأمير مرة ثانية، ما اضطره إلى سحب قواته والعودة إلى قاعدته، ومع هذا الفشل، قام دارلانج ببعث رسالة إلى الحاكم العام راباتيل RAPATEL يوم 17 أفريل أشار فيها إلى صعوبة فك الحصار عن الحامية الفرنسية، مع وجود القوات المغربية المدعمة للأمير، والتي قدر عددها بثلاثة آلاف رجل أو أكثر[3]، ولقد بقيت الأوضاع على حالها، حيث لم يتمكن الفرنسيون من فك الحصار على حاميتهم، رغم عودة القوات المغربية إلى بلادها، وبقاء قوات الأمير بمفردها محيطة بقاعدة رشقون منذ شهر ماي 1836، ومع معاناة القوات الفرنسية من هذا الحصار، ونظرا لنقص المؤن وخاصة الطعام، سارعت فرنسا إلى دعم هذه القوات بنجدة إضافية بقيادة الجنرال بيجو[4]، وقد برر دارلانج فشله في فك الحصار بوجود قوات مغربية هائلة، حيث ذكر بأنه واجه "إمبراطور المغرب"، وأن الأمير عبدالقادر ليست له القوة للتصدي للقوات الفرنسية، لولا دعم هذا الإمبراطور له، كما ذكر بأن أغلب القبائل في الإقليم الغربي لم تبايع هذا الرجل، وأنه لا يملك القوة العسكرية لمواجهة الفرنسيين، لولا الدعم الحربي الكبير الذي تلقاه من المولي عبدالرحمان[5]، كما ذكر هذا الجنرال، بأنه لم يكن ينتظر صمودا أو مقاومة في المنطقة، وأرجع سبب فشله في عدم حياد المغرب، كما أشار إلى استحالة الوصول إلى الحامية

---

[1]Poul AZAN. Op.cit. P 79.
[2]Ch. H. CHURCHILL. Opcit.P 117-117.
♦ رشقون: جزيرة تبعد عن مصب تافنة بـ 2 كلم، طولها 800 م وعرضها 2 كلم، أسست بها فرنسا حامية عام 1836 وبموجب اتفاقية تافنة أصبحت ملكا لها، الرجوع إلى Lodmir.J, les guère d'Afrique. B Renault, Paris, 1858, p 130
[3]GESQUER. Op.cit. P 609.
[4]P. AZAN. Par l'épée et par la charrue, écrits et discoure de BUGUEAUD, Paris, 1948, p 16.
[5]GESQUER. Op.cit. P 607.

الفرنسية بتلمسان، ما دام الوضع على حاله، وما دام الأمير عبدالقادر مدعوما من المولى عبدالرحمان[1]، وهكذا حاول دارلانج إظهار عدم قدرة الأمير عبدالقادر على مواجهة القوات الفرنسية، وتأكيد ضعف قواته لولا دعم المغاربة له[2]، غير أن المعلومات الصحيحة التي وصلت إلى الحاكم العام راباتيل، قد كذبت ادعاء دارلانج، حيث تأكد الفرنسيون من أن الأمير عبدالقادر يتمتع بدعم وتأييد أغلب قبائل الإقليم الغربي، وأنه يقود قوة هائلة، كما يملك فرقا من المشاة النظاميين يفوق عددها ستمائة رجل، بالإضافة إلى قوات القبائل المجاورة كبني زناسن وأنكاد[3]، وقد علل الفرنسيون أسباب مشاركة المغاربة في معارك الأمير عبدالقادر، ودعم قواته في الإقليم الغربي إلى كون القوات الفرنسية اجتازت الخط الفاصل، بين الحدود المغربية والجزائرية، أي منطقة "سيدي يعقوب"، الواقعة قرب مصب وادي تافنة، وعلى ضفته الغربية، وبالتالي الواقعة على الأرض المغربية، خاصة وأن المولى عبدالرحمان قد طالب الفرنسيين بعدم الاقتراب من وادي تافنة منذ دخولهم تلمسان في 13 جانفي 1836[4]، وهكذا أكد الجيش الفرنسي فشله في تحقيق ما حلم به كلوزيل، وهو الاحتلال الشامل للأراضي الجزائرية، وفي ظل هذا الفشل عَيَّن تيير Thiers رئيسا للحكومة الفرنسية وزيرا للخارجية، وشرع في تطبيق سياسة جديدة في الجزائر، أراد بها رفع مكانة الجيش الفرنسي وإعادة هيبته، فشرع بتوجيه احتجاجاته إلى المولى عبدالرحمان، عن طريق القنصل ميشان، حيث حذره من الدعم الذي يقدمه إلى الأمير عبدالقادر، وطالبه بإقالة عامل مدينة وجدة، كما فرض عليه السماح لبعض السفن الحربية الفرنسية أن ترسوا أمام ميناء طنجة[5]، وبالتالي فإن فرنسا قد انتهجت عدة أساليب تجاه المغرب، لمنع دعمه لقوات الأمير عبدالقادر، حيث بدأت بتوجيه الاحتجاجات إلى المولى عبدالرحمان، عن طريق القنصل ميشان، ثم الأسلوب العسكري، عن طريق تجهيز قوات عسكرية لفك الحصار عن قوات الجنرال دارلانج، وفي الأخير إرسال سفير إلى السلطات المغربية، بغية وضع حد لما اصطلح عليه بالتدخل المغربي في شؤون فرنسا بالجزائر،

---

[1]Ibid. pp 611 – 612.
[2]Ibid. pp 615 – 616.
[3] Decosse Brisaque, les rapportes de la France et du Maroc pondent la conquête d'Algérie 1830-1847, Paris 1931, p 43.
[4]DE la MARTINIERE. Op.cit. P 20.
[5]Decosse Brisaque. Op.cit. P 43.

وفي 13 ماي رد المولى عبدالرحمان على تساؤلات الفرنسيين، وحسب ما ورد في مراسلات الجنرال كلوزيل، فإن السلطان نفى مشاركة المغاربة الخاضعين لسلطته في محاربة الجند الفرنسيين، كما أكد على الانعكاسات السلبية عن احتلال القوات المغربية لتلمسان، وما تعرضت له تجارة فاس من خسائر كبيرة، واعتبر من شارك في هذا الصراع خارجا عن سلطته ومتمردا[1]، بيد أن فرنسا لم تقتنع برد السلطان، وطلبت بتوضيح الأمور، خاصة تلك المتعلقة بعامل وجدة العربي القبيبي، وعلاقته بمحمد بنونة، وبدوره في المعارك التي جرت قرب وادي تافنة، وقد رد عامل مدينة فاس الطيب البياز يوم 27 ماس 1836، حيث نفى علاقة عامل وجدة بمحمد بنونة، وذكر بأنه ليس مغربيا، رغم وجود عائلات فاسية تحمل هذا الاسم، كما حاول أن يؤكد عدم مشاركة هذا العامل في المعارك التي خاضها الأمير عبدالقادر، وبرر وصول الذخيرة والأسلحة إلى الجزائريين بواسطة التجار المغاربة، وبدون علم السلطة المغربية، أما بالنسبة للمغاربة الذين شاركوا إلى جانب الأمير في حربه، فذكر الطيب البياز بأن الأمير أغراهم بالمال، ومن باب الطمع دخلوا في هذا الصراع[2].

إن مضمون جواب المغاربة عن تساؤلات الفرنسيين تبدوا غامضة، كونها لم تتعرض لخرقهم الأراضي المغربية، واجتياز وادي تافنة، علما بأن المغاربة هبوا للدفاع عن أرضهم التي تعدى عليها الفرنسيون، وبالتالي فإن الطيب البياز نفى نهائيا مشاركة المغاربة في القتال مع الطيب القبيبي، كما أكد عدم وجود أطماع مغربية في الجزائر، حيث ادعى بأن المولى عبدالرحمان رفض بيعة سكان إقليم وهران عام 1830، ومن خلال أجوبة البياز، نجد أن رد المغاربة لم يقتنع به الفرنسيون، كونها كانت مجرد محاولات دفاعية، خوفا من غضبهم، وقد اقتنع ميشان بضرورة التدخل العسكري ضد القبائل الحدودية، وخاصة عامل وجدة، بيد أن وزير الحرب ماسون MASON رفض الفكرة، لعدم استعداد

[1] GESQUER. Op.cit. P 212 -213.

[2] الطيب البياز إلى ميشان، 10 صفر 1252 هـ الموافق لـ 27 ماي 1836.

فرنسا وقدرتها على مواجهة القبائل في الحدود المغربية[1]، غير أن وزير الحرب قرر مع بداية جوان إرسال قوات جديدة إلى وهران.

وفي 12 جوان 1836، بدأ الجنرال بيجو في حملته، بغية فك الحصار عن قوات دارلانج، المعسكرة في قاعدة رشقون، تم فتح الطريق لتموين الحامية الفرنسية بتلمسان، وقد تمكن هذا الجنرال من إلحاق الهزيمة بقوات الأمير عبدالقادر قرب مصب وادي تافنة، حيث لعب فرسان الدواير والزمالة دورا كبيرا في هذا الانهزام، مما أدى بيجو إلى طلب مكافأتهم[2]، وفي منتصف شهر جويلية غادر هذا الجنرال تلمسان، فاغتنم الأمير عبدالقادر الفرصة، حيث بعث بخليفته مصطفى بن تهامي لمعاودة الحصار، ورجع هو إلى معسكر، من أجل نقل عاصمته إلى مكان يكون بعيدا عن خطر الحملات الفرنسية، وقد اختار تاقدامت، التي كانت أكثر حصانة وبعيدة عن أعين الفرنسيين، وفي ظل هذه الظروف، كانت فرنسا قد كلفت الكولونيل فريديريك دي لاري FREDERIC DE LA RUEبمقابلة المولى عبدالرحمان، حيث جاء برسالة طويلة، كانت عبارة عن تعليمات موجهة للحكومة المغربية، وقد جاء في مضمونها التذكير بالمراحل التي مر بها الخلاف بين فرنسا والمغرب، بسبب الجزائر ابتداءا من 05 جويلية 1830، إلى المعارك التي وقعت قرب تلمسان* عام 1836، كما حددت في الرسالة الطرق والوسائل التي بواسطتها تحصل فرنسا على مطالبها، وفي الرسالة ذكر رئيس الوزراء الفرنسي تيير Thiers بأن المغاربة كانوا منذ سنة 1832 يتمتعون بحرية التصرف في الأراضي الجزائرية، وفي حالة غياب فرنسا، أو عدم قدرتها على إخضاع الإقليم الغربي، ولذلك حَمَل هذا الرئيس مسؤولية انهزام القوات الفرنسية على المولى عبدالرحمان وعلى القبائل المغربية التي تواطأت مع الأمير عبدالقادر، كما زعم بأن الأمير لم تكن له القدرة لمواجهة فرنسا، لولا حصوله من المغرب على الذخائر والسلاح والمقاتلين، وقد وصل هذا السفير إلى مدينة طنجة على متن سفينة حربية حتى يعطي لمهمته طابعا جديا، وحتى تعطى لرسالته أكثر قوة ووزنا أمام السلطات المغربية.

---

[1]DECOSSE BRISSAC. Op.cit. P 45.

[2]P. AZAN, op.cit, pp 66-68.

* من أهم المعارك: معركة وادي السكاك، أحد روافد يسر الغربي، والتي دارت بها معركة بين الأمير والجنرال بيجو في 6 جويلية 1836، الرجوع إلى مذكرات إسكوت، المصدر السابق، ص 110.

لقد تضمنت رسالة الحكومة الفرنسية خمسة نقاط كان على السلطات المغربية أن تعمل بها وهي:

1. أن يعترف السلطان المغربي بحقوق فرنسا في الأراضي الجزائرية، والالتزام بعدم الدخول في أي صراع، يكون بين القوات الفرنسية، والقبائل الرافضة للوجود الفرنسي.
2. أن يلتزم المغرب بتوزيع خبر منع تقديم المساعدة للأمير عبدالقادر وأنصاره، ومعاقبة كل من يفعل ذلك.
3. عدم استقبال أي وفد من الجزائريين في الأراضي المغربية، بدون استشارة الحكومة الفرنسية.
4. إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، وإرسالهم من الجزائر إلى المغرب، وتسليم اللاجئين الجزائريين.
5. إلتزام المغاربة بمنع الأمير عبدالقادر وأنصاره من الدخول إلى الأراضي المغربية.

وفي ختام هذه الرسالة نبّه تيير سفيره من تهرب المغاربة من هذه المسائل، وطالبه بتوظيف أسلوب التهديد كلما أتيحت له الفرص[1]، وأثناء إقامة هذا السفير بطنجة أكد له عاملها العربي السعيدي رغبة المولى عبدالرحمان في حل المسائل العالقة، التي جاء من أجلها، ولتأكيد ذلك، أخبره بأن السلطان كلف ابن عمه مولاي عبدالمالك الزيزون مع أربعة آلاف جندي، بمراقبة القبائل المغربية في الحدود الشرقية، بالإضافة إلى إخضاع سكان الريف وعمالة وجدة، بيد أن المولى عبدالرحمان في 08 جويلية بعث برسالة إلى عامل العرائش عبدالسلام السلاوي، اعتبر فيها السفير الفرنسي جاسوسا، وأمره باستعراض قوة المسلمين، ومضايقته في الطريق إلى مدينة مكناس، وقد وصل دي لاري إلى المدينة في 27 جويلية 1836، حيث استقبله السلطان بعد ثلاثة أيام[2]، وبعد تبادل التحيات والمجاملات، أخبره بتكليف الطيب البياز للتفاوض معه، بشأن ما جاء به، حيث دامت هذه المفاوضات اثني

[1]GESQUER. Op.cit. Pp 480-482.
[2]GESQUER. Op.cit. Pp 485-486.

عشر يوما[1]، وقد ذكر السفير الفرنسي بأن السلطات المغربية لم تقدم أجوبة صريحة، ومكتوبة، لتأكيد الاستجابة لمطالب فرنسا، إلا بعدما بدأ يهدد باستعمال القوة[2]، ورغم ذلك، فإن هذا السفير لم يحصل إلا على بعض الاستجابات الجزئية لنقطتين، وقد أشار دي كوسي بأن السلطان قد وافق على مطالب فرنسا، باستثناء تسليم اللاجئين الجزائريين في الأراضي المغربية، أما شارل أندري جوليان، فقد ذكر بأن الفرنسيين حصلوا على موافقة المغرب على مطالبهم، وبخاصة الاعتراف بسيادة بلادهم على الأراضي الجزائرية، وأنه رفض فكرة تسليم اللاجئين الجزائريين[3]، وقد التزم الطيب البياز بمنع خروج المساعدات للأمير عبدالقادر، كما أكد عدم مسؤوليته على ما يخرج من المغرب بطرق سرية، ودون علم السلطات المغربية، وفي مذكرة البياز نجد أن السلطان قد التزم بأن لا يتدخل في المناطق الثائرة على فرنسا، بيد أنه يُبيِّن بأن المغاربة ستكون لهم مواقف أخرى بعد انتهاء هذا الصراع، أي أن سلطان المغرب أكد في رسالة البياز عن حياده المؤقت تجاه مقاومة الأمير عبدالقادر لفرنسا، كما طالب من القوات الفرنسية مراقبة المناطق الحدودية، وعدم منعه من استقبال الوفود والرسل من الجزائر، وكذلك بالنسبة لمن استجاره وطلب اللجوء إليه[4]، وعليه فقد تعهد المغرب بالالتزام بإعادة الأسرى، والحياد في انتظار نتائج الصراع الدائر بين الجزائريين والفرنسيين، وبالتالي فالطرح الذي قدمه شارل أندري جوليان ودي كوسي جاء مخالفا لمذكرة الطيب البياز الأصلية، كما أن الرسالة التي بعث بها المولى عبدالرحمان إلى ملك فرنسا لويس فليب بتاريخ 6 أوت 1836، جاءت كذلك مطابقة لما ذكره البياز في مذكرته، حيث أكد فيها عدم مشاركة رعاياه مع الأمير عبدالقادر في حربه ضد القوات الفرنسية، حيث قال: "ولو صدر سوء لجانبكم من أحد عمالنا بتلك الناحية كالقائد العربي القبيبي عامل وجدة لعزلناه، وأدبناه، أما الذين شاركوا في القتال، فما هم إلا أعراب تائهون في الصحراء والفيافي، لم يدخلوا بيننا، ولم تنلهم أحكامنا، وهم إن كانوا من إيالة أسلافنا، فإلى الآن لم نتصل بهم ولا قدرة لنا عليهم"[5]

---

[1]CH. A. JULIEN. Op.cit. P 131.
[2]GESQUER. Op.cit. Pp 489-490.
[3]CH. A. JULIEN. Op.cit. P 131.
[4] أجوبة الطيب البياز على مطالب السفير دي لاري، 23 ربيع الثاني 1252 هـ الموافق ل 6 أوت 1836 A.M.A.E.C.P.M.V.5.F.25
[5] المولاي عبدالرحمان إلى لويس فيليب ، د ت أوت 1836 A.M.A.E.C.P.M.V.4.F.265

إنّ ما يمكن استنتاجه من رد السلطة المغربية على مطالب الفرنسيين، أنها استطاعت تجنب أغلب المطالب، بيد أنها اتخذت موقفا دفاعيا، حيث اكتفت بالدفاع والإنكار، كما أنها لم تبد رأيها حول الاحتلال الفرنسي للجزائر، وتعدي القوات الفرنسية لحدود وادي تافنة، وهكذا أعطى المغاربة لفرنسا حق التدخل في المناطق الخارجة عن سلطتهم، أو بالأحرى إظهار عجزهم عن السيطرة في أطراف الأراضي المغربية ورعاياها، وكان ذلك بذكر الحجج لإبعاد مسؤوليتهم المباشرة فيما كان يجري من أحداث قرب نهر تافنة، وبذلك تمكن الفرنسيون عن طريق السفير دي لاري من الحصول على تعهد كتابي من السلطان بعدم التدخل في شؤون فرنسا بالجزائر، واعتبر ذلك نجاحا كبيرا[1].

لقد ظن الفرنسيون بعد سفارة دي لاري بأنهم تمكنوا من عزل الأمير عبدالقادر، وإزاحة أكبر مناصريه، وقطع كل السبل لدعمه، أو بالأحرى توقيف المساعدات التي كانت تأتيه من المغرب، غير أن التقارير التي كان يبعث بها المارشال كلوزيل الذي عُيّن من جديد بوهران في صيف 1836، أكد على عدم توقف المساعدات الحربية من ذخيرة ومؤن وسلاح، وأن هذه الإمدادات استمرت في التدفق، حتى قبل أن يرحل سفير فرنسا دي لاري من الأراضي المغربية، وقد ذكر هذا المارشال في تقرير كتبه يوم 6 جانفي 1837، قائمة من المؤن التي تلقاها الأمير عبدالقادر من المغرب، في الفترة الممتدة من أوت 1836، حتى شهر ديسمبر، حيث ضمت هذه القائمة مجموعة من الألبسة قدرت بالمئات، بالإضافة إلى خمسة عشر جملا محملا بالبارود، وكذلك ثمانين خيمة وألف بندقية، كما أشار هذا القائد بأن الأمير عبدالقادر قد تبادل مع المولي عبدالرحمان هدايا ثمينة، حيث بعث له مع بداية شهر نوفمبر 1836، أسدين ولبؤة، وثلاث نعامات وأربعة خيول، وأربعة بغال، وصندوقين مرصعين بالفضة، بالإضافة إلى أربعة أوربيين[2]، وفي رسالة بعث بها المولى عبدالرحمان إلى عامله في مدينة تطون محمد أشعاش، والمؤرخة بتاريخ 30 نوفمبر 1836، أن السلطان طلب منه شراء كميات هائلة من الكتان لخياطة مائة خيمة كبيرة، ثم نقلها إلى مدينة فاس، وقد بين السبب في ذلك عندما قال: "فإن مُحِبَّنا المرابط المجاهد السيد

[1] DE COSSE BRISSAC. Op.cit. P 50.

[2] المارشال كلوزيل إلى وزير الحرب المارشال سولت 6 جانفي 1837 A.M.A.E.C.P.M.V.5.F.4

عبدالقادر بن محي الدين، الذي كتب على صنع ثمانين خزانة للمجاهدين" حتى أن الأمير عبدالقادر كان قد بعث إلى فاس مبعوثا للإشراف على عملية خياطة هذه الخيم[1].

كما أن قائد الحامية الفرنسية بتلمسان الجنرال كافينياك، قد أكد على استمرار العلاقة بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان، حيث ذكر بأن السلطات المغربية إن كانت قد منعت إرسال الجنود لدعم الأمير عبدالقادر، فإنها لم تمنع إرسال المؤن لمساعدة جنوده، كما أشار إلى مهاجمة فرسان وجدة النظاميين بعض الحراس الفرنسيين في العديد من المرات، وأنّ هؤلاء كانوا في الغالب يوصلون الرسائل من عامل وجدة إلى خليفة الأمير عبدالقادر، الذي كان مكلفا بحصار الحامية الفرنسية بتلمسان[2]، وهو مصطفى بن التهامي*.

ونظرا لكثرة الاحتجاجات الفرنسية، على عدم التزام المولى عبدالرحمان بتعهداته، رد هذا الأخير في أفريل 1837، بأنه لا يعلم بهذه المساعدات، وأنكر دعمه للأمير حيث قال: "البر متسع، والطرق كثيرة، ولا يخفى حال التجار، إذا وجدوا الربح في محل يتسابقون إليه، ويتحملون المشاق في ذلك، ويسلكون الطرق غير المسلوكة" كما أشار إلى اتخاذه كل الإجراءات الضرورية لمنع وصول المساعدات للأمير عبدالقادر، لدرجة غلق الحدود في وجه الحجاج. وأقال عامل وجدة، الذي كان يحتج عليه الفرنسيون، كما ذكر السلطان، بأن الإجراءات التي اتخذت قد ترتبت عنها أضرار، مست مصالح المغاربة وبخاصة في تلمسان، حيث قال: "وتلك الناحية فيها طريق حجنا، ومجال تجارنا، الذين يضربون في الأرض، ولا ينبغي تعطيل التجارة، ومنع الرعية من معاشهم، والتجار يتسوقون من كل بـ لد من هذه الناحية، ومن تلك الناحية، ولا حَجْرَ عليهم في شيء، وأمرهم لا ينضبط، من كثرة الطرق واتساع المجال، وتسابقهم إلى ما فيه ربح"، وبالنسبة للأربعة أوربيين الذين أرسلهم الأمير عبدالقادر إلى المولى عبدالرحمان، فقد أجاب هذا الأخير بأنهم أربع نسوة أسلمن، وفي الشريعة لا يمكن ردهن[3].

---

[1] GESQUER. Opcit. Pp 387-388.

[2] M. EMERIT. Opcit. P 133.

* مصطفى بن التهامي، هو مصطفى بن أحمد التهامي، ولد بمعسكر عام 1796 وهو ابن عم الأمير عبدالقادر- وصهره، يرجع نسبه إلى أولاد أحمد بن علي، وهم الأوائل الذين يكنوا سهل غريس، كان والده عالما ومتفقها، عينه الأمير كرئيس في المجلس الشوري، ورئيس الديوان منذ عام 1834 وخليفة له بمدينة معسكر، الرجوع إلى يحيى بوعزيز، الأمير عبدالقادر رائد الكفاح الجزائري، ش و ن ت، الجزائر، 1983، ص 131.

[3] المولى عبدالرحمان إلى ميشان، 2 محرم 1253 هـ الموافق لـ 8 أفريل 1837 A.M.A.E.C.P.M.V.5.F.25

إن ما يمكن استنتاجه من السفارة الفرنسية لدي لاري، أنها لم تأت بالجديد، ولم تؤثر في العلاقة بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان ودورهما في الإقليم الغربي من الجزائر، وقد برزت تطورات جديدة، حفّزت السلطة المغربية والجزائريين لعرقلة سياسة الاحتلال الشامل، التي جاء بها كلوزيل، خاصة بعد فشله في غزو مدينة قسنطينة يوم 21 نوفمبر 1836[1]، وقد اضطر قائد وهران إلى الدخول في مفاوضات جديدة مع الأمير عبدالقادر، لفك الحصار عن الحامية الفرنسية بتلمسان، وقد ساعدت هذه المفاوضات على التفكير في عقد معاهدة تافنة.

[1]CH. A JULIEN. Opcit. Pp 134-135.

الفصل الثالث
نقض الصلح مع فرنسا وتجدد الحرب
(1835-1839)

- المبحث الأول: معاهدة تافنة وموقف السلطة المغربية منها
- المبحث الثاني: نقض صلح تافنة وعودة الحرب
- المبحث الثالث: نشاط الأمير عبدالقادر في شرق المغرب

معاهدة تافنة 1837 وموقف السلطة المغربية منها:

نظرا لعدم قدرة القوات الفرنسية التي كانت تعمل في الجزائر على مواجهة المقاومة الجزائرية على جبهتين، شرقية وغربية في وقت واحد، خاصة بعد فشل الجنرال كلوزيل في احتلال قسنطينة في نوفمبر 1836، فقد قررت فرنسا تكريس كل الجهود وتوفير كافة الإمكانات، لتمكين قواتها من غزو هذه المدينة، ونِسيان الهزيمة التي لحقت بجيشها أمام قوات أحمد باي* قسنطينة، ولذلك فقط اضطرت الحكومة إلى البحث عن طريق تحصل من خلاله على الهدوء والسلم في الإقليم الغربي، حتى تتفرغ نهائيا للشرقي[1] وعليه فقد بادرت بفتح باب المفاوضات مع الأمير عبدالقادر وكان ذلك مع بداية عام 1837، بعد تعيين الجنرال بروسار BROSSARD قائدا جديدا لوهران، وكان الهدف من هذه المفاوضات هو فك الحصار عن مدينة تلمسان، وضمان إيصال المؤن إليها، مقابل إطلاق صراح الأسرى الجزائريين الذي وقعوا في قبضة الفرنسيين، وقد أبدى الطرفان استعدادهما المطلق لإجراء هذه المفاوضات[2]،وعندما عاد الجنرال بيجو إلى وهران، تجددت هذه المفاوضات يوم 5 أفريل 1837، ومن خلالها اتفق الطرفان على عقد معاهدة تافنة يوم 30 ماي 1837[3]، وفي هذه المعاهدة اضطر الجنرال بيجو إلى الاعتراف بنفوذ الأمير عبدالقادر على أغلب مناطق الإقليم الغربي والجزائر، ما عدى المدن الساحلية التي كانت خاضعة للقوات الفرنسية، بالإضافة إلى سهول متيجة، حتى مدينة البليدة، كما اعترفت فرنسا بسلطة الأمير على إقليم التيطري، بيد أن هذه المعاهدة لم تتعرض لمصير الإقليم الشرقي ومدينة قسنطينة، رغم أنها حددت طبيعة العلاقة بين الأمير عبدالقادر وفرنسا، في مختلف المجالات، كما نصت على تخلي القوات الفرنسية عن مدينة تلمسان وقلعة المشور الواقعة في وسطها، والانسحاب من ميناء رشقون[4].

* أحمد باي: من ألمع وجوه المقاومة الجزائرية، وهذا بشهادة أحد القادة الفرنسيين دورو فيغو DUC de RUVIGO بتاريخ 12 ديسمبر 1832، صمد أمام القوات الفرنسية ورفض المساومات، الرجوع إلى محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، م م و م، الجزائر، 1985، ص 55-56.

[1] P. AZAN, op.cit, P 88

[2] CH. H. CHURCHIL, op.cit, pp 120 – 121.

[3] GYVER. Abdelkader et le maroc en 1838, RA OPU N° 60 ? 1919, p86.

[4] M. EMIRIT le texte arabe du traité de TAFNA. RA. 1950. Pp 85.100.

لقد أثارت قضية اعتراف الأمير عبدالقادر بالسيادة الفرنسية إثر معاهدة تافنة جدلا كبيرا، وذلك بسبب التناقض الموجود بين النصين العربي والفرنسي، فالوثيقة التي جاءت باللغة العربية، والتي وضع عليها الأمير خاتمه، جاءت مختلفة عن النص الفرنسي، الذي جاء في مضمونه أن الأمير عبدالقادر يعترف* بالسيادة الفرنسية، ويقدم عدة تنازلات لقواتها في الإقليم الغربي، أما النص العربي فأشار بأن الأمير يعترف بوجود سلطان فرنسي كبير[1]، في قوله: "إن أمير المؤمنين يَعرِفُ بأن السلطان كبير"[2]، وعليه فقد اعتبرت المصادر التاريخية بأن اعتراف الأمير بالسلطة الفرنسية كان غير واضح، ويكتنفه الغموض[3]، وقد أشار محمد بن عبدالقادر بأن البند الأول من المعاهدة جاء فيه: "بأن الأمير عبدالقادر يعترف بسلطة دولة فرنسا على مدينتي وهران والجزائر"[4]، وبالنسبة للنص العربي الذي قام بنشره مارسيل إميري في المجلة الإفريقية، فقد ورد في شرطه الأول: "الأمير عبدالقادر يَعرِفُ** حكم سلطنة فرنسا في إفريقيا"[5]، فالمعرفة في معناها اللغوي لا تعني منا الاعتراف، وقد تعمد الأمير عبدالقادر عدم استعمال كلمة الاعتراف، مدركا جهل الفرنسيين لمعاني اللغة العربية، ورغم ذلك فإن البنود الأخرى من معاهدة تافنة، قد أكدت تبعية الأمير عبدالقادر للقوات الفرنسية، فالبند الخامس أشار إلى التزام الأمير بدفع كميات هائلة من القمح والشعير، لإضافة إلى خمسة آلاف رأس من البقر[6]، ومن خلال هذا البند نلاحظ بأن الجنرال بيجو، كان يقصد إرغام الأمير عبدالقادر على بقائه في تبعية لفرنسا ،والتزامه بدفع الإتاوات السنوية، وبالنسبة للبند الثالث عشر والرابع عشر، نلاحظ إصرار فرنسا على الحد من سلطة الأمير عبدالقادر، وإظهارها بمظهر الدولة صاحبة السيادة والسلطة المطلقة على الجزائر، فقد أكد البند الثالث عشر على منع الأمير عبدالقادر من السماح لأي دولة من استخدام أي مرسى من المراسي الخاضعة لنفوذه، دون استشارة

---

* يعترف: من الإعتراف، ويقال اعترف فلان، إذا ذل وانقاد، ابن منظور، لسان العرب، المجلد التاسع، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1994، ص 238-239.

[1]CH. H. CHURCHILL. Op.cit. P 176.

[2]P. AZAN. Op.cit. P 93.

[3]S. GSELL et OUTRES. Op.cit . p 210.

[4] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 277.

** يَعرِف: من المعرفة، ويقال عرفه يعرفه بالكسر معرفة وعرفانا، ابن منظور، المصدر السابق، ص 238-239

[5]M. EMRIT. Op.cit. Pp 96-97.

[6]Ibid.

فرنسا، وقد منع البند الرابع عشر الأمير عبدالقادر من التبادل التجاري في أي مرسى، لا يخضع لسلطتها[1].

لقد قبل الطرفان التوقيع على بنود معاهدة تافنة، وكان هذا ناتجا عن رغبتهما الكبيرة في التوصل إلى السلم بأي ثمن، ومهما كانت النتائج، رغم أن الأمير عبدالقادر لم يعترف صراحة بسيادة فرنسا، وأنه قبل بالتوقيع عليها رغم أنها تؤكد تبعية الجزائر لفرنسا، هذه الأخيرة التي كانت بحاجة للسلم في الإقليم الغربي، حتى تتفرغ لغزو مدينة قسنطينة، وفي هذا الخصوص ذكر وزير الخارجية الفرنسي مولي Molé، بعد دخول القوات الفرنسية إلى هذه المدينة في أكتوبر 1837 ، "بأن السلم في تافنة لم يُفِد إلا في منحنا في الغرب وقفة ضرورية، وبدونها تبقى الحملة على قسنطينة مؤجلة"[2]، وبالنسبة لنظرة الأمير عبدالقادر لهذه المعاهدة، فإنه اعتبرها فرصة لكسب، الوقت بغية تجميع صفوفه وأنصاره، وإخضاع خصومه، وتجهيز قواته، استعدادا لتجديد الحرب على فرنسا، وقد كان الفرنسيون يدركون تماما بأن الأمير يسعى من هذه المعاهدة لكسب الوقت، وأنه سرعان ما سيخرق هذا الاتفاق، وقد بعث الجنرال فاليValée♦، الذي أصبح حاكما عاما في أكتوبر 1837، ثم ارتقى إلى وزير الحرب في 20 جانفي 1838، حيث قال: "إن الهدف الذي يسعى إليه الأمير هو أن يعزلنا في أرض محدودة، في انتظار أن يكون قادرا على استئناف مهمته المقدسة، وهي طرد المسيحيين من إفريقيا، وتأسيس أمة عربية من المغرب إلى تونس"[3].

لقد عارض المولى عبدالرحمان عقد هذه المعاهدة، بحيث أجاب عن الرسالة التي بعث بها الأمير في 16 جانفي 1837 ، وحذر من إبرام أي صلح مع المسيحيين، واعتبر ذلك خطة ومكيدة، حيث أوصى الأمير قائلا: "فينبغي أن تسُدَّ دونهم الأبواب، وتقطع بهم الأسباب، حتى يقنعوا من الغنيمة بالإياب"، وقد أدرك السلطان بأن الفرنسيين قد أظهروا ضعفهم، وعدم قدرتهم في إخضاع الإقليم الغربي، خاصة عندما عرضوا على الأمير عبدالقادر التنازل عن مدينة تلمسان، بعدما عجزوا في إيصال المؤن إليها، وفك الحصار

---

[1]M. EMRIT. Op.cit, pp 96-97
[2]GYVER Corresp valée , p 222.

♦ فالي Valée ولد عام 1773 بفرنسا، التحق بالجيش الفرنسي في سنة 1792، أصبح مارشال عام 1834 لقيادة الحرب ضد الأمير عبدالقادر، الرجوع إلى Montrand, histoire de la conquête de l'Algérie de 1830 à 1847, T2, Paris, 1847, pp 46-48

[3]GYVER. Opcit. P 202.

عنها، وقد اعتبر السلطان هذا حافزا للإحجام عن عقد الصلح، ورفض التوقيع على بنوده، بيد أنه غير موقفه بمرور الوقت، لكنه اشترط أن يكون صلحا يشمل كل المسلمين، وبدون استثناء، كما ألح على إدراج الإقليم الشرقي بما فيه مدينة قسنطينة، ضمن المناطق التي ينسحب منها الجيش الفرنسي، ويتولاها الأمير عبدالقادر، وللتعبير عن ثقته في الأمير عبدالقادر قال المولى عبدالرحمان: "ومع هذا يرى الشاهد ما لا يرى الغائب، فما رأيت فيه الصلاح للمسلمين ارتكبه، فأنت بصيرة نفسك وبصيرة المسلمين، فانظر لهم بالنظر الذي ينجيك مع الله ومع عباده، ولاشك أنك إنما تأتي ما فيه الخير، وما تحمد عقباه"[1].

ولقد بقي المولى عبدالرحمان متمسكا بموقفه تجاه معاهدة تافنة، حيث طلب السلطان من محمد بن عبدالله المشرفي، أن يُخبر الأمير بضرورة استئناف الحرب ونقض المعاهدة، وقد حل هذا المبعوث حاملا رسالة إلى الأمير، ومعه ستين فارسا، وأربعة مدافع وعشرة آلاف مثقال، استلمها وكيل الأمير عبدالقادر بمدينة فاس الحاج الطالب بن جلول، حتى يتمكن من صرفها لشراء ما يحتاجه الأمير من ذخيرة وأدوات حربية، وقد أشار السلطان، بأن سبب بعث هذه المؤن هو مواصلة الجهاد وطرد الفرنسيين[2]، وقد تمسك السلطان بموقفه الرافض للصلح مع فرنسا، للرد عن الأسئلة التي بعث بها الأمير عبدالقادر، وعلى الرغم من أن هذه الرسائل، لم تكن تتضمن تقديم فتوى عن جواز عقد الصلح مع الفرنسيين، وكان جواب الشيخ التاسولي عن تساؤلات الأمير، لا يتعارض مع رأي المولى عبدالرحمان، ونص الجواب جاء كما يلي: "الذي به فتوى العلماء أنه يجوز الصلح فيما إذا كان العدو مطلوبا، لأن الجهاد فرض كفاية، ولا يجوز فيما إذا كان العدو طالبا، لأن الجهاد وقتئذ يكون فرض عين، واجب على كل مسلم قادر، ويترتب على ذلك أن عقد الصلح معهم لا يجوز"[3].

---

[1] محمد الفاضل بن عاشور، ست رسائل من المولى عبدالرحمان بن هشام سلطان المغرب إلى الأمير عبدالقادر الجزائري،، دار الفكر، تونس، العدد 4، 1959، ص 27-29.
[2] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 34-37.
[3] P. AZAN. Op.cit. Pp 99-100.

ورغم ذلك فإن هذا الشيخ قد ترك للأمير حرية الاختيار، حيث ذكر في جوابه: "إلا إذا دعت الضرورة إليه، إبقاءا على المسلمين وبلادهم، فإنه يجوز، والضرورة لها أحكام، وقد يرى الشاهد ما لا يرى الغائب"[1].

إن ما يمكن استنتاجه من خلال رفض السلطان لمعاهدة تافنة، أن هذا الرفض جاء نتيجة تخوفه من تنامي النزعة الاستقلالية لدى الأمير عبدالقادر، بدعم من الفرنسيين، ومن ثم خروج الأمير من تبعيته له، وهناك سبب آخر جعل السلطان يرفض المعاهدة، وتمثل في إدراكه بأن الصلح سيؤدي حتما إلى ترسيخ فرنسا لوجودها بالجزائر، وانفراد قواتها بإقليم قسنطينة، وبعدما دخل الأمير عبدالقادر تلمسان في 13 جويلية 1837، تغير موقف المولى عبدالرحمان تجاه المعاهدة، حيث بعث إلى عماله في المدن المغربية يوم 25 جويلية 1837، حيث قال: "... بما شرح الصدر، وأعلى الإسلام بظهور القوة، ورفع القدرة في فتح مدينة تلمسان، ... من غير إعمال سيف ولا سنان ... وذلك بصلح أسفر عن وجه نجاحه، وطلع في فلك الإسلام طالع سعده ونجاحه، أصبحت به ثغور أهل الدين بواسم، وهبت برياح تتابع النصر النواسم، وقامت به للتناهي في الأعياد والمواسم"[2]، وبعد خمسة أيام، بعث المولى عبدالرحمان إلى الأمير عبدالقادر برسالة لتهنئته باسترجاع مدينة تلمسان، حيث قال له: "محل الولد البار، الساعي في المحاسن والمسار، المرابط* المجاهد، حامل راية المجاهدين"، وهكذا سعى السلطان إلى محو كل الانتقادات التي وجهها من قبل إلى معاهدة تافنة، وذكر بأن هذا الصلح لا يتنافى مع الشرع، وله فوائد بالنسبة للمسلمين، حيث قال: "فما عقدتم من صلح جار من الخير على مناهج، وقائم بعزة الدين، وجموع قوته، بأنفع دواء وأنجع علاج، فإن السلم إذا كان عن عز لمصلحة، كان داعيا لوفور القوة، وانتظام الكلمة ،وائتلاف القلوب، والتبصر بعواقب الأمور، وغير ذلك مما يؤدي بالحزم والعزم في جهاد أعداء الله"، وقد اعتبر المولى عبدالرحمان هذه المعاهدة بمثابة الفرصة الواجب استغلالها، للاستعداد لمواصلة الحرب على فرنسا، في ظروف أحسن بالنسبة

---

[1]Ibid.

[2]محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 26-33.

* المرابط عرف عند المغاربة بالرجل الصالح والتقي وهذا ما هو سائد إلى يومنا هذا في عرف سكان المغرب العربي، الرجوع إلى محمد الهادي حساني، الأمير عبدالقادر سيرة ذاتية، ط 3، شركة دار الأمة، الجزائر، 1998، ص 125.

للأمير عبدالقادر، حيث قال: "ففي الصلح فوائد تشكر، وأمور تذكر فلا تنكر، منها أخذ الأهبة، وجموع القوة وزيادة الاستعداد، ومداخلة القوم بعضهم مع بعض، وزيادة الاستمداد، وانتظام الكلمة، وترتيب الحشود، والتقدم إلى الآفاق البعيدة بالأعلام، وتقديم العرفاء على الجنود، وتحسين النية وشحن العزيمة، والاطلاع على أحوال العدو الكافر، واستمالة قلب الشارد، وتسكين نفرة النافر".

كما أشار المولى عبدالرحمان إلى إيجابيات هذه المعاهدة، من خلال حصول الأمير عبدالقادر على مدافع مشور تلمسان، مقابل دفع بعض الرؤوس من البقر، وفي هذا الخصوص قال السلطان: "على أن في هذا مزيد قوة بما استخلصتموه من آلة حرب وتوابعها، وأدركتموه من ساعة الهدنة ومنافعها، ولا غضاضة في بذل البقر للبقر (أي الفرنسيين)، ومعارضة النعم عن خير المستقر"، وقد أشار المولى عبدالرحمان كذلك حول هذا الصلح وأهميته، وأكد على ضرورة إدراج مدينة قسنطينة ضمن ممتلكاته، عندما قال: "كمال هذا الصلح المشهور، هو عقده على سائر الأقطار المغربية والثغور، فاجتهد في إدخال قسنطينة في شموله، ليكون ذلك أتم للسرور"، وفي الرسالة كذلك حذر السلطان الأمير عبدالقادر من مغادرة الأراضي الجزائرية، بعدما عرض عليه زيارته، حيث قال له: "فاعلم أنك روح تلك الأقطار، وقطبها الذي عليه المدار، فلا ينبغي أن تزايل مركز تلك الدائرة، وهي حديثة عهد باسترداد، وقريبة زمن بجهاد وجلاد، والعدو الكافر كبّته الله منتظر الفرصة ..."[1].

وعليه فإن هذه الرسالة المطولة التي بعث بها المولى عبدالرحمان إلى الأمير عبدالقادر، تظهر كيف غيّر هذا السلطان موقفه تجاه معاهدة تافنة، وأنه بقي متمسكا بضرورة مواصلة الجهاد بعد الهدنة، وأكد على إدراج الإقليم الشرقي ضمن ممتلكات الأمير عبدالقادر، وبالتالي يمكن أن نحلل هذا التغيير بما كان يُكنه السلطان من احترام وتقدير تجاه الأمير عبدالقادر، وبقناعته بأن هذا الصلح هو كسابقه، عبارة عن هدنة ظرفية، يستفيد منها الطرفان، الفرنسي والجزائر، لاستئناف الحرب، وقد ساهمت الرسالة التي بعث

[1] محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 34-37.

بها الأمير في اقتناع السلطان بفكرة الصلح، حيث كتب إلى الطالب بن جلول، وهو وكيل الأمير بمدينة فاس، فقال له: "إن الفرنصيص لا ثقة له، ولا صالحة في الصلح معنا، وما طلب منا السلم إلا لقضاء مآربه، فعكس الله مراده، وقضينا مآربنا، وجمعنا كلمة الإسلام والحمد لله، وما أخرنا عن عداوته إلا جمع الخرج والإقامة، سهل الله لنا ذلك على يدكم"[1].

وهكذا استطاع المولى عبدالرحمان أن يزيل الخلاف الذي وقع بينه وبين الأمير عبدالقادر، حيث تمكن الطرفان من الوصول إلى فترة تفاهم امتدت على طول الأشهر التي عمل فيها الفرنسيون على تطبيق معاهدة تافنة، أي بحوالي ثلاثين شهرا، وفي أثناء هذه المدة تمكن الأمير من تعزيز مركزه من خلال تبادل الهدايا والمبعوثين، وقد كانت له السلطة المغربية بمثابة الدعم المادي والمعنوي الذي يحتاجه لمواجهة القوات الفرنسية التي غزت الأراضي الجزائرية.

وحتى يؤكد الأمير عبدالقادر على ارتباطه الروحي بالمغرب، فقد بعث مع عبدالله السقاط عدة أسئلة، كانت موجهة لعلماء مدينة فاس لاستفتائهم، وكانت هذه التساؤلات ترتبط بالعراقيل والعقبات التي حالت دون تثبيته لأركان دولته، وقد أكد الأمير في إحدى رسائله عن قلقه الشديد من المشاكل التي بدأت تعترضه وتهدد كيان إمارته، حيث قال: "فقد ضاق من هذه الأمور الذرع، وكاد القائم بأمور المسلمين لضيق الأسباب أن يتخلى عن الأمر ويطرح ثوب الإمارة والدرع"، وقد أمر المولى عبدالرحمان الشيخ علي بن عبدالسلام مديدش التسولي الذي كان من كبار علماء جامع القرويين أن يرد عن كل الأسئلة التي جاء بها السقاط[2]، والتي ركز فيها الأمير على خمسة نقاط تعلقت بحكم الشرع في مانع الزكاة، ومانع المعونة، والمتعاون مع الكفار، والمتخلف عن الاستجابة لدعوة الجهاد، بالإضافة إلى مشروعية فرض المعونة، وعليه فقد كانت هذه المسائل التي طرحها الأمير عبدالقادر ترتبط أساسا بالمشاكل المادية التي أصبح يعاني منها نظرا لحاجته للأموال، حتى ينهض

[1] GYVER, op.cit, pp 93-95.

[2] الناصري، المصدر السابق9، ص 46.محمد بن عبدالقادر المصدر السابق، ص 317 – 318.

MICHAUX, BELLAIRE, Les musulmants d'Algérie au Maroc, Paris 1907, p 43.

بجيشه[1]، وقد علل أسباب الضائقة المالية لعدم خضوع عدة قبائل لسلطته، وتأخرها في الاستجابة لندائه، وقد أدرك أنه إن لم يُخضِع هذه القبائل لسلطته، فلن يستطيع مواجهة القوات الفرنسية، وعلى هذا الأساس طلب فتوى علماء فاس، حتى يتدعّم بسلاح الشرع، ليدعم به سلاح السيف، ليواجه به القبائل المتمردة، وكان الأمير يأمل من خلال طرحه لتلك الأسئلة أمام أعلى هيئة دينية في فاس، أن يكسب تعاطف السلطة المغربية، ولتكون له دعما ماديا ومعنويا[2].

وبالفعل فقد جاءت إجابة الشيخ التسولي عن الأسئلة التي طرحها الأمير عبدالقادر مطابقة لما كان يأمله، حيث أكدت على معاقبة المتخلفين عن نداء الجهاد، والمتعاملين مع القوات الفرنسية، كما أعطت الفتوى الحق للأمير عبدالقادر في محاربة من امتنع عن دفع الزكاة، والصدقات، بالإضافة إلى حقه في أخذ المعونة من الجزائريين الذين رفضوا تقديمها بالقوة، وقد وصلت هذه الأجوبة إلى الأمير عبدالقادر يوم 25 جوان 1837، وبفضلها تدعّم مركز الأمير عبدالقادر، حيث أصبحت السلطة المغربية مُلزَمة بتأييد العمليات العسكرية، التي بدأ يقوم بها ضد القبائل المتمردة، وخصومه، حيث لم يتردد في استغلال فتاوى فاس، التي حصل عليها، حتى بدأ في مصادرة مجموعة من رؤوس الإبل، التي كانت ملكا لزعيم الطريقة التيجانية محمد الصغير بن محمد التيجاني*، حيث اعتبرها جزءا مما بذمته من زكاة النعم منذ عام 1832، رغم أنه كان يعلم بأن هذه الطائفة كانت تتمتع بنفوذ قوي في المغرب، وكان مؤسسها يحضى بتقدير السلطة المغربية، ولذلك بادر الأمير عبدالقادر بإرسال وفد إلى المغرب في شهر نوفمبر 1837، وقد ترأس هذا الوفد أخاه محمد السعيد، الذي كان قد خلف أباه محي الدين في رئاسة الطريقة القادرية، وكان هذا الوفد محملا بالهدايا الثمينة ،التي استلمها من الفرنسيين، وبرسالة تضمنت ثلاثة نقاط، أراد بها الأمير توضيح بعض الأمور، كانت أهمها إظهار الأسباب التي أدت إلى مصادرة إبل الزاوية التيجانية، والمتمثلة في امتناع محمد الصغير بن أحمد التيجاني عن دفع الزكاة، فذكر بأنه

---

[1] A. LAROUI, les origines sociales et culturelles des nationalismes Marocain 1830-1912, Paris, 1979, p 266 – 267.

[2] MICHAUX, BELLAIRE, op.cit, p 45.

* هو ابن محمد المختار التيجاني، أحد أقطاب الطريقة التيجانية، ثار على الباي حسن حاكم وهران سنة 1827، الرجوع إلى محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 125.

أخذها بالقوة، كما حاول أن يستشير المولى عبدالرحمان حول بعثه لسفير إلى باريس، وفي الأخير طالب بإعفائه من الإمارة، والحكم الذي أثقل كاهله، حيث توسل لإرسال أحد أبناء السلطان، أو أحفاده، أو عماله لأخذ زمام الأمور، واعدا بأنه سيكون أول من يطيع هذا الحاكم الجديد، وأنه سيعمل على خدمته والامتثال لأوامره، وعليه يمكن أن نستنتج من طلب الأمير عبدالقادر أنه كان يرغب في الرجوع إلى العبادة والعلم، وخلع ثوب السياسة والإمارة والحرب[1]، وفي الخامس من جانفي 1838، رجع الوفد الذي بعث به الأمير عبدالقادر إلى الجزائر، ومعه رد المولى عبدالرحمان عن الأسئلة التي طرحها والمتعلقة بالنقاط الثلاثة التي بحث لها عن أجوبة، حيث أيد السلطان موقف الأمير عبدالقادر تجاه الزاوية التيجانية في عين ماضي[*]، فقال له: "وما فعلت من أخذ زكاة نعم ناحية عين ماضي عن خمس سنين، حيث ظفرت بها، بعد تكرار المطالبة للسيد محمد بن أحمد التيجاني بسببها، فقد أخذت حقا، وطهرته وأهله، ولو أنصف وقال حقا، فأنت المكلف بتلك الأقطار، دانيها وقاصيها، وإليك مرجع طائعها وعاصيها"، أما بالنسبة للنقطة الثانية المتعلقة ببعث سفير يمثل الأمير عبدالقادر بفرنسا، فقد نبهه السلطان وحذره من دسائس فرنسا، حيث قال: "فأمره كله تمويه وتدليس، وشأنه كله خداع وتلبيس، فكن من مكائده على بال، ومن أمر غدره على بصيرة واحتيال"، حيث أعطى له مثالا عن المسلمين في الأندلس، وما حدث لهم، حيث قال: "وفيما فعِل بالأندلس وأهلها أعدل شاهد وبرهان، وليس الخبر كالعيان، فقد كانوا شرطوا عليه (أي الإسبان) نيفا وسبعين شرطا، لم يوف لهم منها بواحد، وضربوا معه فيها في حديد بارد" وبالنسبة للأمر الثالث الذي طلبه الأمير عبدالقادر، فقد ترك له اتخاذ القرار المناسب، حيث قال له: "إذا أردت توجيه باشا، فاختره من أهل الدين المتين، الذي يرجح جانب الإسلام مع المشركين، بإظهار القوة واجتماع القلوب على الجهاد، فإن أكثر الناس اليوم كل على مولاه"، وفيما يتعلق برغبة الأمير عبدالقادر التنحي عن الإمارة، فقد رد السلطان عن هذا التساؤل بالرفض القاطع للفكرة، حيث قال: "وكيف يسوغ لك التخلي، وقد رُفِعَت بك في ذلك القطر راية الإسلام، وانتظم أمر الخاص والعام، وأرغم بك

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 339 – 342.

[*] عين ماضي: مدينة تقع في الجنوب الجزائري، محصنة على سفح جبل عمور، تبعد عن مدينة الأغواط بحوالي 78 كلم، بناها محمد التيجاني في القرن السابع عشر، ويوجد بها مقر للزاوية التيجانية، حاصرها باي معسكر محمد بن عثمان الكبير عام 1783، والباي حسن عام 1822، دخلها الأمير سنة 1838، واحتلها الفرنسيون سنة 1844، الرجوع إلى Doumas, op.cit, p 88

أنف الكفر وأحزابه"[1]، وهكذا تمكن الأمير عبدالقادر من التأكد من دعم السلطة المغربية له، وبدون أية تحفظات، وكانت هذه الرسائل المتبادلة بمثابة الاختبار الحقيقي لنوايا المولى عبدالرحمان، تجاه إمارة الأمير عبدالقادر، وبعدما استطاع هذا الأخير أن ينتهي من تحضير جيشه في عاصمته تاقدامت، بدأ في السير نحو عين ماضي يوم 11 جويلية 1838[2]، وعندما وصل جيش الأمير عبدالقادر إلى مشارف المدينة، طلب من محمد التيجاني السماح بالدخول، بيد أنه رفض، مُقابل قبوله بدفع الضرائب، إلا أن الأمير عبدالقادر صمم على دخول المدينة، وبأي ثمن، ولما أحس التيجاني بذلك، بعث إلى المولى عبدالرحمان برسالة يشتكي فيها من تصرفات الأمير عبدالقادر، ومحاصرة عين ماضي، غير أن السلطان لم يتدخل في هذا الأمر، بعدما التزم الأمير بعدم رفع السلاح في وجه سكان المدينة، ورغم ذلك فإن محمد التيجاني صمم على مواجهة قوات الأمير عبدالقادر، فاضطرت قوات هذا الأخير إلى قصف المدينة بالمدافع في اليوم الثاني من شهر أوت 1838[3]، وفي ظل هذه الظروف، بعث الأمير عبدالقادر برسالة إلى المولى عبدالرحمان، لإخباره بالأوضاع والتطورات الحادثة في عين ماضي، كما بادر محمد التيجاني بإعادة تجديد نداءه وشكواه إلى السلطان، الذي تأثر هذه المرة بما يحدث في مدينة عين ماضي، بين طائفتين صوفيتين كانتا من أقوى الطوائف نفوذا في الجزائر، حيث ذكرت بعض المصادر، بأن المولى عبدالرحمان طلب من الأمير عبدالقادر الانسحاب من المدينة، وترك سكانها يعيشون في سلام[4]، وقد تمكن محمد التيجاني من استخدام وساطة الشيخ العربي الوزاني لدى المولى عبدالرحمان، لكسب تعاطف وتأييد السلطة المغربية[5]، أما بالنسبة للأمير عبدالقادر، فقد بعث برسالة إلى وكيله بمدينة فاس الحاج الطالب بن جلول، فيها أهم الأحداث والأسباب التي أدت إلى غزو مدينة عين ماضي، وحمّل محمد التيجاني الأسباب والنتائج، كما اتهمه بالعصيان، وتحريض قبائل الصحراء على ذلك، كما أكد بأنه لم يُقدم على ذلك الأمر، إلا بعدما استنفذ كل الطرق السلمية تجاه سكان عين ماضي، حيث قال:

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 339-342.

[2] M. EMRIT, op.cit, p 212.

[3] M. EMRIT, op.cit, p 212.

[4] G. YVER. Op.cit. P 247.

[5] محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 29-30.

"وقد عرَّفناك بذلك، ربما يبلغكم الأمر على غير وجهه"[1] ، وهذا حتى يُكذب ما ذكره محمد التيجاني في رسالته، وقد تمكن الطالب بن جلول من إقناع المولى عبدالرحمان، حتى يُبقي موقفه لصالح الأمير عبدالقادر، بدليل أن السلطة المغربية بعثت إلى الجزائر في منتصف شهر أوت بأربعة مدافع، وكميات هائلة من الذخيرة، تمثلت في ألف ومائتين من القذائف[2]، وفي نفس الشهر قام السلطان ببعث قافلة محملة بالبارود والبنادق والسيوف، بالإضافة إلى ذخائر حربية متنوعة، وطلب من محمد التيجاني أن يسلم عين ماضي إلى الأمير عبدالقادر، والاستعداد لاستقباله في مدينة فاس، حيث يرقد والده في مثواه الأخير[3]، وهكذا استطاع الأمير عبدالقادر أن يحصل مرة أخرى على دعم السلطة المغربية لسياسته بالجزائر، وبفضل الإمدادات العسكرية المغربية، قرر الأمير دخول المدينة رغم ما تلقاه من مقاومة عنيفة، ورغم تعدد المحاولات الفاشلة لاجتياز أسوارها، وقد ذكر ليون روش LEON ROCHES، الذي كان مرافقا للأمير في حملته على عين ماضي، أن الجيش كان معه مقاتلون حقيقيون مختصون في تحطيم الأسوار، وهكذا لم يتمكن محمد التيجاني من الصمود أمام هجمات وضربات جيش الأمير عبدالقادر، فاضطر إلى الاستسلام في يوم 17 نوفمبر 1838، ولقد تكلف بالتفاوض مع الشيخ التيجاني مصطفى بن التهامي[4]، وخلصت المفاوضات إلى النتائج التالية:

- إخلاء التيجاني للمدينة في مدة لا تتعدى أربعة وخمسين يوما.
- السماح للتيجاني بنقل كل ما يريد، والتزام الأمير بتوفير وسائل النقل له.
- بإمكان سكان عين ماضي الرحيل مع التيجاني.
- رفع الحصار على المدينة وانسحاب، قوات الأمير عبدالقادر عنها بثمانية أميال.
- اعتراف التيجاني بأنه المتسبب في الحرب، ودفع تعويضاتها التي قدرت بـ سبعة وعشرون ألف فرنك.

---

[1]GYVER, op.cit, p p 93-95.
[2]L. ROCHES, op.cit. p 310 – 312.
[3]محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 29-30.
[4]BELLEMARE, Abdelkader sa vie politique et militaire, Paris, 2003, p 11.

ولقد وافق التيجاني على الشروط التي وضعها الأمير عبدالقادر له، وفي هذا الشأن ذكر الوكيل الفرنسي في مدينة معسكر دوماسDOUMAS*، بأن الفضل في إقناع محمد التيجاني بضرورة وقف القتال، وطلب الرحيل يعود إلى سلطان المغرب، المولى عبدالرحمان[1]، بيد أنه رفض الذهاب إلى مدينة فاس، وتوجه إلى الصحراء، ابتداءا من اليوم العاشر من شهر جانفي 1839، وبعد ثلاثة أيام، دخل الأمير عبدالقادر عين ماضي، بعدما أمر بتحطيم كل أسوارها، وبهذا النصر المادي والمعنوي، بادرت القبائل بالدخول في طاعته، وتأدية ما عليها من الضرائب، التي كانت متأخرة[2]، وحسب ما جاء في التقارير التي كان يبعث بها وكيل فرنسا في معسكر، فإن الأمير عبدالقادر قد كثف من عمليات استقدام الذخيرة والسلاح من المغرب، خاصة في الفترة التي تلت توقيع معاهدة تافنة، كما أشار هذا الوكيل، بأن الأمير كان قد بعث بوفد برئاسة محمد السعيد في أواخر جانفي 1838، غير أنه لم يأت بأي شيء من فاس، بيد أن ليون روش ذكر العكس، حيث قدّم معلومات تشير بأنه شاهد وهو في طريقه من معسكر إلى تلمسان، اثنتا عشر فرسا بعث بها سلطان المغرب المولى عبدالرحمان إلى الأمير عبدالقادر، بالإضافة إلى عدد من البغال والجمال المحملة بالهدايا والذخيرة واللباس[3]، وقد ذكر المارشال فالي قائد وهران، بأنه سمع بوصول مائة بغل محملة بالبارود، هدية من المولى عبدالرحمان، وبالتالي يمكن القول بأن الوكيل دوماس لم يتأكد من صحة الأخبار التي كانت تصله، فكان يأتي بأخبار لا أساس لها من الصحة، ومن الناس الذين اشرفوا على استقدام السلاح والذخيرة من فاس، الحاج الطاهر أخ قائد معسكر، والطالب بن جلول، ولقد تمكن الحاج الطاهر من الإشراف على عمليات جلب السلاح من فاس، حيث ذكرت المصادر بأن القوافل المتجهة إلى الجزائر، كانت تحمل كميات هائلة من الذخيرة والأسلحة والألبسة طيلة شهري أفريل وماي 1838، كما أن الجزائريين كانوا يتبادلون الهدايا مع السلطة المغربية، وقد استمرت القوافل في الدخول إلى غاية شهر أكتوبر، حيث ذكر دوماس بأنه شاهد قافلة محملة بكل الأنواع من

* دوماس Eugène Doumas 1803-1871، قائد عسكري تخرج من مدرسة الخيالة برتبة نقيب مساعد عام 1827، وبعد معاهدة تافنة عين قنصلا لفرنسا في مدينة معسكر، الرجوع إلى محمد الهادي حساني، المصدر السابق، ص 194-195.

[1]G. YVER. Op.cit. P 406.
[2]M. EMERIT. Op.cit. Pp 223-224.
[3]L. ROCHES, op.cit, p 209-211.

الأسلحة والذخيرة، كما قدم تفاصيل دقيقة إلى كتبه في 20 أكتوبر 1838[1]، أما بالنسبة للحاج الطالب بن جلول، فقد عينه الأمير عبدالقادر وكيلا له بمدينة فاس، وكان يشرف على الأمور المتعلقة بالإمدادات العسكرية، التي يتم تجميعها في المدينة قبل أن توجه إلى الأمير عن طريق وجدة[2]، وكان هذا الأخير يحث وكيله دائما على بذل كل الجهود، من أجل توفير الذخيرة والسلاح التي يحتاجها لمقاومة القوات الفرنسية، وفي رسالة بعث بها يوم 03 أوت 1838، قال له: "فلا تقصّر في جمع ما هنالك، وإن غفلنا عن شيء مما يصلح للعداوة، فذكرنا، فإن بالنا مشغول غاية، وأنت شريك في الأجر، والمؤكد عليكم أن تجّد في قضاء السلاح الجيد، مثل الذي بيد السيد الطاهر ..."، كما حذره من نوعية السلاح، حيث قال له: "كلها فاسدة ولا تصلح لشيء، وقد نبذناها كلها، لعدم فائدتها"[3]، فمن خلال هذه الرسالة، نجد أن الأمير عبدالقادر كان يؤكد على وكيله، ويوصيه بضرورة التأكد من نوعية السلاح، والاهتمام بالجودة، وعليه فقد كان وكيل الأمير عبدالقادر الحاج الطاهر بن جلول، يحرص على جلب أجود الأسلحة من شبه الجزيرة الإيبيرية، عن طريق جبل طارق، واعتمادا على قنصل المغرب بإسبانيا، فكان يشرف هو بنفسه على عمليات التموين، كما أن المولى عبدالرحمان قد أوصى بضرورة تسخير كل الجهود، وتهيئ الظروف من أجل تسهيل عملية تموين الجزائريين بالسلاح، ولذلك أعطى الأوامر إلى عامله بمدينة تيطوان محمد أشعاش، لتوجيه الأسلحة التي كانت تصله من قنصل المغرب اليهودي الأصل ابن عليل، إلى وكيل الأمير عبدالقادر بفاس بن جلول[4]، ولما وجد الجزائريون بأن أرضهم تتوفر على كميات هائلة من معدن الرصاص، بعث الأمير عبدالقادر إلى وكيله بفاس يوم 1 سبتمبر 1838، لإعلامه بضرورة التوقف عن شراء هذه الذخيرة ،حيث قال له: "فليكن في كريم علمك، أن الله فتح علينا بهذه الجهة بوجود الخفيف، فإن لم تشتروا لنا منه، فلا عليكم من ذلك، فإننا وجدنا منه عددا كبيرا، وإن اشتريتم فزيادة ولا مضرة فيها"[5].

---

[1] G. YVER. corresp, DAUMAS, op.cit pp 182 – 183 et 268.
[2] Ch. A . JULIEN. Opcit. P 186.
[3] G. YVER. AEK et la Maroc, op.cit, pp 93-95.
[4] المولى عبدالرحمان إلى محمد اشعاش، 25 جمادى الثانية 1254 هـ الموافق لـ 15 أوت 1838، خ ح، م، 5، مج 21.
[5] G. YVER. Op.cit, P 99.

ولقد ساهم ابن جلول في سد حاجيات الأمير عبدالقادر العسكرية، كما كان يمده بالأخبار حول الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في أوربا، وفي رسالة بعث بها الأمير إلى ابن جلول في 8 أوت 1838، قال له: "ولا يخفاكم أن الكافر بهذه الناحية لا يخرج لنا من الأخبار إلا التي تسره، فنحبك أن تخبرنا بما يرد عليكم في تلك الناحية، من جهة الكفرة سواء كانت في جانبنا أو في بعضهم بعضا"[1].

ولقد تأكد الجنرال بيجو من تخوفاته، عندما أصبح الجزائريون يحصلون على الأسلحة من المغرب، ولذلك اشتكى الوكيل دوماس يوم 19 أوت 1838، حيث قال: "إن الأمير عندما لم يستطع الحصول على المدافع من مراسينا، فإنه قرر أن يحصل عليها من المغرب"[2]، وقد أورد دوماس في تقاريره كميات الأسلحة والذخائر التي كان يحصل عليها الأمير عبدالقادر من المغرب، حيث قدم في تقاريره علاقة تموين الأمير بالسلاح بدعم السلطة المغربية له، بيد أنه لم يكن دقيقا في معلوماته التي قدمها، ذلك أن بعض القوافل كانت لا تمر قرب معسكر، بل كانت تسلك طرقا مختلفة للوصول إلى تاقدامت، وفي تقرير قدمه ليون روش، ذكر بأن الأمير عبدالقادر قد تحصل على كميات هائلة من السلاح كانت قادمة من المغرب، حيث أحصى مائة وستين قنطار من البارود، وألف وخمسمائة بندقية من صنع إنجليزي، بالإضافة إلى أربعة مدافع، وأعداد هائلة من الخيام، وكميات ضخمة من الكبريت والنعال والسيوف واللباس[3]، ولهذا علق هـ شورشيل على الدعم المغربي للأمير عبدالقادر، حيث قال: "كان الأمير عبدالقادر يعتمد قبل كل شيء على عون ومؤازرة سلطان المغرب، وقد ظل السلطان لسنوات طوال يخص عبدالقادر بكل ود وتقدير، ويغمره بالهدايا والإطراء، ولكنه لم يتجاوز في يوم من الأيام هذه الحدود، ولم يعرض عليه أبدا أي عون مادي بدون مقابل، كما أن عبدالقادر من جهته لم يتنازل ليطلب ذلك"[4]، وفي هذا الخصوص، ذكر الجنرال بيجو بأن الأمير عبدالقادر كان يشتري الأسلحة التي يحتاجها من المغرب بأثمان باهظة، كما أكد مارسيل إميريMarcel Emrit بأن المغاربة قد استفادوا

[1] G. YVER. Op.cit, p 93-95.
[2] G. YVER. op.cit p 286.
[3] L. ROCHES, op.cit, p 383.
[4] H. Churchill. Op.cit. P 241.

كثيرا من تجارتهم للأسلحة، وتموين الجزائريين بالتجهيزات العسكرية[1]، كما أشار في تقاريره بأن الجزائريين كانوا يحصلون على كل ما يحتاجونه من ذخائر عن طريق الاقتراض أو بالتقسيط، وعليه فقد ذكر هـ شورشيل نقلا عن الأمير عبدالقادر قوله: "كل قواتي النظامية كانت مسلحة ببنادق فرنسية أو إنجليزية، حصلت عليها خلال المعارك ومن الفارين، أو بشرائها من المغرب، اشتريت كذلك كميات مهمة من البارود من المغرب، وحصلت أيضا على القداحات الصوانية، التي كانت بلادنا محرومة منها، تماما كمامدني المغرب بكميات معتبرة من الرصاص"[2]، وعليه فإن هذه التقارير تشير بأن الأمير عبدالقادر كان يحصل على السلاح والمواد الحربية من المغرب، عن طريق الشراء بدفع الأموال ولم تكن هذه المؤن مجانية باستثناء بعض الهدايا التي كان يقدمها السلطان له.

وهكذا بعدما تمكنت فرنسا من الحصول على الهدنة، بينها وبين الأمير عبدالقادر في الإقليم الغربي، شرعت في تطبيق مخططها، المتمثل في غزو مدينة قسنطينة، والقضاء على أحمد باي، ففي شهر أكتوبر 1837، شرعت في تطبيق مخططها المتمثل في ربط هذه المدينة بمدينة الجزائر برا، غير أن هذا الإجراء قد أحدث خلافا حادا، كونه يتناقض مع ما جاء في بنود معاهدة تافنة الخاصة برسم الحدود الشرقية، والمتعلقة بالنفوذ الفرنسي، حيث كان الفرنسيون يعتقدون بأن المعاهدة لم تنص على منعهم من مد نفوذهم في الجزائر حتى الإقليم الشرقي، في حين كان الأمير يعتقد بأن حدود ممتلكات فرنسا هي مدينة الجزائر وما جاورها، وأنها لا تتجاوز سهول متيجة، ولهذا السبب بعث الأمير بسفارة ترأسها ميلود بن أعراش، حيث سافر إلى باريس في فبراير 1838، من أجل إيجاد حل لهذه المسألة، بيد أن الميلود أعراش لم يتوصل إلى حل يُرضي الطرفين، الفرنسي والجزائري، بل تسبب في تعقيد المشكلة، خاصة بعدما صمم الفرنسيون على إجراء تغييرات في بنود المعاهدة، حتى تصبح تخدم مصالحهم التوسعية، ولقد ازداد هذا الأمر حدة، في الفترة التي استطاع فيها الأمير عبدالقادر إخضاع عين ماضي مع حلول عام 1838، حيث تمسك الطرفان بمواقفهما، فتعقدت الأمور، واضطربت الأوضاع، وأصبحت تنذر بتجدد الصراع[3]، ولهذا

---

[1]H. Emrit. Op.cit. P 23.
[2]H Cherchull. Op.cit. Pp 155-156.
[3]Ch. A. JULIEN. Op.cit. P 149.

السبب قام الأمير عبدالقادر بإرسال وفد إلى المغرب في 18 مارس 1839، وقد ترأس هذا الوفد محمد بن عبدالله السقاط، وكان محملا بالهدايا الثمينة، وبرسالة موجهة إلى المولى عبدالرحمان، تضمنت النتائج التي أسفرت عنها حملة الأمير على عين ماضي، ورغبته في كسب تأييد السلطان له ضد التيجاني، كما أشارت هذه الرسالة إلى إصرار فرنسا على ربط مدينة قسنطينة بالجزائر برا، وأنه رفض الاستجابة لمطالبها، خاصة بعدما قامت بتغيير بنود معاهدة تافنة، كما حاول الأمير أن يُبيِّن للمغاربة المشاكل المالية التي أصبح يعاني منها، بعد حملة عين ماضي[1]، وفي تقرير لليون روش، أكد فيه بأن الهدف الذي كان يصبوا إليه الأمير من بعثه للوفد، هو الحصول على دعم جديد من السلطة المغربية، بتعيينه خليفة له في الجزائر، كما أوصى أعضاء الوفد بضرورة إجراء اتصالات جدية مع زعماء القبائل ودعوتهم إلى الجهاد، وحث الناس إلى تقديم العون للمجاهدين في سبيل الله[2]، وفي رسالة مؤرخة في 25 أفريل 1839، رد المولى عبدالرحمان على رسالة الأمير عبدالقادر، حيث أشار فيها عن تأييده المطلق لسياسته تجاه الفرنسيين، وعن منعهم من التوسع في الأراضي التابعة له، من أجل ربط مدينة قسنطينة بالجزائر، كما أكد له على ضرورة الثبات، والتمسك بمواقفه، وقدّم له التهاني على الانتصارات التي حققها في عين ماضي، واعتذر عن عدم مقدرته على تلبية طلب الزيارة، نظرا لارتباطاته وانشغالاته بأمور المملكة، وقد أشاد بشجاعته وبسالته، واصفا إياه بالأخ في الله، كما ضمَّن الرسالة إخباره بأنه بعث إليه بستة خيول أصلية كهدية إليه، بيد أنه لم يُشر إلى مسألة تعيينه خليفة له[3].

ولقد أشار دوماس بأن الوفد الذي بعث به الأمير عبدالقادر إلى المغرب قد رجع إلى معسكر يوم 5 جوان 1839، بيد أنه لم يحصل على أي شيء ذهب من أجله[4]، وبعدما تحقق من ذلك، أشار بأن الأمير عبدالقادر قد تلقى من المولى عبدالرحمان قفطان التعيين كرمز، حتى يكون خليفة له بالجزائر، كما أشار بأن الأمير قد لبس هذا القفطان في الاجتماع الذي عقده في مدينة مليانة في أوائل شهر أوت 1839[5]، وقد أكد ليون روش هذا الأمر، عندما ذكر

---

[1]محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 29 – 30.

[2]Decosse, Brissac, op.cit, p 55.

[3]محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 30.

[4]GYVER, op.cit, p 483.

[5]M. EMRIT, la légande le Leon ROCHES, RA, 1ère et 2ème trimestre, Alger, 1847, p 86.

بأن المولى عبدالرحمان قد قبل بطلب الأمير عبدالقادر، فبعث له بقفطان التعيين مع مبعوث شخصي له، وقد قام هذا الأخير بإلباسه للأمير[1]، ولقد أشار دوماس بأن الأمير عبدالقادر بعد هذا الحدث، أصبح عند المغاربة يُنعت بأمير المؤمنين، بينما عند الجزائريين أصبح يُلقب بخليفة السلطان، وفي رسائله كان يستخدم خاتما كتب بداخله "مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله المجاهد المتين عبدالقادر بن محي الدين" وعلى دائرته: "ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقاه الأسد في أجمها تجم"[2].

كما ذكر هـ شورشيل، بأن الأمير عبدالقادر عندما سك نقودا بتقدامت حملت على وجهها: "ضُربت بتقدامت من قبل السلطان عبدالقادر"[3]، وعليه فإن الأمير عبدالقادر كان يظهر أمام المولى عبدالرحمان كخليفة له، وتابعا لسلطته بينما كان يظهر أمام فرنسا كسلطان مستقل وأمير للمؤمنين، ولقد ظن الفرنسيون بأن هذا الأمر سيؤدي إلى حدوث القطيعة بينه وبين المولى عبدالرحمان، لدرجة أنهم كانوا يضنون بأن للأمير عبدالقادر نوايا توسعية على حساب الأراضي المغربية، ولقد احتج القنصل ميشان على هذا الوضع، وعلى المساعدات التي أصبح يحصل عليها الأمير عبدالقادر من المغاربة، حيث رد عليه المولى عبدالرحمان بقوله: "اعلم بأن عبدالقادر مستقل، ولا يشتغل إلا بتنظيم بلاده، وليس أبدا تحت سلطتنا لكي نعطيه أوامر، أو لكي ننهاه، بالعكس، فإن ولاة أقاليمنا المجاورة، لهم دائما معه مشاكل حول رعايانا بنواحي تلمسان، وذلك أن كل من يرتكب جريمة، أو يرفض أداء ديونه يفر إلى هذه المدينة، ويضع نفسه تحت سلطة الأمير، ويمنع ولاتنا من الوصول إلى هؤلاء الأشخاص"[4]، وفي تقرير لـ هـ شورشيل، ذكر فيه بأن المغرب قد تعاطف مع الجزائريين، نظرا لما كان يجنيه من أرباح وفوائد تجارية، وأنه استفاد كثيرا وازدادت مداخيله بعدما أصبحت القوافل تعبر الأراضي الجزائرية في أمن، وبدون أن تدفع الضرائب، أو حقوق الديوانة عند الحدود، كما أن الأمير كان يقوم ببعض الصلاحيات كتأديب بعض العصاة الذين كانوا يلجئون إلى الأراضي الجزائرية، كاعتقاله لمحمد بن عمر مرون الذي كان يزور رسائل السلطان، وبالتالي فقد كانت المنافع متبادلة بين الطرفين،

---

[1] L ROCHES, op.cit, p p 396-397.

[2] عبدالقادر إلى راتيل 1 ذو الحجة 1253 الموافق لـ 26 فبراير 1838 - S.H.A.T.1H55

[3] مصطفى بن التهامي إلى الجنرال راتيل 1 ذو الحجة 1253 الموافق لـ 26 فبراير 1838 - S.H.A.T.1H55

[4] Ch H CHERCHILL, op.cit, p 151.

فلقب خليفة كان بالنسبة للأمير عاملا للحصول على دعم المولى عبدالرحمان، وبالنسبة لهذا الأخير وسيلة لتحفيزه على حرب الفرنسيين.

نقض صلح تافنة وعودة الحرب 1839 – 1843:

بعدما أقدم المارشال فالي والدوق دورليان ابن ملك فرنسا باجتياز الطريق المار بين قسنطينة والجزائر عبر معبر "بيبان الحديد"، فاعتبر الأمير عبدالقادر هذا التصرف خرقا لبنود معاهدة تافنة[1]، وكان هذا في أواخر شهر أكتوبر 1839، وأمام هذا التحدي، بعث الأمير في 18 نوفمبر برسالة تهديد وتحذير من عواقب هذا التصرف، ومن استئناف الصراع إلى المارشال فالي، وبالفعل فقد قامت قوات الأمير عبدالقادر بشن هجوم عسكري كبير على القوات الفرنسية التي كانت متواجدة في سهل متيجة، وكان هذا إعلانا بنهاية فترة الهدنة بين الطرفين[2]، حيث قام خليفة الأمير في مقاطعة القبائل الكبرى محمد الطيب بن سالم* بحشد قوة عسكرية لمواجهة القوات الفرنسية في مدينة الجزائر وضواحيها يوم 20 نوفمبر 1839، وقد نسق جهوده مع الخليفة محمد بن علال♦، والبركاني★، كما شن محمد البوحميدي الولهاصي هجوماته في مقاطعة تلمسان، بعد معركة وادي السكاك، ولقد كثف مصطفى بن التهامي غاراته على الحصن الذي أقامه فالي بمزغران✱ في 03 فيفري 1840.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة وحاسمة بين الأمير عبدالقادر والقوات الفرنسية، لتحديد وتقرير مصير الجزائر، ولمن تكون له الغلبة، والسلطة على هذا البلد، وتعتبر هذه المرحلة اختبارا حقيقيا للسلطة الفرنسية، وموقفها من تجديد الحرب، وأثرها على العلاقة بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان، الذي كان من بين الذين رفضوا معاهدة تافنة، وطالبوا بنقضها والعودة إلى الحرب، وعليه فإن المولى عبدالرحمان في هذه المرحلة، قد انتهج أسلوبين مختلفين إزاء مقاومة الأمير عبدالقادر، حيث بذل كل الجهود من أجل دعم الأمير الدعم المادي والمعنوي، عن طريق تموينه بالإمدادات الحربية، واعتباره خليفة له في

---

[1] CH, H, CHERCHILL, la vie d'Abdelkader, p 200.

[2] S, GSELL et les autres, Histoire de l'Algérie, p 215.

* محمد بن الطيب بن سالم بن مخلوف الدبيسي، من شرفاء بلاد القبائل، جده كان رئيسا لزاوية سيدي سالم، الرجوع إلى Robin (NJ), Notes historique sur la grand Kabylie, RA, 1902, p 45.

♦ محمد بن علال بن حملام، أصله يعود إلى الزيانيين ملوك تلمسان، ولد بالقليعة عام 1810، ينتمي إلى عائلة عرفت بالعلم، كان جده وليا صالحا بمدينة مليانة التي عينه الأمير خليفة على مقاطعتها، الرجوع إلى Plée L Abdelkader, édition Berba, Paris, 1866, p 162

★ هو محمد بن عيسى البركاني، من أسرة البراكنة، كان قائدا على مدينة شرشال في عهد الجنرال كلوزيل 1830-1834، إلى أن عينه الأمير عبدالقادر خليفة على المدية، الرجوع إلى محمد الهادي الحساني، المصدر السابق، ص 151.

✱ مزغران تبعد عن مستغانم بـ 4 كلم، وهي قريبة من البحر، احتلها دي ميشيل عام 1833، الرجوع إلى Moulay. B, op.cit, p 32

الجزائر، وأمام الطرف الفرنسي كان يتظاهر بالحياد تجاه هذه المقاومة، وفي بداية شهر جانفي 1840، وصلت إلى السلطان أخبار الأمير عبدالقادر عن انتصاراته التي حققها على القوات الفرنسية في متيجة، وحينها أدرك المغاربة أن الحرب قد تجددت، وأن الجزائريين هم في الوقت الحالي بحاجة ماسة إلى مزيد من الإمدادات الحربية من أجل مواصلة الجهاد[1]، ولذلك بعث السلطان برسالة إلى الأمير عبدالقادر، ليهنئه بالانتصارات التي حققها على القوات الفرنسية، بيد أنه لم يتعرض في رسالته إلى الإمدادات الحربية التي احتاج إليها الجزائريون[2]، وفي ظل هذه الظروف قام الأمير ببعث الوفود إلى عمال الولايات في المغرب طالبا منهم نصرته، ومؤازرته والدفاع عن الإسلام والمسلمين، ولقد ذكر القنصل الفرنسي الذي جاء بعد ميشان بطنجة في ديسمبر 1839، بأن تجدد الحرب في الجزائر عقب نقض معاهدة تافنة، كان لها تأثير كبير في نفسية المغاربة، فقال: "إن استئناف القتال من جانب عبدالقادر، قد أدى إلى حركة جلية من التعاطف بين سكان المغرب، ومن جميع الجهات يتسابق الناس لأداء الواجب الديني، الذي يفرض عليهم المساهمة في مساندة المجاهدين، وكان اليهود الأوفياء لطبيعة المضاربة، يبيعون الأسلحة والذخيرة المشتراة من أوربا إلى وكلاء الأمير، أما الأهالي في المدن فقد كانوا يبعثون إليه مجانا وبدون مقابل، بالخيول والدواب والماشية والحبوب، وكل أنواع المؤن، وكان الأغنياء يبعثون بهدايا نقدية، كل ذلك بتشجيع من السلطات العليا، التي كانت تتكفل بإيصال التبرعات إلى وجهتها"[3].

ولقد جدد الأمير عبدالقادر طلبه للسلطان بدعمه عسكريا، عندما بعث برسالة أظهر فيها ثباته وصموده أمام القوات الفرنسية، المدججة بالسلاح والجند، كما أجابه المولى عبدالرحمان، حيث أشاد بشجاعته، وبانتصاراته التي حققها المسلمون على الكفار، لكنه لم يتعرض في هذه الرسالة إلى استعداده لإمداده عسكريا[4]، وأمام هذا الوضع حاول الأمير أن يستفتي علماء فاس حول شرعية مطالبه، عندما بعث إلى قاضي الجماعة بجملة من الأسئلة، كان أهمها استفساره، عن حكم الشرع في الذين دخلوا في طاعة الكفار بإرادتهم،

---

[1] P. AZAN. Op.cit, p 162.

[2] المولى عبدالرحمان إلى الأمير عبدالقادر، د ت، ديسمبر 1839 A.M.A.E.C.P.M.V.5.F220

[3] CH, H, JULIEN, op.cit , p 186.

[4] عبدالرحمان بين زيدان، المصدر السابق، ص 67 – 71.

وحاربوا إخوانهم المسلمين معه، وكذلك في نسائهم وأولادهم، وحكم الخوارج الإباضية، المعروفين ببني مزاب، وحكم أموال المتمرد، وأسئلة حول الزكاة، وجواز استغلال أموالها في مصلحة المسلمين[1]، ولقد كانت هذه الأسئلة ترتبط أساسا برأي المسلمين في المغرب، كي يعرض مدى معانات المجاهدين الجزائريين، وحاجتهم الماسة للدعم بالعتاد والرجال، وإن كان السؤال الأول خاصا بالجزائريين، الذين دخلوا في طاعة الكفار برغبتهم، وبدون إكراه، فإنه كذلك يخص المسلمين المغاربة، سواءا كانوا حُكاما أو محكومين، وبالتالي فإن الأمير عبدالقادر كان يهدف إلى حشد المسلمين للدفاع عن الإسلام، بأموالهم وأنفسهم جزائريون أو مغاربة، ولقد فهم الشيخ عبدالهادي العلوي السؤال جيدا، وإن ردّه كان مطابقا لما كان يهدف إليه الأمير عبدالقادر، حيث قال له: "أما إن عجز من حل بهم العدو عن دفعه، فيتعين على كل من يقربهم أميرا كان أو غيره، الأقرب فالأقرب أن يُدافعه"[2].

وهكذا تمكن الأمير عبدالقادر من خلال جهوده، أن يحصل على الدعم المادي والمعنوي، حيث ظهرت حركة نشيطة في المغرب لتصدير الأسلحة إلى الجزائر، وذلك عندما خرجت قافلة من مدينة فاس في شهر ماي، متجهة إلى الحدود المغربية الشرقية وكانت تتكون من مائة وأربعين بغلا محملا بالسلاح.

ومن أجل تسهيل عملية تموين الأمير عبدالقادر بالسلاح، فقد أشرف عليها عامل تيطوان، والطالب بن جلول، الذي كان يراقب نقل المواد الحربية، من أوربا عبر تازة ووجدة، وفي بعض الأحيان عبر بعض الشواطئ القريبة من مدينة تلمسان[3]، ومن بين الوكلاء الذين كان الأمير يعتمد عليهم لجلب السلاح، كان ناتال مانوتشي NATAL MANUCCI، والتاجر اليهودي كرتوزو CARTOSO[4]، ولقد انزعج المولى عبدالرحمان من كثرة تردد وكلاء الأمير عبدالقادر على الأراضي المغربية، خاصة بعدما تزايد عددهم، ذلك لأنه كان يريد أن تكون هذه العملية محاطة بسرية تامة، حتى يتقي شر الفرنسيين، ولهذا السبب منع في مارس أربعة من التجار الإنجليز بعثهم التاجر اليهودي، وكانوا في

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 384 – 393.
[2] محمد بن عبدالقادر، نفس المصدر، ص 388.
[3] المولى عبدالرحمان إلى محمد أشعاش، 1 محرم 1256 الموافق لـ 5 مارس 1840، خ ح ح 4.
[4] DCOSSE BRISSAC, op.cit, p 61.

طريقهم إلى الأمير عبدالقادر، ولم يكتف المغاربة بذلك، بل أمر السلطان عامله بمدينة تيطوان، أن يمنع عمليات جلب السلاح من أجل تموين الجزائريين في هذه المدينة مستقبلا[1]، ولقد دلت الأحداث بأن الأمير عبدالقادر، ورغم ما كان يتلقاه من المغرب من إمدادات عسكرية، فإنه لم يكن بمقدوره الصمود أمام القوات الفرنسية لوحده، خاصة بعدما أصبح المارشال فالي يقود ستين ألف جندي[2]، ذلك أن فرنسا كانت قد أخضعت مدينتي المدية ومليانة، رغم دفاع سكانها عليها ببسالة، ورغم شدة المقاومة التي أظهرها الأمير عبدالقادر بحصار هذه القوات، حيث كانت قوة الأمير لا تتجاوز تسعة آلاف وأربعمائة جندي[3]، ولهذا السبب اضطر الأمير إلى مراسلة المولى عبدالرحمان، حتى يضعه في الصورة ويخبره عن مستجدات الحرب، وعن حاجته الضرورية والملحة لإمدادات حربية جديدة، بغية مضاعفة قوته العسكرية، وقد رد السلطان على ذلك في 18 جويلية 1840، في رسالة بعثها إلى الأمير، تحثه على الصبر والمصابرة في جهاد الكفار، والتخفيف عنه لفقدان مدينة مليانة، كما بشره بأنه لن يتوقف عن إمداده بالسلاح، بواسطة الطالب بن جلول[4]، وقد شرع في تنفيذ وعوده، عندما طلب من عامله بمدينة تيطوان أن يدعم الأمير بعشرة آلاف مثقال، ابتداء من الخامس من شهر أوت 1840، كما أمره بأن يشتري بها كل ما يحتاجه وكيل الأمير الطالب بن جلول من ذخيرة، وقد كان هذا الموقف الذي أبداه المولى عبدالرحمان تجاه الأمير عبدالقادر، محفزا لعامله للتبرع ونصرة المجاهدين[5]، ورغم الدعم الذي تلقاه الجزائريون من المغاربة، فإنهم قد لاقوا ظروفا صعبة مع حلول عام 1841، حيث عُيِّن الجنرال بيجو خلفا للمارشال فالي، وقد أصبح حاكما عاما ابتداءا من هذا العام، وقد حل بالجزائر في شهر فبراير، بهدف القضاء على الأمير عبدالقادر، وأنصاره وبأي ثمن[6]، ولقد جاء هذا الجنرال، وتحت تصرفه جيشا بلغ أكثر من ثمانين ألف رجل، وكانت الإستراتيجية الحربية التي انتهجها اتجاه الأمير عبدالقادر، تعتمد على ضرب المنشآت الاقتصادية للجزائريين، بانتهاج حرب متحركة، وتخريب موارد الأمير الاقتصادية،

---

[1] المولى عبدالرحمان إلى محمد اشعاش، 30 محرم 1257 الموافق لـ 24 مارس 1841، خ ح، م 4، مج 10.
[2] CH H JULIEN, op.cit, pp 153-154 et 178.
[3] M EMRIT, op.cit, p 293.
[4] المولى عبدالرحمان إلى الأمير عبدالقادر، 8 جويلية 1840
[5] المولى عبدالرحمان إلى محمد أشعاش، 2 رجب 1256 هـ، خ ح، م، مج 10.
[6] CH H JULIEN, op.cit, p 74.

وإمكانات القبائل المتحالفة معه، كما كان يهدف إلى رفع علم فرنسا في كل الأراضي الجزائرية، وأمام هذه القوة العسكرية التي بعث بها وزير الحرب الفرنسي المارشال سولت، لم يكن بمقدور الأمير عبدالقادر أن يواجهها، ولقد كان الحل الوحيد بالنسبة له هو التراجع كحل مؤقت، وقد أكد على ذلك في رسالة بعث بها إلى بيجو، أوضح فيها بأن هذه الإستراتيجية العسكرية لا يمكن اعتبارها تهربا من المسؤولية، أو جبنا، وقد أشار أحد الضباط الفرنسيين قائلا: "إذا طاردناهم يفرون كالطيور، وعندما ننسحب يتبعوننا كالذئاب"[1]، غير أن هذه الإستراتيجية أدت إلى سقوط معاقل الأمير الواحدة تلوى الأخرى، حيث دخل الجنرال بيجو في 25 ماي 1841 العاصمة تاقدامت، كما تمكن من السيطرة على بوغار*، معسكر، القيطنة وسعيدة[2]، رغم هذه الانتكاسات التي تعرض لها الأمير، فإنه أصر على الثبات والصمود، ومواصلة الجهاد، وذلك في رسالة بعث بها إلى محمد الحراق بتيطوان، وهو شيخ زاوية، وقد بعث الأمير كذلك رسالة إلى سلطان المغرب، يشكو فيها حاله، واشتداد وطأة الكفار على المسلمين، الذين عجزوا عن مقاومتهم[3]، وفي نفس الوقت استشار الأمير السلطان في إمكانية عقد الصلح مع الجنرال بيجو، وإحضار الإنجليز شهودا، ولقد كان الأمير يعرف بأن هذا الطلب سيرفضه المولى عبدالرحمان، وفي المقابل يبعث له بتعزيزات أمنية وبالذخيرة، غير أن السلطان هذه المرة وافق على اقتراح الأمير، حيث قال: "قد أذنا لك في عقد الصلح إذنا تاما، ووافقناك عليه، حيث كان يجلب خيرا للمسلمين عاما"، كما قبل السلطان على إحضار الانجليز كشهود، واعتبرهم يملكون: "ميلا إلى أهل الإسلام فيما يظهر، وفيه قيام وعصبية على الساكن، وإن كتم البعض وأضمر"[4]، وعليه يمكن القول بأن قضية طلب الصلح لم تكن سوى من تفكير الأمير، ولم تكن من جانب الفرنسيين الذين كانوا في موقع قوة، خاصة بعد الانتصارات التي حققوها، وأن هذه الانتصارات، لم تكن تستدعي طلب الصلح من الأمير، ذلك لأنهم كانوا يهدفون إلى القضاء عليهم نهائيا، وليس إعادة بعث القوة فيه، خاصة بعد علمهم أنه طلب الدعم من الانجليز

---

[1] CH, H, JULIEN, op.cit, p 182.

* بوغار: هي الآن بلدية تبعد بحوالي 8 كلم شمال قصر البخاري، و43 كلم عن المدية، الرجوع إلى محمد الهادي حساني، المصدر السابق، ص 159.

[2] GUIZOT, mémoires pour servire à l'histoire de mon temps, vol 7, Paris, 1858, 182.

[3] المولى عبدالرحمان إلى الأمير عبدالقادر، 06 جانفي 1842 A M.A. E. C. P. M. V. 9. F150

[4] المولى عبدالرحمان إلى الأمير عبدالقادر، المصدر السابق.

والعثمانيين، ولم يحصل على أية إجابة، لخوفهم من أن يتسبب الأمير في حدوث أزمة بين فرنسا والمغرب، تؤدي حتما إلى هزيمة المغاربة، وتتيح للفرنسيين فرصة توسيع نفوذهم في شمال إفريقيا[1]، ورغم ذلك فقد قام الانجليز بحمل رسائل الأمير إلى استنبول، ومن بينها رسالة إلى السلطان عبدالمجيد، بيّن فيها الظروف التي أصبح يعيشها المسلمون بالجزائر منذ احتلالها، كما اشتكى فيها من نقص المال، وهلاك الرجال في الجهاد، وقلة الدعم من المغرب، حيث قال: "ونحن أسلمنا إخواننا المسلمون، وتركونا أسارى في يد العدو، فهم لنا ظالمون، وتبرأ منا من كان قريبا منا من الملوك، ومنعونا شراء ما نتقوى به على الكافر خوفا منه، ومنعونا حتى السلوك، طلبنا منهم الإعانة بالرجال فلم يقبلو، واستعناهم بالأموال فلم يفعلو، وطلبنا منهم السلف، فكان عين المحال، ومنعوا رعاياهم من إعانتنا بكل وجه وحال، فما نفعنا قريب ولا مجاور، ولا دافع عنا ذو سيف ولا مُحاور"[2]، وعليه يمكن القول بأن الأمير عبدالقادر قد حاول بهذه الرسالة أن يكسب عطف الباب العالي، وطلب العون منه، ولهذا الغرض نفى كل المساعدات التي كانت تقدمها السلطة المغربية، غير أنه لم يتلق إلا رسالة قصيرة من السلطان عبدالمجيد، يعده فيها بالمساعدات وأن تكون العملية سرية[3].

إن اتهام الأمير عبدالقادر للمغاربة بالتقصير، لم يأت هكذا بل جاء نتيجة لما كان يتم بين السلطان وفرنسا من مراسلات، وقد جاء في رسالة المولى عبدالرحمان، التي أراد فيها تبرير وصول السلاح والذخيرة عبر الحدود، حيث قال: "إن تجارة السلاح ليست ممنوعة، حتى نجد السبيل إلى قطع سفرها إلى النواحي"، ثم قال بأن الأمير عبدالقادر بعد أن ازدادت قوته نتيجة لانتصاراته في عين ماضي، مدّ يده إلى أكثر قبائل إيالتنا المحمية بالله، وجعل يتصرف عليهم، ويزاحم عمال تلك النواحي، "حتى دخل الخلل إلى أغلبيتها"، كما حمّل المولى عبدالرحمان ملك فرنسا مسؤولية الوضع الذي آلت إليه الجزائر، حيث قال: "وحين عامله معاملة الأكفاء، بعقد الصلح معه، ومهادنته المرة بعد المرة، وإمداده بآلة الحرب، من عدّة وبارود وغير ذلك، إلى أن صار غير محتاج إلى من يمده، لا من ناحيتنا ولا من

[1] عبدالجليل التميمي، المرجع السابق، ص 219 – 220.
[2] عبدالغفار محمد حسين، الإستراتيجية البريطانية، كلية الآداب، الإسكندرية، 1982، ص 74.
[3] عبدالجليل التميمي، المرجع السابق، ص 221 – 226.

غيرها"[1]، ورغم ذلك فقد كانت فرنسا على دراية بالهدايا، وباستمرار عمليات الإمداد بالسلاح، كما أنها أدركت بأن المولى عبدالرحمان كان يحاول التنصل من المسؤولية، ولذلك قدمت فرنسا احتجاجاتها عن طريق قنصلها في مدينة طنجة دوري دونيون، وكان السلطان دائما يرد على هذه الاحتجاجات بنفي أية علاقة مع الأمير عبدالقادر، كما أكد أنه إذا رغب في مساعدة هذا الثائر، لأرسل أعداد هائلة من الجند المتطوعين للمشاركة في المعارك التي كان يخوضها الأمير، أو لبعث بجيشه، كما كان دائما يكرر في رسائله مسؤولية دعم الأمير إلى القبائل الحدودية المجاورة، وبرر وصول الهدايا بتقليد راسخ، حيث كان الجزائريون يتبادلون الهدايا مع المغاربة منذ الوجود العثماني، وخلال الأزمة التي وقعت بين الدولة العثمانية ومحمد علي* والي مصر، أمر رئيس الوزراء الفرنسي سفيره دونيون إلى عدم التدخل، كونها قد تتسبب في تعقيد الأمور، وتجر فرنسا إلى صراع مع إنجلترا وروسيا والنمسا، وقد كانت هذه الدول الأوربية تساند الدولة العثمانية[2]، ورغم ذلك فقد قام المولى عبدالرحمان بإصدار أوامره لعماله للاستعداد لحرب وشيكة مع فرنسا، بتسليح المغاربة وتحفيزهم على الجهاد[3].

وهكذا فقد شهدت الفترة الممتدة من 1842 إلى عام 1843 حدوث اصطدامات، وتكثيف فرنسا لحملاتها بُغية القضاء على الأمير عبدالقادر، والسيطرة على القبائل المؤيدة له، وقد أدى احتلال تلمسان لثاني مرة من طرف القوات الفرنسية، إلى عود الأوضاع إلى ما كانت عليه خلال سنة 1836، في المناطق المجاورة لتافنة الحدودية مع المغرب، ولقد حشدت فرنسا قوات هائلة في الإقليم الغربي، ابتداءا من عام 1842، وذلك من أجل شن حملات عسكرية كبيرة، لإرغام الأمير عبدالقادر على الاستسلام ووضع السلاح، ومع تكثيف الفرنسيين لحملاتهم منذ عام 1843، كان لزاما على الأمير أن يغادر الأراضي الجزائرية، ويلجأ إلى المناطق الشرقية من المغرب، للاتصال بقبائله طلبا للمساعدة والمؤازرة، حتى يتمكن من تجميع قواته ومواصلة حرب الكفار، ولقد لجأ معه أغلب سكان

[1] المولى عبدالرحمان إلى دونيون، 19 ذي القعدة 1225 هـ A. M. A. E. C. P. M. V. 5. F 214

* محمد علي باشا: ظهر بعد حملة نابوليون بونابرت على مصر 1798-1801، هو ألباني الأصل، استنجدت به الدولة العثمانية لإزاحة الوجود الفرنسي من مصر، وبعدها أصبح واليا عليها ابتداءا من عام 1805، قام بعدة إصلاحات خاصة العسكرية، ثم توترت العلاقة بينه وبين الباب العالي، حيث عزل مصر عام 1840.

[2] DECOSSE BRISSAC, op.cit, pp 63-64.

[3] المولى عبدالرحمان إلى محمد أشعاش، 13 شعبان 1256 هـ خ ح، م 9، مج 4.

تلمسان، بينما اعتصم القسم الباقي في الجبال المجاورة، وكان هذا من نتائج غزو القوات الفرنسية لتلمسان[1]، وبذلك تمكنت من قطع كل السبل لتدعيم الأمير عبدالقادر عسكريا[2]، ولقد تمكن الجنرال بيدو BEDEAU قائد الحامية العسكرية بتلمسان، من شن حملات عسكرية مكثفة على المناطق المجاورة للمدينة، حيث استطاع من خلال هذه الحملات أن يسيطر على مدينة ندرومة، والقبائل الواقعة بين تلمسان والبحر[3]، وفي ظل هذه الظروف كان لزاما على الأمير أن يبقى في شرق المغرب منذ شهر فبراير 1842، ولقد أدرك المولى عبدالرحمان أن المغرب سيعرف مرحلة حاسمة في تاريخه، وأن هذه المرحلة ستشهد توتر العلاقات مع فرنسا، وعليه فقد دعا عماله في الأقاليم المغربية بضرورة حث المغاربة في خطب الجمع بالمساجد على الاستعداد للجهاد، والحث على القتال في سبيل الله، حيث قال في رسالة: "ليكون المسلمون على بصيرة في دينهم، ويستيقظون من غفلتهم، فإن العدو الكافر ليس بغافل عنهم حتى يغفلوا، فينبغي أن نكون أحرص الناس على جهادهم، والأولى بالاستعداد لقتالهم وجلادهم"[4]، ولقد قدمت فرنسا احتجاجاتها للمغرب على حمايته للأمير عبدالقادر وأنصاره، عندما بعث القنصل دونيون برسالة إلى السلطان، حيث رد عليه بأن الأمير عبدالقادر قد نزل بأطراف البلاد، التي لا يخضع أهلها للأحكام[5].

وابتداءا من شهر مارس استطاع الأمير عبدالقادر أن يجمع قواته، بعد أن تدعم بنجدات من القبائل المغربية، حيث توغل في الأراضي الجزائرية، وانظمت إليه قبائل بني زناسن، والكرارمة، والأحلاف[6]، وقد تمكن من بسط نفوذه على القبائل المجاورة لمدينة ندرومة، والدخول في حرب ضد القوات الفرنسية، التي كان يقودها الجنرال بيدو بموقعة الحناية، القريبة من مدينة تلمسان[7]، ولقد أشارت بعض الكتابات الفرنسية بأن الأمير عبدالقادر قد انهزم في هذه المعركة، وكان السبب في ذلك تخلي المغاربة عنه، وعودتهم

---

[1] P AZAN, op.cit, p 177.
[2] CH h CHURCHILL, op.cit, p 192.
[3] CH A JULIEN, op.cit, p 192.
[4] المولى عبدالرمان إلى محمد أشعاش، 1 صفر 1258 هـ الموافق لـ 14 مارس 1842، خ ح، م 1، مج 4.
[5] المولى عبدالرحمان إلى دونيون 25 محرم 1258 هـ الموافق لـ 8 مارس 1842 A. M. A. E. C. P. M. V. 8. F 66
[6] المولى عبدالرحمان إلى محمد أشعاش، 18 صفر 1258، خ ح، م 8، مج 3.
[7] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 66.

إلى بلادهم[1]، غير أن المصادر المغربية ترى عكس ذلك، حيث أشار سلطان المغرب في الرسائل التي كان يبعث بها إلى عماله إلى روايات تختلف تماما عن المصادر الفرنسية، وتؤكد عدم تخلي المغارب عن الأمير، حيث قال في بعض رسائله التي كان يبعثها إلى عامله محمد أشعاش، المؤرخة في 31 مارس 1842: "وقد وردت أخبار سارة من المجاهد السيد عبدالقادر بن محي الدين، وأنه تحرك بمن تلاحق به من جيشه ومتطوعة القبائل لناحية تلمسان، وأغار عليها ثلاثا، فلم يلق كيدا، فركب بجميع من معه وأغاروا حتى تجاوزوها بيوم، وأتوا بغنائم كثيرة من جملتها قافلتان للنصارى، حاملة للسكر والدقيق، وغير ذلك، فحازوهما وقتلوا من معهما، وخرج لهم الرومي من تلمسان، فهزمه الله، وقتل منه نحو المائة، واستشهد من المسلمين بضعة عشر، وكان اليوم للكرارمة والأحلاف، والحمد لله على جميل صنعه، ووجهوا لنا حظنا من الغنيمة"[2]، وعليه يمكن القول بأن المولى عبدالرحمان كان يسعى في المرحلة التي تلت اجتياز القوات الفرنسية لنهر تافنة، إلى منع تقدمها، حيث كلف عامله في مدينة وجدة بوزيان بن الشاوي بقيادة قوات تتكون من الكرارمة والأحلاف، وكانت مهمته هي الوقوف في وجه الفرنسيين وحلفائهم من الجزائريين، وبالفعل فقد وقع اشتباك بين قوات ابن الشاوي وفرسان بعض القبائل الجزائرية المتعاونة مع فرنسا، فكان هذا الاشتباك في مكان قرب موقع لالة مغنية، وبالرغم من مآزرة القوات الفرنسية للجزائريين، فلقد تكبدوا خسائر كبيرة، وفي هذا الشأن بعث المولى عبدالرحمان إلى عماله في الأقاليم المغربية، فقال: "إنه العدو كبته الله، وخذله، رأى من جيشنا الذي بوجدة من الثبات والإقدام ما أهمه، فإنه حسب كل بيضاء شحمة، وظن أن أهل هذه الناحية مثل أهل الشرق في الجبن وعدم الثبات، فلما رده القليل من خيلنا المنصورة على أعقابه، ورأى ما لا قبل له به، رجع لإعمال الحيلة والمكر"[3]، ولقد تحدث السلطان بالتفصيل عن الأحداث التي وقعت قرب لالة مغنية في الرسالتين التي بعث بهما إلى عامليه في مدينة الرباط وسلا، محمد السويسي وبو عمر فنيش، حيث قال: "اعلموا أن عدو الدين الفرنسيس دمره الله، لما استولى على تلمسان ردها الله دار إسلام، ورأى

[1] P AZAN, op.cit, p 66.

[2] المولى عبدالرحمان إلى محمد أشعاش، 18 صفر 1258 هـ، خ ح، م 8، مج 3.

[3] المولى عبدالرحمان، المصدر السابق.

اضطراب أحوال قبائل تلك الناحية وفشلهم عن ملاقاته، وفرارهم أمامه، ظن أن كل الناس كذلك، وحسب كل بيضاء شحمة، فسولت له نفسه لعنه الله ... وإرهابهم بتهويل أمره، ونصب حيله ومكره، بدورانه بعسكره المخذول، ومحاكاته للحدود، ليرهب ضعفة العقول ويرعبهم، فتحرك على عادته، وأراد النزول بمحل نزل به من قبل، توجه جيشنا المنصور لتلك الناحية، فلما قرب منه، وجد بعض خيل المخازنية، فنزل على بعد لعلهم يتزلزلون، فثبتوا، وناوشهم خيل المنتصرة القتال، فردوهم على أعقابهم وولوا إلى العدو منهزمين، فسقط في يده وهرب ليلا"[1]، وحول نفس الموضوع كتب السلطان إلى ابنه[2]، وفي 14 أفريل سارع الفرنسيون ببعث احتجاجاتهم إلى السلطات المغربية، حيث كتب الجنرال بيجو رسالة إلى القائد بوزيان، احتج فيها على سماح المغاربة للأمير عبدالقادر بدخول أراضيهم، كما طالب بطرده من المغرب، وفي نفس الرسالة احتج الجنرال عن مشاركة عامل وجدة بقواته في حرب الفرنسيين، وطالب بتخفيض عدد جند هذه المدينة، وأكد على ضرورة دفع المغاربة التعويضات عن الأضرار التي لحقت بالقبائل الجزائرية الحليفة لفرنسا، ومن أسلوب الاحتجاج شرعت القوات الفرنسية في تطبيق أسلوب التهديد، وكان ذلك عندما أبلغ دونيون المولى عبدالرحمان بأن فرنسا ستلجأ إلى استعمال القوة إذا لم يرضخ السلطان لمطالبها، وأنه سيبدأ بمحاصرة مدينة طنجة[3]، ولقد أجاب المولى عبدالرحمان عن احتجاجات وتهديدات الفرنسيين، وذلك بتحميله لهم مسؤولية الاعتداء، حيث قال: "ولكن العجب منكم تطلبون المحافظة على الشروط وأنتم تخرقون العوائد وتتعدون الحدود، وقد بلغنا تعدي محلتكم، ودخولها لإيالتنا السعيدة، ونزولها بمغنية" كما برر دور قبائل وجدة في القتال حيث قال: "بأنهم أجلاف أغلاظ الطباع، لا عقول لهم يميزون بها ... وإنما هم كالوحوش بالصحراء، لا يسمعون لأمير ولا مأمور"، كما ذكر في رسالته، بأن القبائل التي حاربت القوات الفرنسية كانت سابقا خارجة عن سلطته، خلال الوجود العثماني بالجزائر، وأشار كذلك بأن هؤلاء شاركوا في الحرب من أجل تحقيق الاستقرار في الحدود، وحفظ الأمن[4]، ولما سمع السلطان بوجود سفن حربية فرنسية بسواحل مدينتي طنجة والعرائش،

---

[1] عبدالرحمان بن زيدان، م، ص 46 – 47.
[2] عبدالرحمان بن زيدان، نفس المصدر، ص 44 – 45.
[3] دونيون إلى المولى عبدالرحمان 14 أفريل 1842 A. M. A. E. C. P. M. V. 8. F. 106
[4] المولى عبدالرحمان إلى دونيون 21 ربيع الأول 1258 هـ الموافق لـ 3 ماي 1842 A. M. A. E. C. P. M. V. 8. F. 141

أصدر السلطان تعليمات إلى عماله باتخاذ كل الإجراءات، والاستعدادات العسكرية للتصدي لأي غزو محتمل من الفرنسيين، حيث أمر بحشد القبائل أمام سواحل بلاده، وتدعيم القلاع بالرماة، وتعزيز الحدود الشرقية بقوات إضافية، لتدعيم قوات بوزيان في وجدة، كما أمره بعدم الاتصال بالأمير عبدالقادر، وتفادي أي اصطدام مع القوات الفرنسية[1]، ولقد ذكرت المصادر الفرنسية بأن عامل وجدة بوزيان قد التقى بالجنرال بيدو في 03 جوان 1842، حيث تعهد هذا القائد بعدم التدخل العسكري على الحدود الشرقية المغربية، وتسريح اللاجئين الجزائريين للرجوع إلى بلادهم، وغلق الحدود بعد ذلك، وقد وافق السلطان على ذلك[2]، وفي ظل هذه الظروف حاولت الدولة العثمانية أن تعقد تحالفا معه، عندما بعث السلطان العثماني عبدالمجيد* بسفير إلى المولى عبدالرحمان في شهر أوت 1842، ولقد تحدث السلطان عن هذه السفارة في رسالة بعث بها إلى عامله في مدينة تطون يوم 07 أوت 1842، حيث ذكر بأن السلطان عبدالمجيد قد بعث برسالة، أوضح فيها أن هدفه هو: "تصحيح الأخوة في الله، والمواصلة في ذاته، والمعاقدة على التناصر في الدين والتعاون، والتعاضد فيه"[3]، كما أكد الباب العالي استعداده لدعم المغرب، وإمداده بالعدد والعدة، ولقد أبدى المولى عبدالرحمان استعداده لقبول هذا التحالف مع السلطان العثماني، لما وجد فيه من تحدي للقوات الفرنسية، كما أصدر تعليماته بالاحتفال بهذا الحدث ،وذلك بإطلاق المدافع في المدن المغربية[4]، وعلى الرغم من أن هذا التحالف لم يقع، فإن المصادر المغربية لم تتحدث عن الاقتراحات العثمانية، باستثناء ما جاء في رسالة المولى عبدالرحمان، وبالتالي فإن غرضه من إعلان هذا التحالف لم يكن سوى لتخويف القوات الفرنسية، وإظهار قوة المسلمين، ولقد طالب القنصل الفرنسي ببعث ممثل عن المغاربة، لملاقاة الجنرال بيدو، لغرض رسم حدود كل طرف، ولقد أجاب السلطان بالرفض، معتبرا مسألة الحدود أمرا فصل فيه من قبل، حيث قال: "بأن الحدود معروفة عند الخاص والعام، وشهرتها أغنت عن

---

[1]DECOOSE BRISSAC, op.cit, p 68.
[2]P AZAN, op.cit, pp 177 – 178
CH H JULIEN, op.cit, 195.

* السلطان عبدالمجيد الأول: ولد عام 1823 حكم الدولة العثمانية وكان من أبرز السلاطين العثمانيين، الرجوع إلىhttp/ :www.cairocitadel.gov.es

[3] المولى عبدالرحمان إلى محمد اشعاش، 29 جمادى الثانية 1288 هـ الموافق لـ 7 أوت 1842، خ ح، م 5، م ح، 21.

[4] المولى عبدالرحمان إلى محمد اشعاش، 29 جمادى الثانية 1288 هـ الموافق لـ 7 أوت 1842، خ ح، م 5، م ح، 21.

إعادة تحديدها، زيادة على أنه ربما يحدث في الاجتماع ما لا نحب، ونحن نتحرى تقليل الكلام ما أمكن"[1] .

ومع حلول عام 1843، أصبح الأمير عبدالقادر يتنقل في الإقليم الشرقي للمغرب، وقد تحدث الناصري عن نشاطه فقال: "ولما كانت سنة 1259 هـ، تم استيلاء الفرنسيين على جميع بلاد المغرب الأوسط، وصار الحاج عبدالقادر يتنقل في أطرافها، فتارة بالصحراء، وتارة ببني يزناسن، وتارة بوجدة والريف وغير ذلك، وربما استكثر في هذه التنقلات بمن هو من رعية السلطان أو جنده، فمد الفرنسيس يده إلى إيالة السلطان"[2]، ولقد أشارت المصادر بأن الأمير كان يتردد على الأراضي المغربية من أجل استنهاض القبائل لمؤازرته، في حربه ضد الفرنسيين، ولهذا كلف خليفته البوحميدي الولهاصي بتعزيز الصِلات، والروابط مع القبائل في شرق المغرب وحثها على الجهاد[3].

وبالفعل، فقد تمكن البوحميدي الولهاصي من تعبئة بعض القبائل المغربية لمساندته في حرب الفرنسيين، حيث وقع اصطدام بين حامية وجدة وفرقة من جند الجنرال بيدو قرب لالة مغنية، حيث تعرضت القوات الفرنسية لهجومات خاطفة قرب الحدود المغربية، وعلى بعد ثمانية كيلومترات، ولقد شارك في هذا الهجوم حوالي مائة فارس من فرسان مدينة وجدة، بالإضافة إلى فرسان البوحميدي خليفة الأمير، وقبيلة أنجاد، ولقد وقع هذا الحدث في 30 مارس 1843[4]، وفي يوم 9 أفريل 1843، سمع الجنرال بيجو بالخبر الذي وصفه له بدقة أحد الضباط الفرنسيين الذين كانوا ضمن قوات الجنرال بيدو، حيث ذكر بأن الفرنسيين كانوا يلاحقون بعض القبائل في نواحي تلمسان، وقد استطاعوا أن يتوغلوا داخل الأراضي المغربية، لكنهم فوجئوا بظهور مجموعة من الفرسان النظاميين المغاربة، وكان عددهم يتراوح ما بين ثلاثمائة وأربعمائة فارس، كما أشار إلى تبادل إطلاق النار بين بعض القبائل وقوات الجنرال بيدو، كما أكد بأن قوات مدينة وجدة بقيادة قائدها بوزيان قد بقيت محايدة، وسعت لمنع القبائل المغربية من الاشتباك مع القوات الفرنسية، كما أشار إلى اللقاء الذي تم

---

[1] دونيون إلى المولى عبدالرحمان 7 سبتمبر 1842 .A. M. E. C. P. M. V. 8. F 260

[2] الناصري، المصدر السابق، ص 49.

[3] DECOSSE BRISSAC, op.cit, pp 71 – 72.

[4] المارشال بيجو إلى وزير الحرب المارشال سولت، 9 أفريل 1843 .A. . A. E. C. P. M. V. 9. F 38

بين بوزيان وبيدو، بيد أنه لم يُشر إلى مشاركة خليفة الأمير عبدالقادر البوحميدي الولهاصي، رغم أن المارشال بيجو ودي كوسي بريساك أكدا ذلك[1].

وبعد هذا الحدث طالبت فرنسا السلطان تسليم البوحميدي، أو طرده من الأراضي المغربية، ومعاقبة بوزيان قائد وجدة، ولقد وصلت رسالة دونيون إلى السلطان يوم 14 أفريل 1843 [2]، وفي يوم 22 أفريل جاء رد السلطان المولى عبد الرحمان، حيث حمل المسؤولية للقوات الفرنسية، لأنها تعدت الحدود، واقتربت من مدينة وجدة، وأن قائدها لم يقم إلا بواجبه، هو والدفاع عن أرضه، وأكد بأن الذي يستحق العقاب هو خليفة الأمير في تلمسان البوحميدي[3]، ومع بداية شهر أكتوبر بدأ الفرنسيون يصرون على مطالبهم المتعلقة بالحدود، والأمير عبدالقادر، حيث طالبوا السلطان بإبعاده وحلفاءه من الأراضي المغربية[4]، ولقد عبّر المولى عبد الرحمان عن رفضه للمطالب الفرنسية التي كان يبعث بها قنصل طنجة دوري دونيون، واشترط الرسائل التي تأتي من ملك فرنسا، وقد كلف عامله بمدينة طنجة للإجابة عن رسائل دونيون، وفي شهر ماي قوات الأمير تتضعضع، خاصة بعدما سقطتالزمالة في يد القوات الفرنسية، التي كان يقودها الدوق دومال DUCDUMALE، ابن ملك فرنسا، وكان هذا الحدث يوم 16 ماي 1843 في موقعة طاقين*، جنوب بوغار، حيث أسر الفرنسيون أعدادا هائلة من أنصار الأمير، بلغت 3000 جزائري، واستولوا على ذخائره[5]، كما وجدوا رسائله التي كان يتبادلها مع المولى عبد الرحمان[6]، ولقد ساندت قبائل قبائل الدواير والزمالة الفرنسيين في القضاءعلى زمالة الأمير، وكان على رأسها زعيم الزمالة مصطفى بن إسماعيل، وقد أشار الناصري بأن هذا القائد قد سقط في كمين يوم 25 ماي 184،3 واستؤصلترأسه، وحملت إلى الأمير عبدالقادر[7]، ولقد اعتبر الأمير هذا الحدث الحدث نكسة كبيرة، أدت إلى سقوط الزمالة التي كان يعتبرها عاصمة متنقلة متكونة من

[1]DECOSSE BRISSAC, opcit, p 71.

[2]- دونيون إلى المولى عبد الرحمان 14 أفريل 1843 A.M.A.E.C.P.M.V.9.F48

[3]- المولى عبد الرحمان إلى دونيون 22 أفريل 1843 A.M.A.E.C.P.M.V.9.F48

[4]- دونيون إلى المولى عبد الرحمان 3 أكتوبر 1843 A.M.A.E.C.P.M.V.9.F.163.164

* طاقين: هضبة واسعة تبعد عن مدينة الجزائر بـ 288 كلم، تسمى بزمالة الأمير، بها فاجأه الدوق دومال، يوم 14 جوان 1843، الرجوع إلى محمد الهادي الحساني، المصدر السابق، ص 173.

[5] حميدة عميراوي، معاهدة الدواير والزمالة، 16 جوان 1835، العدد 88، ش و ن ت، الجزائر، أوت، 1985، ص 15.

[6]MAL DE CASTELLANE, op.cit, pp 317 – 318.

[7] الناصري، المصدر السابق، ص 44.

الخيام، وكانت تضم حلفاءه، وعائلاته وبعض القبائل التي ناصرته[1]، ولقد كانت النكسة الكبرى التي تعرضت لها قوات الأمير عبدالقادر هي هزيمته في معركة وادي المالح، شرق مدينة معسكر، حيث قضت القوات الفرنسية على قوة من المشاة النظامية، وقتلت خليفته الأول بن علال♦، ولقد أكد المارشال بيجو بأنه بهذا الانتصار تمكن من القضاء على القلب النابض للأمير عبدالقادر، وأن نهاية هذا الثائر أصبحت وشيكة، بعدما فقد كل الآمال في استرجاع نفوذه وقوته، وقد أشار بول آزان بأن الفترة التي تلت معركة وادي المالح عرفت هدوءا، شمل مختلف أنحاء الأراضي الجزائرية حتى نهاية عام 1843[2].

وبعد هذه النكسات التي تعرض لها الأمير عبدالقادر، حاول تجميع قواته المشتة، حيث شكل منها ما اصطلح عليه "بالدائرة" التي كانت تأوي حوالي 1000 نسمة، وحتى يبعدها عن أخطار الهجومات الفرنسية المحتملة، دفع بها إلى المرابطة في داخل المغرب[3]، المغرب[3]، وابتداءا من أواخر شهر نوفمبر اضطر أخوا الأمير محمد السعيد ومصطفى بن محي الدين إلى اللجوء إلى المغرب[4]، وبعدما أصبح الفرنسيون لا يسمعون بخبر الأمير عبدالقادر بالجزائر، عادوا للمطالبة بطرده من الأراضي المغربية، حيث بدأ دونيون يبعث بالاحتجاجات ويطالب بإبعاد الأمير من داخل المغرب، رغم أن عامل مدينة طنجة نفى وجوده في الأراضي المغربية[5]، بيد أن الأمير عبدالقادر سرعان ما ظهر، عندما قام بشن حملة تأديبية ضد قبيلة حميان*، التي كانت متمردة على المولى عبد الرحمان، ولقد كان هذا الحدث بمثابة بعث النفس من جديد بالنسبة للأمير عبدالقادر، الذي أسر من حميان خمسين رجلا، ساق بهم إلى قائد وجدة[6]، وبعد هذا الحدث عاد الأمير ليختفي من جديد داخل الأراضي المغربية.

---

[1] S. G SELL, op.cit, p 221.

♦ محمد بن علال: هو من أبناء سيدي مبارك، أحد الرجال الصالحين لمدينة القليعة، الواقعة غرب مدينة الجزائر، استشهد عام 1843، كان يطلق عليه باسم جده سيدي مبارك، وكان خليفة للأمير في مدينة مليانة، الرجوع إلى محمد الهادي حساني، المصدر السابق، ص 166.

[2] P AZAN, op.cit, p 194.

[3] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 436.

[4] دونيون إلى المولى عبدالرحمان 26 ديسمبر 1843 A. M. A. E. C. P. . V. 9 F 245 - 244

[5] بوسلهام بن علي إلى دونيون 2 ديسمبر 1843 A. M. A. E. C. P . V. 9. F 216

* حميان: هم قبائل رحل بالهضاب العليا للقطاع الوهراني، وينقسمون إلى بطنين، غرابة وشراقة، الرجوع إلى Doumas, op.cit, p 219

[6] بوسلهام بن علي إلى دونيون 12 ديسمبر 1843 A. M. A. E. C. P. . V. 9. F 234

نشاط الأمير عبدالقادر في شرق المغرب (1844 – 1845):

لقد أشارت المصادر التاريخية بأن الأمير عبدالقادر بعد انهزامه في 18 ماي 1843، أدرك عدم جدوى مواصلة الحرب ضد القوات الفرنسية داخل التراب الوطني، حيث ذكر شارل أندري جوليان بأن الأمير لجأ إلى شرق المغرب، حتى يجر القوات الفرنسية إلى داخل الحدود، فيثير نزاعا يستفيد منه الجزائريون بالدرجة الأولى[1]، وعندما لجأ إلى مدينة وجدة كان يأمل في مساعدة المولى عبدالرحمان له، وهذا ما أشار إليه الناصري في الاستقصاء[2]، وبعدما استقر الأمير عبدالقادر في الإقليم الشرقي من المغرب، وبعد التأييد الذي لقيه من طرف القبائل المغربية، حاول تجميع قواه لمواصلة الجهاد، انطلاقا من الأراضي المغربية، واعتمادا على سكانها[3]، وكان هدف الأمير في هذه المرحلة هو ربط المغاربة بالمسألة الجزائرية، حتى يجد السند لدعم مقاومته للقوات الفرنسية، بيد أن المغاربة في هذه المرحلة من مقاومة الأمير عبدالقادر اقتصر دورهم على منعه من نقل الحرب إلى الأراضي المغربية، والاحتجاج على القوات الفرنسية، التي كانت تتذرع بحربها للأمير من أجل بسط نفوذها في الأراضي المغربية.

ومع حلول عام 1844، بدأ الأمير عبدالقادر يركز نشاطه في شرق المغرب، وكانت أغلب تحركاته على الحدود المغربية[4]، وقد دعا القبائل في هذا الإقليم والقريبة منه إلى دعمه، والانضمام إليه، من أجل محاربة فرنسا، ولما سمع المولى عبدالرحمان بتحركات الأمير عبدالقادر وأنصاره في الأراضي الداخلية المغربية، أصدر أمرا إلى عامله في مدينة وجدة بوزيان بن شاوي الحلافي، لمنع الجزائريين وقبائل إقليم وجدة من دعم الأمير عبدالقادر في حربه ضد الفرنسيين[5]، وفي رسالة بعث بها قائد وجدة إلى حمزة بن الطيب، طالبه بعدم الانضمام إلى قوات الأمير عبدالقادر[6]، كما أكد أن هذا القرار صادر عن السلطان، الذي أعطى أوامره الصارمة، بغية استتباب الأمن، والمحافظة على السلام،

---

[1] CHARLES A.JULIEN, op.cit, p 68.

[2] الناصري السلاوي، المصدر السابق، ص 245.

[3] محمد بن إدريس الى دونيون 3 محرم 1260 هـ الموافق لـ 23 جانفي 1844   A. M. .A. E. C. P. M. V. 10. F. 35

[4] دونيون إلى بوسلهام بن علي 6 جانفي 1844   A. M. .A. E. C. P. M. V. 10. F. 16

[5] بوسلهام بن علي إلى دونيون 14 جانفي 1844   A. M. .A. E. C. P. M. V. 10. F. 25 - 26

[6] L, Voinot Oujda et l'amalat, p 577.

وتفادي الوقوع في حرب مع الفرنسيين، كما نبه بأن إعلان الحرب من مسؤوليته، وأنه الوحيد الذي يملك القدرة على الدعوة للجهاد، وأنه في الظروف الحالية هو مضطر لتجنب الاصطدام مع القوات الفرنسية، وقد تحجج بعدم وجود القوة والشجاعة اللازمة عند المسلمين، لذلك دعا إلى السلم حتى يجنب رعاياه ما هو أعظم، وقد حملت الرسالة طابع الاستهزاء من الأمير، حيث ذكر بأن قبائل الإقليم الشرقي من المغرب لا تملك القدرة حتى على الدفاع عن نفسها، فكيف يمكنها أن تدافع عن الأراضي الجزائرية، كما أكد هذا القائد بأن الأمير عبدالقادر، بمحاولاته لجر القبائل المغربية في حرب الفرنسيي،ن سوف تؤدي إلى إسقاط الدرع الحامي للإسلام، وليس لإعلائه[1]، وفي رسالة بعث بها المولى عبدالرحمان إلى قنصل فرنسا دونيون بواسطة عامل طنجة والعرائش بوسلهام بن علي، جاء في مضمونها أنه قرر التخلص من أي شخص يحاول إثارة الفتنة في الإقليم الشرقي، أو يدعوا للحرب ضد فرنسا، كما أشار إلى اسم الأمير عبدالقادر، ولم يكتف السلطان بذلك، بل قام بدعم قواته في الإقليم الشرقي بالعدد والعدة، عن طريق إرسال القائد العربي القبيبي على رأس قوة عسكرية إلى مدينة وجدة، لتقوية حاميتها، ومنع القبائل من الانضمام إلى الأمير عبدالقادر من جهة، وإبعاد الفرنسيين عن التفكير في اختراق الحدود من جهة ثانية، وقد احتج الفرنسيون على هذا الإجراء، لأنهم كانوا يعتبرون القبيبي من بين أعدائهم، وأنصار الأمير عبدالقادر[2]، وعليه وأمام هذه المستجدات والأوضاع الجديدة، اضطر الأمير عبدالقادر إلى بعث وفد برآسة الميلود بن أعراش، وكان هذا الرجل من بين أبرز قادته، وقد توجه هذا الوفد إلى مراكش حاملا الهدايا إلى المولى عبدالرحمان، من أجل تحسين العلاقة بينه وبين الأمير، وتغيير موقفه تجاهه لتلقي الدعم والتأييد في حربه على فرنسا[3]، وعندما سمع الفرنسيون بأن السلطان قد استقبل وفد الأمير بحفاوة، بعث القنصل دونيون باحتجاج[4]، باحتجاج[4]، وقد رد عليه بوسلهام بن علي بأن وصول الوفد الجزائري برآسة الميلود بن أعراش، كان من أجل الحصول على إذن من طرف السلطان حتى يتوسط لإطلاق سراح

---

[1] قائد وجدة إلى حمزة بن الطيب 9 محرم 1260 هـ الموافق لـ 29 جانفي 1844 A. M. .A. E. C. P. M. V. 10. F. 55 - 56

[2] دونيون إلى بوسلهام بن علي 23 فبراير 1844 A. M. .A. E. C. P. M. V. 10. F. 66 - 68

[3] Decossé Brissac, les rapports, p 74.

[4] دونيون إلى بوسلهام بن علي 23 فيفري 1844 A. M. .A. E. C. P. M. V. 10. F. 66 - 68

أفراد عائلته، الذي وقعوا في أسر القوات الفرنسية[1]، وقد ذكرت المصادر الفرنسية بأن الوفد الجزائري، قد لقي استقبالا ووجد مآزرة من طرف سكان مدينة فاس، وفي مدينة مراكش، رحب السلطان به، ووعده بدعمه بكميات من الذخيرة والسلاح[2]، بيد أن رد المولى عبدالرحمان على طلبات الأمير عبدالقادر لم تكن واضحة، وجاءت سلبية، حيث بعث برسالة يتأسف فيها عن عدم استعداده للمشاركة في الحرب ضد الفرنسيين، كما تحجج بالظروف التي كانت تعيشها بلاده، وأنه كان منشغلا بترتيب أمور الرعية، حيث قال له: "وإنا نتمنى الحضور بأنفسنا في غمار المسلمين، ومباشرة القتال بأيدينا بين صفوف المجاهدين، ولكن ما نحن فيه من قمع العتاة، وكف البغاة جهاد، بل أفضل من جهاد النصارى، حسبما نص على ذلك إمامنا مالك رحمه الله، ولو أكمل قتالهم، وانتظم على الاستقامة حالهم، لسرنا، وإياهم لنصرة الدين وقمع الكفرة المعتدين، وبذلك ينال الموفق غاية أمله ونية المرء خير من عمله"[3]، وعليه يمكن القول بأن المولى عبدالرحمان كان لا يزال لم يبد موقفه الصريح تجاه مقاومة الأمير عبدالقادر للفرنسيين، وظل موقف السلطان غامضا تجاهه أثناء تواجده بشرق المغرب، وفي منتصف شهر مارس 1844، شن الأمير عبدالقادر حملة عسكرية ضد القبائل المجاورة لتلمسان، والتي كانت خاضعة للقوات الفرنسية[4]، وقد أخبر بوسلهام بن علي والوزير محمد بن إدريس قنصل فرنسا بطنجة، بأن الأمير عبدالقادر لم يكن متواجدا بالأراضي المغربية ابتداءا من 3 مارس حتى 27 مارس، وأنه كان يشن حملاته على القبائل الجزائرية الرافضة لسلطته[5]، بيد أن الأمير عبدالقادر سرعان ما عاد إلى الأراضي المغربية سالما غانما، وقد استغلت القوات الفرنسية حملة الأمير، فأقدمت على تنفيذ مشروع وزارة الحرب الذي صادقت عليه في 22 فيفري 1844 [6]، وكان هذا المشروع يقضي بإنشاء عدة مراكز عسكرية على الحدود مع المغرب، وفي

[1] بوسلهام بن علي إلى دونيون 03 مارس 1844 A. M. .A. E. C. P. M. V. 10. F. 75

[2]Decossé Brissac, op.cit, p 75.

[3] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 439 – 440.

[4]P. AZAn, op.cit, p 198

[55] بوسلهام بن علي إلى دونيون 14 صفر 1260 هـ A. M. .A. E. C. P. M. V. 10. F. 86 - 88

[6]Decossé Brissac, op.cit, p 79

مدينة الغزوات، ولالة مغنية، وسبدو[1]، ونتيجة لهذا الإجراء، فقد فتحت فرنسا باب نزاع جديد مع المولى عبدالرحمان.

وعيه يمكن القول بأن المولى عبدالرحمان قد أدرك بأن الأمير عبدالقادر كان يتردد على الإقليم الشرقي من المغرب، ويشن غاراته المتتالية على القبائل الجزائرية الخاضعة للقوات الفرنسية، وأن أهداف الأمير من هذه الغارات تمثلت في إجبار الفرنسيين على مطاردته داخل الحدود المغربية، فيضطر المغاربة إلى محاربتهم، ولذلك فقد ذكرت أغلب الكتابات التي تناولت مقاومة الأمير عبدالقادر، وتطورها على الحدود المغربية، بأن الأمير عبدالقادر كان يهدف من الحملات التي شنها على القوات الفرنسية، والقبائل الرافضة لسلطته، إلى جر هذه القوات داخل الأرضي المغربية لمطاردته، والاصطدام بالقوات المغربية التي تضطر إلى الدفاع عن حدودها، وبالتالي الدخول إلى جانبه في هذه الحرب[2]، ومع ازدياد حدة التوتر بين الطرفين الفرنسي والمغربي، أقدم الفرنسيون على إقامة ثكنة عسكرية بلالة مغنية في 17 أفريل 1844، وقد تسبب هذا الحدث في ازدياد توتر العلاقات، خاصة بعدما قامت السلطات المغربية بواسطة قائد مدينة وجدة بمطالبة القوات الفرنسية بالرحيل من المركز العسكري الذي بنوه وإخلائه، وقد قوبل هذا الطلب بالرفض من قبل الفرنسيين، فتسبب الأمر في حدوث اشتباكات بين الطرفين في حقول بني يزناسن القريبة من مركز لالة مغنية[3].

ومن أجل وضع حد للنزاع الفرنسي المغربي، انتقل الجنرال بيجو مع قواته إلى الحدود، حيث طالب بعقد لقاء بين الطرفين، وقد تم يوم 15 جوان 1844 جمع قائد وجدة علي بن الطيب الناوي، وقائد تلمسان الجنرال بيدوBEDEOU ، وقد تعثرت المحادثات نتيجة حدوث مناوشات بين بعض الفرسان من المغرب وجنود فرنسيين[4]، وقد اضطر المارشال بيجو إلى احتلال مدينة وجدة، التي أخلاها قائدها مع قواته ليوم واحد[5]، وفي نفس

---

[1]CH, H, CHURCHILL, op.cit, p 244

[2]Decossé Brissac, op.cit, p 77 – 78.

CH, H, CHURCHILL, op.cit, p 244

GUIZOT, Mémoires pour servir l'histoire de mon Tempe, 7 vol, Paris, 1958, p 153.

[3]CH, H, CHURCHILL, op.cit, p 248

[4] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي 30 جوان 1844، خ ح، م 4، مخ 16.

[5] محمد بن إدريس إلى دونيون 11 جويلية 1844 A. M. .A. E. C. P. M. V. 11. F. 157 - 179

نفس الفترة، حدث عدة اشتباكات على الحدود المغربية، وقامت على إثرها القوات الفرنسية باجتياز الأراضي المغربية، كما تعرضت سواحل مدينة طنجة في يوم 6 أوت 1844 لقصف بحري، قام به الأسطول الفرنسي، الذي كان يقوده الأمير دو جوان فيل DE JOINVILLE،وكانت الغاية من هذا العمل هي إجبار المولى عبدالرحمان على الرضوخ لمطالب فرنسا، وقبول شروطها، التي كانت تطالب بإعادة رسم الحدود مع المغرب، وطرد الأمير، أو إبعاده إلى الداخل، وقد تسارعت الأحداث ابتداءا من منتصف شهر أوت، حيث انهزم المغاربة بقيادة ولي العهد سيدي محمد، أمام قوات المارشال بيجو في موقعة إيسلي في 19 جوان 1844، وقد ذكرت المصادر بأن المغاربة قد فروا في كل اتجاه، ووصفت الهزيمة بالكارثية، وفي اليوم الموالي، تعرضت مدينة الصويرية لقصف، قام به الأسطول الفرنسي، الذي احتل الجزيرة المقابلة لها، وبدأت فرنسا تساوم بها مقابل الرضوخ لمطالبها[1].

وبالفعل فقد تأكدت نوايا الفرنسيين، حيث اضطر المولى عبدالرحمان إلى الرضوخ، والاستجابة لشروطهم مطالبهم، وفي مدينة طنجة يوم 10 ديسمبر 1844، وقع الطرفان على قرارات معاهدة الصلح بينهما[2]، والتي نصت على إعادة رسم الحدود بين الجزائر والمغرب، اعتمادا على ما كانت عليه في العهد العثماني، ومن بين القرارات التي خرجت بها هذه المعاهدة، أنها اعتبرت الأمير عبدالقادر رجلا خارجا عن حكم الشريعة في الأراضي المغربية والجزائرية، ولابد من محاربته ومطاردته، وإذا قبض عليه لابد من إرساله إلى الحدود، حتى تتكفل به القوات الفرنسية، وفي ظل هذه الظروف كان الأمير عبدالقادر يحاول تجميع قواته، وحث القبائل الجزائرية على مؤازرته، بيد أنها لم تستجب له، فاضطر إلى اللجوء مرة أخرى إلى المغرب[3]، وفي نفس الوقت أراد أن يدخل في مفاوضات جديدة مع الفرنسيين، حيث بعث بنائبه البوحميدي، وليون روش، بيد أن المارشال بيجو رفض التفاوض، كما عارض فكرة منحه جزء من الجزائر، وجعله تحت سيادة فرنسا، وقد رد المارشال بيجو عن مقترحات الأمير، باستعداده لمساعدته على السفر

[1] PRINCE DE JOIN VILLE, vieux souvenirs (1818-1848), 16°, Paris, 1894,, pp 395 – 397.
[2] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي، 19 شعبان 1260 هـ الموافق لـ 4 سبتمبر 1844، خ ح، م 4، مخ 16.
[3] L ROCHES, trant deux ans à travers l'Islam (1832-1865) Paris, 1884-1885, p 462, p 462.

إلى مكة المكرمة، ومنحه المال الذي يكفيه للعيش طول حياته، وعليه يمكن القول بأن محاولات الاتصال بين الطرفين الفرنسي والجزائري، لم تؤد إلى ما كان يطمح إليه كل طرف[1]، ورغم ذلك فقد تمكن الفرنسيون من عزل الأمير عبدالقادر، الذي أصبح بعيدا، وممنوعا من التقرب للسلطة المغربية[2]، إلا أنه استطاع أن يستقر في أراضي قبيلة قلعية[3]، وقد التحقت به إلى المغرب عدة قبائل جزائرية، كأقسام من الحشم، وبني عامر، وكان معه قادته كمصطفى بن التهامي، محمد بن عيسى البركاني[*]، محمد البوحميدي الولهاصي، بالإضافة إلى الميلود بن أعراش[4]، وكان من بين الذين استقروا مع الأمير أخواه مصطفى والحسين، وقد بقي أبناء عمه علي بوطالب بمدينة فاس، ولقد اختار الأمير هذه المنطقة، لبعدها عن القوات الفرنسية والمغربية من جهة، ولنفوذ الطريقة القادرية فيها، حيث ذكرت المصادر بأن آل محي الدين قبل أن يرحلوا إلى معسكر كانوا قد استقروا في هذه المنطقة[5]، كما تلقى الأمير عبدالقادر دعما معنويا، ومساندة كبيرة من طرف قبيلة بني يزناسن، وزاوية سيدي رمضان، علما أن أخ الأمير عبدالقادر الأكبر، كان من بين الأوائل الذين استقروا عند هذه القبيلة[6]، وكانت قبائل شرق الريف المغربي قد أبدت نيتها في دعم الأمير، ومؤازرته، واستعدادها للوقوف إلى جانبه، وبخاصة قبائل المطالسة، أولاد ستوت، وبني بو يحيى[7]، وكان المولى عبدالرحمان على علم بدعم القبائل المغربية في شرق بلاده للأمير عبدالقادر، عندما بعث برسالة إلى بوسلهام بن علي يوم 29 ماي 1845، فقال: "وما كنا وجهنا عليهم أكثر من مائتين من أعيان قبائل شرق المغرب، إلا بقصد التوثق منهم بإخراج الحاج عبدالقادر من بين أظهرهم، إلى ناحية الصحراء، وكفه عن إذاية الإيالة الشرقية من جهتهم، فأعطوا المواثيق على ذلك، وأكدوا بالحلف، وقالوا إن فعل شيئا، فلا تزوج لهم

---

[1] عبدالرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس، ج 5، ص 172 – 175.
[2] الناصري، المصدر السابق، ص 15.
[3] Decossé Brissac, op.cit, p 120.
[*] محمد بن عيسى البركاني: من أسرة البراكنة التي اشتهرت بالدين والتقوى، والتي كانت لها مكانة عالية في بني مناصر قرب شرشال، في البداية أذعن للفرنسيين حيث عينه كلوزيل قائدا على شرشال، إلى أن التحق بالأمير عبدالقادر عام 1834، الرجوع إلى محمد الهادي الحساني، المصدر السابق، ص 151.
[4] Decossé Brissac, op.cit, pp 120 – 121.
[5] دوماس إلى المارشال بيجو 25 فيفري 1845 A. M. .A. E. C. P. M. V. 11. F. 62 – 68.
[6] Decossé Brissac, op.cit, pp 120 - 121
[7] IBID, p 121.

امرأة، ولا تتركه يخرج حتى يخرج على ظهورنا، ومع ذلك تركوه خرج، وربما خرج معه بعضهم، على ما بلغنا وهذا من نكثهم ونقضهم"[1].

ولقد دلت المصادر الفرنسية بأن الأمير عبدالقادر قد امتد نفوذه إلى داخل الأراضي المغربية، ولم يقتصر على شرقها، ففي تقرير بعث به دوماسDOUMAS* إلى المارشال بيجو في 25 فيفري 1845، ذكر فيه بأن أثرياء مدينة فاس، كانوا ينشرون فكرة تولي الأمير عبدالقادر أمر المملكة، وأنهم كانوا يتبادلون معه الرسائل، ورحبوا به في مدينتهم[2]، كما أشار هـ شورشيل CHERCHIL، H،Ch بأن انهزام المغاربة، وتوقيع المولى عبدالرحمان لمعاهدة طنجة، قد أثارت غضب أعيان وتجار المدينة، وبعض القادة العسكريين، واحتجوا على العجز الذي أبداه جيش السلطان، ودعوا إلى اعتلاء الأمير عبدالقادر عرش الأسلاف"[3]، وقد أجاب الأمير عن هذه المسألة، حيث قال: "لقد رفضت ما ما عرضه المغاربة علي بذلك الصوت الإجماعي، لا لأن الدين يمنعني من إذاية عاهل مختار وشرعي فحسب، ولكن لأن معرفتي الجيدة بالمغرب، وبتنوع أجناسه، جعلتني أشعر بأنني سأحتاج إلى اثنتي عشر أو خمسة عشر سنة عاما، ليس من أجل الوصول إلى حكم البلاد مثل المولى عبدالرحمان، بل فقط من أجل فرض طاعة الشريعة واحترام حكومتي في بعض الميادين كيفما كانت"[4]، وفي تحفة الزائر أشار محمد بن عبدالقادر، بأن المغاربة قد سخطوا على المولى عبدالرحمان بعد انهزام جيشه في معركة إيسلي، وتوقيعه لمعاهدة طنجة المهينة، وقد حملوا السلطان مسؤولية الهزيمة، كما ذكر بأن حالة السخط والهيجان، أدت بأغلب القبائل المغربية إلى محاولة التفكير في الانتفاضة عليه، وتقويض عرشه، كما أبدت هذه القبائل نيتها لتقديم الولاء والطاعة للأمير عبدالقادر، من خلال رسائل بعثت له من طرفهم، بيد أن الأمير رفض ولم يستجيب لطلبهم، حيث قال: "إنني دخلت بلاد السلطان لا لأكون ضده، أو لنأخذ منه ملكه، فهذا مما لا يقول به عاقل"[5]، لكن والغريب في الأمر،

---

[1] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي 29 ماي 1845، خ ح، م 4، مخ 19.

* دوماس أوجين DOUMAS EUGENE (1803-1871) قائد عسكري تخرج من مدرسة الخيالة برتبة نقيب مساعد عام 1827، بعد معاهدة تافنة عين قنصلا بمعسكر عام 1837، الرجوع إلى أديب حرب، المصدر السابق، ص 67.

[2] دوماس إلى المارشال بيجو 25 فبراير 1845 A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 62 – 68.

[3] Ch, H, CHERCHILL, opcit, p 247

[4] IBID, p 248.

[5] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 448 – 450.

أن المولى عبدالرحمان قد حمّل الأمير مسؤولية ما أصاب المغرب من نكسات بعد معركة إيسلي، وقد ترجم دوماس بعض الفقرات من الرسالة التي بعث بها السلطان إلى الأمير عبدالقادر، حيث قال: "إنك أنت السبب في تدمير جيشي، وإحراق طنجة والصويرة، ولم يبق لك إلا الاختيار بين أمرين، إما أن ترحل إلى الصحراء، وتتصرف مع الفرنسيين ما تستطيع، أو تسرح كل الذين مازالوا معك، ويعود كل إلى بلاده، وتأتي مع أهلك وقادتك لتستقر بفاس أو مكناس، أو مراكش"[1].

وفي اللقاء الذي جمع ليون روش مع المولى عبدالرحمان في 21 نوفمبر 1845، أكد له بأن الأمير عبدالقادر قد أقسم له بأن وجوده بالأراضي المغربية، ليس إلا لجوءا لرجل طلب الاستغاثة والأمان، كما ذكر بأن الأمير لن يقدم على فعل أي شيء دون استشارة السلطان، وأنه لن يقوم بأي عمل قد يتسبب في توتر العلاقات بين فرنسا والمغرب[2]، كما التزم الأمير أمام السلطان، بأنه سيرضخ لأوامر السلطان مباشرة بعد عيد الفطر، ابتداءا من منتصف شهر أكتوبر، كما ذكر بأن فرنسا عرضت عليه بأن يكون سلطانا في الأراضي الجزائرية تحت سيادتها، وأنها مستعدة لنقله إلى مكة المكرمة، ولكن بشرط أن يسلم نفسه[3]، بيد أن الجنرال دي لاري DELARUE قد نفى وجود أي اقتراح مع عبدالقادر، كما أشار في رسالة بعثها إلى محمد بن إدريس، في 21 مارس 1845، بأن المسألة تتعلق برسالة بعثها المارشال بيجو بواسطة ليون روش إلى الأمير عبدالقادر بعد يومين من معركة إيسلي، وعد فيها الأمير بنقله إلى مكة، كما أشار فيها إلى ضرورة أخذ الحيطة من السلطان وعدم الثقة المطلقة فيه[4]، وهناك رسالة وجهها دي لاري إلى المولى عبدالرحمان كانت تشبه كثيرا في مضمونها رسالة بيجو، حيث حذر فيها المغاربة من الأمير عبدالقادر، بعدما أصبح يتمتع بنفوذ قوي عند القبائل المغربية، فقال: "وما ذلك إلا من كذبه على القبائل، والتظاهر بأحوال المرابطين والجهاد، وفعله هذا كذب محض، يزعم ليس غيره آمر بالدين والجهاد، ونيته أن يقيم رعية، ويختلس لنفسه القوة، ويضرم نار الفتنة بين الجانبين، لما

---

[1] دوماس إلى المارشال بيجو 25 فيفري 1845 .A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 62 – 68
[2] د. روش إلى دي شاطو، 5 ديسمبر 1845 .A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 62 – 68
[3] دوماس إلى المارشال بيجو 25 فيفري 1845 .A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 62 – 68
[4] عبدالرحمان بن زيدان، المصدر السابق، ص 172 – 174.

علمتم أن مقصوده الأهم، إنما هو سعيه في إفساد رعية المغرب"[1]، وبهذا نستنتج أن القوات الفرنسية كانت تسعى إلى تخويف الطرفين من بعضهما البعض، أي تخويف المولى عبدالرحمان من الأمير عبدالقادر، وفي نفس الوقت تخويف الأمير عبدالقادر من السلطان، ونتيجة لاقتناع هذا الأخير بخطورة تواجد الأمير عبدالقادر في الأراضي المغربية، بدأ يضغط عليه، لدرجة أنه استغل أقارب الأمير في هذا الضغط، ولإقناعه بتوقيف نشاطه، ومن بين الذين بعث بهم السلطان للضغط على الأمير وتقديم مقترحاته ابن عمه علي بوطالب[2].

ولقد حاول أخ الأمير عبدالقادر مصطفى بن محي الدين إقناعه بضرورة الكف عن محاربة فرنسا، والرضوخ لمطالب المولى عبدالرحمان، بيد أن محاولاته باءت كلها بالفشل، ومع عدم قدرته على إقناع الأمير اضطر إلى مفارقته[3]، وهناك بعض المصادر، أشارت إلى تكليف المولى عبدالرحمان لبوزيان بن شاوي بالاتصال بالأمير، وإخباره بضرورة الابتعاد عن الحدود المغربية الشرقية[4]، وفي تقارير بول آزان، نجد أنه أشار إلى اتصال الأمير عبدالقادر بالقائد بوزيان بن شاوي، وذكر بأنه جاء بقوات كبيرة العدد، بيد أن المغاربة لم يحضروا إلى الموعد، بينما دي كوسي بريساك قال بأن الأمير لم يذهب لملاقاة المغاربة، واكتفى بإرسال مبعوثين للإخبار، بأنه سيدافع عن الناس الذين رحبوا به وأيدوه، وأنه سيدافع عن نفسه حتى الموت[5]، وفي تحفة الزائر أشار محمد بن عبدالقادر، بأن المولى عبدالرحمان قد دعا الأمير عبدالقادر إلى زيارته في مدينة فاس، وذكر بأن الأمير لم يستجيب لدعوته، بحجة أن القوات المغربية منعته من الوصول إلى المدنية[6]، وفي ظل هذه الظروف، أكد الأمير عبدالقادر عزمه على مواصلة الجهاد، انطلاقا من الأراضي المغربية، حيث كان يقوم بشن عدة هجومات خاطفة على مواقع القوات الفرنسية، وقد تمكن من أسر بعض جنودها، وأمام هذا الوضع، ورفض الأمير الاستجابة لمطالب السلطان المغربي، ومقترحات الفرنسيين، عزم على وضع حد لهذا الأمر، وكان في هذه المرة غاضبا وناقما

---

[1] عبدالرحمان بن زيدان، العزة والصولة في معالم نظم الدولة، الرباط، 1961-1962، ص 169 – 172.

[2] القنصل دي شاطو إلى وزير الخارجية كيزو 3 أكتوبر 1845 .A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 110 - 115

[3] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي 22 محرم 1261 هـ الموافق لـ 31 جانفي 1845، خ ح، م 4، مخ 18.

[4] P AZANEN sidi brahim, Paris, 1930-1945, p 232.

[5] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 112.

[6] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 450.

من الأمير، وهذا ما نلمسه من الرسالة التي بعث بها إلى بوسلهام بن علي يوم 3 جانفي 1845، عندما قال: "وبعد، فقد ثبت عندنا أن السيد عبدالقادر قد نقض ما كان قد عاهد الله عليه، من عدم إحداث شيء في جانب أعداء الدين، إمضاءا للصلح الذي أبرمناه، وقد رام استهواء تلك القبائل المغربية وما والاها، ولم يبق معه إلا الجد، فبوصول كتابنا هذا إليك، عين مائة فارس من الجيش الريفي، تنهض صحبة خادمنا محمد بن عبدالصادق للريف، بقصد نقض ما يبرمه، وحل ما يعقده مع تلك القبائل، فإنه وجدهم أصحاب رغبة في الدين، ومحبة في الجهاد، مع ما فيهم من الغرة والبله، وأراد أن يستفزهم بترهاته وأباطيله، ويوقعهم في الحرج، ويظلهم عن منهاج الحق، وها نحن كتبنا لهم كتاب تحذير وإنذار، يصحبه معه ليقرأه على كل قبيلة، ليحذروا مكره، وأنه ليس مراده الجهاد، وإنما مراده إثارة الفتنة والفساد، فيعامل بنقيض مقصوده، وكنا أردنا الفراق معه على وجه جميل، حيث آوى إلينا وحط رحاله بيننا، فإذا به سول له شيطانه ما فيه هلاكه وخسرانه"[1].

وهكذا أكد المولى عبدالرحمان في رسالته، أنه أصدر تعليماته إلى عماله في الأراضي المغربية، بضرورة طرد الأمير عبدالقادر وإخراجه من البلاد، بإرادته أو بالقوة[2]، وبالتالي فقد تطابقت مواقف ووجهات نظر الفرنسيين مع المغاربة، فيما يخص اعتبار الأمير عبدالقادر هو سبب المشاكل السياسية التي تعيشها المغرب معفرنسا[3]، ولقد كانت هذه الأخيرة، تلح على السلطان باستخدام القوة لإجبار الأمير عبدالقادر على الرحيل، كما أنها كانت تهدد بدخول الأراضي المغربية، لإلقاء القبض عليه إذا عجزت السلطة المغربية عن وضع حد لنشاطه، وفي هذه الظروف، كان المغاربة متخوفون كثيرا من تجدد الحرب بينهم وبين فرنسا، بسبب مشكلة الأمير عبدالقادر، ونتيجة لهذا التخوف، بعث المولى عبدالرحمان إلى عامله بمدينة طنجة برسالة لطمأنته، فقال: "كن مطمئنا، فلن تكون هناك حرب مع فرنسا، لأني لم أعقد معها الصلح في العام الماضي لأقطعه اليوم، كما أنني

---

[1] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي، 22 محرم 1261 هـ، خ ح، م 4، مخ 18.
[2] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي، 10 محرم 1261 هـ، الموافق لـ 18 فيفري 1845 خ ح، م 4، مخ 18.
[3] بوسلهام بن علي إلى موبوسان 12 صفر 1261 هـ الموافق لـ 20 فيفري 1845 .44 - A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 43

لا أريد أن أضيع ثغوري، وأتسبب في هلاك رعاياي من أجل عبدالقادر، وسأرضي فرنسا بمنعه من الدخول إلى إيالتي"[1].

وبالفعل، فقد كثف المولى عبدالرحمان وعماله جهودهم من أجل إضعاف الأمير عبدالقادر، حيث بعث برسالة إلى القبائل المغربية، وحذرها من تقديم الدعم والمساعدة للجزائريين، وهددا بالعقاب الديني والدنيوي، كما أمر عامليه في مدينة وجدة وتازة، أي حميدة الشجعي، وبوزيان بن شاوي، بعدم السماح للأمير بدخول عمالتيهما، كما حاول إرغام قبائل بني يزناسن على التخلي عن مؤازرتهم للأمير عبدالقادر[2]، لدرجة أنه خصص مكافأة كبيرة لكل من يأتي به حيا أو ميتا[3]، كما قام بعزل حمدون بن عبدالرحمان الكرومي، قائد قبيلة الكرارمة، التي كانت تؤيد الأمير عبدالقادر، وأصدر قرارا بضم القبيلة إلى سلطة القائد بوزيان بن الشاوي[4]، وهكذا استطاعت السلطة المغربية أن تجهز قوة عسكرية، حيث قامت بتجميعها في مدينة فاس، ثم وُجِّهت إلى مدينة وجدة، لتدعيم حاميتها وملاحقة الأمير عبدالقادر[5]، وأمام هذه الإجراءات التي قام بها المولى عبدالرحمان، واستجابة عماله للتعليمات التي أصدرها، عبّرت السلطة الفرنسية عن ارتياحها للقرارات التي أمر بها السلطان، وهذا في تقرير بعث به القنصل الفرنسي الجديد بطنجة، موبوسان MOUBOUSSIN، إلى وزير خارجية فرنسا في 21 فبراير 1845، حيث أشار في هذا التقرير، بأن المولى عبدالرحمان انتقل من مرحلة المراسلات، ومحاولة إقناع الأمير عبدالقادر بضرورة الكف عن محاربة فرنسا، إلى مرحلة عملية، أي عسكرية، علما أنه كان يستخدم الرسائل الودية لإقناع الأمير عبدالقادر بإيقاف نشاطه في المغرب، وعندما طال وجود الجزائريين في شرق المغرب، وعجزه عن احتواء حركتهم، اقتنع بضرورة انتهاج الأسلوب العسكري، أي باستخدام القوة، وقد أوضح السلطان هذا الأسلوب في رسالة بعث بها إلى بوسلهام بن علي في جوان 1845، وأراد منه أن يوصلها إلى السلطات الفرنسية، حيث جاء في هذه الرسالة: "وأما الحاج عبدالقادر، فأجبه بأننا لسنا عنه بغافلين، ولا بأغرة

---

[1] المولى عبدالرحمان إلى الرزيني، د ت، 1845 A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 62 – 68.

[2] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 123.

[3] دوماس إلى المارشال بيجو، 25 فيفري 1845 A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 62- 68.

[4] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي، 22 جمادى الأولى 1261 هـ الموافق لـ 29 ماي 1845، خ ح، م 4، 19.

[5] رسالة إلى المارشال بيجو 14 جويلية 1845 A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 219 – 225.

متهاونين، ومنازعته اليوم معنا، أكثر من منازعته معكم، ونحن نرتكب في أمره من السياسة وحسن التدبير، فعلى عينكم، ما نحاوله في أمره، من توجيه عامل الريف في محله، ليفسخ ما عقده مع قبائله، ويحسم مادة ووساوسه وترهاته، وقد فعل، فإنه لم يبق معه أحد من قبائل إيالته، وكنا كلفنا عامل الكرارمة، حمدون بمثل ذلك، وبالتضييق عليه، حتى يخرج من إيالتنا السعيدة، فلما رأينا تقصيره في ذلك وتوانيه، عزلناه، وولينا غيره، ليقوم في أمره على ساق، ويمحوا أثره من تلك الآفاق، ولازلنا في أمره جادين، على الوفاء متمادين، والسياسة والتدبير تقتضي عدم العجلة، وبعض التأخير، فإنه لا ينفع في دائه إعمال الحيلة، وارتكاب السياسة، ونحن أحرص الناس على أمره، وأعرف الناس بخداعه ومكره"، وعندما سمع المولى عبدالرحمان بدخول الأمير عبدالقادر إلى الأراضي الجزائرية، ونزوله بصبرة، ذكر في نفس الرسالة فقال: "فإنه ما خرج حتى عقد مع تلك القبائل النازل وسطهم، وأنهم لا يسلمونه، ولا يتركون أحدا يصل إليهم، مع أنهم في حل وعز وليس الكلام مع دائرته، وإنما الكلام مع القبائل المتحملون لهم، ولو لم يكن نزولهم على هذا الوجه، ما تأخروا هناك"[1]

ومع رغبة فرنسا في الحصول على موقف صريح من المولى عبدالرحمان، بعث برسالة أخرى إلى بوسلهام بن علي في 17 أوت 1845، حيث قال: "أجبهم بأن الحاج عبدالقادر ليس كلامه معهم، وإنما كلامه معنا، ولسنا بغافلين عنه، وقد ندبنا من كل ناحية من يفسخ ما عقد، ويستميل الصامت عنه، حتى يكون خروجه بسياسة من غير قتال، وقد رجع جل العامة عن اعتقاده، ومتابعته، وسيرجع الكل، فإنا لم نرد مقابلته بالقوة والقتال، ليلا يتعرض عليه الذين هو في وسطهم، ويحدث الموت من الفريقين، فيكبر الجفاء، ويتمسك الذين دافعوا عنه به، ويظهرون في العيب، وذلك مراده، هو ليستريح من هذه الناحية، وأما الآن فهو بين الخوف والرجاء، والناس ينافقونه، لاستظهاره بالتنسك، واغتباط العامة بدعواه للجهاد*، فإن الجهاد عندنا من قواعد الدين، وحين ينكشف أمره ويفتضح

[1] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي 8 جوان 1845، خ ح، م 4، مخ 19.
* حكم الجهاد: وردت في القرآن الكريم عدة آيات محكمات حثت على الجهاد والقتال في سبيل الله، فقوله تعالى في سورة الأحقاف الآية 35: "فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴿٣٥﴾" وقوله تعالى في سورة الحج الآية 39-40:

سره، ويتبين لهم سفاه رأيه، وإخفاق سعيه، يتبرأ منه الجميع ويسلمونه، فحينئذ إن توجهت ثلاثمائة من الخيل تشتت شمله، وتبدد من معه"[1]، وما نعلل به تأخر المغاربة عن استخدام القوة في البداية مع الأمير عبدالقادر، خشيتهم من تكتل القبائل حوله، ولكنهم عندما استنفذوا كل المحاولات، لم يترددوا في بعث الفرسان لمحاربته، وهذا ما أشار له محمد بن إدريس للجنرال دي لاري[2]، كما أكد بأن السلطة المغربية لم تتعرض للأمير في البداية، لأنه كان يلقى الدعم والمؤازرة من طرف القبائل التي لجأ إليها، كما أن هذه القبائل أبدت استعدادها لعدم التخلي عنه، ومحاربة السلطان إذا أراد النيل منه[3]، وعليه، يمكن القول بأن الصراع الذي أصبح قائما بين المولى عبدالرحمان والأمير عبدالقادر، قد اتخذ صبغة صراع على الحدود والنفوذ في المناطق الشرقية من المغرب، أين كان للأمير نفوذا فعليا، ولم تكن للمولى عبدالرحمان سوى السلطة الاسمية، ورغم ذلك، فقد كان المولى عبدالرحمان، يأمل أن تسحب السلطات الفرنسية الشرط الخاص بطرد الأمير عبدالقادر، وهذا من خلال رسالة بعثها إلى بوسلهام بن علي في 28 جويلية 1845[4]، وحسب المصادر المغربية، فإن الأمير في هذه الفترة كان قد تسلل إلى الأراضي الجزائرية، مصحوبا بالقبائل المغربية المناصرة[5]، ولقد قام قائد مدينة وجدة، بإعلام الفرنسيين بخبر دخول الأمير إلى الأراضي الجزائرية، من الجنوب الشرقي للمغرب، حتى لا يصطدم بهم[6]، ولقد رجع الأمير إلى دائرته بالمغرب بتاريخ 20 جويلية 1845، حيث جلب الجزائريون معهم غنائم كثيرة،

"أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ (40)" وقوله تعالى في سورة البقرة الآية 190—191 "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190) وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191)" وقوله تعالى في سورة الأنفال الآية 15-16: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16)"

[1] م، و، م، الوثائق، العدد 1976 ص 58.

[2] محمد بن إدريس إلى دي لاري 15 أوت 1845 A. M. .A. E. C. P. M. V. 14. F. 150.

[3] DECOOSSE BRISSAC, op.cit, p 123 – 124.

[4] م، و، م، الوثائق، العدد 2، ص 28.

[5] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي 28 جويلية 1845 ، خ ح، م 4، مخ 19.

[6] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 124.

خاصة الماشية، كما تكلف البوحميدي ببيعها، للحصول على المال، من أجل تموين الفرسان[1]، ولهذا السبب غضب الفرنسيون، واحتجوا على السلطات المغربية، وهددوا باجتياح الراضي الشرقية للقبض على الأمير عبدالقادر، بعدما عجز المولى عبدالرحمان عن القضاء عليه، وحول هذا الموضوع، بعث محمد بن إدريس برسالة إلى بوسلهام بن علي يوم 15 أوت 1845، فقال له: "علمنا ما تكلم به معك دي لاري في شأن الحاج عبدالقادر، وما كتب به المارشال بيجو وحاكم تلمسان كافينياك في ذلك، من نزوله بملوية، واشتغاله بالضرب والغارة عن قبائل الإيالة الجزائرية، وأنه يبيع ما ينهب لهم بوجدة ونواحيها، على عين ولاة سيدنا عن غير ناه ولا منته، والمقالة الشنيعة التي شافهك بها عدو الدين دي لاري من أن سيدنا إن لم يُخرج عبدالقادر من الإيالة السعيدة يدخلوا عليه بها ويقبضوه فيها، فقل لهم إن قدرتم فافعلوا، وإن صبرتم فإن سيدنا يحاول حسم مادته، وما غفل عنه ولا قصر في الوفاء بما عقد معكم، وإن استعجلتم فأنتم أعلم"

ولقد أشارت المصادر، أن أنصار الأمير عبدالقادر كانوا يشنون غاراتهم عبر الحدود على القبائل الجزائرية، من أجل إرغامها على الدخول في صفه، والهجرة إلى المغرب[2]، كما أكد دي كوسي بريساك، بأن الجزائريين كانوا يفدون يوميا إلى الأراضي المغربية، من أجل الالتحاق بالأمير عبدالقادر[3]، حيث ارتفعت أعداد الخيم التي نصبها الأمير في دائرته، وقد وصلت في أواخر شهر أوت إلى ستة آلاف خيمة، كما أشارت بعض المصادر، بأن قوات الأمير قد ازدادت في هذه الفترة، حيث وصلت إلى ألفا وستمائة بين فارس ومشاة نظاميين، مدعمين بألفين من فرسان القبائل الجزائرية التي نزحت إلى المغرب[4].

لقد كان هجوم الجيش الفرنسي على مركز مغنية ضربة قاسية تلقاها المخزن المغربي يوم 30 ماس 1844[5]، حيث قام الجنرال بيجو بالتوغل داخل مدينة وجدة، ثم ألحق

---

[1] رسالة من المارشال بيجو 14 جويلية 1845 A. M. .A. E. C. P. M. V. 13. F. 219 - 225

[2] DECOOSE BRISSAC, op.cit, p 124. P AZANE, op.cit, P 215.

[3] P AZANE, op.cit, p 206.

[4] P AZANE, op.cit, p 214 – 215.

[5] يحيى بوعزيز، الأمير عبدالقادر رائد الكفاح، ط 2، الجزائر، 1986، ص 189.

ألحق الهزيمة الثانية بالجيش المغربي في موقعة وادي إيسلي*، في 14 أوت 1844[1]، كما كانت البوارج الحربية الفرنسية تقذف بالمدفعية ميناء مدينة طنجة، وفي هذه الأثناء طلب الجنرال بيجو من المولى عبدالرحمان إبعاد الأمير عبدالقادر برا أو بحرا، ونظرا لعدم قدرة السلطة المغربية على الوقوف في وجه القوات الفرنسية، فقد استسلمت ورضخت لمطالبها، حيث وقع السلطان اتفاق عُرف باتفاق طنجة في 12 سبتمبر 1844، بموجبه اعترف بأن الأمير عبدالقادر رجل خارج عن القانون، وتعهد بملاحقته وطرده من المغرب[2]، ولقد أثار موقف السلطة المغربية المعادي لمقاومة الأمير عبدالقادر، سخط بعض القبائل في شرق المغرب، لدرجة مطالبتها برحيل المولى عبدالرحمان[3]، ولقد انتهى هذا النزاع بعقد معاهدة طنجة في 10 سبتمبر 1844، حيث أقنع المبعوث الدبلوماسي الإنجليزي ريموند هاي المغاربة بضرورة الرضوخ لمطالب الفرنسيين، حيث شكل الطرفان وفدا للتباحث في باريس*، ولقد احتوت المعاهدة على ثمانية مواد، تعرضت في مجملها لمصير الأمير عبدالقادر وأنصاره على وجه الخصوص، حيث أكدت على منع مساعدة الأمير عبدالقادر، واعتباره رجلا خارجا عن القانون، وضرورة مطاردته من طرف المغاربة والفرنسيين، ومن أجل رسم الحدود بين الجزائر والمغرب، وقع المغاربة في 18 مارس 1845 مع الفرنسيين، معاهدة لالة مغنية اعتمادا على الأرشيف العثماني[4].

---

* وادي إيسلي: ينبع من مرتفعات الأطلس التلي، ويتجه نحو الجنوب الغربي، يصب في البحر المتوسط، الرجوع إلى أديب حرب، المرجع السابق، ص 481.

[1] P AZANE, op.cit, p 215.

[2] عبدالمجيد مزيان، السيرة الذاتية للأمير عبدالقادر، مجلة الجمعية الجغرافية والآثار، بوهران، الجزائر، 1983، ص 23.

[3] أبو القاسم سعدالله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، القسم الأول، ط 2، ش و ن الجزائر، 1981، ص 179.

* مثل الوفد الفرنسي نيون NION قنصل فرنسا في المغرب والدوق غلوسبر GLUSBER سكرتير السفارة الفرنسية في مدريد، والدكتور وارنييه WARNIER الطبيب العسكري، أما الوفد المغربي فمثله، بوسلهام بن علي والفقيه بوسلام، الرجوع إلى أديب حرب، المرجع السابق، ص 505.

[4] SHP, 1H28, traité du 18 mars 1845 entre l’empereur des français et l’empereur du Maroc, le traité port sur la mutuelle reconnaissance des possessions des deux empereurs, 1845.

الفصل الرابع
بداية تراجع المقاومة الجزائرية وتخلي السلطة المغربية عنها

- المبحث الأول: الضغط المغربي وعودة الأمير عبدالقادر إلى الأراضي الجزائرية
- المبحث الثاني: دور سلطان المغرب في إضعاف المقاومة الجزائرية
- المبحث الثالث: إعداد الحملة العسكرية الأخيرة على الأمير عبدالقادر .

الضغط المغربي وعودة الأمير إلى الأراضي الجزائر 1845-1846:

لقد كانت معركة وادي إيسلي التي وقعت في 19 جوان 1844، بين القوات المغربية التي كان يقودها ولي العهد المولى محمد، والجيش الفرنسي، بقيادة الجنرال بيجو، حاسمة في رسم مستقبل العلاقات بين الأمير عبدالقادر والسلطة المغربية، حيث كان لها بالغ الأثر في تقرير مصير الأحداث التاريخية في المناطق الحدودية، فوضعت حدا للدعم المغربي للمقاومة الجزائرية، وبالتالي، نجاح القوات الفرنسية في مخططها الرامي إلى خلق الفرقة والشقاق في داخل صف المسلمين[1].

وعندما تمكن الأمير من التحضير، والاستعداد لتجهيز قوة عسكرية، لمدة ثلاثة أشهر في صيف عام 1845، غادر دائرته التي كانت في غرب نهر ملوية، وجعل عليها البوحميدي الولهاصي[2]، ثم قام بالدخول إلى الأراضي الجزائرية، عن طريق المناطق الشمالية لمدينة مغنية، وكان الهدف من ذلك هو شن حرب واسعة، وعنيفة ضد القوات الفرنسية، والقبائل الجزائرية الموالية لها، حتى تضطر للهجرة للمغرب، ولقد أشار مصطفى بن التهامي إلى هذا، في رسالة بعثها إلى الأسرى الجزائريين الذين وقعوا في قبضة الجيش الفرنسي، كما أشار بأن الأمير كان يسعى إلى تجميع هذه القبائل في الأراضي المغربية، ثم العودة بها عندما تسمح الظروف بذلك[3]، وقد تمكن الأمير من إقناع بعض القبائل للانضمام إليه في أكتوبر 1845، وكانت من بينها أقسام من قبيلة بني عامر[4]، ولقد ذكرت المصادر، بأن قوات الأمير عبدالقادر قد حققت عدة انتصارات في بداية حملته الواسعة على القوات الفرنسية، حيث تمكن من القضاء على كتيبة فرنسية في مكان قرب ضريح سيدي إبراهيم، القريب من جامع الغزوات، كما تمكن من أسر عناصر كتيبة أخرى قرب عين تموشنت، وبعد هذه الانتصارات تحفز الأمير، وبدأ يفكر في تحويل الانتفاضة إلى حرب واسعة ضد فرنسا، ومحاولة إزالة قواتها نهائيا من الجزائر[5]،وفي رسالة بعث بها

[1] محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص 174.

[2] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 126.
[3] P AZAN, op.cit, p 212
[4] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 135
[5] P AZAN, L'EMIR, p 214

كافينياك CAVAIGNACإلى الجنرال دي لاموريسيير DELA MORI CIERE*، يوم 30 سبتمبر1845، قال فيها: "لقد أصبح عبدالقادر سيدا في البلاد الجبلية، ما بين الحدود الشمالية وتافنة السفلى، لقد حشد فيها كل المهاجرين من تافنة إلى الدواير، ومن البحر إلى جبال الجنوب، ولم يبق هناك أحد،إنه نجاح هائل لعبدالقادر..."[1].

ونتيجة للانتصارات التي أحرزها الأمير عبدالقادر على القوات الفرنسية، اضطرت فرنسا للاستعانة بالمرشال بيجو، الذي جاء مع قوات إضافية في 15 أكتوبر من نفس العام، حيث بلغت قوات الجيش الفرنسي العاملة بالجزائر المائة وستة آلاف جندي[2]، وكانت مهمة هذا المارشال، شن عملية عسكرية على قوات الأمير عبدالقادر، والقضاء عليه بأي ثمن، وفي نفس الوقت، كان شرفاء الجزائر يرفضون دعوة الأمير عبدالقادر للقبائل الجزائرية إلى مغادرة بلادهم، والهجرة للمغرب، بل كانوا يدعون إلى الاستقرار في البلاد ومحاربة الفرنسيين، وكان من بين هؤلاء الشرفاء "محمد بن عبد الله"، الذي عرف باسم بومعزة، وقد تمكن هذا الرجل الثائر، من جمع القبائل الجزائرية في جبال الونشريس، والظهرة، وإثارتها ضد فرنسا، وعملائها، ابتداءا من منتصف عام 1845، وقد أكد مارسيل إميري، بأن هذا الشريف قد تعارض مع الأمير عبدالقادر في مسألة هجرة الجزائريين، كما نفى تعاونه مع الأمير، وأشار إلى تخوف عبدالقادر من حركته[3]، بيد أن دي كوسي بريساك أكد بأن بومعزة يحارب الفرنسيين، وكان يتردد على المغرب إلى غاية عام 1846، وقد تعاون مع الأمير عبدالقادر، حيث استمر في تحريض القبائل الجزائرية إلى نهاية شهر أفريل 1847[4].

ولقد قام محمد بن عبدالقادر في تحفة الزائر، بنشر رسالة بعث بها السلطان المغربي إلى قبيلتي بني يزناسن وأنجاد، بعدما دعمت الأمير في حملته التي شنها على القوات الفرنسية، التي كانت متواجدة على الحدود الجزائرية الغربية، حيث قال "بلغنا أن الأمير عبدالقادر نهض في قومه، ومن انضاف إليه من إخوانكم، الذين استفزهم وخدعهم بتمويهه وإبطاله،

* دي لاموريسيير DELA MORI CIERE هو لويس كريستوف دي لاموريسيير، الجندي المخلص لديبورمون، الرجوع إلى Le veque d'Oran du PANLOUP. Oraison funèbre du GLE la mouricière, Paris, 1865, p 78.

[1] P AZAN, op.cit, p 216
[2] P AZAN, op.cit, p 216
[3] M. EMERIT, op.cit, p 62
[4] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 129

حتى نزل بجامع الغزوات على من بها من النصارى وعسهم، وأوقع فيهم وقتل جلهم، ولم ينج إلا من فر بنفسه"[1]، ولقد أكد الجنرال دي لاموريسيير، بأن المغاربة قد شاركوا إلى جانب الأمير في حملته، كما أشار إلى القبائل التي شاركت، حيث حدد منها بني بوزكو، بني يعلا، والزكارة[2]، وذكر كذلك بأن قبائل من جنوب تلمسان، مدعمة من قبائل مغربية، قامت بالهجوم على القوات الفرنسية في فاتح شهر أكتوبر 1845، وأدى هذا الهجوم إلى سقوط حامية سبدو، ومع حلول عام 1846، كثفت القبائل المغربية هجوماتها على المناطق الحدودية، القريبة من مدينتي ندرومة والغزوات، وفي رسالة بعثها ولي العهد سيدي محمد، إلى بوسلهام بن علي يوم 18 جويلية 1846، ذكر فيها بأن قوات قبائل شرق المغرب، قد شاركت في الحملات التي استهدفت القوات الفرنسية، حيث قال: "نزلوا بإيالة الرومي، واشتغلوا بالنهب والسرقة، واسترعى عليهم الرومي، وكتب لعامل وجدة بردهم لبلادهم، وأمرهم العامل بالرجوع إليها، فامتنعوا وبقوا على فعلهم، حتى وقع بينهم وبين الرومي ما وقع[3]"، ولقد حفزتهم هذه الانتصارات التي حققها الأمير عبدالقادر معهم، واعتبروها انتقاما لهزيمة إيسلي، لدرجة أنهم أقاموا الاحتفالات في الأقاليم المحاذية لمدينة وجدة، وعرض الأسرى وأقيمت الألعاب الفروسية[4]، وأصبحت للأمير مكانة مرموقة في المغرب وقبائله[5]، وهكذا فشل المارشال بيجو،الذي كان يضن بأنه على وشك القضاء على انتفاضة الأمير عبدالقادر، وأن مطاردته ستنتهي بإلقاء القبض عليه وسجنه، ومن أجل ذلك، كان يضع الخطط لملاحقة الأمير عبدالقادر عندما يقوم باللجوء إلى المغرب، ومعاقبة القبائل المغربية والجزائرية التي دعمته، حتى ولو اضطرت قواته إلى اجتياز الحدود أثناء الملاحقة[6]، بيد أن الوزير الفرنسي كان دائما يؤكد على عدم ملاحقة الأمير داخل الأراضي المغربية، إذا لجأ إليها، وضرورة العودة إلى الجزائر، ولم يوص بالقيام بأية إجراءات عسكرية داخل المغرب، ولذلك طلب القنصل الجديد لفرنسا دي شاطو DE CHASTEAU من الوزير محمد بن إدريس، بعدم السماح للأمير عبدالقادر بالدخول إلى بلاده، حتى يضطر للعودة إلى

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 487 – 489.

[2] P AZAN, op.cit, p 236.

[3] سيدي محمد إلى بوسلهام بن علي، 18جويلية 1846، خ ح، م، 10، مخ 2.

[4] دي شاطو والى وزير الخارجية 30 مارس 1846، A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.91.92

[5] تقرير موجه الى دي شاطو، د ت، 1845 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.127.128

[6] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 127 – 128.

الجزائر، فتكون مهمة القوات الفرنسية سهلة للقبض عليه، وفي رسالة بعث بها هذا القنصل في 30 أكتوبر 1845، إلى الوزير المغربي، أكد له فيها أن قضية اختراق القوات الفرنسية للحدود المغربية تتوقف على مساعدة المغاربة لها، حيث أكد بأن منع الأمير من اللجوء إلى المغرب هو الحل الوحيد لتفادي دخول الفرنسيين واجتياز حدوده، وعلى الرغم من أن المولى عبدالرحمن قد أكد عن إصراره على القضاء على نشاط الأمير عبدالقادر بالأراضي المغربية، التي كان له نفوذ فيها على السكان المغاربة، فإن الفرنسيين كانوا متأكدين من تعاطف المغاربة مع الجزائريين، في جهادهم لتحرير بلادهم ونصرة دينهم، وهذا ما كان يعتقده القنصل دي شاطو ووزير الخارجية كيزو[1]، بيد أن المولى عبدالرحمن قد وقف موقفا مخالفا لاعتقاد الفرنسيين، وذلك من خلال رسالة بعث بها إلى قبائل بني يزناسن وأنكاد في أكتوبر 1845، على خلفية الغارات التي كان يشنها الأمير عبدالقادر، حيث اعتبره بأنه لم يكن يهدف من غاراته، التي كان يشنها على الفرنسيين، "إلا إثارة الفساد، وجلب الشر والفتنة للمسلمين، كما جلبها لإيالة الجزائر، وغيرها، حتى أوقعهم في الكفر، وانقادوا بسببه لاستياء الكفار، وأسلموا أنفسهم لأحكامه، وعاد عليهم شؤم فعله بالدين".

كما ذكر في نفس الرسالة، إلى عدم اتفاقه مع الأمير عبدالقادر، حول قضية محاربة القوات الفرنسية، فقال: "وقد خدعكم بإظهار الدين، وأحوال الصالحين، وما في ضميره إلا الفساد، وإيقاد الفتنة بين العباد، ومن يتبعه على ذلك، إلا هو من الخاسرين، الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، ونحن لا نكره الجهاد بشروطه، ونكره ما يعود بالضرر والغلبة لجانب الإسلام، ولكن هذا المشؤوم، أراد نقض ما أسسناه من الصلح الشرعي، وإيقاد الفتنة بعد إطفائها، سعيا في هضم جانب عزكم، وإفساد دينكم ودنياكم، وتكدير خاطرنا عليكم، وأنتم لا تشعرون"، كما حاول المولى عبدالرحمن أن يدافع عن نفسه، وعن موقفه، فقال: "وما عقدناه من الصلح الشرعي مع العدو الكافر، أسسناه على قواعد الشرع وبيناه، فنحن برسول الله اقتدينا وبه اهتدينا*" ونظرنا للمسلمين بما يضيقوا به،

[1]GUIZOT, op.cit, p 215.

* أشار المولى عبدالرحمن إلى صلح الحديبية، وهو صلح عقد في شهرشوالمن العام السادس للهجرةبين المسلمين وبينقريشبمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات، لمزيد من الفهم الرجوع إلى: ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، 1396هـ- 1971م.

رفقا بهم، ليتمتعوا ويهنئوا في سعة وعافية، ونحن على سنة الجهاد، وعقده عارفون ما أعده الله لأهله من أجر، فكيف يأتي هذا البداع، يعلم أحوال الجهاد وأحكامه، ونحن أعرف به منه، وما ورد فيه، وما أعد الله لأهله، ولو رأينا الخير للمسلمين في غير الصلح ما ارتكبناه، فلا يفيدهم إلا ذلك، فاسألوا أهل العلم، وما ورد في صحيح البخاري ومسلم، في فضل الجهاد وأحكامه، والصلح وأقسامه، ليعلم حال عبدالقادر وجهله بالسنة وغيرها، وأن من تبعه فقد باء بالضلال والردى، وحاد عن شريعة الهدى"[1]، وعليه يمكن القول بأن هذه الرسالة، تعبر عن حدوث القطيعة النهائية بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمن، الذي بقي متمسكا بموقفه الرافض لنشاط الأمير في شرق المغرب، رغم الانتصارات التي حققها على القوات الفرنسية، وقد بعث برسالة إلى بوسلهام بن علي يوم 31 أكتوبر 1845، وقال فيها: "نسأل الله أن يدمر الكافرين، ويجعل كيدهم في نحرهم، ويكفينا أمر هذا الفتان، الذي كلما خمدت نيران الكفر أوقدها، وجر الوبال للمستضعفين"، ثم بين موقفه من الأمير فقال: "فإننا نحب نصر الإسلام، وظهور أهله على عبدة الأصنام، ولا نكره ما يحل بهم، ولكن على وجه لا يكون لهم معه انتصار، ولا يتأتى لهم به دفاع، ولا أخذ ثأر، فإن الحاج عبدالقادر، إنما يصطاد الغرة، ويخطف منه البلاد والعباد"، كما أن السلطان، كان لا يهمه حجم الانتصارات التي كان يحققها الأمير، وكان لا يثق في قدرة الجزائريين على تكبيد الفرنسيين الخسائر الكبيرة، ورغم الأخبار التي كان ينشرها المغاربة، ويوصلها له عماله، حول الانتصارات التي كان يحققها الأمير عبدالقادر، فإنه بقي متمسكا بموقفه، وهذا نلمسه من خلال الرسالة التي بعث بها إلى ابنه في 14 جانفي 1846، وهي مترجمة عن الفرنسية فقال فيها: "إن عبدالقادر يقود عصابة خرقاء، ولن يحتل أبدا أي مركز فرنسي، إنه يقود حثالة من صعاليك القبائل الشرقية، التي ملأ منها بلادنا سهولا وجبالا، بينما ينتظر النصارى نهاية الخريف"[2].

ورغم هذا الموقف المعادي للأمير عبدالقادر، والرافض لنشاطه، فإن السلطان المغربي كان يرفض استعمال القوة العسكرية لإيقاف الجزائريين، حيث أكد على ذلك في الرسالة التي

[1] م، و، م، الوثائق، العدد 2، ص 108.

[2] I HAMET, op.cit, p p 111 – 114.

بعث بها إلى ملك فرنسا في 07 ماي 1846، قال فيها: "الحاج عبدالقادر وأتباعه ضرره على دولتنا أكثر وأمر، غير أننا أردنا بابا لسياسة، يكون فيه سد لباب الفتنة عن الجانبين (المغربي والفرنسي)، وحسم مادة الفساد من الجهتين، ومن غير ارتكاب قتال، يؤدي خسارة العامة واختلال أحوالها، فإن ذلك ما يقوي جانبه الضعيف، ويجد به السبيل، لما يرومه من التحريف"[1].

لقد أدى هذا الوضع الذي أصبح يعيشه الأمير عبدالقادر، إلى محاولة إنجلترا الضغط على المولى عبدالرحمن، من أجل التعجيل بحل الأزمة بطرق سلمية، دون اللجوء إلى مطاردة الأمير عبدالقادر إلى داخل الأراضي المغربية، ولذلك كان وزير الخارجية الانجليزي أبردين ABERDENE، قد كلف قنصله بمدينة طنجة جون ريموند هاي J.R HAY، بإقناع المولى عبدالرحمن، بضرورة إبعاد الأمير عبدالقادر نهائيا من المغرب، حتى ولو اضطر إلى استعمال القوة ضده، كما حذره من تداعيات اضطرارا القوات الفرنسية لاختراق الحدود المغربية، في حالة عجزه عن تنفيذ هذا الأمر.

وعلى الرغم من هذا الموقف، الذي أبداه الإنجليز تجاه الأمير عبدالقادر، فإن أطراف إنجليزية أخرى، ظلت تقدم دعمها للأمير عبدالقادر، نظرا لارتباط تجارتها بتجارة جبل طارق.

ولقد ظل السلطان يؤيد عدم اللجوء إلى القوة ضد الأمير عبدالقادر، لاقتناعه بحجم التأثير الذي اكتسبه الجزائريون في شرق المغرب والريف، وأن هذا التأثير هو الذي مكن الأمير عبدالقادر من التصدي لكل المحاولات والجهود، التي بذلت ضده طيلة وجوده بالأراضي المغربية، وفي رسالة بعثها المولى عبدالرحمن إلى بوسلهام بن علي، بيّن فيها الوضع الذي أصبح يعيشه المغرب، حيث قال فيها: "فقد وجهنا عامل الريف في محلة، وأمرناه بالسعي في فسخ وإفساد أمره، وفعل جهده، حتى ملت المحلة التي معه، وأبدلناها بغيرها، وما أغلق عليه باب، إلا فتح أخرى، لعدم استقامة تلك القبائل، واضطراب أمرها من قديم، فلا يخف حال أهل الريف وبني يزناسن، وهم أناس نيتهم قريبة من سكناهم في البلاد الوعرة، ولم

[1] المولى عبدالرحمان إلى لويس فيليب 07 ماي 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.18.F.226

نرد إنشاء القتال معهم لأن تلك هي الجسارة، وهي مراد الفتان، ليلتفوا حوله، وتزيد رغبتهم فيه، فكنا نحاول إخراجه بالسياسة، وبعد خروجه، تؤدب تلك القبائل وتحمل على الاستقامة.

ومن أجل مواجهة نفوذ الأمير عبدالقادر، الذي اغتنم فرصة تدهور سلطة المخزن، قام المولى عبدالرحمان بسلسلة من الإجراءات، وكان الهدف منها تضييق الخناق عليه، حيث شرع في تكثيف جهوده، وحشد القوى لوضع حد لنشاط الأمير في الأراضي المغربية، ومن أجل هذه الغاية، أصدر تعليماته لعامليه في مدنتي وجدة وتازة، حميدة الشجعي وبوزيان بن الشاوي، حيث أمرهما بجمع قواتهما، ومطالبة قبائلهما للاستعداد لطرد الأمير عبدالقادر من المغرب، باستخدام القوة العسكرية[1]، كما قام ابن عم السلطان، المولى إبراهيم بن عبدالمالك، بجمع قوة عسكرية في مدينة فاس، استعدادا لمواجهة الأمير عبدالقادر[2]، ولقد تجمعت هذه القوى في تافرسيت، شمال الريف المغربي، في شهر أفريل 1846، وكانت مهمتهما مراقبة تحركات الأمير عبدالقادر، وتضييق الخناق على دائرته[3]، ومن أجل دعم قوات المخزن المغربي، قام المولى عبدالرحمن بتعيين عامل جديد على الريف، وهو محمد بن عبدالمالك، الذي كان في مدينة طنجة[4]، ولقد كان هذا القرار لا يخص السلطان وحده، بل كانت قوى أخرى خارجية، هي التي حركت المولى عبدالرحمن لاتخاذ هذا الإجراء، بحيث كان ليون روش ودي شاطو متحمسان لاستقطاب هذا العامل إلى الريف، حيث بعث ليون روش برسالة إلى دي شاطو، قال له فيها: "إن تعيين بن عبو عاملا على الريف هو إحدى النتائج الكبرى التي حصلنا عليها، ومن قبل كنا نخشى أن لا يوافق السلطان عليه، بسبب حسن الاستعداد الذي كان يبديه تجاه المسيحيين"[5]، ولقد أدرك هذا العامل، الدور الذي لعبه ليون روش ودي شاطو في إقناع المولى عبدالرحمن، بتعيينه في هذا المنصب، حيث تعهد بمساعدتهما، وبمدهما بكل المعلومات السرية الخاصة بتحركات الأمير عبدالقادر، في دائرته بالريف المغربي، ولقد كان ليون روش يقيم في مدينة طنجة، منذ

---

[1] محمد بن إدريس إلى ليون روش 03نوفمبر 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.61-64
[2] المولى عبدالرحمن إلى لويس فيليب 20 نوفمبر 1846 163A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.
[3] محمد بن إدريس إلى دي شاطو 22 أفريل 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.195-196.
[4] محمد بن إدريس إلى المارشال بيجو 20 نوفمبر 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F. 164
[5] ليون روش إلى دي شاطو 5 ديسمبر 1845 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.169. 176

التوقيع على معاهدة لالة مغنية، وفي أوائل شهر فيفري، وصل محمد بن عبدالمالك الملقب بـ 'بن عبو" إلى الريف المغربي.

ومباشرة بعد وصول "بن عبو"، بدأ في تطبيق سياسته تجاه الأمير عبدالقادر، ومن والاه من المغاربة[1]، ولقد حاول ليون روش ودي شاطو إقناع المولى عبدالرحمان كذلك، بضم عمالة وجدة إلى سلطة بن عبدالمالك، بعدما أصدر قرار عزل حميدة الشجعي، بيد أنهما فشلا في محاولتهما[2]، علما أن قبيلتا أنجاد وبني يزناسن، كانتا قد طالبتا بإقالة حميدة الشجعي من عمالة وجدة، وذلك بعدما تقاعس، وتثاقل في تطبيق قرارات المولى عبدالرحمن[3]، ولقد حاول الجنرال مونتانياMONTAIGNAC*، تحديد أسباب عزل حميدة الشجعي، فذكر بأنه كان يعامل القوات الفرنسية الموجودة في الجزائر بكثير من الليونة[4]، بيد أن رفض بني يزناسن للشجعي وكرههم له، هو الذي جعلهم يصرون على المطالبة بعزله، كما ذكرت بعض المصادر، بأن الشجعي كان قد تلقى بعض الرشاوي من الفرنسيين، أثناء رسم الحدود، وقد أشار المولى عبدالرحمان إلى نقل خمسة آلاف ريال، من وجدة إلى طنجة بواسطة الفرنسيين بلالة مغنية، وهذا بترخيص من حميدة الشجعي، وقد أصدر السلطان قرارا بتحويل هذه الأموال مباشرة بعد وصولها إلى مدينة طنجة، حيث كلف عامل هذه المدينة بتحصيلها في الفاتح من جانفي 1846، وفي شهر ماي 1846 قام المولى عبدالرحمن بتعيين عامل جديد على مدينة وجدة وهو حمو الورداني[5].

لقد كانت الإجراءات التي قام بها المولى عبدالرحمن، بمثابة الحافز الذي شجع القبائل المغربية على تضييق الخناق على الأمير عبدالقادر، وإضعاف دائرته، ابتداءا من شهر جانفي 1846[6]، وفي نفس الفترة، قامت قبائل بني يزناسن بالتصدي لخليفة الأمير عبدالقادر عبدالقادر البوحميدي الولهاصي، وذلك بإطلاق النار عليه[7]، وفي نفس الشهر شرع الجنرال

---

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية 8 مارس 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.41-45

[2] دي شاطو إلى محمد بن إدريس 30 نوفمبر 1845 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.185-186

[3] ليون روش إلى دي شاطو 5 ديسمبر 1845 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.128-157.

* مونتنياك: ولد عام 1778 بفرنسا، تطوع في الجيش عام 1792، حارب في إسبانيا برتبة عميد عام 1809، أرسل كحاكم عام للجزائر عام 1841، وقاد القوات الفرنسية ضد الأمير عبدالقادر، الرجوع إلى أديب حرب، المرجع السابق، ص 505.

[4] P. AZAN, op.cit, p 233

[5] المارشال بيجو إلى دي ساطو 27 ماي 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.91-92

[6] دي شاطو إلى وزير الخارجية، 30 مارس 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.15.F.91-92

[7] I GYVER, op.cit, pp 214 – 216.

الجنرال في تجهيز حملة على قوات الأمير عبدالقادر، التي كانت معسكرة على الضفة الشرقية لنهر ملوية، بيد أن الجزائريين عندما سمعوا بالخبر، قام البوحميدي الولهاصي بنقل دائرة الأمير عبدالقادر إلى غرب ملوية، حيث نزلت القوات الجزائرية عند قبيلة قلعية[1]، وبالتالي فقد فشل الجنرال كافينياك في القضاء على دائرة الأمير عبدالقادر، واضطر إلى سحب قواته من ملوية، وأثناء العودة، قام بإرغام بعض اللاجئين الجزائريين إلى العودة إلى الأراضي الجزائرية[2]، ورغم ذلك، فقد أصر الفرنسيون على القضاء على دائرة الأمير عبدالقادر، حيث قام الجنرال بيجو بعرض اقتراح على الحكومة الفرنسية، للقيام بحملة عسكرية جديدة، بيد أنها رفضت، ذلك أن ليون روش، قد عارض الفكرة، لما لها من خطورة على المولى عبدالرحمن وعرشه[3].

وحسب المصادر الفرنسية، فإن الأوضاع قد ازدادت توترا في هذه الفترة، خاصة بعدما غير الأمير قيادة الدائرة، حيث كلف مصطفى بن التهامي بقيادتها، خلفا للبوحميدي الولهاصي، وكان أول إجراء قام به مصطفى بن تهامي، هو إعدام الأسرى الفرنسيين يوم 24 أفريل 1846[4]، بعدما تلقى تحذيرا من الأمير عبدالقادر، من احتمال حدوث هجوم ثنائي ثنائي منسق بين الفرنسيين والمغاربة على دائرته، من أجل إطلاق سراح هؤلاء الأسرى، كما طالب الأمير منه، أن يسخر كل الجهود من أجل إفشال هذه الخطة، وهكذا فقد فسرت المصادر إقدام ابن التهامي على قتل الأسرى، بخوفه ونقص المؤن، ومشاكل التموين التي كانت تعاني منها دائرته في المغرب، كما أشار شورشيل بأن سبب هذه الحادثة، هو قيام القوات المغربية بالاستعداد للهجوم على دائرة الأمير[5]، أما محمد بن عبدالقادر، فقد أشار إلى هذا الحادث، حيث ذكر بأن السبب، يكمن في الخلاف الذي وقع بين البوحميدي الولهاصي وبين ابن تهامي، بعدما رفض البوحميدي أوامر الأمير عبدالقادر، الذي طالبه بالعودة إلى الجزائر مع قوات جديدة، بيد أن البوحميدي لم يكتف بذلك، بل قام بتحريض بني عامر على العودة إلى بلادهم، أو طلب اللجوء إلى سلطان المغرب، كما أشار محمد بن

[1] I GYVER, op.cit, p 219.
[2] P AZAN, op.cit, p 315.
[3] DECOSSE BRISSAC, opcit, pp 140 – 142.
[4] P. AZAN, op.cit, pp 223 – 224.
[5] دي شاطو والى وزير الخارجية 4 جويلية 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.17.F.21.26

عبدالقادر إلى العامل الثاني، الذي تسبب في هذه الحادثة فذكر، بأن القوات المغربية عندما بدأت تستعد للزحف نحو دائرة الأمير عبدالقادر لتخليص الأسرى الفرنسيين، قد تسببت في توتر العلاقات، وإقدام ابن التهامي على قتلهم[1]، أما بول آزان، فقد حاول توضيح هذا الحادث، والتحقيق في ملابساته، حيث ذكر بأن الأمير عبدالقادر كان يقيم عند قبيلة أولاد سيدي الشيخ، وقد كلف مصطفى بن تهامي ومحمد بن عيسى البركاني باستلام الدائرة، ومطالبة البوحميدي الولهاصي بالعودة إلى الجزائر مع المرضى والجرحى، وقد رحل الرجلان في يوم 6 أفريل 1846، بيد أنهما وجدا الدائرة في ظروف جد متدهورة، خاصة مع عدم استعداد القبائل الجزائرية التي لجأت إليها للقتال في الجزائر، ونقص عدد قوات الجند، التي أصبحت لا تتعدى خمسمائة رجل، وكان هؤلاء مكلفون بحراسة الأسرى الفرنسيين، ونتيجة لهذه الظروف، فقد حدث خلاف حاد، بين ابن التهامي والبوحميدي الولهاصي حول مصير الأسرى الفرنسيين، فحلل بول آزان سبب القضاء على هؤلاء الأسرى، باحتدام الصراع بين البوحميدي وابن التهامي، وازدياد عبئ هؤلاء الأسرى على الدائرة[2]، ولقد حاول شارل أندري جوليان حصر سبب القضاء على الأسرى الفرنسيين، في رفض المارشال بيجو عقد لقاء للتفاوض مع الأمير عبدالقادر، من أجل حل مسألة الأسرى الفرنسيين، وذلك بتبادلهم، كما أشار إلى افتقاد الدائرة للمؤن اللازمة لمواجهة القوات المتحالفة، الفرنسية والمغربية.

لقد أدت هذه الأحداث والتطورات، التي عرفتها حملة الأمير عبدالقادر بالجزائر، إلى ضعفه أمام قوة فرنسا العسكرية، وحالة التفكك التي أصبح يعاني منها صفه، وتدهور أوضاع دائرته في المغرب، منذ شهر مارس 1846، خاصة بعدما تخلى عنه عدد كبير من القادة الجزائريين، حيث لجأ ميلود بن عراش مع عائلته إلى مدينة فاس[3]، ورحل محمد ولد بن عيسى البركاني إلى نفس المدينة[4]، كما تخلى أغلب رجالات بني عامر عن الدائرة، وتوجهوا إلى مدينة فاس، في 20 جوان 1846، حيث منح لهم المولى عبدالرحمن عدة

[1] محمد بن عبدالقادر، م، م، ص 464 – 465.

[2] CH, A, JULIEN, op.cit, 203.

[3] بن عبو إلى دي شاطو، 24 مارس 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.16.F.100.101

[4] بن عبو إلى ليون روش 19 ماي 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.16.F.223

امتيازات[1]، وقد أشار بون آزان إلى هجرة قبيلة بني عامر إلى مدينة فاس، حيث ذكر بأنهم كانوا خمسة عشر ألفا، وأنهم انتقلوا إلى مدينة فاس، تحت إشراف قوات محمد البركاني، وقد عبرت هذه القبيلة عن رفضها للاستجابة لأوامر الأمير عبدالقادر، الذي طالبهم بالالتحاق به في الجزائر، لمؤازرته في محاربة فرنسا[2]، وقد أكد محمد بن عبدالقادر بأن البوحميدي الولهاصي، هو الذي قام بتحريض بني عامر على الهجرة، نتيجة للصراع الذي كان قائما بينه وبين مصطفى بن التهامي[3].

وفي تقرير المارشال بيجو يوم 27 ماي 1846، ذكر بأن عددا من سكان الحشم وبني عامر، قد غادروا دائرة الأمير عبدالقادر، ولجؤوا إلى جبال بني يزناسن، وأن عددا منهم اضطر إلى العودة إلى الجزائر، وبقيت أعداد محدودة منهم في الدائرة[4]، أما دي كوسي بريساك، فقد أشار إلى فشل الأمير عبدالقادر، في الإبقاء على ولاء القبائل له، حيث تخلى عنه أغلب حلفائه، والتحقوا بالجزائر، أو هاجروا إلى مدينة فاس، وكان أهم الذين لجؤوا إلى المغرب الأخ الأكبر للأمير عبدالقادر محمد السعيد[5]، ولقد كان هذا الوضع الذي آل إليه الأمير عبدالقادر، وما تبقى من قواته، بمثابة النفس الجديد بالنسبة للمولى عبدالرحمن، الذي كتب إلى عامله بمدينة تطوان عبدالقادر أشعاش، حيث بشره بنجاح سياسته التي انتهجها تجاه الأمير عبدالقادر وقواته، وذلك بتشتيت صفه، وتفريق جمعه، فقال: "لم يبق أحد يتعصب به، إلا دخل ماعدا دواره، ودوار صهره، مصطفى بن التهامي، ودوار البوحميدي، فإن العاهل جاد بإدخالها أي الدائرة بداخل الإيالة، أو نفيها إلى الصحراء"[6].

وهكذا ومع تخاذل القبائل الجزائرية، ومطاردة القوات الفرنسية له، اضطر الأمير إلى التنقل من قبيلة إلى قبيلة، وبدأت قوته تنهار بالجزائر، مثلما انهارت دائرته بشرق المغرب، وفي ظل هذه الظروف، استقر عند أولاد سيدي الشيخ، غير بعيد عن الحدود المغربية، بيد أن رجالات هذه القبيلة، رغم حفاوة استقبالهم، فإنهم لم يبدو نيتهم في مؤازرته، ومساعدته

---

[1] المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي 4 سبتمبر 1846، خ، ح، م 4، مخ 21.

[2] P. AZAN, op.cit, pp 269 – 270.

[3] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 462 – 464.

[4] المارشال بيجو إلى دي شاطو، 27 ماي 1846 A.M.A.E.C.P.M.V.16.F.244.223

[5] DECOSSE BRISSAC, op.cit, 142 - 143.

[6] المولى عبدالرحمان إلى عبدالقادر أشعاش، 10جويلية 1846، خ، ج، م 4، مخ 21.

لمحاربة الفرنسيين، كما طلب منه مرابطو القبيلة بالابتعاد عنهم، وأن لا يجلب إليهم مشاكل هم في غنى عنها، وعليه فقد اضطر الأمير إلى جمع حلفائه، والتوجه نحو دائرته بالمغرب مع 600 فارس، حيث مر على فقيف، ووصل في 18 جويلية 1846[1]، وكان يأمل في إيجاد الأزر والمساندة من بعض القبائل المغربية، أو بعث نفس جديد لمواصلة جهاده، ومقاومة القوات الفرنسية، وتحرير بلاده، خاصة بعدما فقد عدد كبير من أنصاره، كأخويه مصطفى والسعيد، والخليفة بن سالم، وخليفته البوحميدي الولهاصي، الذي اعتقلته السلطات المخزنية بمدينة فاس، وهكذا وجد الأمير عبدالقادر نفسه، بعدما لجأ إلى الأراضي المغربية مرة أخرى، أمام جيش نظامي منظم، معبأ تعبئة كاملة، مصر على احتلال الوطن احتلالا شاملا وكاملا، كما وجد نفسه أمام خيانات، لم يستطع القضاء عليها، وبعدما سدت الأبواب، اضطر إلى شن هجومات خاطفة على مواقع القوات الفرنسية في الأراضي الجزائرية، ثم العودة إلى شرق المغرب، بيد أن سلطان المغرب لم يرض هذا الوضع، وقرر الدخول في حرب مباشرة، ومكشوفة مع الأمير عبدالقادر، وبضغط من فرنسا[2]، حيث كلف المولى عبدالرحمن ابنه سيدي محمد، بإعداد حملة شاملة لملاحقة الأمير عبدالقادر، والقضاء عليه، وذلك من خلال عدة رسائل بعث بها إلى ولي عهده، حاثا إياه بإعداد العدة لخوض حرب مكشوفة، تكون مسرحا لها الأراضي المغربية[3].

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 48.

[2] محمد الهادي الحساني، المصدر السابق، ص 48.

[3] HAMET, op.cit, p 141.

دور السلطان في إضعاف المقاومة الجزائرية:

نتيجة فشل الأمير عبدالقادر في بعث نفوذه وسلطته بالأراضي الجزائرية أمام قوات الفرنسيين، اضطر للعودة إلى المغرب، حتى يدعم دائرته، ويجدد التحالف الذي تم بينه وبين القبائل في الريف والشرق المغربي، ولقد كان هذا الإجراء الذي اتخذه الأمير عبدالقادر، بداية لمرحلة جديدة من العلاقات بينه وبين المولى عبدالرحمان، والتي تميزت بالتوتر والخلاف الحاد، والصراع المكشوف، ابتداءا من جويلية 1846، إلى غاية جوان 1847، حيث كثف السلطان جهوده ضد الأمير عبدالقادر، حتى يتفادى الدخول معه في حرب، ومع عدم قدرة المولى عبدالرحمان على إقناع الأمير عبدالقادر، اضطر إلى استخدام القوة ضده، والدخول معه في مواجهات عسكرية مكشوفة الجبهات، والتي استمرت حتى نهاية عام 1847، ولقد أشار كافينياك CAVIGNAC في رسالة بعث بها إلى لاموريسيار ، قال فيها: "إن الأمير عبدالقادر عندما لجأ إلى المغرب، فإن تفكيره كان صائبا، حيث اعتبر ذلك نجاحا، وأن وجود الأمير عبدالقادر في المغرب، سيؤدي إلى توتر علاقات هذا البلد مع فرنسا"[1]، ولذلك طالبت هذه الأخيرة، المولى عبدالرحمان بإرغام الأمير عبدالقادر على الخروج من الأراضي المغربية.

وعليه فقد بدأ الصراع بين الطرفين، بسبب حادثة اشتباك قبيلتي التسول ومكناسة مع الجيش المخزني، في نواحي مدينة تازة[2]، ولقد كانتا معارضتان لإدارة بوزيان بن شاوي، الذي كان عاملا على هذه المدينة، وفي هذه الظروف، كان الأمير عبدالقادر مع دائرته قد وصل إلى الأراضي القريبة من تازة[3]، حيث اتصل بالأحلاف، وبعث بوفد إلى قبيلة غياثة، وقام بمراسلة هذه القبائل، حتى تسمح له بالاستقرار بالقرب منها، على نهر ملوية[4]، وفي تقرير للقنصل الفرنسي دي شاطو يوم 21 سبتمبر 1846، ذكر بأن زعماء قبيلة غياثة، قد أعطوا الأمير عبدالقادر ضمانات ووعود بالسماح له بالاستقرار في أراضيها، بيد أنهم

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 270.

[2] I. HAMET, op.cit, pp 117 – 119.

[3] دي شاطو إلى وزير الخارجية كيزو 5 سبتمبر 1846 A.M.A.E.C.P.M.V 17.F 158-163.

[4] I. HAMET, op.cit, pp 117-119.

عادوا واعتذروا له، بعدما عجزوا عن تنفيذ ما وعدوه به[1]، ولما فشل الأمير في كسب تأييدهم، بادر بالاتصال بجيرانهم الكرارمة، الذين كانت علاقتهم بالسلطان المغربي جد مضطربة، وقد أشار المولى عبدالرحمان في إحدى الرسائل، التي بعث بها إلى ابنه سيدي محمد في 8 أوت 1846، إلى طلب بعض القبائل في إقليم تازة مساعدة الأمير عبدالقادر[2]، وقد أظهر في رسائله خشيته من أن يقوى نفوذ الأمير عبدالقادر في هذه المنطقة من أرض المغرب، نظرا لأهميتها الإستراتيجية والتجارية، ومن أجل ذلك، طلب من ابنه أن يسعى إلى مهادنة هذه القبائل، والتصالح معها، وكان أول إجراء قام به، هو إقالة بوزيان بن الشاوي من إدارته للمناطق المجاورة لمدينة تازة، وأبقاه في قيادة قبيلتي الكرارمة والأحلاف، ومن الإجراءات التي قام بها كذلك، أنه أصدر أوامره بمعاقبة جند سوس وقادة الودايا، الذين حملهم مسؤولية أعمال العنف التي وقعت مع القبائل الشرقية من المغرب، ولقد أجبرت هذه الأحداث المولى عبدالرحمان إلى تكثيف جهوده، من أجل الوقوف في وجه نفوذ الأمير عبدالقادر، الذي أخذ ينتشر، ويتعزز في الأراضي المغربية، وفي الرسالة التي بعث بها إلى خليفته في مدينة فاس، أشار السلطان إلى ضرورة وضع حد لنشاط الأمير عبدالقادر، وقد ذكر في بعض فقراتها ضرورة استغلال كل الإمكانات، وبذل مختلف الجهود، من أجل وضع حد لتصرفات عبدالقادر، الذي وصفه بـ "الفتان"، كما أكد على ضرورة طرده من المغرب، وتخليص القبائل المغربية من نفوذه خاصة بعدما أصبحت تكن عداوة شديدة للمخزن[3].

ومن أجل وضع حد لنفوذ ونشاط الأمير عبدالقادر في الإقليم الشرقي، أصدر المولى عبدالرحمان قراراته، القاضية بملاحقة الأمير عبدالقادر، حيث كلف قادة هذه المنطقة بنشر قواتهم، مثل بوزيان بن الشاوي، وعامل الريف محمد بن عبو، وعامل وجدة حمو الروداني، والمولى إبراهيم قائد القوة المخزنية المتواجدة بتافريست، كما قام السلطان بتدعيم هؤلاء القادة بالذخيرة والمؤن، وبألف فارس، تجمعوا في تافريست يوم 30 أوت 1846[4]،

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية كيزو 21 سبتمبر 1846 .A.M.A.E.C.P.M.V 17.F 148-188

[2] I. HAMET, op.cit, pp 114-117.

[3] I. HAMET, op.cit, pp 114-117.

[4] ابن عبو إلى وزير ليون روش 14 سبتمبر 1846 .A.M.A.E.C.P.M.V 17.F 189-191

وللوقوف في وجه الأمير عبدالقادر، وتضييق الخناق على دائرته، بعث السلطان بألفين وثمانمائة جندي إلى مدينة تازة، كما أمر قائد قبيلة الكرارمة حمدون بن عبدالرحمان الكرومي، بطرد الأمير عبدالقادر وأنصاره، وعدم التردد في تنفيذ هذه المهمة[1]، كما حذر القبائل التي ساندت الأمير من المخاطر، التي ستلحق بهم، في حالة تقديمهم المساعدة للجزائريين، حيث نبههم للعواقب السيئة والخطيرة، التي سيجلبها لهم "الفتان" من قبل القوات الفرنسية، حيث قال: "فإن ذلك الفتان جر البلاء لأهل الواسطة، حتى جرّأ عدو الدين عليها، حتى جاس وكسر شوكة أهلها، وزادهم انحيازا للكفر، وتوغلا في الشر، بإجلابه عليهم، وهب ما أبقت الفتنة من أموالهم، وحكم فيهم بحكم الطاغوت، من استحلال الدماء والأموال، وانتشار الفساد إلى العيال، فإذا ظهرت له بارقة من الكفار لجأ إلى حوزكم، واحتمى بكم، وجعلكم حجابا بينه وبينهم، ليجر لكم الفتنة والوبال، وقد كاد أن يزلزل يقينكم، ولو ساعدتموه لبدل دينكم، فإنه حملكم على مخالفة من أوجب الله عليكم طاعته، وبيعته في أعناقكم، جرأكم على عدم امتثال أمره، مع اعترافكم بالسمع والطاعة، في حال خلافكم، أصرموا حباله ومن معه، وأخرجوهم، وضيقوا عليهم، بمنع الأسواق"[2]، ونتيجة لهذه الإجراءات التي اتخذها المولى عبدالرحمان ضد الأمير عبدالقادر، ذكرت بعض المصادر، بأن هذا الأخير بادر بالإعلان أنه قرر مغادرة الأراضي المغربية[3]، وقد أشار هـ شورشيل بأن الأمير عبدالقادر كان يسعى في هذه الفترة إلى تموين دائرته بالمؤن، وقد أصدر المولى عبدالرحمان أوامره بمنع تموين دائرة الأمير، كما أمره بمغادرة المغرب، بيد أنه رفض الرحيل إلى الجزائر، وتعهد بعدم القيام بغارات على القوات الفرنسية، فكان رد فعل السلطان عنيفا، حيث أمر بالإغارة على دائرته[4].

وفي تحفة الزائر، ذكر محمد بن عبدالقادر، بأن المولى عبدالرحمان قد بعث إلى الأمير عبدالقادر برسالة، يأمره فيها بمغادرة الأراضي المغربية، حيث قال فيها: "إنه لا سبيل إلى خلاصك، إلا بأحد أمرين، إما أن تسلم نفسك إلينا، وإما أن تخرج من الحدود، فإن

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية 23 سبتمبر 1846 .A.M.A.E.C.P.M.V 17.F 148
[2] عبدالرحمن بن زيدان، المصدر السابق، ص 63 – 64.
[3] دي شاطو إلى وزير الخارجية 05 سبتمبر 1846 .A.M.A.E.C.P.M.V 17.F 158-163
[4] H. CHURCHILL, op.cit, pp 262- 263.

أبيت أن تجري أحدهما طوعا، فنحن نجريه كرها"[1]، ولقد وقف السلطان هذا الموقف، بعدما أصبح لا يثق في الأمير ووعوده، كما اعتبر تلك الوعود مناورات، كان يسعى من خلالها الأمير عبدالقادر إلى كسب الوقت، وفي هذا الخصوص، بعث برسالة إلى ابنه سيدي محمد في 23 سبتمبر 1846، حيث قال فيها: "وما بلغ عنه من الندم والتبري، والرجوع عما كان عليه، وأنه يتأسف، وينسب ما وقع فيه للكرارمة، فلا تثق بذلك، ولا تعتمد عليه، فإنه دجال، قلبه في جهة، ولسانه في أخرى، ولا عهد له، ولا ميثاق يقف عنده، ولعل ذلك منه دسيسة، وسعي في الإفساد لقلوبنا على الكرارمة، ليزيد في نفورنا منهم، ويحقق لهم ما زرعه في قلوبهم، قاتله الله، فجد في حسم مادته، وإبطال شعوذته، ومعاملته بنقيض مقصوده، ولا تغتر بما يقوى به، من لا تتميز عنده من نسبته للضعف والوهن، فإن أمره كذلك، ولكن يتوصل بحيله ومكائده وتلبيسه، بما لا يتوصل إليه بالقوة والعدة والعدد، ولو كان حاله على ما وصفت، ظاهره كباطنه، ما طال أمره، وما اتصل شده، ولا تقصر في تحريض العمال المقابلين، والقبائل على تعجيل طرده وأخذه، وإبطال كيده، وضعّف لهم أمره، وقلل فائدتهم في العجز عنه، وأيقظ حفائظهم، وذكرهم عاقبة مكرهم، وما يظمر من نكره، فإنه أعدى الأعادي للمسلمين، وفتنته أكبر عليهم من فتنة المشركين، لعدم وفائه بعهده، ولتعميته في كل عقد وقصد، وإيتاء هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه"[2].

وهكذا تشدد المولى عبدالرحمان في إجراءاته، التي اتخذها لتضييق الخناق على دائرة الأمير عبدالقادر، وابتداءا من 22 سبتمبر 1846، بدأت سياسة السلطان تعطي نتائجها، حيث فقد الأمير عبدالقادر حلفاءه في قبيلة قلعية، وبني توزين، وبعدما التحقت قوات بن عبو بقوات المولى إبراهيم، اضطر الأمير عبدالقادر للجوء إلى بلاد الأحلاف، في جنوب المغرب، ولقد أشار بن عبو، في رسالة بعث بها إلى ليون روش يوم 18 أكتوبر 1846، إلى سبب مغادرة الأمير لعين زورا، حيث ذكر بأنه تعرض لغارات، قامت بها قوات من قبيلة المطالسة، وكان هذا بأمر منه[3]، وعندما سمع المولى عبدالرحمان بالخبر، قام ببعث رسالة إلى ابنه يوم 23 سبتمبر، قال فيها: "علمنا نفع المحلة التي وجهت لابن

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 470.

[2] I. HAMET, op.cit, p 125.

[3] بن عبو إلى ليون روش 08 أكتوبر 1846 A.M.A.E.C.P.M.V 17.F 248-249

عمنا مولاي إبراهيم، وظهور أمرها في تلك الناحية، بانكسار شوكة الفتان، ووهن جانبه، حسبما ذلك بكتاب ابن عمنا المذكور، وابن عبدالمالك بن عبو، فذلك ما ينبغي"[1]، وعملا بأوامر المولى عبدالرحمان، فقد أقدمت بعض القبائل على منع الأمير عبدالقادر من التنقل عبر أراضيها، كما أعلن بعض الزعماء في القبائل الريفية استعدادهم، لمد قوات المخزن بالفرسان والرماة، وقد ذكرت المصادر، بأن قبيلة الكرارمة كانت من بين القبائل المغربية التي ساهمت في تضييق الخناق على دائرة الأمير عبدالقادر، وأن المطالسة قاموا بالاستيلاء على قافلة للأمير كانت محملة بالحبوب، وقد واجه البوحميدي الولهاصي غارات قام بها الأحلاف، وكان هذا الموقف الذي وقفته هذه القبائل، بمثابة الانقلاب الجذري في علاقاتهم مع الأمير عبدالقادر[2]، ونتيجة لما تعرض له من تحرشات، فقد ظل الأمير مكتفيا بالصمت مدة ستة أشهر، ابتداءا من شهر أكتوبر 1846، ومع حلول شهر مارس 1847، بعث برسالة إلى المولى عبدالرحمان، حذره فيها من استمرار تغاضيه عن تحرشات القبائل، ونبهه بنتائجها، حيث قال فيها: "إني كاتبتكم أولا، والتمست منكم كف ضرر قبائلكم المجاورة لنا، وتعديها على من تبعني، وسوء معاملتها لهم، لأنهم كلهم أولاد دين واحد، وشريعة واحدة، فلم يأتني جواب عن ذلك، ولم يحصل لهم ردع من طرفكم، ومع هذا أنت صابر، ومتحمل لما يجرونه، كراهة سفك دماء المسلمين ستة أشهر، طمعا في رجوعهم عن البغي والطغيان، إلى العدل والإحسان، مع قدرتي عليهم في كل آن، فإن لم تردعهم الآن عن أفعالهم، وترجعهم عن قبيح تصرفاتهم، ألتزم المحاماة عن حقوقي، والمحافظة على شرف أتباعي"[3]، وبعد هذه الرسالة، قام الأمير عبدالقادر بجمع قواته، واتفق أعيان جيشه على الثبات والبقاء في دائرتهم، والجهاد حتى الموت، لنصرة الدين والوطن، كما قام بمكاتبة علماء الأزهر الشريف، من أجل الحصول على فتوى شرعية في الأوضاع التي أصبح يعيشها، حيث شرح لهم أحوال الجهاد في الجزائر، وما يتعرض له من مشاكل شتى[4]، ومن خلال الرسالة التي بعث بها الأمير، يمكن القول بأنه كان يلتمس سندا شرعيا من طرف مفتي المذهب المالكي بمصر، الشيخ محمد عليش، وقد جاء هذا القرار، بعد

---

[1] I. HAMET, op.cit, p 125.

[2] دي شاطو إلى وزير الخارجية 04 نوفمبر 1846 A.M.A.E.C.P.M.V 17.F 244-247

[3] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 470 – 471.

[4] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 471.

إدراكه بدنو ساعة الحسم، والمواجهة المكشوفة، بينه وبين المولى عبدالرحمان، وفي تحفة الزائر، قام محمد بن عبدالقادر، بنشر أسئلة الأمير عبدالقادر، وأجوبة شيخ المذهب المالكي بمصر، ومن خلال الاطلاع على الأسئلة، يمكن إدراك أمور عديدة كانت في مجملها تدين السلطان المغربي، حيث قام الأمير بجرد كل ما قام به المولى عبدالرحمان، من أفعال وأقوال تسيء إلى المسلمين الجزائريين، وتضعف شوكتهم، وتحفز الكفار على القضاء عليهم، حيث ذكر بأن السلطان أصدر أوامره بعدم السماح بوصول المؤن، ومنع تموين الأمير بالسلاح والرجال، كما أمر بترك الجهاد، تنفيذا لالتزامه أمام القوات الفرنسية في معاهدة الصلح، كما أكد في رسالته، على تحريض السلطان للقبائل المغربية، وسعيها للقبض عليه، وطرده من المغرب، وقد أشار هـ شرشيل، محاولة رجل من المخزن المغربي، الذي تسلل خفية إلى الخيمة، التي كان يقيم فيها الأمير بعين زورا وأراد اغتياله[1]، وعليه، فلقد كانت أسئلة الأمير عبدالقادر، ترتكز أساسا حول موقف الفقه، من تصرفات المولى عبدالرحمان، والإلحاح على تحريمها، مع تحريم معاهدة السلام التي أبرمها المغاربة مع الفرنسيين، وضرورة الجهاد، جهاد الكفار، وأعداء الدين، ومن والاهم، وبالتالي فقد كان سؤال الأمير في نهاية شكواه: "هل يجوز مقاتلة السلطان؟"، وقد أشار محمد بن عبدالقادر إلى رد الشيخ عليش عن أسئلة الأمير عبدالقادر، فذكر بأن الأجوبة كانت مطابقة لما كان يطمح إليه الأمير، حيث استهل رسالته بقوله: "وما كان يخطر ببالنا أن يصدر من مولانا السلطان عبدالرحمان، وفقه الله، مثل هذه الأمور مع مثلكم"، وعليه فإن الشيخ قد أصدر فتوى شرعية، بوجوب قتال السلطان، والثبات في جهاده[2]، وبهذه الفتوى تسلح الأمير عبدالقادر، وبدأ في تجميع قواته من أجل الوقوف في وجه القبائل المغربية، التي كانت تضايقه، وتهدد دائرته، وقد تمكن من جمع ألف ومائتي فارس وثمانمائة راجل، وشرع في القيام بدوريات في الإقليم الشرقي، حيث تمكن من اعتقال الكثير من المغاربة، الذين وقفوا في وجهه، وتجهيز الدائرة بالمؤن والذخيرة[3]، وفي تحفة الزائر، ذكر محمد بن عبدالقادر، الظروف والتطورات التي عرفها الأمير عبدالقادر، بعد

---

[1] Ch. H. CHURCHILL, op.cit, p 263 – 266.

[2] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 476.

[3] P. AZAN, op.cit, p 286.

حصوله على فتوى الشيخ عليش فقال: "لم ير بدا من أن يحمي حوزته، ويدوخ النواحي التي هو مقيم فيها، أنذر وأعذر، وأرعد وحذر، ثم بطش بأهل الفساد، ومهد ما قرب منه، ومد يده إلى إقامة الأحكام الشرعية فيهم، وأخذهم بالرهبة، وبالغ بذلك حتى لاذوا بالطاعة، وتذرعوا بالخضوع، فأزال ذلك عن المهاجرين ما أهمهم وأغمهم، وأدركوا من رضا العيش وبعد الصيت، ما حرك من سلطان مراكش السواكن، وأوقعه في الخوف على ملكه، ثم بلغه أن أهل فاس، قاعدة مملكته، وغيرهم من أهل العصبية، بعثوا إلى الأمير يدعونه إلى الاستيلاء على بلادهم، وأخذهم بنصرته، فازداد غضبا"[1]، ومن القبائل التي قام الأمير عبدالقادر بتأديبها، قبيلتي المهايا والأحلاف، قبيلة الحميان، القريبة من الحدود الجزائرية، وقد عاد من هذه المناطق محملا بالخيام، والجمال، والثيران، والماشية، حيث استغل هذه الغنائم من أجل تجهيز دائرته، ومد رواتب جنده، ونتيجة للانتصارات التي حققها، وتخاذل المولى عبدالرحمان، الذي بقي في مدينة مراكش، قامت بعض القبائل بإبداء نيتها في التعاون من جديد مع الأمير عبدالقادر، ومن بينها بني يزناسن، المطالسة، كبدانة وبني توزين، وقد اضطر مرابط هذه القبيلة محمد بن عبدالرحمان التوزيني إلى الهرب، خوفا على حياته من بطش الأمير عبدالقادر[2].

وعندما علم الفرنسيون، بالانتصارات التي أحرزها الأمير عبدالقادر في الإقليم الشرقي من المغرب، قام القنصل الفرنسي، برفع شكوى إلى محمد بن إدريس، متهما قوات المخزن بالضعف، وعدم الفاعلية، نظرا لقلة عددها، كما اقترح مضاعفة هذه القوات، بإرسال قوات مخزنية جديدة، من عبيد البخارى وغيرهم، من أجل منع القبائل من التحالف مع الأمير عبدالقادر، وقد أكد القنصل، بأن سكان الريف، اشترطوا مقابل محاربة الأمير عبدالقادر، أن يقوم السلطان في البداية بالغارة عليه بقواته[3].

ونتيجة لتردي العلاقة بين الأمير عبدالقادر والمولى عبدالرحمان، ولخطورة الأوضاع، التي أصبح يواجهها ابتداءا من شهر أفريل، وفي ظل هذه الظروف، عمل على إقناع جهات أخرى، كي تتدخل لدى السلطات الفرنسية، من أجل إقناعها بعقد الصلح معه،

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 487 – 490.

[2] DE COSSE BRISSAC, op.cit, p 153.

[3] دي شاطو إلى محمد بن إدريس مارس 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 18.F 245 - 256.

حيث قام ببعث الرسائل، إلى الملكة الاسبانية إيزابيل الثانية، وإلى حاكم مدينة مليلية بينيتو BENITO، حيث طلب منه السماح لقادته بالدخول إلى المدينة، من أجل تموين دائرته بكل ما تحتاجه، من أسلحة وذخيرة، ومواد غذائية، وقد حصل الأمير على هذا الامتياز، بيد أن طلب التوسط لدى الفرنسيين، لم يحصل الأمير على جواب نهائي حوله[1]، وقد أدى هذا النجاح الذي حصل عليه الأمير عبدالقادر، إلى تخوف المخزن المغربي، وازدياد التوتر بين القبائل، حيث بعث المولى عبدالرحمان برسالة إلى ابنه يوم 07 ماي 1847، وأمره فيها بالعمل على وضع حد، للنزاع الذي نشب بين قبيلة زمور وبني مطير، وذكر بأنه في ظل هذه الظروف، هو غير مستعد لمواجهة هذه المشاكل، وأنه في صدد التصدي للمشكل الكبير، وهو عبدالقادر، فقال: "ونحن الآن نراعي أمر الفتان الحاج عبدالقادر، فقد بلغنا استفحال أمره، وانتشار ضرره، ونريد أن نسعى في أمر الألفة والجماعة ما أمكن، ليكون ذلك عونا على ما نحاول من اجتثاث أصله، وحسم مادة إفساده، ولا شيء أعون على ذلك من صلاح القبائل، واستقامة خدمتها"[2]، وحتى يتمكن السلطان من وضع حد لنشاط الأمير عبدالقادر، والقضاء على نفوذه ودائرته، قام باستدعاء الأطراف التي كانت مخلصة له، مثل محمد بن عبدالرحمان التوزيني، وبوزيان بن شاوي، بالإضافة لبعض زعماء القبائل، التي لم تجدد تحالفها مع الجزائريين، وقد أسفر هذا اللقاء عن الاتفاق بتجهيز قوة جديدة من الجيش المخزني، تتكون من ألفين وخمسمائة فارس، بالإضافة إلى عدة قطع مدفعية، وعين على رأس هذه القوة، قائد قبيلة الشراكة عبدالكريم بن محمد الشرقي، والمولى حسن، ابن عم المولى عبدالرحمان[3]، كما بعث بقوة إضافية من الفرسان، وجعل على رأسها في الريف محمد بن سالم الأحمر، الذي عُوّض ببن عبو، وقد تعهد هذا القائد بالقضاء على الأمير عبدالقادر[4].

وفي ظل هذه الظروف، اقترحت القوات الفرنسية، تكوين قوة عسكرية موحدة للقضاء على الأمير عبدالقادر، وذلك بشن غارات مغربية من الشرق، وفي نفس الوقت يقوم

---

[1] يحيى بوعزيز، اللقاء التاريخي، مجلة الثقافة، العدد 75، 1983، ص 114 – 117.

[2] عبدالرحمن بن زيدان، المصدر السابق، ص 79 – 81.

[3] DE COSSE BRISSAC, op.cit, p 154 - 155.

[4] دي شاطو إلى وزير الخارجية 24 ماي 1847 .A.M.A.E.C.P.M.V 18.F 317 - 318

الفرنسيون بمواجهته في الجهات المقابلة، وقد حرصت القوات الفرنسية على سرية العمليات وسرعتها، ونظرا لاعتقاد المغاربة بأن قضية الأمير عبدالقادر ودائرته سهلة، وإمكانية حلها في وقت قصير، كان الرد سلبيا على اقتراحات دي شاطو، حيث بعث محمد بن إدريس العمراوي برسالة يوم 18 ماي 1847، أشار فيها إلى قدرة المخزن المغربي، على وضع حد لنشاط الأمير، دون تدخل أطراف أخرى[1]، ولقد قام في هذه الفترة شيخ الزاوية الطيبية الحاج العربي الوزاني، ببعث رسالة إلى الجزائريين المنتمين إلى طريقته، دعاهم فيها إلى الكف عن محاربة القوات الفرنسية، واتهم الأمير عبدالقادر باستغلال مشاعر المسلمين، لتحريضهم على الجهاد باسم الدين.

ونظرا لازدياد حدة التوتر بين المغاربية والجزائريين الثائرين، حاول الأمير عبدالقادر التخفيف من هذا التوتر، حيث اقترح على الطرف المغربي فكرة انسحابه إلى الصحراء، في رسالة بعث بها إلى شيخ قبيلة الكرارمة، حمدون بن عبدالرحمان الكرومي، وقد أوصل هذا الأخير اقتراح الأمير، بيد أن السلطان رفض الفكرة في 20 ماي 1847، وقال في رسالة بعث بها إلى ابنه: "فقد كتبوا بوعده بالخروج المرة بعد المرة، ولم يف لهم، وأظن أن هذا منه حيلة ومكيدة، وأنه يحاول أمرا ينتظر تمامه، وبمثل هذا كان كتب في أول أمره، حيث أمرناه بالدخول داخل الإيالة، أو الخروج عنها، فموه بأن الوباء نزل بمن معه، حتى لم يجد من يدفن الموتى، ووعد بالوفاء عند ارتفاع العاهة عنهم، وأعلم أنا فهمنا مقصود الكرارمة، بما أشار إليه ابن عبدالرحمان في كتابه، من أن الفتان طلب منهم أمورا، ووجدوها، ورغبوا في إنجازها، وهو أن يتركونه لنا خيالا يخوفوننا به، ويموهون به علينا، قبحهم الله وقبحه، فتفطن أصلحك الله لدسائسهم وتلبيساتهم، وإياك أن تقبل لهم شروط مكرهم، أو تصغي إلى تلبس نكرهم، وكن من أمرهم على بال، فإن فساد أهل الزمان في ازدياد"[2]، ومن خلال الطرح الذي قدمه ولي العهد سيدي محمد، يتضح بأن الأمير اقترح الانسحاب إلى الصحراء، تفاديا للوقوع في اصطدام مع قوات المخزن، ويظهر هذا التحليل في الرسالة التي بعثها إلى أبيه المولى عبدالرحمان، في الفاتح من شهر جوان 1847، قال

[1] محمد بن إدريس الحمراوي إلى دي شاطو 18 ماي 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 18.F 324 - 325.

[2] I. HAMET, op.cit, p 128.

فيها: "وخبر الشيطان عبدالقادر عنا قدمناه لسيدنا، وهو أن أمره اضمحل، وعزم على الخروج للصحراء، وجعل يقدم ضعفاء دائرته أمامه، وارتحل من المطالسة إلى بني توزين، ومنهم إلى بني وليشك وبني سعيد، يوهم أنه يخرج لصبرة، ومنها إلى الصحراء، وذلك لما كان سمع به من قدوم سيدنا لهذه النواحي، لأنه تحقق بأن ذلك المحل لا يسعه إن قدم إلينا، ثم لما بلغه أن سيدنا لم يظهر له الآن، تحرك من الحوز، وبقي بمحله الذي نزل به أخيرا، ببني وليشك وبني سعيد، ولا يخره إلا القهر"[1].

وبالفعل، فقد وجه المولى عبدالرحمان حملة عسكرية، على دائرة الأمير عبدالقادر، التي كانت متمركزة في جبال الريف، وكان على رأس القوات المغربية القائد محمد بن سالم الأحمر المالكي العروي، وابن أخ السلطان المولى هاشم، وقد تصدى الأمير لهذا الهجوم، كما قام بشن هجمات بالليل، تمكن على إثرها من القضاء على القائد الأحمر، والحصول على غنائم كثيرة[2]، وقد تحدث محمد بن عبدالقادر عن هذا الحادث، حيث ذكر بأنه وقع في شهر جوان 1847، عندما كان أبوه، أي الأمير عبدالقادر، معسكرا في بني طوزين والمطالسة، فوجئت قواته بهجومات، قامت بها قوات المخزن المغربي، بيد أن فرسان الأمير تمكنوا من إفشال هذا الهجوم، وبعد ذلك راسل الأمير القائد الأحمر، وقدم له اعتذاراته عما وقع، كما طلب منه الصلح، وأظهر نيته في السلم، بيد أن هذا القائد رفض هذه الاقتراحات، وأصر على مطاردة الجزائريين وحلفاءهم، فعاد الأمير في محاولة يائسة لإقناع الأحمر، بعدم مقاتلة المهاجرين المسلمين الجزائريين، وحذره من عواقبها، ولما أبى الأحمر ذلك، جمع الأمير مائتي فارس، وقام بغزو تافريست، وتمكن قادته من القضاء على القائد الأحمر، واستئصال رأسه[3]، وقد تحدث لنا دي كوسي بريساك عن هذه الحادثة، من خلال روايات مغربية، حيث ذكر بأن الأحمر توجه إلى تافريست، وكان يقود ثلاثمائة فارس، وكانت مهمته هي طرد الأمير عبدالقادر، الذي كان قريبا منه في بني توزين مع دائرته[4]، وفي ظل هذه الظروف حاولت القوات الفرنسية إقناع الأحمر باستمالة رؤساء القبائل إليه بالمال، وأكدت استعدادها لتمويله، غير أن السلطان عندما سمع بذلك، أمره

---

[1] I. HAMET, op.cit, p 132.

[2] أكنسوس، المصدر السابق، ص 20 – 21.

[3] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 487 – 490.

[4] De COSSE BRISSAC, op.cit, p 155 – 156.

برفض هذا الاقتراح، وبعث له إمدادات عسكرية جديدة، تمثلت في ألف فارس، وأربعمائة من الجند النظامية، وقبل وقوع الصدام، طلب الأمير منحه مهلة من الوقت، حتى يتمكن من مغادرة المغرب والنزوح نحو الصحراء، بيد أن المولى عبدالرحمان رفض، وأوصى ولي عهده بتنفيذ أوامره، حيث قال: "فأوصي الأحمر بالتحريض، والحرص على قضاء الأمر، من غير طول، يوجب الملل والضجر"[1]، وحسب المصادر الفرنسية، فإن الأمير عبدالقادر، عندما سمع بأن المغاربة سيعاودون شن هجماتهم على دائرته، شرع في تهيئة أنصاره، كما قام بجمع حلفائه كبني يزناسن وبني بويحي والمطالسة والقلعية، وقد تمكن من جمع ما يقارب عن خمسة آلاف رجل، وعزم على التصدي للقوات المخزنية، التي كان يقودها الأحمر، وفي 07 جوان 1847، قام بمحاصرة معسكر هذا الأخير، ثم بعث له بالبوحميدي الولهاصي من أجل الاتصال به، والتفاوض معه حقنا للدماء، بيد أن بعض الجند المغاربة قاموا بإطلاق النار على الوفد الجزائري، فسارع البوحميدي بمهاجمة القائد الأحمر وقتله[2]، وبعد ذلك انسحبت قوات الأمير عبدالقادر من المعسكر المغربي، وبدورها، بادرت قوات المخزن بالعودة إلى مدينة فاس[3]، وعند سماع المولى عبدالرحمان بخبر اغتيال القائد الأحمر، وصف الحادث بالكارثة، والمصيبة الأخطر من الهزيمة، التي مني بها الجيش المغربي في إيسلي، وقد كتب رسالة في هذا الموضوع، إلى ابنه سيدي محمد يوم 18 جوان 1847، قال فيها: "وقد كانت واقعة النصارى بوجدة أخف، لأن النصراني فعل ما فعل، وأقلع ورجع أدراجه، وهذه الواقعة هي الطامة، لظهور هذا الشيطان المتلبس، إننا كنا نظن أن الشيطان لا يبلغ به هذا المبلغ، حتى يتمحض للعناد، ويفسد دينه، بما ارتكب من الإفساد، فإنه استفزه الشيطان للظلال، وأوقعه في هوة الوبال"[4].

وفي رسالة بعث بها محمد بن إدريس الحمراوي في نفس اليوم إلى دي شاطو، قال فيها: "لقد انتهى وقت الصبر والأعذار، ولم يبق اليوم لعبدالقادر، غير الانتقام الإلهي، وعلينا أن نزيل من الوجود آثار خطواته"[5]، وعن أسباب الهزيمة، اعترف السلطان بأنه

[1] يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 113.
[2] دي شاطو إلى وزير الخارجية 22 جوان 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 18.F 338 - 346.
[3] دي شاطو إلى وزير الخارجية 16 جوان 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 18.F 333 - 334.
[4] I. HAMET, op.cit, p 136.
[5] محمد بن إدريس إلى دي شاطو 28 جوان 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 18.F 333 - 334

أخطأ في اختيار القائد، لأن الأحمر كان لا يحبه سكان الريف، وقد أكد زعماؤهم ذلك، عندما عين المولى عبدالرحمان قائدا جديدا لهم، وهو محمد بن عبدالصادق، حيث قالوا له: "إننا لا نعرف سلطانا غير الشريف، ومرحبا ألف مرحبا، بالرجال المرسولين من قبله بنيات حسنة، والله هو الذي عاقب القائد الأحمر، على نيته السيئة وعداوته لنا، ولكن سلطاننا هو دائما سلطاننا"[1]، ولقد حاول ابن عبدالصادق، تحليل موقف سكان الريف من الأمير عبدالقادر، حيث قال بأنهم يبحثون عن الاستقرار والأمان، وهم لا يمانعون إذا رحل الأمير عبدالقادر عنهم، ولكنهم في نفس الوقت، سيدافعون عنه إذا بقي عندهم، وفي رسالة بعث بها المولى عبدالرحمان، إلى ابنه سيدي محمد بتاريخ 05 جوان 1841، والتي أوضح فيها ضعف القائد الأحمر، وتسرعه واستبداده بالرأي، حيث قال: "وأخبرت أن الأحمر، هو الذي استعجل الأمر قبل أوانه، واستبد برأيه، حتى أنه لم يعلم المرابط التوزيني بما أجمع عليه من الضرب، وكون محمد الولشيكي غائبا عندك، فذلك الذي أداه إليه اجتهاده، وقد أدى ما عليه، وإنما أفسد عمله فرار من معه"[2].

وبعد حادثة اغتيال القائد الأحمر، شرع ولي العهد سيدي محمد، باتخاذ عدة إجراءات، للتصدي للأوضاع التي نشأت، ومن بين هذه التدابير قام بإرسال قوة عسكرية على رأس أبي محمد الشرقي، وكانت تتكون من ثلاثة آلاف رجل، حيث وصلت إلى مدينة تازة في أواخر شهر جويلية، وقامت بتأديب قبيلة غياثة[3]، كما تعززت قوات قائد بني يزناسن ميمون ولد البشير، وقائد الأحلاف بوزيان بن شاوي، ومن الإجراءات التي قامت بها السلطة المغربية كذلك، تعيين محمد بن عبدالصادق عاملا على الريف، وقد أبدى هذا الأخير استعداده للتعاون مع السلطات الفرنسية، من أجل القضاء على الأمير عبدالقادر، وكانت سياسة هذا القائد تعتمد على تأثير الأموال، أي إغراء زعماء القبائل المساندة للأمير عبدالقادر بالأموال لاستمالتهم، ومن ثم عزله، حتى يسهل للقوات المخزنية القضاء عليه، وبسرعة، كما اشترط مؤازرة قائد وجدة له، وبقاء القوات الفرنسية على الحدود[4]، وقد وعد دي شاطو بوزيان بن شاوي بمكافأة مالية عالية إذا حرص على تقديم الدعم لابن

---

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية 23 جوان 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 18.F 347 - 355.

[2] I. HAMET, op.cit, p 136.

[3] عبدالرحمن بن زيدان، المصدر السابق، ص 81 – 83.

[4] DECOSSE BRISSAC, op.cit, pp 162 – 163.

عبدالصادق، كما طلب من شيوخ بعض قبائل الريف، تقديم مساعداتهم من أجل وضع حد لنشاط الأمير عبدالقادر شرق المغرب، وقد اعتمد كذلك دي شاطو مع ليون روش سياسة الإغراء مع بعض الزعماء، مثل شيخ بني وليشك محمد بن الحاج أحمد الوليشكي[1]، بالإضافة إلى شيخ بني سعيد محمد العطاري[2]، الذي استفاد من القوات الفرنسية، وتلقى عدة هدايا، كانت أهمها ثلاثين بغلا محملا بالذخيرة، ومن الإجراءات التي قامت بها السلطة المغربية، قيام ولي العهد بإصدار تعليماته للقائد محمد بن عبدالصادق، من أجل عدم التعرض لسكان الريف في الأسواق، والتغاضي عنهم وتحسين معاملته معهم، رغم تأييدهم للأمير عبدالقادر، وفي ظل هذه الظروف كان هذا الأخير قد رحل إلى بلاد قلعية، بعدما انقسمت بلاد الريف إلى فئتين، واحدة مؤيدة له والأخرى رافضة[3]، وفي نفس الوقت، وصلت إلى ليون روش ودي شاطو تقارير من قبيلة بني سعيد، أكدت بقاء بعض القبائل المغربية مؤيدة للأمير عبدالقادر، وقد أشارت إلى المطالسة، وبني بويحيى بالريف، وغياثة والتسول، والبرانس قرب تازة، وقسم من قبيلة الأحلاف، أما القبائل التي ناصبت العداء للأمير، فأشارت هذه التقارير إلى قسم من قلعية، التي تعرضت إلى حملة تأديبية، بعدما أقدمت على شن هجمات على بعض أنصاره، ونهبت متاعهم، وقد قام الأمير كذلك بتغريم هذه القبيلة، وأجبرها على إرجاع ما أخذته من أنصاره[4]، وقد أدت هذه الحادثة إلى تخوف قبائل الريف، وإصابتها بالإحباط والفشل، والخوف، من بطش الأمير عبدالقادر، رغم قلة من معه مقارنة بالقوات المخزنية[5].

وحسب المصادر التاريخية المغربية، فإن الأمير عبدالقادر، ابتدءا من شهر جويلية 1847، أصبح معزولا، حيث أشار المولى عبد الرحمان في تقرير بتاريخ 20 جويلية من نفس السنة، بأن القبائل الريفية كلها، أصبحت ضد الأمير عبدالقادر، بسبب بطشه بقبيلة قلعية، ولم يبق له من الحلفاء في الريف المغربي سوى المطالسة، وبني بو يحيى، وقسم من

---

[1] محمد الوليشكي إلى دي شاطو 01 جويلية 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 19.F 32.

[2] محمد العطاري إلى دي شاطو A.M.A.E.C.P.M.V 19.F 58 - 59.

[3] مرابط بن سعيد إلى ليون روش 28 جوان 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 19.F 27 - 31.

[4] مرابط بن سعيد إلى ليون روش نفس المصدر A.M.A.E.C.P.M.V 19.F 27 - 31.

[5] I. HAMET, op.cit, p 139.

بني توزين[1]، وقد أكد دي كوسي بريساك، بأن ابن عبد الصادق قد استغل حادثة قلعية ضد الأمير عبدالقادر، واستطاع إقناع بعض القبائل بعدم السماح له بالدخول في أسواقها[2]، ومع هذا الضغط الذي أصبح المخزن المغربي يستخدمه ضد الأمير، حاول هذا الأخير اغتنام فرصة وجوده قرب مدينة مليلية، حيث التقى بحاكمها الاسباني بنيتو، يوم 18 جويلية 1847، وحاول الأمير إقناع هذا الحاكم، بالتوسط لدى السلطات الفرنسية من اجل السماح له بالعودة إلى بلده الجزائر، وإبرام معاهدة صلح معه، وقد تمكن الفرنسيون من الحصول على تقارير، حول لقاء الأمير بحاكم مليلية، بيد أن حاكم وهران لم يحصل على تفاصيل هذا اللقاء[3]، ولقد ذكر دي شاطو بأن الأمير عبدالقادر، حاول في هذه الظروف تحسين علاقته مع المولى عبد الرحمان، حيث بعث له برسالة،أراد بها إظهار استعداده للرحيل إلى أي مكان يعينه له، كما أكد له بأنه خادم أمين، وتحت أمره، غير أن المولى عبد الرحمان لم يصدق هذه الأقوال، واعتبرها مجرد خدعة جديدة، كما شبه الأمير عبدالقادر بالحرباء في تلونها[4]، وأمام هذا الموقف الحرج الذي صار عليه الأمير عبدالقادر، بدأ يوجه اهتماماته، ويبذل جهوده من أجل إقناع القبائل الجزائرية التي رحلت إلى مدينة فاس منذ 1846م بالرجوع، وكان هذا الأمر يتعلق بقبيلتي بني عامر والحشم، ولقد حاولت بعض المصادر المغربية تحليل هذه الحقيقة التاريخية، مثل الناصري صاحب الاستقصاء، وأكنسوس في الابتسام، حيث ذكر هذان المؤرخان بأن الأمير عبدالقادر، دبر مكيدة مع بني عامر والحشم، عندما بعث بهم إلى مدينة فاس، وطالبهم بالتظاهر بالفرار منه، وكانت نيته أن يدخل المدينة، ويستعين بهم للسيطرة عليها[5]، أما محمد بن عبدالقادر، فأشار إلى أن هاتان القبيلتان، قد تحركتا من مدينة فاس، من أجل العودة إلى دائرة الأمير عبدالقادر، بعدما سمعتا بالانتصارات التي حققها بتافريست، وأنه جاء إلى المناطق القريبة من مدينة تازة،

---

[1] مرابط بن سعيد إلى ليون روش 28 جوان 1847، م، م. محمد بن الصادق إلى دي شاطو 15 جويلية 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 19.F 46

[2] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 139.

[3] حاكم وهران إلى الحاكم العام بمدينة الجزائر 14 أوت 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 19.F 49

[4] المولى عبدالرحمن إلى سيدي محمد 15 جويلية 1847، خ ح، م، 4، مخ 22.

[5] أكنسوس، المصدر السابق، ص 20 – 21.
أبو العلاء إدريس المصدر السابق، ص 428.
الناصري، المصدر السابق، ص 56.

بغية حماية الحشم وبني عامر أثناء تحركهما[1]، وقد جاءت رواية دي كوسي بريساك وميشو، مطابقة لما أشار إليه محمد بن عبدالقادر في تحفة الزائر[2]، حيث أكدت الوثائق الفرنسية، بأن القبائل الجزائرية، التي نزحت إلى الأراضي المغربية قرب نهر سبدو، بدأت تبدي نيتها في مغادرة المنطقة منذ شهر مارس 1847، والرحيل إلى بلادها الجزائر، وقد تقدمت هذه القبائل بطلبات إلى القنصل الفرنسي بطنجة، بيد أنه رفض هذه الطلبات، بعدما حذر المارشال بيجو حكومته من عودة هذه القبائل[3]، وقد أتاحت هذه الظروف، الفرصة للأمير عبدالقادر لتدعيم نفوذ دائرته بهذه القبائل، حيث جرت اتصالات بينهم وبينه، وتم الاتفاق على أن يخرج بنو عامر والحشم من المنطقة التي كانوا فيها، قرب بلاد الشراكة عند نهر سبدو، ويستقرون قرب الحياينة، على أن يلتقي بهم الأمير في مكان يعرف بالكعدة الحمراء، وفي شهر أوت، تحرك الأمير عبدالقادر، مع عدد من فرسانه، في اتجاه مدينة تازة، وقد أحدث هذا الأمر اضطرابا في بعض القبائل الموجودة في تلك الناحية، حيث أشار المولى عبد الرحمان، في رسالة بعث بها إلى ابنه يوم 18 أوت 1847، قال فيها:" وانظر ما نتج منهم من كثرة الإرجاف، وإلقاء الرعب في القلوب، مما سودوا به الصحائف، وطولوا، وهولوا، وخوفوا من أمر، وإنه قادم لتازة، لمحاولة طلبهم المدد، والخيل، والعدة، والمعونة، بالعسكر وغيره، وقولهم في مكاتبهم، أنه قال لهم إن أردتم الخير لأنفسكم تنحوا عن الطريق، وإلا فسيحل بكم، ويحل ذلك في عضد المخز،ن وشيعته وإرجاف، حتى كأنهم ينادونه، هلم فليس هناك من يلقاك"، وفي هذه الرسالة، حمل السلطان مسؤولية انحياز بعض القبائل المغربية كضيافة إلى الأمير عبدالقادر لموقف قبيلة الكرارمة[4].

وقد أشار ولي العهد المولى سيدي محمد، في رسالة بعث بها في 4 سبتمبر 1847، بأن قبائل الحشم وبني عامر، قد قررت الرحيل والالتحاق بالأمير عبدالقادر، وحددت موعد اللقاء[5]، وبعدها تخوف السلطان من انضمام الشراكة إلى القبيلتين الجزائريتين، حيث طالبهم طالبهم بالرحيل إلى مراكش، لكنهم رفضوا، وانظموا إلى الحياينة، وعندها، قام ولي العهد

---

[1] محمد بن عبدالقادر، م، م، ص 491 – 492.
CH. CHURCHILL, op.cit, p 264

[2] DECOSSE BRISSAC, op.cit, p 158 – 159.

[3] دي شاطو إلى المارشال بيجو 22 مارس 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 18.F 250 – 253

[4] عبدالرحمن بن زيدان، المصدر السابق، ص 81 – 83.

[5] دي شاطو إلى وزير الخارجية 04 سبتمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 19.F 71 – 78.

سيدي محمد، بمحاولة منع هذه القبيلة من اللجوء إلى الحياينة، وإجبارهم على الانتقال إلى مدينة مراكش، كما جهز قوة تكونت من ثلاثة آلاف فارس، وحاول إرغام الحشم وبني عامر على التوجه إلى نفس المدينة، غير أن بني عامر كانوا أشد قوة من القوات المخزنية، حيث تمكنوا من التصدي له، وتوجهوا نحو دائرة الأمير عبدالقادر[1].

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية 27 أوت 1847 A.M.A.E.C.P.M.V 19.F 66

إعداد الحملة العسكرية الأخيرة ضد الأمير عبدالقادر:

لقد أثارت حادثة قلعية، استياءا كبيرا لدى المولى عبدالرحمان، الذي بعث إلى ابنه سيدي محمد، برسالة يوم 29 سبتمبر 1847، قال فيها: "فبوصول كتابنا هذا إليك، تأهب للنهوض لهذا الأمر بنفسك، فليس عندنا من نعول عليه إلا الله، ولا تظهر النهوض، حتى تكون بمكناسة، وتوجه إليك من المحلة التي معنا إن شاء الله تعالى، وتتوجه معك محلة الحوز، والمدد، والذي في الحياينة وغيره لتازة"[1].

وعندما حل المولى عبدالرحمان بمدينة مكناس، يوم 02 أكتوبر 1847، أصدر تعليماته إلى ابنه، وأمره أن يهيئ كل الظروف، من أجل القضاء على الأمير عبدالقادر، كما أمره بتجميع المؤن في مدينة تازة، وبخاصة المواد الغذائية، حيث قال لابنه: "وبنفس وصولك لتازة، يكون الشروع في منابذة عبدالقادر، ولا تطول إقامتك هناك، إلا نحو العشرة أيام أو ما قاربها، واكتم أمر نهوضك مع تهيئ الأسباب، ولا تنهض من فاس، حتى لا يبق ما تتوقف عليه"[2]، وفي رسالة أخرى بعث بها السلطان إلى ابنه، قال له فيها: "فليس ينقص من قدرك إن ركبت على فرسك، وسردت المخازنية بنفسك، ولا يكن غرضك في غلظ الحجاب والأبهة، فإن ذلك إنما يكون لمن عنده من يكفيه الأمور"[3].

وبغية تهيئ الحملة العسكرية على الأمير عبدالقادر وتوجيه الضربة القاضية له، قام المولى عبدالرحمان بإصدار أوامره القاضية ببعث إمدادات عسكرية بقيادة المولى إبراهيم بن عبدالملك إلى عامل الريف، وإرسال إمدادات أخرى إلى ميمون ولد البشير قائد بني يزناسن، بالإضافة إلى بوزيان ين شاوي، ومن الإجراءات الاستعجالية التي قام بها ولي العهد أنه قام بإقالة عامل وجدة بوزيان العبدوني، وعين بدله عبدالملك الروداني، واستطاع بهذا الإجراء أن يخلق نوعا من الهدوء والاستقرار عند قبيلتي أنكاد وبني يزناسن.

---

[1] Hamet.l., Le Gouvernement marocaine et la conquête d'Alger, Documents chérifiens, Annales de l'Académie des sciences coloniales, t.l., 1925, p 141.
[2] Ibid, p 142.
[3] Ibid, p 145.

وبعدما تمكن ولي العهد من تهيئ كل الظروف، من أجل نجاح حملته على الأمير عبدالقادر، خرجت قواته المتكونة من خمسة عشر ألفا من الفرسان والرماة يوم 14 أكتوبر من نفس السنة، بعدما كانت هذه القوة قد تجمعت في مدينة فاس، وكانت خطة المخزن المغربي تقضي بمحاصرة الأمير عبدالقادر، بحيث يعسكر المولى سيدي محمد ببلاد المطالسة، بينما المولى أحمد يعسكر بقواته بتافريست، أما بالنسبة لعامل الريف محمد بن عبدالصادق، فلقد أوكلت له مع المولى إبراهيم مهمة حصار الأمير في الريف المغربي، كما عسكر بوزيان بن شاوي قرب معابر ملوية، وبقي قائد وجدة متمركزا قرب بني يزناسن، وبعد هذا التمركز، كان على هذه القوات أن تتجمع كلها بقصبة سلوان، وبعد ذلك تبدأ في تنفيذ عملياتها العسكرية ضد الأمير عبدالقادر وأنصاره[1]، الذي كان بقصبة سلوان جنوب مدينة مليلية، وكانت قوته تفوق الثلاثة آلاف فارس، كما كان لا يزال يلقى دعم بعض القبائل المغربية، كالمطالسة، وبني بويحيى، وكبدانة، والشجع، وقسم من القلعية، وأولاد ستوت، غير أن هذه القبائل بدأت تغير من موقفها تجاه الأمير عبدالقادر، وانحازت إلى القوة المخزنية، حيث قام المطالسة، وبني بويحيى، وكبدانة، بعرض مساعداتهم، وإبداء نيتهم في الانضمام إلى قوات سيدي محمد، ومع حلول شهر نوفمبر فقد الأمير عبدالقادر كل أنصاره من قبائل الريف المغربي، ولم تبق معه سوى قبيلة أولاد ستوت[2]، وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي أصبح يعاني منها الأمير عبدالقادر، بدأ يبحث عن الحلول المنطقية للخروج منها، حيث وصلت إلى مرابط بني سعيد، معلومات تفيد بأن الأمير حاول الاتصال بقبيلة حميان*، التي كانت تقيم قرب الحدود المغربية، من أجل السماح له باستخدام أرضها، لتفادي الوقوع في قبضة السلطات المخزنية، وقد بادر هذا المرابط بإرسال تحذير إلى دي شاطو[3].

ولما سمع الأمير عبدالقادر بأن ولي العهد سيدي محمد قد حل بمدينة تازة، قام بجمع أصحابه وخاطبهم، حيث قال: "إن المولى عبدالرحمان قد ظهر اليوم، فماذا تفعلون؟

---

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية 19 نوفمبر A.M.A.E.C.P.M.V19.F.180

[2] مرابط بني سعيد إلى دي شاطو 06 نوفمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V19.F.180

* هم رحل بالهضاب العليا بالقطاع الوهراني، تتفرع إلى بطني حميان الغرابة، وحميان الشراقة، الرجوع إلى محمد الهادي الحسني، المصدر السابق، ص 158.

[3] مرابط بني سعيد إلى دي شاطو 06 نوفمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V19.F.180

تقاتلون، أم تفرون؟"، وفي نفس الوقت، كان قد بعث برسائل إلى شرفاء المغرب، طالبا منهم التوسط لحل الخلاف بينه، وبين المولى عبدالرحمان، وقد بادر هؤلاء، حيث رحلوا إلى فاس، وقابلوا السلطان، والتمسوا منه مسامحة الأمير عبدالقادر، تقديرا لما قام به ودوره الذي لعبه في الدفاع عن الإسلام والمسلمين بالجزائر، بيد أن المولى عبدالرحمان رد على هؤلاء الشرفاء ردا سلبيا، حيث قال: "إنه لم يعد مسلما حقيقيا، ذلك الذي غدر بمضيفه، بعد أن طلب ضيافته، ولم يعد مسلما حقيقيا، ذلك الذي لم يكتف بعصيان أوامر أمير المؤمنين، بل تصرف كسيد في إيالته، ولم يعد مسلما حقيقيا، ذلك الذي يذبح السكان الخاضعين لسلطانهم الشرعي، ذلك الذي يهاجم بجيوشه، ويقتل خدامه المخلصين، إنه فتّان يجر وراءه ذيلا من النار والدم حيثما مر، ولا أريد أن أسمع شيئا من زنديق، وشعلة من الشقاق، وإذا أراد تجنب مصائب جديدة، فليترك إيالتي، وليرحل إلى مكان آخر، وليحمل إليه الفتنة التي تصاحب خطواته، إن أحدنا فقط هو الذي يجب أن يحكم في إيالتي، والله هو الذي يحكم بيننا"، ولقد توصل أحد عملاء دي شاطو إلى هذه المعلومات، واللقاء الذي تم بين السلطان والشرفاء، وقام ببعثها إلى الفرنسيين[1].

ولقد أشار دي كوسي بريساك، بأن الأمير عبدالقادر وبالرغم من الظروف الصعبة التي أصبح يمر بها، فإنه تلقى من حاكم مدينة مليلية أنواعا عديدة من الذخيرة والسلاح، وكان التاجر الانجليزي ليجير ST LEGER، والذي اشتهر في المغرب باسم "بوطربوش"، هو الذي تكفل بإيصالها، عن طريق تفريغها قرب شواطئ مليلية، بيد أن المغاربة تمكنوا من إفشال محاولة ثانية قام بها هذا التاجر، حيث أراد أن يتصل بأنصار الأمير عبدالقادر، والذي كان من بينهم ابن البوحميدي الولهاصي[2]، وبعدما ضيق المغاربة الخناق على الأمير عبدالقادر وأنصاره، بدأ يبحث عن المنافذ لكي يسلكها، إذ كان الأمر يتطلب الانسحاب والابتعاد عن الخطر.

وعندما أصبح جيش المولى عبدالرحمان على وشك الوصول إلى الريف، اضطر الأمير عبدالقادر إلى الانسحاب إلى زاي،و ابتداءا من 09 نوفمبر 1847، وبعد مرور أيام

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية 19 نوفمبر A.M.A.E.C.P.M.V19.F.180
[2] محمد بن عبدالصادق دي شاطو 1 نوفمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V19.F.156

قليلة، تحركت قواته جنوبا، حيث أراد أن ينتقل إلى الصحراء، غير أنه اصطدم بقوات قبيلة بني يزناسن، التي قطعت عليه الطريق ومنعته من التوجه إلى الجنوب، وحينها لم يجد بدا من العودة، حيث استقر على الضفة الغربية لنهر ملوية[1]، وفي رسالة بعث بها ابن عبدالصادق إلى دي شاطو، بين فيها حيثيات ما وقع للأمير عبدالقادر، عندما أراد أن ينتقل إلى الصحراء، حيث قال: "بعد أن قام بنو يزناسن بدفع عبدالقادر، وأظهروا له فوهات بنادقهم، لم يستطع أن يفر إلى الصحراء، فرجع إلى البحر على الضفة الغربية لملوية، ولما رأى أنه لا يستطيع أن يسلك طريق عجرود، بسبب قواتكم على الحدود، أرخى رأسه المتكبرة، وطلب الرحمة، والسماح له بالانسحاب إلى الصحراء"[2]..

وفي ظل هذه الظروف، استطاع صهر المولى عبدالرحمان، محمد بن عبدالرحمان الحلافي، الذي كان من زعماء قبيلة الأحلاف، أن يتدخل من أجل إقناع الأمير عبدالقادر، كي يبعث بوفد إلى السلطان طالبا الأمان، ولوضع حد للخلاف الذي ازدادت حدته بينهما، وقد اقتنع الأمير عبدالقادر بالفكرة، حيث أرسل وفدا يرأسه محمد البوحميدي الولهاصي، وبعث معه بالهدايا الثمينة، حيث استقبل السلطان هذا الوفد في 03 ديسمبر 1847[3]، وفي رسالة بعث بها المولى عبدالرحمان إلى محمد أشعاش، تحدث فيها عن الوفد الذي أرسله الأمير عبدالقادر، حيث قال فيها: "فلما رأى عدو نفسه إحاطة الجيوش به، وجه وفدا من قبله، مدعيا التوبة فيما مضى، فأجبناهم بأن أحب الحديث إلى الله أصدقه، إنّ صاحبكم هذا إن أراد الخير لنفسه، واحتاط لدينه، يختار أحد الأمرين، إما أن يدخل لإيالتنا، هو ومن معه آمنين على أنفسهم، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، أو يصحر، أي ينتقل إلى الصحراء، فطلبوا منا الإمهال حتى يخبرونه بالملاقاة، ويستدركون الأمر قبل فوات الأوان، فأجبناهم إلى ذلك، فما وصلوا حتى ضرب على المحلة ليلا"[4].

وفي الرسالة التي بعث بها الأمير عبدالقادر إلى ليون روش، أشار إلى اللقاء الذي تم بين السلطان ومحمد البوحميدي الولهاصي، فقال: "انتدب إلى السلطان الشيخ محمد بن

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية 26 نوفمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V19.F.200
[2] محمد بن عبدالصادق إلى دي شاطو 28 نوفمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V19.F.214
[3] دي شاطو إلى وزير الخارجية 12 ديسمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V19.F.219
[4] المولى عبدالرحمن إلى عبدالقادر أشعاش، 29 ديسمبر 1847، خ، ح، م 4، مخ 22.

عبدالرحمان الحلافي، ليطلب مني أن أرسل أحدا من أعواني لكي يتفاوض معه لتسوية ودية، وقد أرسلت له هدايا مع أخينا سيدي محمد البوحميدي، ولما وصل إلى الأمير سيدي محمد، وجهه على الفور إلى أبيه، ورغم ذلك فإن الأمير مستمر بالاقتراب مني بجيشه الكبير، ولما رأيت ذلك علمت بعزمهم على الغدر، ولذلك لا أثق فيهم"[1]، وبالتالي فإن المحاولات التي قام بها الوفد الجزائري لم تأت بأية نتيجة، وذلك لانعدام الثقة بين الطرفين، وقد ذكرت المصادر التاريخية بأن المولى عبدالرحمان قام باعتقال محمد البوحميدي الولهاصي، ووضعه في سجن فاس، وبعدها مات مسموما[2]، بينما ميشو فقد أشار بأن البوحميدي قد استقبل بحفاوة من طرف المولى عبدالرحمان، ومنحه بيتا في مدينة فاس، وزوجه، بيد أنه بعد شهور قليلة قام بإيداعه السجن، ومات بعد ذلك مسموما[3]، غير أنه في الرسالة التي بعث بها الأمير عبدالقادر من فرنسا إلى البوحميدي الولهاصي، تؤكد بأن هذا الأخير كان لا يزال حيا، وقد خصه المولى عبدالرحمان بمعاملة حسنة، وقد قال في هذه الرسالة: "بلغنا أن لك وجها عند السلطان وفقه الله للخير، وأعانه عليه وأصلحه، وعلى يديه، وهذا دعاؤنا له اليوم، والأمس وغدا، ونعذره في حقنا، ونستغفر الله في حقه، فإنني ما أبرء نفسي"[4].

وبعدما استنفذ الأمير عبدالقادر كل المحاولات، لإيجاد حل للخلاف الذي كان بينه وبين المولى عبدالرحمان، الذي تجمعت جيوشه بقصبة سلوان، حاول الاتصال بليون روش، حيث دعاه إلى التفاوض في مدينة مليلية، بيد أن ليون روش رفض اللقاء معه، واقترح عليه لحل النزاع، أن يأتي إلى مليلية مع أهله وأصدقائه، وهناك تتكفل السلطات الفرنسية بترحيله على ظهر سفينة فرنسية إلى الجزائر، ثم إلى مدينة مكة، كما اشترط عليه أن يبقي أحد قادته في مدينة طنجة كرهينة[5].

ولقد كان رد الأمير عبدالقادر في بداية شهر ديسمبر 1847، حيث قال لليون روش: "لا أستطيع أن أرسل إليك أحدا من قبلي، لأنني قد أتعرض للهجوم من وقت لآخر من قبل

[1] الأمير عبدالقادر إلى ليون روش A.M.A.E.C.P.M.V19.F.236 - 264
[2] C.H. CHURCHILL, op.cit, p 265.
[3] MICHAUX BELLAIRE, les Musulmons d'Algérie au Maroc, Paris, 1907, pp 59 – 60.
[4] عبدالرحمن بن زيدان، المصدر السابق، ص 65 – 67.
[5] دي شاطو إلى وزير الخارجية 20 ديسمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V19.F.225

الجيوش المغربية، التي لا تبعد عني إلا بستة ساعات، وأتمنى أن يؤخروا هجومهم، لأستطيع التحادث معك، لكن الحرب في هذا الوقت معلنة بشكل كامل"[1].

وحتى يمنع الأمير عبدالقادر هجوم المغاربة المحتمل، أو يسعى إلى تأجيله، قام بشن هجومات مفاجئة ليلا على القوات المغربية المتمركزة بقصبة سلوان، التي كان يقودها المولى أحمد، والمولى إبراهيم، والمولى محمد، وابن عبدالصادق، وكان عددها أكثير من أربعين ألف مقاتل[2]، وعليه فقد تقدم الأمير عبدالقادر مع قواته، التي كان عددها لا يتعدى ألف ومائتي فارس، وثمانمائة راجل، نحو قصبة سلوان، وحتى يلقي الرعب في صفوف القوات المغربية، قام بشحن الجمال بالحلفاء والقطران، والمشاعل المحمولة على الرماح، وبدأ بالهجوم في الريف المغربي، حيث بدأ بمعسكر المولى أحمد[3]، ولقد ذكر الناصري في كتابه تفاصيل ما حدث، عندما تقدم الأمير عبدالقادر نحو قصبة سلوان، وشن هجوماته الليلة المباغتة على القوات المخزنية، فقال: "عمد الحاج عبدالقادر ذات ليلة إلى طائفة من جنده، خمس الخمس عشرة مائة على ما قيل، كلهم بطل مجرب، انتقاهم انتقاءا، وكان جيش الخليفة سيدي محمد منقسما قسمين، بعضه معه، وبعضه مع أخيه المولى أحمد، فصمد الحاج عبدالقادر، ولم يقف بهم إلا بين المحلتين، وأطلقوا الرصاص مثل المطر، وأرسلوا حراقيات على الجمال، وتهاويل مفزعة، فماج الناس في ذلك الظلام الغاسق، ونزل بهم من الهول الكثير، وقام الخليفة، فجعل يسكن الناس، ويمنعهم من الركوب، خوف الفرار، وأمر العسكر، والطبجية بالرمي بالكور، فكانوا يرمون إلى جهة محلة المولى أحمد، ظنا منهم أن العدو لازال مقابلهم، ومحلة المولى أحمد يرمون إلى جهتهم كذلك، فهلك من المحلتين بسبب ذلك بشر كثير، وأما الحاج عبدالقادر، فإنه فر مع أصحابه، بعد أن حملوا الكثير من موتاهم معهم، ولما أصبح الناس، وجدوا فيهم من الجرحى نحو الألف، ومن القتلى ما يقرب ذلك، وأصبح حول المحلة، من قتلى عبدالقادر الذين أجهضهم القتال عن حملهم نحو الخمسين، وأسروا نفرا أحياءا"[4].

---

[1] الأمير عبدالقادر إلى ليون روش، د ت، ديسمبر 1847 A.M.A.E.C.P.M.V19.F.263 - 264

[2] دي شاطو إلى وزير الخارجية، 6 جانفي 1848، م، م. A.M.A.E.C.P.M.V19.F.219

[3] C. H. CHURCHILL, op cit, p 264.

[4] الناصري، المصدر السابق، ص 57.

وفي تقرير لدي شاطو يوم 06 جانفي 1848، أشار إلى الأحداث التي وقعت قرب قصبة سلوان، حيث ذكر بأن الأمير عبدالقادر، بعدما شن هجوما خاطفا على معسكر المولى أحمد، انتقل إلى معسكر المولى سيدي محمد، حيث نفذ مجزرة كبيرة، ثم حاول الانسحاب والفرار، فتعرضت قواته لضربات المدافع الثمانية، لكنها تمكنت من الفرار، ولقد أشار القنصل الفرنسي كذلك للخسائر التي تكبدتها قوات المخزن المغربي، حيث ذكر بأن ابن عبدالصادق، قد فقد مائتين وخمسين رجلا، ولإخفاء عار الهزيمة قطعت رؤوس خمسة وثلاثين من رؤوس جثث الجند المغاربة، وأرسلت إلى مدينة فاس على أساس أنها لأنصار الأمير عبدالقادر[1].

وحسب ما أشارت إليه المصادر التاريخية، فإن الأمير عبدالقادر كان يهدف من وراء شن هجوماته المباغتة للقوات المخزنية، إما للقضاء على ولي العهد المولى أحمد، أو أسره، وقد ذكر هـ شورشيل بأن الأمير عبدالقادر كان يطمح من الهجمات التي قام بها على القوات المغربية، الانقضاض على خيمة الأمراء المغاربة وأسرهم[2]، أما بالنسبة لمحمد بن عبدالقادر، فذكر بأن أباه شن هجومات خاطفة مع قواته، حتى اقتربوا من سرادق أبناء المولى عبدالرحمان، حيث وجد الأمير بأن القوات المخزنية قد أحاطت بتلك السرادق، وتحصنت بالدواب والأثقال، وقد احتدم القتال على مقربة من السرادق، من منتصف الليل، حتى بزوغ فجر اليوم، غير أن الأمير لم يستطع أن يصل إلى مبتغاه[3]، أما بالنسبة للطرح الذي قدمه ميشو بلير MICHAUX BELLAIRE،فقد جاء مطابقا لما قدمه محمد بن عبدالقادر، حيث قال بأن الأمير عبدالقادر، كان يهدف إلى أسر المولى سيدي محمد، أثناء هجومه المباغت على معسكر سلوان[4].

وعليه يمكن القول بأن الأمير عبدالقادر، قد اعتمد على أسلوب الحرب الخاطفة والمباغتة، حتى يعوض النقص العددي الذي كان يعاني منه، مقارنة بالقوات المخزن المغربي، علما بأنه كان قد اعتمد على هذه الإستراتيجية الحربية في معركة تافريست، ولقد

---

[1] دي شاطو إلى وزير الخارجية، 06 جانفي 1848، م، م.

[2] C. H. CHURCHILL, op.cit, p 286.

[3] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 494 – 497.

[4] MICHAUX BELLAIRE, op.cit, p 60.

ذكر الناصري في كتابه، بأنه لولا يقظة الفرسان المغاربة وإحاطتهم بالخليفة سيدي محمد بن عبدالرحمان، لتمكن الأمير عبدالقادر من الانقضاض عليه[1]، أما إكنوسوس فأشار بأن القوات المخزنية لم يفاجئها الأمير بهجوماته الليلية، لأنها كانت ترتقب قدومه، حيث قال: "بل جاء من أخبر مولانا المظفر فأخذوا أهبتهم، فجاء المغرور في أثناء الليل بحرب شديدة، فلم يصادف إلا النار والحديد"[2].

ومن أجل طمأنة المولى عبدالرحمان، كتب له ابنه سيدي محمد، حيث قال له: "دفعا لما عسى أن يشيعه من طاش من الحراك ليلة الوقعة، من الحياينة وغيرهم، ومن في قلبه مرض من أهل تلك الناحية، وما زاد المحلة ضربه، إلا حزما وتيقضا، واستعدادا له، وحرصا على أخذه بحول الله وقوته، وقبائل هذه النواحي سقط من أعينها من ليلة الوقعة، حيث رجع حقيرا"[3].

وفي اليوم الموالي، قام ولي العهد سيدي محمد، بإرسال خمسة آلاف فارس لملاحقة قوات الأمير عبدالقادر، ولقد تصدت لها هذه الأخيرة، فاضطرت إلى الرجوع لمعسكرها، وفي ظل هذه الظروف، تدعمت قوات المولى عبدالرحمان بقوات المطالسة، وبني بويحيى، بعدما كانت من أهم القبائل المؤيدة للأمير عبدالقادر، ولما أدرك خطورة الوضع مع بقائه في دائرته، انتقل عبر نهر ملوية[*]، واستقر قرب مصبه عند البحر يوم 13 ديسمبر 1847، ولقد شهدت هذه الفترة هدوءا نسبيا، حيث لم تقم القوات المخزنية بأية محاولة لمطاردة الأمير عبدالقادر، نظرا لنقص الذخيرة التي استنفذتها للتصدي لهجوماته الليلية، ورغم رفض حاكم مدينة مليلية تزويد المغاربة بالذخيرة، فإنهم تمكنوا من جلب كميات هائلة من البارود، والرصاص يوم 19 ديسمبر 1847، وكان مصدر هذه الذخيرة سفينة فرنسية كانت راسية بميناء مليلية[4]، وفي الوقت الذي تدعمت فيه القوات المغربية بقوات إضافية والذخيرة، أي العدد والعدة، عسكر الأمير قرب نهر ملوية، حيث بقي مع فرسانه ومشاته،

[1] الناصري،المصدر السابق، ص 97.
[2] محمد بن أحمد، المصدر السابق، ص 21-22.
[3] I. HAMET, op.cit, p 146.
[*] نهر ملوية ينبع من الجنوب، ويصب في البحر المتوسط، قرب جامع الغزوات، وعلى بعد 17 كلم من الحدود الجزائرية المغربية، الرجوع إلى le sure, C, L, Annuaire historique, Paris, 1848, p p 15 – 18.
[4] دي شاطو إلى وزير الخارجية، 06جانفي 1848، م، م.

وشدد الحراسة، حتى لا يتمكن المغاربة من اقتفاء أثر قواته، وحتى يحمي مؤخرة دائرته، وفي 20 ديسمبر وصلت القوات المخزنية إلى المكان الذي انتقل منه الأمير عبدالقادر، في محاولة جريئة لملاحقته، حتى القضاء عليه، ولقد بعث محمد بن عبدالصادق بتقرير إلى قنصل فرنسا بمدينة طنجة، ذكر فيه تفاصيل ملاحقة الأمير حيث قال: "تابعنا عبدالقادر خطوة خطوة، إلى أن وصل إلى مكان قريب من البحر، حيث قام بعبور وادي ملوية، واستقر في المكان المسمى عجرود، وكان مقتنعا بأننا لن نعبر النهر، بسبب صعوبة المعبر، ولكننا عبرناه، واصطدمنا به على الضفة اليمنى، وقد قتلنا اثنين من قادته، وحصانه، وترك للمحلة السلطانية عسكره، الذي مر قسم منه تحت حد السيف، وأسر قسم آخر، وقد قطعت أكثر من مائة رأس، وبلغ الأسر مائتين، وأرسلوا جميعا إلى فاس"[1].

واعتمادا على التقارير التي كان يبعث بها بعض الجواسيس الذين حضروا المعركة الأخيرة، التي وقعت بين قوات المخزن والأمير عبدالقادر، بعث دي شاطو بتقريره إلى وزير الخارجية كيزو، يوم 06 جانفي 1848، أشار فيه بأن قوات المولى أحمد قد وصلت في 20 ديسمبر إلى معسكر كبدانة، وعندما وجدت بأن الأمير عبدالقادر قد انتقل إلى الشرق، واستقر على الضفة اليمنى لنهر ملوية، قام محمد بن عبدالصادق بالعبور مع جيش الريف، ومئات من الفرسان، غير أن الأمير كان أذكى منهم، فبمجرد رؤيته لهم، هاجمه مع فرسانه، وردهم، وفشل بذلك المغاربة في القضاء عليه، ولما شاهد ولي العهد ما وقع صمم على اجتيازه، حيث انظم إلى قوات ابن عبدالصادق، ولقد تمكن أكثر من عشرة آلاف مقاتل من الوصول إلى الضفة الأخرى للنهر، وحينها قام الأمير عبدالقادر بشن هجومات مضادة لرد القوات المغربية، حيث وقعت معركة حاسمة، صمد خلالها ابن عبدالصادق مع قواته، وقد تحفزوا إلى مواصلة القتال، خاصة بعدما انظم إليهم بنو يزناسن، الذين لعبوا دورا هاما في انتصار القوات المغربية، حيث قاموا بتقسيم قوات الأمير عبدالقادر إلى قسمين، وقد استمرت هذه القوات في مطاردة الأمير، وفي الصباح عادت ومعها مائة وستة وأربعون أسيرا، وثمانية وستون رأسا مقطوعة، أرسلت إلى مدينة فاس[2]، وبعدما انسحب الأمير

[1] محمد بن عبدالقادر إلى دي شاطو، 22 ديسمبر 1847، م، م.
[2] دي شاطو إلى وزير الخارجية، 06 جانفي 1848، م، م.

عبدالقادر إلى جبال بني يزناسن، وجه ولي العهد إنذارا لهذه القبيلة، وهددهم بالقضاء عليهم، إذا رفضوا تسليم الأمير عبدالقادر، ولقد أشار محمد بن عبدالقادر، بأن أباه توجه بعد المعركة إلى بني خالد التابعة لبني يزناسن، وطلب اللجوء من أحد أصدقائه، الذين كانوا من أتباع الطريقة القادرية، غير أنه وجده قد مال للقوات المخزنية، فاضطر إلى السير نحو الصحراء عبر ممر كربوس الواقع عند نهاية سهل أنجاد، لكنه وجد قوات تابعة للفرنسيين تحرس المكان بقوة[1].

ولقد أشار هـ شورشيل في مذكراته، للظروف التي أصبح يعيشها الأمير عبدالقادر، بعدما وجد معبر الصحراء محروسا، حيث ذكر بأنه جمع أصحابه، وشاورهم في الموقف الواجب اتخاذه، وكان رد أنصاره وأصحابه، أنهم أعلنوا استعدادهم للعمل بكل ما يأمرهم به، وكان رد الأمير عن موقف أصحابه هو الإشارة بأن الحرب قد انتهت، وأنهم قد فعلوا كل ما في وسعهم، من أجل مواصلة جهادهم الكفار وحلفائهم، وأشار بأن قدر البلاد الجزائرية أن تكون للنصارى، كما أكد بأن وجوده بها لن يزيد الجزائريين إلا الآلام والمآسي، وأن القبائل التي أيدته قد تعبت وأعياها الجهاد، وفي النهاية ذكر بأنه مخير بين تسليم نفسه إلى الفرنسيين، أو إلى المخزن المغربي، وقد ترك لهم حرية الاختيار، بينما فضل هو أن يسلم نفسه إلى من حاربه، عوض أن يثق بالذي غدر به، وكان يقصد المولى عبدالرحمان[2].

لقد قرر الأمير بالإجماع، وأمام الظروف الصعبة، وقف القتال، وقد احتدم النقاش حول الأطراف التي يتم معها النقاش، المغربية أم الفرنسية، وكان قرار الأمير عبدالقادر أن يتفاوض مع لاموريسيير[3]، حيث بعث بمندوبين إلى قائد مقاطعة وهران، وكان من بينهم موح اليزناسي وبن خوية، حاملين شروط الأمير لوقف المقاومة، حيث طلب من خلالها الأمان، والالتزام بنقله إلى عكا، أو الإسكندرية، حيث كانت مطالب الأمير تتمحور في

---

[1] محمد بن عبدالقادر، المصدر السابق، ص 497 – 503.

[2] C. H. CHURCHILL, op cit, p 271 – 272.

[3] Archive national d'AIX en Provence, archive nationale du gouvernement de l'Algérie. E229. 1. Les araves venus de l(Algérie avec les frère d'Abdelkader, 1847.

Just Jean Etienne, Roy. Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus anciens jusqu'à nos jour, EM, Paris, 1859, p p 248-327.

قوله: "نريد أن ترسل لنا كلمة فرنسية لا تنقص ولا تتبدل، وتضمن لنا نقلنا إما إلى الإسكندرية، أو إلى عكا، ودون اتجاه آخر."[1].

ولقد اتصل بن خوية والوفد المرافق له بلاموريسيير، وأظهروا الخاتم له، وعرضوا عليه مطالب الأمير عبدالقادر، بيد أن الموافقة لم تكن مكتوبة، بل عبر لاموريسيير عن قبوله ببعثه بسيف وخاتم، وجاء جوابه كما يلي: "وصلي أمر ابن الملك لويس فيليب لقبول الأمان الذي طلبته مني، وقبول ذهابكم أيضا إلى عكا أو الإسكندرية، ولن نأخذكم إلى مكان آخر، ولا تشكوا في كلمتنا، فهي إيجابية، وملكنا سيكون كريما معك ومع مرافقيك، إنني أكيد بأنك تستطيع أن تحمل معك عن طريق البحر إلى الشرق، كل من يريد الذهاب معك"[2].

كما قام ببعث رسالة إلى الدوق دومال، قال فيها: "الناس الذين حادثتهم هذا المساء، أكدوا لي حالة الضياع التي يوجد فيها عبدالقادر، عندها بدأت في صياغة هذه الرسالة، وأنا تحت وقع هذه الأخبار المتضاربة، حتى جاءني بن خوية بصحبة مبعوثي الأمير، وكان يحمل سيفي وخاتم الكومندان بازان، إضافة إلى رسالة من الأمير عبدالقادر كتبها صهره مصطفى بن التهامي، أردت نسخة منها مترجمة صحبة هذه الرسالة، وجوابي عليها، وجدت نفسي مجبرا لاتخاذ هذه الالتزامات تجاه الأمير عبدالقادر، ولي الثقة الكاملة في سموكم، والحكومة في تزكيتها، إذا وثق الأمير في الأمان الذي أعطيته له ..."[3]، وبعدما تمت الموافقة على مطالب الأمير، انتقل بصحبة ما بقي من أصحابه وعائلته إلى قبة سيدي إبراهيم، ثم توجه إلى جامع الغزوات، حيث التقى بالدوق دومال، وعن طريق مترجمه ورسو، أكد له التزام فرنسا بوعودها التي قطعتها له، وكان ذلك في 23 ديسمبر 1847، وفي اليوم الوالي نقل على متن الباخرة SOLON إلى وهران، التي لم يمكث بها سوى ساعات قليلة[4] ، حيث غادر المدينة في 25 ديسمبر عل متن السفينة

---

[1] P. AZAN, op.cit, p 236

[2] 1 doc 12 la détention d'Abdelkader au fort, 1847-1848, département des archives de la ville de Toulon, pp 4-5

[3] Francois charles theodore, Tauchard la fasse, Histoire de la gendarmerie d'Afrique et la colonie d'après les documents de l'Armée, 1830-1860, L.A.B.E, 1860, pp 326-330.

[4] ARSENE BEREUIL, Algérie Francaise, Histoire meurs coutume, industrie, agriculture, D.L.E, Paris, pp 285-286.

لاسموديLASMODEE*، ولقد ذكرت الكتابات التاريخية بأن حمادي الصقال♦ قائد تلمسان، قام ببيع كل الجمال والخيام، والبغال، والأحصنة، التي اشترتها سلطات الميناء، كما أشار إلى تسليم الأمير عبدالقادر، لسيفه وحصانه، بطريقة إرادية، وبدون إكراه، بيد أن الحفيدة بديعة الحسيني ذكرت بأنها سمعت جدتها تقول بأن سيف الأمير أخذ منه عنوة[1].

وفي 29 ديسمبر، قام المولى عبدالرحمان ببعث الرسائل إلى عماله في الأقاليم المغربية، لإعلامهم بخبر انتهاء أمر الأمير عبدالقادر، حيث جرت احتفالات في مختلف الأرجاء المغربية[2]، ولقد كان يتوقع أن يسلم الأمير نفسه إلى السلطة المغربية، وعندما سمع بلجوئه إلى لاموريسيير تأسف، وقال في رسالته التي بعث بها إلى عامله في مدينة تيطون عبدالقادر أشعاش يوم 2 جانفي 1848: "وكنا نظن أن معه من الدين والعلم ما يرده عن ارتكاب هذه الكبيرة، حتى اختار ذمة الكفر، عبدة الأصنام على ملة الإسلام، فهذا من سوء الخاتمة والعياذ بالله"[3].

وبعد الانتهاء من مشكلة الأمير عبدالقادر، وتسليم نفسه بادرت القوات الفرنسية إلى الانسحاب من الحدود المغربية، وفي نفس الوقت طالبت القوات المخزنية، أن تنسحب هي كذلك[4].

* ظهرت هذه السفينة الحربية لأول مرة عام 1840، شاركت في قصف موغادور في 16 أوت 1844، انتهت خدمتها عام 1865، الرجوع إلى.S.HD, Dépôt de la marin la frégate ASMODEE, 1840-1865

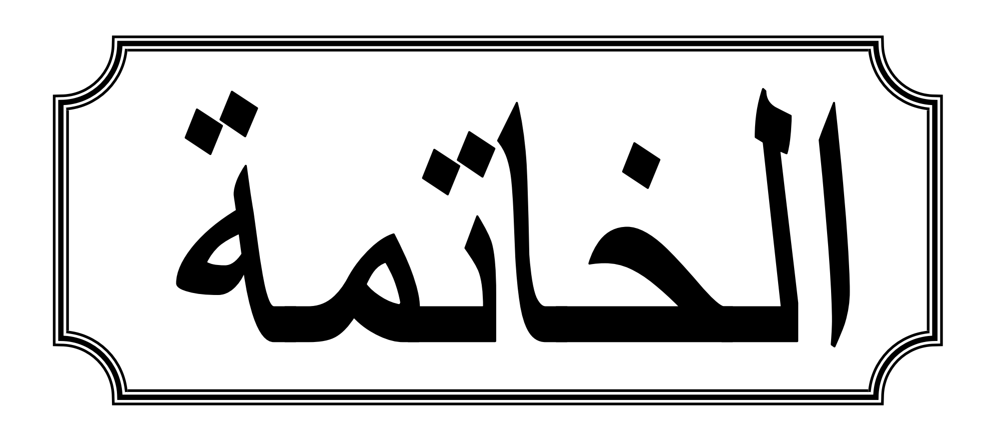
♦ الحمادي الصقال: شغل منصب قائد تلمسان في عهد الجنرال بيجو، وكان هذا الأخير يستخدمه كوسيط بينه وبين الأمير عبدالقادر في المحادثات التي كانت تتم بينهما، كما كان إلى جانب لاموريسيير عندما قرر الأمير وضع السلاح، إلى محمد الهادي الحساني، المرجع السابق، ص 144.

[1] بديعة الحسيني، فكر الأمير عبدالقادر الجزائري، حقائق ووثائق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2000، ص 211.

[2] المولى عبدالرحمن إلى عبدالقادر أشعاش، 29 ديسمبر 1847، خ، ح؛ م 4، مخ 22.

[3] المولى عبدالرحمن إلى عبدالقادر أشعاش، 02 جانفي 1848، خ، ح؛ م ، مخ 22.

[4] دي شاطو إلى وزير الخارجية، 6 جانفي 1848.


الخاتمة

الخاتمة:

لقد أشارت الكتابات المغربية أنه بعد قيام القوات الفرنسية باحتلال مدينة الجزائر، في الخامس من شهر جويلية 1830، تضافرت عدة عوامل جعلت السلطات المغربية تتدخل في شؤون الجزائر في الجهة الغربية من الوطن، وتتمثل هذه العوامل في رغبة بعض القبائل الجزائرية الدخول في طاعة سلطة المخزن المغربي، الذي لم يعارض هذاالتوجه، نظرا لبعدها الديني، والاقتصادي، بعد انهيار السلطة العثمانية بإيالة الجزائر، والفراغ السياسي الكبير الذي تركه رحيل الأتراك، وعدم قدرة القوات الفرنسية على ملأ هذا الفراغ، خاصة مع اضطراب الأوضاع في الإقليم الوهراني، وبالأخص مدينة وهران، ونتيجة لذلك سعت السلطة المغربية إلى إخضاع هذا الإقليم، حيث قام السلطان المولى علي بضم مدينة تلمسان، وجعلها محطة لمواصلة توسعاته في المنطقة، ومن أجل ذلك خاض صراعا مريرا ضد أتراك المشور، الذين وقفوا صامدين في وجه المغاربة، رغم دعم حضر تلمسان وبعض القبائل لهم، غير أنهم لم ينجحو في الإبقاء على نفوذهم بالمدينة، نظرا لضعف إمكاناتهم العسكرية، وعجز خليفة السلطان في السيطرة على جنده، الذين قاموا بأعمال سلب ونهب نتيجة تأخر دفع مستحقاتهم، ولهذا السبب قرر المولى علي استدعاء خليفته من تلمسان، بالإضافة إلى سحب كل القوات المغربية منها.

وحسب التقارير المغربية، فإن السلطان حاول مرة ثانية بسط نفوذه على غرب الجزائر، بعد الجهود التي قام بها زعيمي قبيلتي الزمالة والدواير مصطفى بن إسماعيل والمرسلي بمدينة فاس، وقد تعهدوا بتقديم الدعم والولاء للخليفة الجديد، بيد أن تقرب هذا العامل من أتراك تلمسان، واعتماده على الدواير والزمالة، قد أثار عدة مشاكل، كان في مقدمتها رفض الحضر لسياسة هذا العامل، وظهور خلاف حاد بينه وبين بعض القبائل الجزائرية، وبخاصة قبيلة الحشم، ومع تمكن فرنسا من إحكام سيطرتها على مدينة وهران، قامت بتدعيم أتراك مستغانم ضد الخليفة ابن العامري، الذي فشل في إخضاع المدينة، رغم مساندة الدواير والزمالة، الذين كانوا يطمحون في استعادة نفوذهم وسطوتهم على الإقليم الغربي، ورغم الجهود التي قام بها ابن العامري من أجل جمع شمل القبائل الجزائرية،

وإقناعها بالخضوع للسلطة المغربية، فإن المولى علي قد تسبب في حدوث نزاعات بين القبائل، وانقسامها إلى أنصار للأتراك ومعارضين لهم، ولقد أكدت المصادر المغربية، بأن أهداف المولى علي من بعث عماله إلى الإقليم الغربي، تمثلت في تمكين المسلمين الجزائريين من تحقيق الوحدة، والالتفاف حول السلطة المغربية، والقضاء على الفتن والقلاقل، ومواجهة التوسعات الفرنسية، دون الدخول في صراع مباشر معهم، من خلال تقديم تنازلات عديدة، ودعم المقاومة الجزائرية للوجود الفرنسي سرا، علما بأن الأوضاع التي آلت إليها الجزائر، كانت توحي بأن الجزائريين حضرا وقبائل كانوا يميلون إلى الاعتماد على السلطة المغربية، بينما ما بقي من الأتراك رفضوا ذلك، وفضلوا التحالف مع فرنسا، وحسب التقارير المغربية، فإن السلطان كان لا يهتم بالخلاف الداخلي الذي كان بين القبائل والأتراك، بل كان يعترف بوجود صراع ديني صليبي بين المسلمين والكفار، وبالتالي فقد اعتبر انسحابه من الإقليم الغربي، تهربا من الصراع الدائر بين المسلمين الجزائريين، مع استمرار تقديمه الدعم للأطراف، التي رفضت الوجود الفرنسي وظلت تقاومه، ومع الانسحاب الثاني للسلطة المغربية من إقليم وهران، بدأت القبائل الجزائرية تتنافس لملئ هذا الفراغ، وكان من نتائج هذا التنافس، قيام أغلب قبائل الإقليم بمبايعة عبدالقادر بن محي الدين أميرا في مدينة معسكر، وفي الرسائل التي بعث بها السلطان المولى عبدالرحمن، فإنه تحفظ في البداية من الأمير عبدالقادر، ولكنه عندما تأكد من مسالمة هذا الأخير له، أيد البيعة وأبدى استعداده لتقديم الدعم والمساندة للجزائريين، وللأمير عبدالقادر على وجه الخصوص، ولقد كان هذا الدعم خفية، سعى من خلاله لمواجهة الخطط الفرنسية، التي كانت تهدف إلى التوسع في الأراضي الجزائرية، وإحكام السيطرة عليها، وعليه فقد انتهج السلطان سياسة جديدة، قامت على التزامه ظاهريا أمام فرنسا بالحياد تجاه ما يحدث بالجزائر، لكنه في نفس الوقت يبعث بالمؤن والذخيرة لدعم المقاومة الجزائرية، وعلى الرغم من أن المعاهدة التي أبرمها الأمير مع ديميشيل عام 1834 كانت تتنافى مع سياسة المولى عبدالرحمن، إلا أن هذا السلطان ظل يقدم دعمه للجزائريين، وعلى الرغم من عدم قدرة السلطة المغربية على سد كافة احتياجات الأمير عبدالقادر من مؤن وذخيرة، فإن القوات الفرنسية التي قادها المارشال كلوزيل، لم تستطع

التوسع في الإقليم الغربي ابتداءا من عام 1835، وقد أرجعت المصادر المغربية هذا الضعف، إلى نقص الإمكانات المالية والعسكرية بالنسبة للمغرب، والضغوطات الفرنسية التي مارستها تجاه السلطان.

ولقد جدد المولى عبدالرحمن موقفه من الأمير عبدالقادر، عندما بعث له بالمؤن والذخيرة وسهل له شراء السلاح من جبل طارق، ورغم معارضته لمعاهدة تافنة، فإنه قبل بها في نهاية المطاف، حيث أقنعه الأمير بأنها فرصة لتجميع قواته، والاستعداد للمراحل القادمة، ولقد كان تأييد السلطان واضحا، خاصة ضد خصومه في الجزائر، حيث دعمه في حملته على الزاوية التيجانية بعين ماضي، غير أن فرنسا أصرت بعد ذلك على نقض المعاهدة، تطبيقا لسياستها التوسعية، ورغبتها الأكيدة في السيطرة التامة على كل الأراضي الجزائرية، وباستخدام القوة.

واستمر المغاربة في دعمهم للمقاومة الجزائرية التي قادها الأمير عبدالقادر، رغم أن دعمهم لم يكن كافيا، أمام حجم الاستعدادات الفرنسية والإمكانات الحربية التي سخرتها للجيش الفرنسي منذ عام 1841، وقد أدى تراجع مقاومة الأمير عبدالقادر، إلى اضطراره للجوء إلى شرق المغرب مع أنصاره في نهاية عام 1843، وكان يسعى في هذه المرحلة إلى تهيئة الظروف، لاستئناف الحرب على فرنسا من جديد، فكان يعمل على إقناع القبائل الجزائرية للهجرة إلى الأراضي المغربية، حتى يتمكن من الاستفادة منها كقوة يواصل بها مواجهة القوات الفرنسية، وأثناء تواجده بالمغرب استغل عدة عوامل لتقوية مركزه وتدعيم دائرته، ومن أبرز هذه العوامل ما أشارت إليه بعض الكتابات المغربية، من المساندة والتأييد اللذان لقيهما الأمير عبدالقادر من طرف قبائل شرق المغرب، بعد سماعها بإعلانه حربه ضد القوات الفرنسية، وسرعان ما عم هذا التأييد الأقاليم المغربية الأخرى، بالإضافة إلى فتور العلاقة بين أغلب هذه المناطق والسلطة المغربية، مما أتاح للأمير عبدالقادر أن يحصل على الحماية والمساندة، وهناك عامل آخر ذكرته هذه المصادر، ويتمثل في تحاشي المخزن الوقوع في صراع مباشر مع الجزائريين، ورفضه للخطط التي انتهجها أميرهم، رغم أنه كان متأكدا، بأنهم لن يتمكنو من إخراج فرنسا من أرضهم، غير أن حالة التردد

هذه لم تدم طويلا، إذ سرعان ما تحركت السلطات المغربية، بعد اشتداد الضغوطات الفرنسية، والقيام بتوجيه حملات عسكرية قوية، تعرضت لها مدينتي الصويرة وطنجة، وعليه فقد ازدادت مخاوف المغاربة، بعدما أصبح الأمير عبدالقادر يتمتع بشعبية كبيرة في أوساط القبائل المغربية، التي تحالفت معه، ولقد كانت أولى الخطوات التي قام بها المخزن المغربي لمواجهة الوضع، قيام المولى عبدالرحمن بتقديم اقتراحين إلى الأمير عبدالقادر، حيث خيره بين مغادرة الأراضي المغربية مع دائرته واللجوء إلى الصحراء، أو الاستقرار في إحدى المدن الداخلية، بيد أن الأمير عبدالقادر لم يكن مستعدا لقبول الاقتراحات المغربية، حيث ظل يتحاشى الوقوع في خلاف مع السلطان، فكان يقدم الوعود، بمغادرة الأراضي المغربية، حتى لا يعرضها للأخطار الفرنسية، وعلى الرغم من ازدياد الضغط الفرنسي على المولى عبدالرحمن، وتهديده بالدخول إلى أراضيه للقبض على الأمير عبدالقادر، فإنه بقي إلى غاية عام 1847 يرفض استخدام القوة ضد الأمير عبدالقادر، لإرغامه على الاستجابة لمطالبه ومقترحاته، وقد أشارت الكتابات المغربية بأن المولى عبدالرحمن ظل متمسكا بموقفه المسالم تجاه الأمير، ولخشيته من ازدياد تحالف القبائل المغربية معه وتعصبها له، وبالتالي الخروج عن سلطته، ولذلك بقي يعتمد الأسلوب السياسي، عن طريق الضغط عليه، والتضييق على دائرته، وتحريض القبائل المغربية على مقاطعته، وطرده من أراضيها، بيد أن أسلوب السياسة لم يؤثر على الأمير عبدالقادر، بل كان عاملا في تقوية نفوذه وازدياد شعبيته في الأراضي المغربية، ومع كثرة النداءات والجهود التي قام بها المولى عبدالرحمن لإقناع القبائل المغربية بالخروج عن الأمير عبدالقادر، أثمرت هذه في رضوخ بعض القبائل لضغوطات المخزن، ابتداءا من عام 1847، حيث وقع أول تصادم بين قوات المخزن والأمير عبدالقادر، الذي قتل فيه عامل الريف القائد الأحمر، أدى هذا الحادث إلى ازدياد حدة التوتر بين الطرفين، وانعدام الثقة بينهما، وعدم قدرة الأمير على إقناع السلطان بتسوية الوضع، إذ وصل الأمر إلى تكليف المولى عبدالرحمن ولي عهده سيدي محمد، بتجهيز حملة عسكرية كبيرة، بعدما أغلقت كل الطرق المؤدية إلى الجزائر، وحينها لم يجد الأمير حلا سوى تسليم نفسه إلى القوات

الفرنسية، وكان هذا التسليم تسليم شجعان وأبطال، حين تأكد من عدم جدوى مواصلة مقاومته.

وبعدما سلم الأمير عبدالقادر نفسه للقوات الفرنسية، سارعت السلطة المغربية بالتعليق على هذا الحدث، الذي لم يخل من التحامل على الأمير عبدالقادر، واعتبار ذلك فتحا وانتصارا عظيما للمغرب، ومن خلال الرسالة التي بعثها المولى عبدالرحمان يوم 30 ديسمبر 1847، حيث وصف فيها الأمير بمختلف النعوت كـ (الفتان)، (الفاسد)، (الشيطان) ... وهناك وثيقة أخرى بعث بها أحمد البوحميدي الولهاصي إلى السلطان في 23 جانفي 1848، لم تخل هي كذلك من التحامل على شخص الأمير، واتهامه بالطمع في العرش المغربي، وهذا ما سار عليه الكثير من الكتّاب المغاربة، كالناصري، وأبو العلاء إدريس، وإكنسوس، فالناصري اتهم الأمير بالاستبداد وحب التملك على المغرب، وتحين الفرص لذلك، مشيرا إلى هزيمة إيسلي، علما بأن الأمير بعد هذه الموقعة عاد إلى الجزائر، وشرع في خوض المعارك ضد القوات الفرنسية مع حلول عام 1846، أما بالنسبة لإكنسوس فقد ذكر بأن الأمير عبدالقادر قد جاوز حده، وأنه من فرط جهله طمع في عرش المغرب ...، ولكن ما نعرفه عن أميرنا أنه لا يخوض في مسألة حتى يشاور أهل الرأي من الفقهاء والعلماء، وبالنسبة لطمعه في العرش، فإن رسائل الأمير لم نجد فيها ما يشير إلى هذه المسألة، ولقد ذكر أبو العلاء إدريس، بأن الأمير عبدالقادر عندما انسحب إلى المغرب، وجد الدعم والرجال، ففتنه هذا البلد وطمع في ملكه، علما بأن الأمير كان دائما في مراسلاته، ينفي تماما طمعه في الملك، حيث ظل يرفض طلب بعض المغاربة التولية عليهم، وهذا احتراما وتقديرا للمولى عبدالرحمن.

ورغبة منا وضع هذه الكتابات في سياقها التاريخي، نقول بأن هذه الكتابات، قد أنصفت الأمير عبدالقادر، في بداية مقاومته الاستعمار الفرنسي،واحترمت مكانته العلمية والعسكرية، بيد أنها سرعان ما بدأت تتهجم على شخصه وتتحامل عليه، وبخاصة كتابات المخزن المغربي، التي كانت تتم بين السلطان وعماله، أو مع القادة الفرنسيين، وبعض زعماء القبائل المغربية، التي كانت تؤيد الأمير، وهنا نضع علامات استفهام حول حقيقة

هذه الكتابات، ومدى قناعة أصحابها بما كتبوه، وهل يمكن أن نعتبر كتاباتهم جاءت بتوجيه إرادة السلطة المغربية؟ أو ضغوطات أجنبية؟، أفقدتها الموضوعية، إذ بعدما كانت مؤيدة أصبحت معارضة ومتهمة، وفي هذا الحال لا يمكن الجمع بين متناقضين في آن واحد، حيث كان المولى عبدالرحمن في البداية قد وضع الأمير عبدالقادر في منزلة الولد البار، وأعلى من شأنه، ودعمه بالقوة المانعة والعدة الدافعة، وهذا حسبما كان يقتضيه واجبه الديني والأخلاقي تجاه المسلمين من جهة، وتأييده لخليفته في الأرض الجزائرية من جهة أخرى، التزاما بنص البيعة، التي اعتبرها شرعية، بيد أن السلطان ينفي هذا الأمر في بعض رسائله الموجهة إلى القادة الفرنسيين، وهذا ما يؤكد لنا بأنه كان يتحاشى مطالب فرنسا بالكف عن دعم الأمير عبدالقادر، وطرده من الأراضي المغربية، وهناك جهات مغربية لم تلتق بالأمير عبدالقادر، ولم تره رأي العين، إنما سمعت عن بطولاته ومواقفه، لكنها قدرت شخصه، وأنصفته أيما إنصاف، بعدما عرفت حقيقته، وفضله، وكما يقال فإنه لا يعرف أهل الفضل والعلم والحكمة إلا أصحابها، وفي مقدمة هؤلاء المغاربة الفقيه التسولي محمد بن إدريس شاعر السلطان، والطاهر بن جلول ممثل السلطان لدى الأمير، وقاضي القضاة عبدالهادي العلوي، وشيخ الصوفية سيدي محمد الحراق، والشيخ أبو عبدالله الليفراني.

ورغم ما كتب عن الأمير عبدالقادر، وما سيُكتب عنه، فإن هذا الرجل يعتبر من أهم الرجال الذين عرفتهم بلادنا خلال القرن التاسع عشر، لما قام به من أدوار في التصدي لفرنسا، ومحاولاته لتثبيت أركان الدولة الجزائرية الحديثة، ومهما حاولنا الكتابة عنه، فإننا لن ننصفه حقه، بحيث رغم الضغوطات التي تعرض لها من جهات مختلفة فرنسية ومغربية، فإنه ظل يقاوم جامعا بين العلم والسيف، وبين الفقه والسياسة، بإعطائه لمقاومته صفة الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمته، ومحاربة الكفار، بيد أنه لم يكتب له النجاح وفضل تسليم نفسه للقوات الفرنسية، وعدم تحميل القبائل الجزائرية التي ساندته مآسي أخرى، تاركا مشعل النصر والجهاد للأجيال القادمة، وهذه هي خاتمة ما تم رصده من معلومات حول الاحتلال الفرنسي ومقاومة الأمير عبدالقادر في بعض الكتابات المغربية وأرشيفها.


الملاحق

الملحق رقم 01: رسالة من السلطان مولاي عبدالرحمان إلى الطالب بن حمان الجراري*



* المولى عبدالرحمان الى الطالب بن حمان الجراري، 22 ربيع الثاني 1246هـ، خ ح، م 2، 15.

الملحق رقم 02: نسخة من نص معاهدة ديميشال السرية التي حصل عليها ميلود بن أعراش في 20 فيفري 1835، والتي بنى عليها الجنرال تريزال تقريره

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

شروطنا في ثبوت الصلح أمور

الأول تسريح آلة الحرب من السلاح والبارود وغيرهما كالكبريت ونحوه

الشرط الثاني

أن البيع الواقع في المرسى على يد أمير المؤمنين كعهد الملوك السالفة في سائر الأمور من أن الوسق لا يكون إلا من رزيو وأما مستغانم ووهران فلا يدخلهما إلا ما يكون لأهلها ولا يتجر أحد فيهما بل من أراد الوسق يذهب للمرسى بمركبه

الشرط الثالث

أن الجنيرال يرد من هرب منا إليه مكبلا ولا يقبل طلب البالطو عنده

الشرط الرابع

أن لا يمنع أحد المسلمين من الخروج لدار الإسلام حيث أراد من وهران ومستغانم

ici était le cachet d'Abd el Kader

Louanges à Dieu; salut à notre Seigneur Mahomet son prophète.

Nos Conditions pour le traité —

Article 1er

liberté de munitions de guerre: la poudre, les armes, le soufre, &c

Article 2.

toutes les ventes qui se feront dans le port d'Arzew comme toutes les affaires seront sous les ordres de l'Emir des Croyants suivant l'usage de l'ancienne Régence en ce que les exportations ne se feront que du port d'Arzew; mais à Oran et à Mostaganem il n'entrera que pour les besoins des habitants et personne ne commercera dans ces deux villes pour l'exportation. Ceux qui veulent charger leurs bâtiments iront par Arzew.

Article 3.

que le Général renverra garottés tous les déserteurs arabes et ne recevra pas les malfaiteurs chez lui.

Article 4.

Que les musulmans auront liberté entière de partir d'Oran et de Mostaganem pour se retirer chez eux.

Copie exacte du traité qui a été apporté au Gal Desmichels à la fin de février 1834 (par Ben Arrach Miloud) et sur lequel le Gal a fait apposer son cachet arabe.

Traité représenté au Gal Trézel le 20 février 1835 par ce même Miloud Ben Arrach envoyé par Abd el Kader. Copié ici par l'interprète Bramcha et traduit entre cet interprète et Mouloud Oukil de l'Emir en Alger [illegible] Spahis réguliers.

à Oran le 20 février 1835. Gal Trézel

ici le cachet arabe du Général Desmichels mais sans signature; il n'y a point de date de lieu ni de temps mais d'après les déclarations des personnes qui ont concouru à ce traité il aurait été apporté au Gal Desmichels par Ben Arrach et le Général le lui aurait rendu après y avoir fait apposer en sa présence son cachet arabe par Mr. Brahimcha son premier interprète; c'était quelques jours seulement après la signature du premier traité c.à.d. dans les derniers jours de février ou les premiers de mars 1834.

LE TRAITÉ SECRET SIGNÉ
ENTRE LE GÉNÉRAL DESMICHELS ET ABD EL-KADER
(copie certifiée conforme par le général Trézel)

الملحق رقم 03: حملة الأمير عبدالقادر على مدينة وهران*

الملحق رقم 04: أول تصريح للجنرال كلوزيل بفكرة الجزائر فرنسية*

* بناءا على معطيات تاريخية وجغرافية.

ARMÉE D'AFRIQUE.

HABITANS

DU ROYAUME D'ALGER!

LE puissant Roi des Français, LOUIS PHILIPPE Ier m'a confié le commandement de l'Armée qui occupe ce Royaume, et le gouvernement des Provinces dont il se compose. L'intention du Roi des Français est d'assurer pour TOUJOURS le bonheur des peuples que nos armes ont soustraits à un joug dur et humiliant, en fesant régner la justice et les lois, en protégeant tous les bons, et en sévissant sévèrement contre les méchans à quelque classe qu'ils appartiennent. Des malveillans ont répandu des bruits injurieux au caractère Français, en nous accusant d'une injuste préférence pour certaines classes d'habitans. Ne prêtez point l'oreille à ces insinuations perfides. Je promets à tous sûreté et protection, mais j'attends de vous une entière confiance et tout l'appui que vous pourrez me prêter pour faire régner l'ordre et la paix.

Habitans du Royaume d'Alger, Votre Religion, Vos Mœurs, Vos Usages seront respectés. Je ferai droit à toutes vos réclamations. Je compte que je n'aurai qu'à me louer de votre conduite et que vous ne me mettrez jamais dans le cas de vous prouver que ce ne serait pas en vain, qu'on essayerait de susciter des troubles, soit dans l'intérieur de la Capitale, soit au dehors. J'ai déjà ordonné la punition exemplaire de quelques hommes perfides qui ont fait circuler des bruits coupables pour vous alarmer, et qui nous accusaient d'avoir le dessein de vous abandonner à la vengeance des oppresseurs dont nous vous avons délivrés.

Alger, le 7 Septembre 1830.

Le Général commandant en chef l'armée d'Afrique,

Comte CLAUZEL.

*Montagnon, op, cit, p 167.

الملحق رقم 05: ريف وشرق المغرب وفقا لمعاهدة لالة مغنية*

* بناءا على معطيات تاريخية وجغرافية

الملحق رقم 06: حملة تلمسان: معركتي وادي يسر ــ تافنة ــ سبع شيوخ[*]

[*] بناءا على معطيات تاريخية وجغرافية

الملحق رقم 07: المراكز المحاصرة فيها القوات الفرنسية عام 1836*

الملحق رقم 08: المناطق المحتلة في الجزائر أواخر سنة 1840*

* بناءا على معطيات تاريخية وجغرافية

الملحق رقم 09: رسالة من السلطان عبدالرحمان إلى كراغلة تلمسان*

* بناءا على معطيات تاريخية وجغرافية
* المولى عبدالرحان إلى كراغلة تلمسان، 26 جمادى الثانية 1246 هـ الموافق لـ 12 ديسمبر 1830، خ ح، م 2، 16.



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

خديمنا القايد الطيب كلاية وفقكم الله وسلام
عليكم ورحمة الله وبعد فقد وصل لحضرتنا الشريفة
اخوانكم المهاجرين بوصولهم من محلهم واكرمناهم
رغبا لشفاعة ابن عمنا مولاي علي وخلا لنا الطالب
ادريس بن حمدان الجرار اصلحهم الله فيهم فيكونوا عند
الظن بكم في كل ما يأمر كما في [illegible] شريفة
[illegible] من [illegible] والمعروف فوق ما تظنون ان شاء
الله والسلام في 26 جمادى الثانية عام 1216

الملحق رقم 10: رسالة بومدين بن الهاشمي قائد وجدة إلى محمد بن إدريس*

الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سيدنا الإمام أمير المؤمنين [illegible]
[illegible]

الملحق رقم 11: نص بنود اتفاق تافنة*

الميتنان جنيرال بيجو حاكم جيوش البرنصيص في وطن بلاد وهران
على الشروط الاتية بعنا

شرط اول

الامير عبد القادر يعرف حكم سلطنة برانسا في ابريقية.

شرط ثاني

برانسا تحفظ لنفسها في وطن بلاد وهران مستغانم ومزغران وسايراراض
لحدود الذي نذكرها بعد شرقا المقطع من عند المرجه من ابي يخرج الو
اعمل خط مساوي قبلة المسجة على تيشان سيدى سعيد لحد واد الم
البحر بنوع ان هذ المذكورة اعلاه جميعها تكون في يد البرنصيص
وفي وطن بلاد لجزاير الجزاير والساحل والوطى متاع متجه من جيهة
وقبلة لحد راس اول جبل حتى واد شبه و داخل في ذلك البليدا وس
شرقي واد مزبران ومن هناك خط مساوي لحد البحر ومتضمن في هذ
بنوع ان جميع هذ لحدود المذكورة تكون في يد البرنصيص

شرط ثالث

الامير يحكم في وطن بلاد وهران والمدية ونصيب من عمالة لجزاير التي
لحدود المذكورة في الشرط الثاني وما يقدر يحكم غير في لحدود المذكورة اع

شرط رابع

الامير ما يقدر يحكم على المسلمين الذين يحبون يسكنوا في لحدود الذين
ان يمشوا يعيشوا في بلاد حكم الامير كما ان السكان في بلاد الامير يم
حرا يسكنوا في بلاد حدود البرنصيص

شرط خامس

العرب السكان في بلاد البرنصيص يتبعوا دينهم بكل حرية ويقدروا
شريعة دينهم على يد قاضيهم كبير الاسلام

شرط سادس

الامير يعطى لجيش البرنصيص ثلاثين الف ربعى ومرانى قمح و ثلاثين ال
آلاف بقرد وهذا الدفع متاع لحب والبقرة يكون لوهران كل ثلث واحد
اشهر من التاريخ بهذ خمسة عشر يوم والثلثين الاخرين شهرين بعد ش

*أديب

الملحق رقم 12: العرض الذي قدمه المارشال فالي على الميلود بن أعراش بخصوص التعديلات الخاصة بمعاهدة تافنة*

المرشال الكونت باله كبير حكام بلاد شمال افريقيه
ومعه الامير السيد الحاج عبد القادر بن محيي
الدين الحاضر في شخص السيد مولود بن عراش
بمنوب المذكورين اردنا سماه بجميع الكلام المطلع
الغير الكامل الكائن في الاتفاق السادس
في ... شهر مايو عام ١٨٣٧ ...
الشروط متاعه تكون بائنه ومحفوظه بكل صدق
ولاجل ذلك قد اتفقنا على الشروط الاتيه

الشرط الاول

الذي يتعلق في الشرط الثاني في الاتفاق المذكور
اعلاه
في وطن الجزائر الحدود التي فرانسه تحفظها لنفسها
ابن قرام واد الخضرة ...

Le Maréchal Comte Valée Gouverneur Général des possessions françaises dans le Nord de l'Afrique et l'Emir el Hadji Abd el Qâder ben Mohhi ed-Din représenté par le chéïd Maouloud ben Arrâch voulant expliquer les termes qui sont restés obscurs et incomplets dans la Convention du 30 mai 1837 et assurer l'exécution de tous les articles de ce traité, sont convenus de ce qui suit :

Article 1er

*أديب ح

الملحق رقم 13: نص تابع لعرض المارشال فالي*

الشرط الثاني

الذي يتعلق في الشرط السادس من الاتفاق المذكور باوله

عوض الثلاثين ألف فانيق قمح وعشرين ألف فانيق شعير الذي كان الأمير ملزوم أن يدفعها قبل اليوم الخامس عشر من شهر يناير عام 1838 يدفع الفين فانيق قمح والفين فانيق شعير في كل عام على مدة عشرة أعوام في كيل وهران ومبدأ هذا الدفع يكون في أول يوم من شهر يناير عام 1839 وهكذا في الأعوام الآتية اللهم اذا ما امكنه دفع كل القدر المذكور باحدى الأعوام بسبب عدم الصابة فيدفعه في ما بعد

الشرط الثالث

المتعلق بالشرط السابع من الاتفاق المذكور باوله

السلاح والرصاص والبارود والكبريت

du territoire d'Arzew à celui de Mostaganem : elle pourra, si elle le juge convenable, réparer et entretenir la partie de cette route à l'Est de la Macta qui n'est pas sur le territoire de Mostaganem ; mais les réparations seront faites à ses frais et sans préjudice des droits de l'Emir sur le pays.

Article 2

relatif à l'article 6 de la convention.

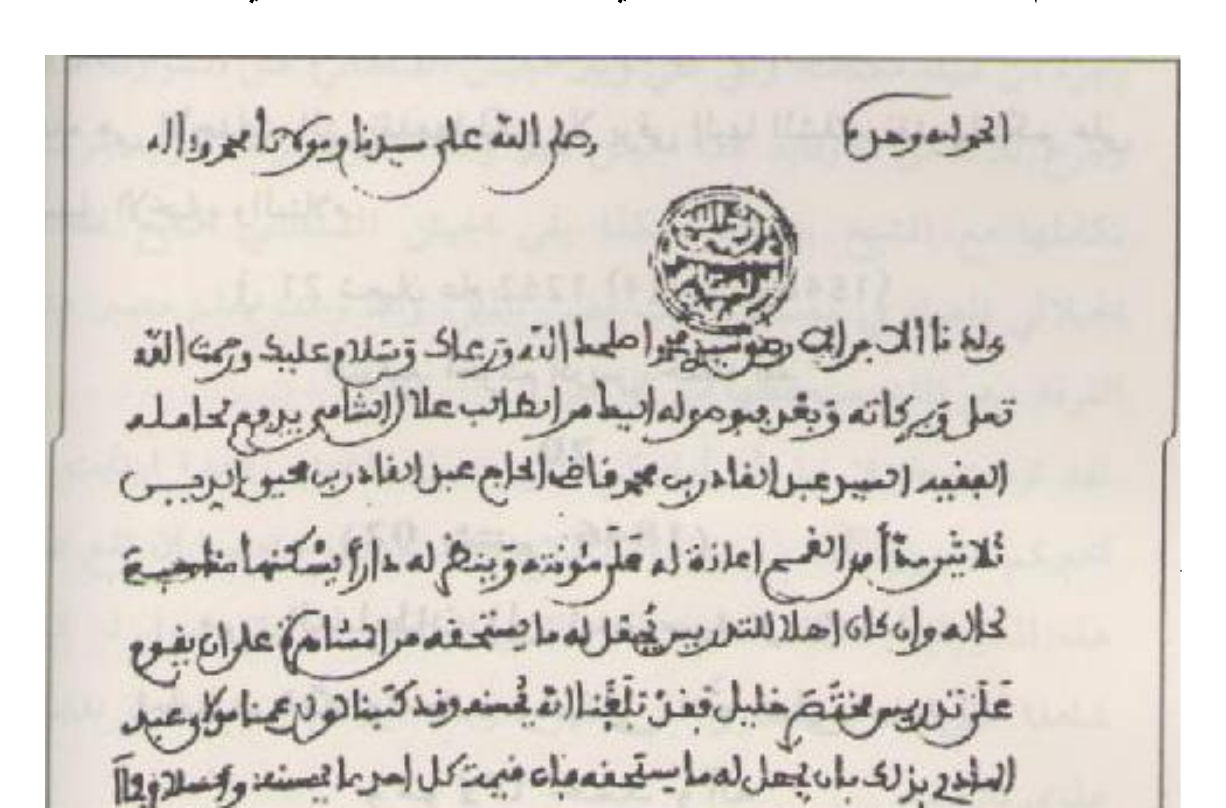
L'Emir en remplacement des 30,000 fanègues de blé et des 30,000 fanègues d'orge qu'il aurait dû donner à la France avant le 15 Janvier 1838, versera chaque année pendant dix ans 2,000 fanègues (d'Oran) de blé et 2,000 fanègues (d'Oran) d'orge.

Les denrées seront livrées à Oran le 1er Janvier de chaque année à dater de 1839 [illegible]

الملحق رقم 14: حملة معسكر: خط سير القوات الجزائرية الفرنسية إلى معركتي وادي خروف وسيدي مبارك*

* بناءا على معطيات تاريخية وجغرافية

الملحق رقم 15: رسالة من السلطان مولاي عبدالرحمان إلى ابنه سيدي محمد *



الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد أصلحك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته وبعد فموصله إليك من الطلاب على الشام برسم تحامله
الفقيه السيد عبد القادر بن محمد قاضي الحاج عبد القادر بن محيي الدين
ثلاثين مدا من القمح إعانة له على مؤونته ويعطى له دار يسكنها مناسبة
لحاله وإن كان أهلا للتدريس يجعل له ما يستحقه من الشام على أن يقوم
على تدريس مختصر خليل فعسى ينفعنا الله بحسنه وقد كتبنا لولد عمنا مولاي عبد
الهادي بذلك بأن يجعل له ما يستحقه فإن فيه كل أمر ما يحسنه والسلام وفي

الملحق رقم 16: المولى عبدالرحمان مستاء من الأمير عبدالقادر بسبب الويلات التي تعاقبت على مملكته *



* de cossé brissac, op. cit, p 122

الملحق رقم 17: خارطة إمارة الأمير عبدالقادر بعد معاهدة ديميشال*

الملحق رقم 18: رسالة من السلطان مولاي عبدالرحمان إلى علي الجراري*

* بناءا على معطيات تاريخية وجغرافية



الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الملحق رقم 19: كرونولوجيا لأحداث حياة الأمير عبدالقادر ومسيرته النضالية*

1807 : مولد الأمير عبدالقادر بالقيطنة قرب معسكر

* المولى عبدالرحمان إلى علي الجراري، 07 جمادى الثانية 1246 هـ الموافق لـ 23 نوفمبر 1830، خ ح، م 3، 15.

*بناءا على معطيات تاريخية

1812 : التحاقه بمدرسة والد بالقيطنة
1822 : سفره إلى وهران في رحلة عملية مكنته من الاطلاع على الحياة الاجتماعية
1823 : عودته من وهران إلى مسقط رأسه
1825 : مغادرته مسقط رأسه رفقة والده لأداء فريضة الحج، وقد مكنته هذه الرحلة من زيارة تونس، الإسكندرية، القاهرة، بغداد، دمشق
1827 : عودته رفقة والده إلى معسكر
1831 : 04 جانفي: احتلال القوات الفرنسية لوهران
1832 : 27 نوفمبر: مبايعة الأمير عبدالقادر تحت شجرة الدردار بسهل غريس (كان عمره حوالي 25 سنة)
1832 : معركة خنق النطاح بين الأمير عبدالقادر والقوات الفرنسية، كان النصر حليف الأمير عبدالقادر
1833 : 04 فيفري: المبايعة الثانية للأمير عبدالقادر
1833 : وفاة والده محي الدين بن مصطفى
1834 : 26 جانفي: معاهدة ديميشال بين الأمير عبدالقادر والجنرال ديميشال، استغلها الأمير في تنظيم جيشه
1835 : أفريل: الأمير يوسع سلطته إلى مشارف العاصمة
1835 : 28 جوان: معركة وادي المقطع بقيادة الأمير عبدالقادر حيث حقق الانتصار على قوات الجنرال تريزال
1835 : 06 ديسمبر: دخول القوات الفرنسية معسكر والاستلاء عليها بقيادة الجنرال كلوزيل
1836 : الملك لويس فليب يرسل الجنرال بيجو إلى الجزائر
1836 : 13 جانفي: احتلال القوات الفرنسية تلمسان
1837 : 30 ماي: معاهدة تافنة بين الأمير عبدالقادر والجنرال بيجو
1838 : 17 نوفمبر: الأمير عبدالقادر يحاصر معقل التيجانية ويضمها إلى سلطته
1839 : إعلان المقاومة بمدينة المدية وبالتالي استئناف المقاومة
1840 : 29 ديسمبر: تعيين المارشال بيجو حاكما عاما في الجزائر
1842 : مطاردة الجنرال بيجو لمعاقل الأأمير عبدالقادر
1844 : 16 ماي: اكتشاف الدوق دومال لعاصمة الأمير المتنقلة
1844 : 06 أوت: قصف القوات الفرنسية لمدينة طنجة
1844 : 19 جوان: انهزام قوات الملك عبدالرحمان سلطان المغرب في معركة إيسلي أمام قوات الجنرال بيجو
1844 : معاهدة طنجة بين فرنسا والملك عبدالرحمان تقضي بحياد الملك تجاه مقاومة الأمير عبدالقادر
1846 : جويلية: لجوء الأمير عبدالقادر إلى المغرب طلبا للمساعدة ولكن السلطان عبدالرحمان خذله فعاد الأمير إلى الجزائر
1847 : مغادرة الجنرال بيجو الجزائر
1847 : 23 ديسمبر: الأمير عبدالقادر يلقي السلام أمام الجنرال لامورسيير الذي وعده بحرية اختيار مكان إقامته رفقة عائلته
1848 : وصوله إلى مرفأ طولون بفرنسا
1848 – 1852 : بقاء الأمير عبدالقادر في الأسر بقصر أمبواز بفرنسا وتأليفه كتاب "المقراض الحاد"
1852 : توجه الأمير إلى تركيا واستقراره بمدينة بروسة
1854 : رحيل الأمير من تركيا ليستقر بالعاصمة السورية دمشق

1860	: الموقف الإنساني النبيل للأمير عبدالقادر في مذبحة المسيحيين ووقوفه إلى جانبهم وإيقافه للفتنة
1861	: زيارة الأمير عبدالقادر لمدينة حمص ووقوفه على قبر ابن الوليد
1862	: وفاة والدة الأمير عبدالقادر
1862 - 1864	: مدة خلوته الصوفية في مكة المكرمة والمدينة المنورة
1865	: سفره إلى إسطنبول وباريس
1869	: مشاركة الأمير عبدالقادر في الافتتاح الرسمي لقناة السويس ببور سعيد المصرية
1877	: موقفه الشجاع من الحركة الاستقلالية في الشام (المواقف في الوعظ والإرشاد)
1856 - 1883	: مدة قراءته وتأليفه لكتابه
1883	: 23 ماي: وفاة الأمير عبدالقادر بدمشق رحمه الله
1966	: نقل جثمان الأمير عبدالقادر إلى الجزائر وإعادة دفنه في مقبرة الشهداء بالعالية

الملحق رقم 20: القادة والحكام الفرنسيون في الجزائر خلال فترة 1830 – 1837

القادة والحكام		حكم	
		من	إلى
1. قادة الجيش			
5 تموز 1830 – 28 أيلول 1834			
بورمون	Bourmont	05 جويلية 1830	12 أوت 1830
كلوزال	Clauzel	12 أوت 1830	21 فيفري 1831
برتزين	Bethezène	21 فيفري 1831	17 ديسمبر 1831
دوروفيغو	De Rovigo	17 ديسمبر 1831	03 مارس 1833
أفيزار	Avizard	03 مارس 1833	29 أفريل 1833
فوارول	Voirol	29 افريل 1833	28 سبتمبر 1834
2. الحكام العامون			
28 ايلول 1834 – 12 ت 1837			
دارلون	D'Erlon	28 سبتمبر 1834	08 أوت 1835
كلوزال	Clauzel	08 أوت 1835	12 جانفي 1837
رابتال	Apatel	12 جانفي 1837	03 أفريل 1837
دامريمون	Damrémont	03 أفريل 1837	12 أكتوبر 1837
3. قادة المقاطعة الغربية			
أوائل 1831 – أيلول 1837			
لوفول	Le Fol	أوائل 1831	جويلية 1831
فودواس	Faudoas	جويلية 1831	19 سبتمبر 1831
بواييه	Boyer	19 سبتمبر 1831	23 أفريل 1833
ديميشال	Desmicheles	23 أفريل 1833	08 فيفري 1835
تريزال	Trézel	08 فيفري 1835	15 أوت 1853
دارلنج	D'Arlanges	15 أوت 1853	03 جوان 1836
بيجو	Bugeaud	03 جوان 1836	30 جويلية 1836
لاتون	Létang	30 جويلية 1836	03 جانفي 1837
بروصار	Brossard	03 جانفي 1837	سبتمبر 1837

الملحق رقم 21: رسالة من المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي*

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فقد وصلنا كتابك جوابا عما كان كتبنا ل كبه في شأن حميدة بن علي الشركي وأحمد الخضر، وأن عدو الدين خذلهما وبذل لهما الطمع، حتى أدخلا طرفا وافرا من هذه الإيالة السعيدة في إيالة الجزائر، وعلمنا ما شرحت من عجزهما وبجرهما، وما ذكرت في ذلك وأخبرت أن الأمر يسهل إن لم نطلع عليه، فاعلم أنا علمنا الحيف من أول وهلة فلم نطبع ولا نفعل في المستقبل إن شاء الله، وإنما طبع عليه حميدة فقط، فاشرع في مباشرة الأمر على الكيفية التي قدمنا لك ولا تسأل جهدا في فسخ ما عقد الطماعان الساقطا الهمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقد توجه أصحاب البلد المجاورين ليقفوا على حدود بلادهم، ويستظهروا برسومهم وتصرفاتهم مع أنا احترزنا من هذا كله حتى في كتاب التفويض، ذكرنا فيه أن الحدود تكون على ما كانت عليه أيام دولة الترك، ولم نقصر من الاحتراز والتحري والتقدم بالوصية ولكن والطمع يعمي ويصم، والسلام، في ربيع الثاني 1261 هـ.

*المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي، ربيع الثاني 1261 هـ، خ ح، م 4، مخ 19

الملحق رقم 22: رسالة من المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي*

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فقد وصلنا كتابك وصحبتهما كتاب الفرانصيص مراجعا في أمر الحدود، وعلمنا انتصاره لوكيلهم واحتجاجه لصحة عملهم ورغبته في تصديقهم، فأجبه بأن ما راجعناه إلا بالحق الثابت، وإنا وجهنا على قاضي المسلمين بوجدة حتى يبين ما هو على الصواب، وما وقع فيه الحيف والزيادة، ومع هذا كله ها نحن جددنا نسخة من النسخة التي طبع عليها حميدة حرفا بحرف، وحذفنا منها الفصول التي لم نأذن في ذكرها ولا الكلام فيها، وهو المجاورة في أمر التجارة وما تعلق بها لطبعه أسفلها، فإنا إن وضعنا خاتمنا عليه يضنون أنا رضيناه ويقيمون الحجة بختمنا عليه، وزدنا أنا أمضينا ما كان على حدود الترك المعلومة ونرفع الخلاف، فما كان في نفس الأمر على حدودهم يمضي، وما وقع فيه الزيادة تكون المراجعة فيه لتنقطع الأعذار من الجانبين، وإن كانت كلها على الحدود المذكورة فقد مضت، فأطلعه على النسخة، فإن قبلها على هذا الوجه نختم عليها، وتدفع له حين يأتي بنظيرتها مطبوعة بخاتم طاغيته، وإن لم يقبل فلم يبق معه كلام، والسلام، في 10 جمادى الثانية 1261 هـ.

* المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي، 10 جمادى الثانية 1261 هـ، خ ح، م 4، 20.

الملحق رقم 23: من المولى عبدالرحمان إلى ولي العهد سيدي محمد*



الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا وآله وصحبه وسلم

ولدنا البار الأرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، وصلنا كتابك والكتب التي معه وعرفنا مضمونها، وأن الكل أخبر مما ءال إليه أمر قلعية مع الفتان عاجله الله بالانتقام من ذبيحتهم عليه، ولما وظف عليهم لما أبطأت إغاثة قبائل الريف عنهم، فبوصول كتابنا هذا إليك تأهب للنهوض لهذا الأمر المهم بنفسك فليس عندنا من نعول إليهم إلا الله سبحانه وتعالى وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا، ولا تظهر النهوض حتى تكون بمكناسة وتوجه لك من المحلة التي معنا إن شاء الله تعالى، وتتوجه معك محلة الحوز والمدد الذي في الحياينة وغيره لتازا بحول الله وعلى الله الكمال، والمال الذي وجهت لابن عبدالصادق الريفي يبقى بتازة تحت يد ولد أبا محمد، وهذا ابن عبدالصادق الذي يطلب توجيه المال له أي فائدة ظهرت له منذ توجهه، فلا توجه له شيئا، يقول الناس لا يقضي حاجتي مثلي، وأهل الحوز إن رأيتهم يتشوفون لإعانته اجعل لهم درهما للفارس في اليوم، وبوصول كتابنا هذا إليك بين لنا عدد ما عند أبي محمد خيلا ورماتا مخازني وغيرهم، وعدد ما مع أخيك مولاي أحمد أصلحه الله وجيش المخزن وغيرهم، وكم عندك بفاس كذلك والله يعينك والسلام، في 18 شوال الأبرك عام 1263 هـــ.

*المولى عبدالرحمن إلى سيدي محمد 15 جويلية 1847، خ ح، م، 4، مخ 22.

الملحق رقم 24: عبدالقادر أشعاش إلى المولى عبدالرحمان*

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا وآله وصحبه وسلم

ركن الشريعة وسيفها المهند المسلول أمير المؤمنين، بعد تقبيل أعتاب الدار السعيدة وأداء ما يجب بين العبد لمولاه، أنه ورد علينا من حضرة مولانا ما فتح الله به على المسلمين من رد الفاسد الفتان وحليفه الشيطان على كيده وبارت تجارته وباء بالخسارة واتضح للمسلمين ضلاله، فحصل بالقطر من السرور والفرح ونشر الأعلام ما أدهش العقول وأنعش الأفهام، فيا ليتها من مزية لم تزل على مر الليالي تتلى وتسمى، يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما، فلقد تلطف خليفة مولانا ونجله حتى أظهر ما استبطنه الخداع من متابعة حرب أهل ود وسواع، فشهرت الأسواق، وخليت من الأجياد والأصناف فصار من هذا عرش الملك في أعلا عز وفاق، واتسق بذلك الأمر أي اتساق، وليسهمني سيدي من ذلك الأجر الذي أعقبه الله بالخير والبركة فوقع الظفر، وفي 16 صفر عام 1264 هـ.

* عبدالقادر أشعاش إلى المولى عبدالرحمان، 16 صفر 1264 هـ، خ، ح، م 4، مخ 21.

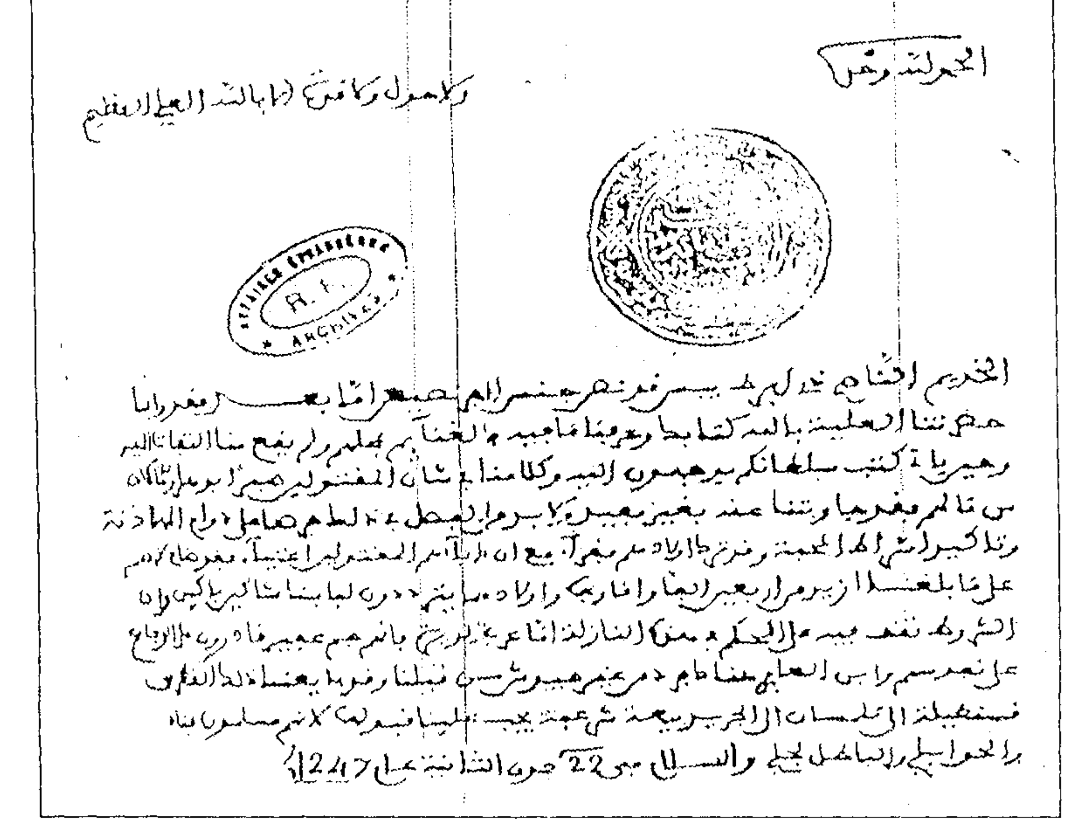
الملحق رقم 25: المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام بن علي*

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

خديمنا الأرضى بوسلهام بن علي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فإن حميدة بن علي عامل وجدة مع الطالب أحمد الخضر خدعهما نائب عدو الدين فيما كلفناهما به من الوقوف معه على الحدود، وغرهم على عادته بترهاته، وبذل الطمع حتى أدخل في الحد طرفا وافرا من بلاد قبايل إيالتنا السعيدة لناحية بلاد إيالة الجزاير، وغرهما حتى طبع له حميدة على الرسم الذي أتى به، ونحن كنا فوضنا له ضنا منا أنه يقف على حقوق المسلمين لعلمه بالبلاد وأهلها، مع تقديمنا له المرة بعد المرة أن يكون على ما كان بين دولتنا ودولة الترك أيام ولا يتهم، وأمرناك بالتقصي في ذلك وسؤال القدماء والأعيان من أهل البلاد المجاورة لهم، ولا يتكلم معهم حتى يستوعب ذبك فصدر منه ما صدر غفلة منه وبلها، ونحن لم نرض ذلك ولا نوافق على تسليم بلاد قبايل إيالتنا التي كانوا يتصرفون فيها خلفا عن سلف، وقد تحين عدو الدين سفر أعيان تلك القبائل حتى وردوا لحضور العيد بحضرتنا الشريفة وطلب منه ذلك ليغره، ولما قرئ عليهم الحد هنا لم يرضوه ولم يقبلوه، وها هم متوجهون ويقفون على حدود بلادهم مع جوارهم، فإنهم يعرفونها كما يعرفون أبناءهم وحين يكون الوفاء على حدود الترك المعلومة حينئذ يتم الفصل ويمضي الأمر حسب ما في كتاب التفويض، فاعلم قونص جنس الفرنصيص بذلك ليلا يعتقد تسليمنا لما فعلوه خداعا ومكرا، وزادوا مع ذلك مجاراته في أمر البيع والشراء بين الإيالتين بما لم نأذن به ولم نعرج عليه، ولا خير للمسلمين فيه، وقس على هذا أمر الباشدور الذي تشير بتوجيهه فإنما يفعل مثل هذا وأقبح، فقد فسد الزمان وأهله ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام، في 27 ربيع الأول عام 1261 هـ.

* المولى عبدالرحمان إلى بوسلهام لن علي، 27 ربيع الأول 1261 هـ، خ، ح، م 4، مخ 19.

الملحق رقم 26: المولى عبدالرحمان إلى دي لابورت*



الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الخديم الناصح دي لابورت قونصو جنس الفرنصيص أما بعد، فقد وافا حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا ما فيه والغنائم جلهم ولم يقع منا التفات إليه وحين ياتي كتب سلطانكم يوجهونا إليه، وكلامنا في شأن المقتولين ... بوهران وما كان من قتالهم فقد جاوبتنا عنه بغير مفيد، ولابد من الفصل في ذلك حرصا على دوام المهادنة وتأكيد أشراط المحبة، وقد ترك أولادهم فقراء مع أن آبائهم المقتولين أغنياء، فقد ضاع لهم على ما بلغنا أزيد من أربعين ألفا، وأقربهما وأولادهما يترددون لباينا شاكين باكين، وإن الشروط تقف فيه على الحكم في هذه النازلة، أما عرب الديرة فإنهم جم غفير قادرون على الدفاع على نفوسهم، وابن العامري هناك، فرد من غير الجيوش من قبلنا، وقد بايعنا ذلك القطر من قسنطينة إلى تلمسان إلى الجريد بيعة شرعية يجب علينا قبولها، لأنهم مسلمون ... والحر أبلى والباطل يجلى والسلام، في 22 جمادى الثانية عام 1247 هـ.

*المولى عبد الرحمان إلى دي لابورت، 24 جويلية 1830 A.D.F.M.A.M18

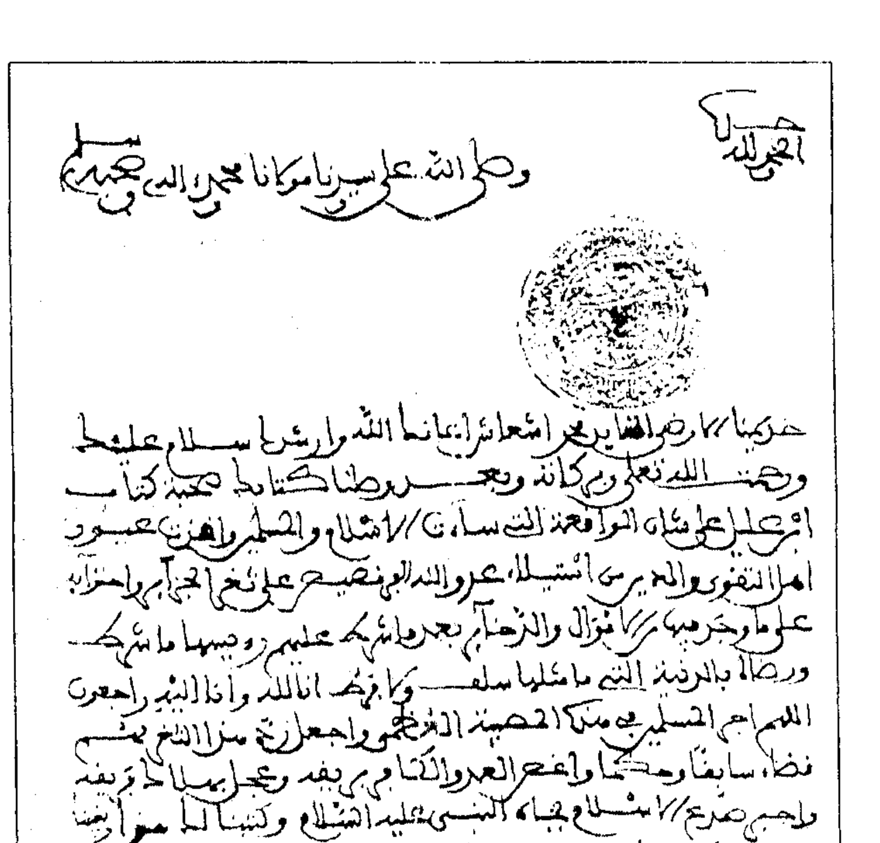
الملحق رقم 27:المولى عبدالرحمان إلى محمد أشعاش*

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خديمنا الأرضى القائد محمد أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود المركبين الحاملين لأهل الجزائر ردها الله دار إسلام، ومما أخبر به أهلها عليها وعلى وهران، وما فعل العدو الكافر قصمه الله، وخيب سعيه، فكل من ورد منهم قابله بالبشاشة والقبول، وأجبر خواطرهم بالإكرام ولين الجانب، فإن جبر القلوب واجب، وأحرى إخواننا المسلمين الذين قهرهم العدو واستولى على أملاكهم وبلادهم وفروا بدينهم جبر الله حالهم بمنه، وقضية عبدالكريم بن الطالب حز منه العدد الذي ثبت أنه قبضه على التمام، ويعطيك نسخة ما قبض من كل واحد، فما كان قبضه من أهل تطوان رده عليه وأشهد عليهم بالتوصل به، وما كان قبض من أهل طنجة وجهه ليد العامل والأمين يدفعونه لمن قبض منهم ويشهدون عليهم كذلك، وما قبض من أهل فاس وجهه ليد المحتسب الطالب علال الشامي مع زمام الذي قبض منهم، يدفع ذلك ويشهد عليهم بالتوصل به، وما بقي ذلك أعلمنا به، فإن باشا الجزاير كان غنيا عن قبض هذا القدر التافه من حجاج ضعفاء، وإنما سبب طلبه لهذا وسوسة المذكور، ولو كان له عقل لرده عن مثل هذا، لأن الهمم العالية تأبى مثل هذا، وقضية مال كريش أكتب للأمين القطان يمضي الصلح مع أخ الغريم باثنتي عشر ماية ريالا ويحوزها ويتخلى له عن الدارين، والله يوفقك والسلام، في 22 ربيع الأول عام 1238 هـ

* المولى علي إلى محمد أشعاش، 22 ربيع الأول 1238 هـ، خ، ح، م 4، مخ 10.

الملحق رقم 28: المولى عبدالرحمان إلى محمد أشعاش*



الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

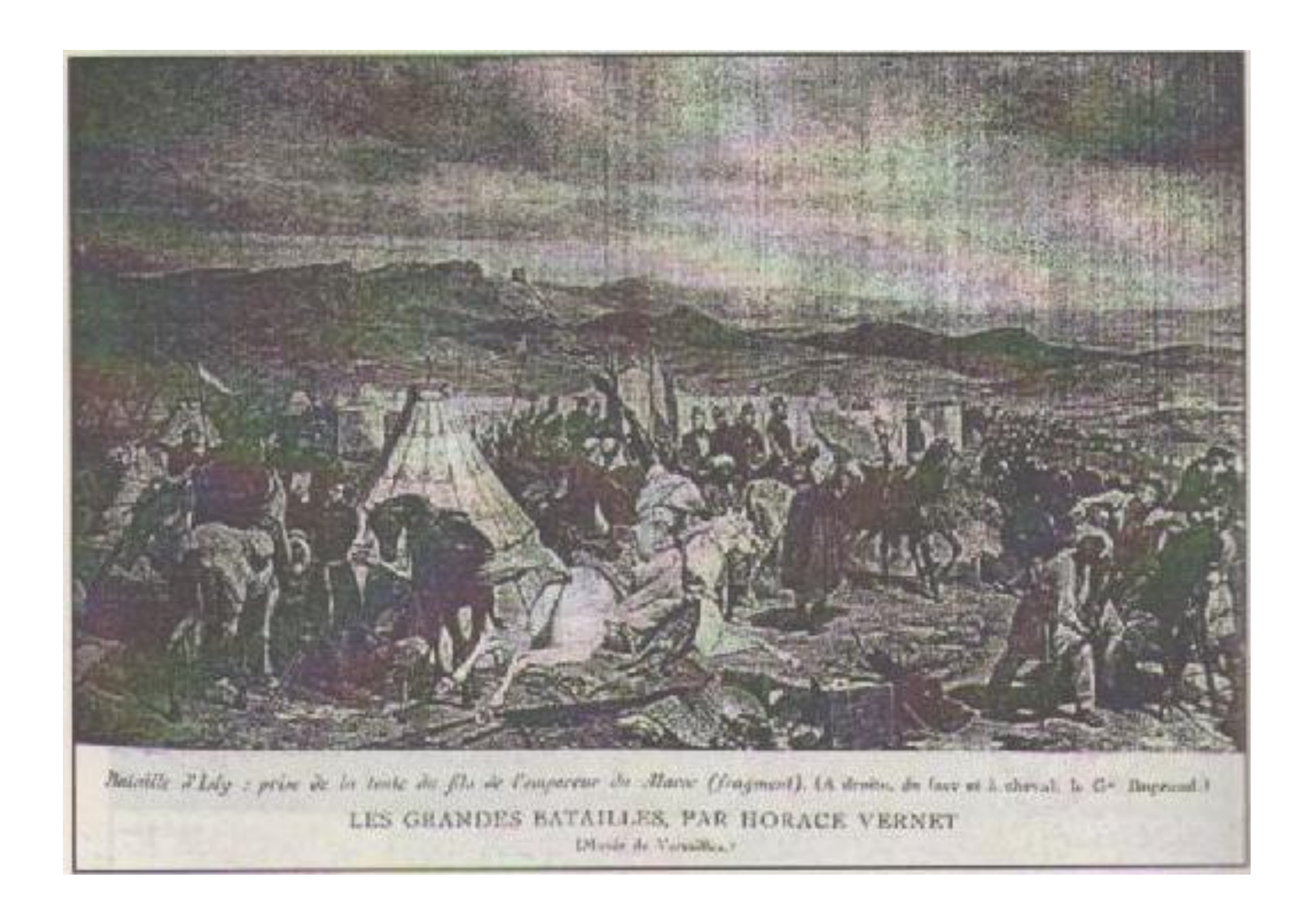
خديمنا الأرضى القائد محمد أشعاش، أعانك الله وأرشدك، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، وصلنا كتابك صحبة كتاب ابن عليل على شأن الواقعة التي ساءت الإسلام والمسلمين، وأقذت عيون أهل التقوى والدين، من استيلاء عدو الله الفرنصيص على ثغر الجزاير، واحتوائه على ما وجد فيها من الأموال والذخائر، بعدما شرط عليهم رئيسها ما شرط، ورضاه بالدنية التي ما مثلها سلف ولا فرط، إنا لله وإنا إليه راجعون، الله أجر المسلمين في هذه المصيبة العظمى، وأجعل رد هذا الثغر لهم قضاء سابقا وحكما، وأغض العدو الكافر بريقه، وعجل بهلاك فريقه، وأجبر صدع الإسلام بجاه النبي عليه السلام، وكتبنا لك هذا وبيننا وبين الرباط مرحلة، والأحوال والحمد لله صالحة، والله يصلحك والسلام، في عاشر صفر الخير 1246 هـ.

* المولى عبدالرحمان إلى محمد اشعاش، 10 صفر 1246 هـ، الخزينة الحسنية م.و.مح1.

الملحق رقم 29: القسم الغربي من الجزائر*

الملحق رقم 30: معركة إيسلي 19 جوان 1844*

* بناءا على معطيات تاريخية وجغرافية



Bataille d'Isly : prise de la tente du fils de l'empereur du Maroc (fragment). (A droite, de face et à cheval, le Gal Bugeaud.)

LES GRANDES BATAILLES, PAR HORACE VERNET

(Musée de Versailles.)

*Revue l'illustration 88ème année N 4551, 24 mai 1930.

الفهرس

قائمة المصادر والمراجع

<u>المصادر والمراجع من الوثائق المنشورة وغير المنشورة باللغة العربية:</u>

أ. المخطوطات:

1. مخطوطات الخزانة العامة بالرباط:

1. أبو العلاء إدريس: مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، رقم 114ح.
2. أكنسوس: الجيش العرمرم، رقم 965 د.
3. التسولي علي: جواب العلامة التسولي عن الأسئلة الواردة من عبدالقادر الجزائري، رقم 1131ك.
4. الحجوي محمد بن الحسن: شروط معاهدة 1845 بشأن الحدود المغربية الجزائرية، ميكرو فيلم، رقم 934.
5. السوسي علي: منهى النقول ومشتهى العقول، رقم 623د.
6. المشرفي: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، رقم 1463د.
7. اليفرني أبو عبد الله محمد بن الحسن: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، رقم 1595د.
8. المنوني محمد، وثائق مخطوطة جمعها في 315 ورقة بخط أصحابها، أخذت منها: رسالة الأمير عبدالقادر الجزائري إلى أهل تلمسان، وهي بخط يده، مصورة ميكروفيلم رقم 1245، ص 95.
9. مجهول، جواب عن سؤال وارد من الحاج عبدالقادر الجزائري على فقهاء فاس، رقم 13/2617د.

2. وثائق الخزانة الحسنية بالرباط:

1. رفض السلطان المغربي لطلب قنصل فرنسا بشأن طرد المهاجرين الجزائريين وسلب غنائمهم، المحفظة 1، الوثيقة25.
2. استياء السلطان من الاحتلال الفرنسي للجزائر، المحفظة 1، الوثيقة 34.
3. بشأن معاملة المهاجرين الجزائريين بالمغرب، المحفظة 1، الوثيقة 35.

4. توظيف المهاجرين الجزائريين في الأعمال الحربية، المحفظة 1، الوثيقة 37.
5. موافقة السلطان على رغبة باشا الجزائر في القدوم إلى المغرب قصد الاقامة هروبا من المعتدين الفرنسيين بالجزائر، المحفظة1، الوثيقة 33.
6. تشديد حراسة الشواطئ حتى لا يتسرب العدو الفرنسي إلى المغرب، المحفظة 1، الوثيقة 38.
7. وصول الإعلام بما لداي الجزائر على يد المستعمرين الفرنسيين، المحفظة،1، الوثيقة 40، بشأن فتح تلمسان، المحفظة4، الوثيقة7.
8. امتناع السلطان عن تبديل الاتفاقية المنعقدة بين المغرب وفرنسا، المحفظة، 14، الوثيقة، 23.
9. قضية مقاطعة فرنسا للمغرب ومطالبتها بطرد الامير عبد القادر الجزائري وانزعاج المغرب من ذلك، المحفظة 14، الوثيقة 24.
10. أمر بإذاعة لفظ الجهاد ضد الفرنسيين بسبب ما أظهروا من العداوة ورفض الصلح، المحفظة، 15، الوثيقة رقم 35.
11. الإعلام عن نقض الأمير عبدالقادر الجزائري لعقد الصلح المبرم بين المغرب وفرنسا وتحريضه للقبائل الريفية على الجهاد، المحفظة 15، الوثيقة 38.
12. بشأن الحدود المغربية الجزائرية 1845م، المحفظة 16، الوثيقة 40.
13. تسوية قضية الحدود الجزائرية واهتمام السلطان بوجود الامير عبد القادر بين القبائل المغربية وضغط فرنسا على المغرب لإخراجه من المغرب الشرقي، المحفظة17، الوثيقة 1.
14. الاعلام بتوجيه سفير المغرب إلى باريس، المحفظة 17، الوثيقة9.
15. وصول الاعلام بقدوم دولاري وليون روش إلى المغرب وبحقهما في مسألة الحاج الأمير عبدالقادر، المحفظة 17، الوثيقة 21.
16. في شأن الحاج عبد القادر وقيامه بإيفاد نار الفتنة بين الكفار والمسامين، المحفظة 17، الوثيقة38.

17. وصول الاعلام بشأن استعداد فرنسا لمطاردة عبد القادر وأنصاره ومطالبتهم للمغرب بالمشاركة في ذلك، المحفظة 17، الوثيقة 39.
18. وصول الاعلام بمطالبة ملكة الانجليز للمغرب في التضييق على الامير عبد القادر لإرضاء فرنسا، المحفظة 17، الوثيقة 40.

3. مخطوطات مكتبة الحامة بالجزائر:

2. الحسني، محمد السعيد بن محي الدين، نبذة عن حياة الامير عبد القادر وأسرته، رقم 9.
3. المشرفي، العربي: ياقوتة النسب الوهاجة، رقم 3326.
4. مجموعة رسائل مخطوطة كتبت في عهد الأمير عبد القادر، طبعت في مخطوط ضخم، رقم 2755، وظفت منها:
   - رسائل الجنرال لامورسير إلى السلطان عبد الرحمان.
   - رسالة الجنرال بيجو إلى السلطان عبد الرحمان.

ب. <u>المصادر المطبوعة باللغة العربية:</u>

1. القرآن الكريم.
2. ابن رويلة، قدور: وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1968.
3. ابن زيدان عبدالرحمن، العزة والصولة في معالم نظم الدولة، (في جزأين) الرباط، 1961–1962.
4. ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، أو عبير الآس من روضة تاريخ مكناس، أو الاقتباس من مفاخر الدولةوتاريخ مكناس، ج 5، ك.1135، 2 هـ/1937م.
5. ابن عاشور محمد الفاضل، من وثائق الوحدة: ست رسائل من المولى عبدالرحمن بن هشام سلطان المغرب الأقصى إلى الأمير عبدالقادر الجزائري، الفكر، السنة 5، تونس، نوفمبر 1959، العدد 2، ص 26–33، يناير 1960، العدد 4، ص 27–32، مارس 1960، العدد 5، ص 34-42.

6. ابن عودة المازاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، تحقيق يحي بوعزيز، 31، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
7. ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، 1396هـ-1971م، 320/3.
8. ابن محي الدين الأمير عبدالقادر: مذكرات الأمير عبد القادر (سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849)، تحقيق الدكتور محمد صغير بناني، محفوظ سماتي، محمد الصالح، ط 2، شركة دار الأمة، الجزائر، 1995.
9. ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1997.
10. أبو العباس بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القسم الثالث: الدولة العلوية، الجزء التاسع، تحقيق وتعليق الأستاذ جعفر الناصري والأستاذ محمد الناصري، دار البيضاء، 1956.
11. أبو العلاء إدريس، الابتسام عن دولة مولانا عبدالرحمن بن هشام، لخصه الحجوي وسماه: "اختصار الابتسام في دولة مولانا عبدالرحمن بن هشام" م، مخ، خ عر، ح 4.
12. إسكوت، مذكرات الكلونيل إسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، ترجمة العربي إسماعيل، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
13. إسماعيل حمت، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، تقديم: علي تابليت، تر: زكي مبارك ومحمد لخواجة، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط المغرب، الطبعة الأولى، 2010.
14. أكنسوس محمد بن محمد، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، ط، حجرية، فاس 1918 (نسخة مصورة بمكتبة كلية الآداب بالرباط).
15. ألكسي دوطوكفيل، نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، ترجمة إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
16. بلهاشمي بن بكار، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة أبن خلدون، تلمسان، 1991.

17. تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2004.
18. الجزائري محمد ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج1،2، دار اليقظة العربية، بيروت 1384هـ1964م.
19. جوليان، شارل أندري: المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، ج.2، ط2 تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر تونس 1983.
20. الحجوي محمد بن الحسن، النفس النفيس في ترجمة الوزير ابن إدريس، مخ، خ ع ر، ح 139.
21. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، ، تعريب وتحقيق تقديم محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
22. الزهار محمد الشريف: مذكرات (1168-1246هـ/1751-1830م)، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ط.2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981.
23. الزياني أبو القاسم، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، مخ، خ ع ر، د 1577.
24. الزياني أبو القاسم، الترجمان المعرب على دولة المشرق والمغرب، مخ، خ ع ر، د 658.
25. الزياني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، تحقيق: عبدالكريم الفيلالي، المحمدية، 1967.
26. السليماني محمد الأعرج، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ (في ثلاثة أجزاء) يوجد منه بالخزانة الحسنية الجزء 3، مخ، خ ح، 170.
27. السليماني بن عبد الله: البيان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، ط 1، مطبعة الأمنية، الرباط، 1391هـ/1971م.
28. السوسي على بن محمد، منتهى النقول ومشتهى العقول، مخ،خ ع ر، د 633.
29. الضعيف محمد بن عبدالسلام الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، مخ، خ ع ر، د 660.

30. عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبدالقادر في الجهاد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، لبنان، 1996.
31. العسقلاني بن حجر: فتح الباري، مج 10، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ت.
32. العلائق المغربية الجزائرية أو رسالة والي الجزائر إلى سلطان المغرب، مخ، خ ع ر، د 1492.
33. غريط محمد بن الفضل، فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان، فاس، 1929.
34. قدور بن رويلة، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
35. الكتاني محمد بن جعفر بن إدريس: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3، طبعة حجرية، (نسخة مصورة) بـ: ك.أ.ع.إ جامعة محمد الخامس الرباط 1997.
36. الكردودي محمد بن عبدالقادر، الدر المنضد الفاخر فيما لأبناء مولانا على الشريف من المحاسن والمفاخر، (في مجموع)، مخ، خ ع ر، د 1584.
37. الكردودي محمد بن عبدالقادر، كشف الغمة في بيان أن حرب الظلام واجب على هذه الأمة، (في مجموع)، مخ، خ ع ر، د 1584.
38. الكولونيل إسكوت، مذكرات الكولونيل إسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
39. محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق علي سنوفي، الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع، 1978
40. محمود إحسان الهنداوي، الحوليات الجزائرية الحوليات الجزائرية، العربي للإعلان والنشر، والطباعة والتوزيع، دمشق، 1977.
41. محمود الخالدي، البيعة في الفكر الإسلامي، الجزائر، شركة الشهاب، 1988.

42. مديرية الوثائق الملكية: مجموعات وثائقية، دورية، تصدرها مديرية الوثائق الملكية، الرباط، 1396. هـ 1976م.
43. المشرفي العربي بن علي، طرس الأخبار بما جرى للمسلمين آخر القرن الثالث عشر مع الكفار، مخ، خ ع ر، ك 496.
44. المشرفي محمد بن المصطفى، الحلل البهية في ذكر الدولة العلوية، مخ، خ ع ر، د 1463.
45. الناصري، أبو العباس أحمد: الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، الدولة العلوية، القسم الثالث، ج9، تحقيق وتعليق: جعفر محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المملكة المغربية.
46. هانريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال إفريقيا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976.
47. الوفراني محمد الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: أ.و هوداس، ط 2، الرباط، د ت.
48. وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب عبد القادر زبادة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.
49. يوهان كارل بيرنت، الامير عبد القادر، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 1997.

ج. المراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم ياسين: موقف الدولة المغربية بين الاحتلال الفرنسي للجزائر، 1830-1847، ك.أ.ع.إ/د،د،ع جامعة محمد الخامس، الرباط، 1407ها/1987، إشراف بوطالب إبراهيم.
2. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.

3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الحديث: بداية الاحتلال، معهد البحوث والدراسات العربية، مصر، 1980.
4. أبو قاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر، 1992.
5. أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الاولى، بيروت، 1998.
6. أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، 1970.
7. أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
8. إسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
9. إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
10. إسماعيل حلمي محروس، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997.
11. الأشرف مصطفى: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة، حنفي بن عيسى، م.و.ك، الجزائر، 1983.
12. أندري برينان، أندري نوشي، إيف لاكوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
13. بسام العسلي، الأمير عبدالقادر الجزائري، دار النفائس، بيروت، ط1، 1980م.
14. بسام العسلي، الماريشال بيجو 1784-1849، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت 1982.
15. بوزيان عمر: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845، منشورات عكاظ، الرباط، 1988.

16. بوعزيز يحي، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى، 1982.
17. بوعزيز يحي، الاستعمار الأوربي في إفريقيا وآسيا والجزر والمحيطات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
18. بوعزيز يحي، الأمير عبدالقادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983.
19. بوعزيز يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، ط2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1996.
20. بوعزيز يحي، كفاح الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
21. بوعزيز يحي، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
22. بوعزيز يحيى، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
23. بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
24. بويان سعدي، جرائم فرنسا في الجزائر، بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح اسطنبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
25. جلال يحيى، التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، سيطرة أوربا على العالم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ج4، ب.ت.
26. جمال قنان، نصوص جزائرية في القرن التاسع عشر (1830-1914)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
27. جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، (1619-1830) الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب.ت.
28. الجيلالي بن محمد عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، الطبعة الرابعة، بيروت، 1980.

29. حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808-1847)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
30. شارل روبير أجيرون، تاريخ المعاصر، ديوان المطبوعات الجزائرية، الطبعة الثانية، الجزائر، 1986.
31. صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 2005.
32. صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر (1870-1900)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
33. صالح عباد، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
34. صلاح العقاد، المغرب العربي، مكتبة الأنجلو مصرية، 1966.
35. عباد صالح، الجزائر خلالا الحكم العثماني 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
36. عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ليبيا تونس الجزائر، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
37. عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
38. عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزء الرابع، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة السابعة، الجزائر، 1994.
39. عبد الرحمان محمد الجيلالي، حول سكة الأمير عبد القادر، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 1966.
40. عبد الله شريط، الميلي محمد بن مبارك، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث قسنطينة، ط1، الجزائر، 1965.

41. عدي الهواري، سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر: سياسة التفكيك الاجتماعي والاقتصادي (1830-1960)، ترجمة جوزيف عبد الله، دار الحداثة، لبنان، الطبعة الأولى، 1983.

42. العربي إسماعيل، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

43. العربي إسماعيل، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

44. العسلي بسام، الماريشال بيجو، 1784-1849، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1986.

45. عمار بلخوجة، الأمير عبدالقادر الجزائري لا سلطان ولا إمام، تقديم الواسيني لعرج، ترجمة حبيب شينيني، ط1، منشورات ألفا، الجزائر، 2008.

46. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية والغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط2، الجزائر، 2005.

47. عمر بوزيان، جذور اتحاد المغرب العربي والجزائر، 1832-1845، منشورات، عكاظ، المغرب، 1988.

48. فتحي دردار، الأمير عبدالقادر بطل المقاومة الجزائرية، 1832-1848، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، 2001.

49. فركوس صالح، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي في ضوء شرق البلاد 1844-1871، منشورات جامعة باجي المختار، عنابة، 2006.

50. محفوظ قداش، الأمير عبدالقادر، منشورات وزارة الاعلاموالثقافة، الجزائر، 1982.

51. محمد العربي الزبيري، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
52. محمد العربي الزبيري، مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1973.
53. محمد العربي الزبيري، مقاومة الجنوب للإحتلال الفرنسي، الجزائر، 1972.
54. محمد بن مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، 1964.
55. المدني احمد توفيق، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار(نقيب أشراف الجزائر)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

56. مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة، الدكتور حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
57. ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1964.
58. ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ: العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
59. ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
60. ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
61. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، لبنان، 2000.
62. ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت،2000.

63. هلال عمار، أبحاث ودراسات في دراسات تاريخ الجزائر المعاصر، 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

د. الدراسات المختصة باللغة العربية:

1. إبراهيم لونيسي، سياسة التعذيب في الجزائر وأهدافها، مجلة عصور؟، العدد الأول، وهران، جوان 2002.
2. أحمد حسن السليماني، نزع الملكية العقارية للجزائريين، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 06، 2006.
3. إسماعيل زروخي، الدولة الوطنية وأصالتها عند الأمير عبدالقادر من مجلة سيرتا، منشورات جماعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، العدد 12، 1999.
4. بن داهة عدة، ظاهرة الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي، للجزائر (1830-1962)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، الجزائر، 2007-2008.
5. بوروبة رشيد، تاقدمت عاصمة الأمير عبد القادر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد 82، 1984.
6. حميدة عميراوي، إسماعيل عربان، السياسة الفرنسية في الجزائر، العدد4، السنة الثانية، ديسمبر، 1980، قسنطينة، الجزائر.
7. حميدة عميراوي، الغزو الفرنسي للجزائر منذ 1830، وردود الفعل حوله، مجلة سيرتا، السنة الثانية، ماي، 1980، جامعة قسنطينة، الجزائر.
8. حميدة عميرواي، جيش الحتلال الفرنسي في الجزائر، مجلة سيرتا، العدد 12، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.
9. حنيفي هلايلي، منطقة سيدي بلعباس ومكانتها في سياسة فرنسا الاستعمارية (1842-1845)، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبرّ، الجزائر، العدد 8، 2003.

10. خليفي عبد القادر، العلاقة بين أولاد سيد الشيخ والطريقة القادرية، الملتقى الوطني الأول للطريقة القادرية من 29 أكتوبر 1999 إلى غاية فاتح نوفمبر 1999، الجزائر، 1999.
11. دحدوح عبد القادر، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية (1836-1842)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2003/2002.
12. رابح لونيسي، الاستعمار الاستيطاني في الجزائر خلال ق 19، مجلة عصور عدد 6-7 جوان ديسمبر 2005، جامعة وهران- الجزائر.
13. رشيد بوروبة، القلاع والحصون التي أنشأها "الأمير عبدالقادر"، مجلة الثقافة، العدد 75، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة "الأمير عبدالقادر"، الجزائر، 1983.
14. شعباني بدر الدين، أسلحة الأمير عبد القادر (1832-1847) دراسة تقنية وفنية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2001/2000.
15. عبد الجليل التميمي، التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية المغربية، العدد 1، تونس، 1974.
16. عبد الجليل التميمي، مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 5، 1976.
17. عبد الجليل التميمي، مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية، العدد 5، تونس، 1976.
18. عبد الله شريط، مشكلة الحكم الإسلامي في دولة الأمير عبد القادر ونظرية الشيخ ابن باديس، مجلة الثقافة، العدد 75، 1983.
19. العربي اسماعيل، دور يهودا بن دران في دبلوماسية الأمير عبدالقادر، المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، العدد 17-18، 1980.
20. العربي إسماعيل، دور يهوذا بن دران في ديبلوماسية الأمير عبد القادر، المجلة التاريخية المغربية، مطبعة الاتحاد العام التونسي، تونس، العدد 19-20، سنة 1980.
21. فكري طونا، ترجمة ما ورد في البندين المتعلق بأوجاق غرب الجزائر مما تناولته الجريدة الباريسية، مجلة التاريخ، السنة الاولى، رقم 19- 1985، الجزائر.

22. قنون حياة، دور ومكانة الإنسان في ترسيخ الاستعمار الفرنسي في الغرب الجزائري، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2002 - 2003.
23. محفوظ قداش، جيش الأمير عبدالقادر أهميته وتنظيمه، مجلة: الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد 75، السنة 1983.
24. محمد البشير الهاشمي المغيلي، التكوين الاقتصادي النظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للإحتلال الفرنسي، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات، والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ، العدد 06، 2006.
25. المهدي البوعبدلي، أضواء على تاريخ الأمير عبدالقادر، جمعية الجغرافيا والآثار لمدينة وهران، عدد خاص بالأمير عبد القادر، 1983.
26. المهدي البوعبدلي، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الاصالة، عدد 8، السنة الثانية، ماي جوان، 1972، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر.
27. ناصر الدين سعيدوني، النظام الضرائبي لدولة الأمير عبدالقادر، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، العدد 75، 1983.
28. ناصر الدين سعيودي، الحصار البحري على السواحل الجزائرية، 1827-1830، المجلة التاريخية، عدد5، جانفي، 1976، تونس.

هـــ. الرسائل الجامعية:

1. بوعزة بوضرساية، المسألة البربرية، في السياسة الاستعمارية الفرنسية 1830-1930، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004-2005.
2. سيد أحمد سليمان، سياسة فرنسا في توطين الاوربيين في الجزائر، 1830-1887 بحث لشهادة الدراسات العليا، جامعة وهران.
3. كريم ولد النبيه، الاستيطان والنظام الإداري في الجزائر، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2000-2001.

4. محمد دادة، السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر، 1852-1870، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، تحت إشراف: الدكتور دحو فغرور، السنة الجامعية، 2002-2003.

5. سلسلة الندوات، الدبلوماسية الجزائرية من 1830 إلى 1962، دراسات وبحوث الملتقى الوطني الاول حول تطور الدبلوماسية، م.و.د.ب.ح.و.ث، 1954، الجزائر، 1998.

و. الموسوعات:

1. بوعمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر، 2000.

2. الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، ج3، بيروت، ط1، 180.

3. موريس كروزيه، المجلد 6، تأليف، روبير شنيرب، عويدات للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، 2003.

4. حليم ميشال حداد، قصة وتاريخ الحضارات بين الأمس واليوم، تونس، الجزائر.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

أ. المصادر:

1. A.L.C les Musulmans algériens au Maroc et en Syrie، R.M.M، II، Tours، Mars 1907، n° 5.
2. Ahache. G، Etude d'histoire marocaine، Rabat، 1979.
3. Alazarde. J et autres، Histoire de l'Algérie، Paris، 1931.
4. Albertini. E et autres، l'Afrique du nord française dans l'histoire، Paris، 1941.
5. Alexandre Bellemare، Abd-EI-Kader sa vie politique et militaire، Edition Bouchene، France،2003.
6. Alfassi. N، Mohamed Ibn Idriss، Visir et poète à la cour de my.
7. André Corvisier، La France de Louis XIV Ordre intérieur et place en Europe SEDES، coll. Regards sur l'Histoire، 1994
8. Anonyme، Général Lapasset،1811-1864، Tl، demdème Editions، Annand Colin et Blé، Paris، 1899.
9. Arnaud (Saint)، Lettres du maréchal Saint Arnaud 1832-1854، éd. Lerey، Paris، 1858.
10. Arnaud. L، l'histoire d'El Ouali sidi Ahmed Tidjani، R.A.V.5، Alger، Janv، 1861، n° 25.
11. Arnaud. L، Siège d'Ain Madi par Elhadj Abdelkader Ibn Mohieddin، R. A، V8، Alger، Sept، Nov، 1864، n° 47، PP 354-371، et n° 48.
12. Azan.P، Bugeaud et l'Algérie، éd Le Petite Parisien، Paris، 19
13. Azan.P، L'émir Abdelkader 1808-1883، du fanatisme musulman au patnotismeFrançais، 00. Hachette، Paris، 1929.
14. Azan .P، Les grands soldats de rAlgéne، éd.Publication Comité NatIOnaleMétropolitaine du Centenaire de L'Algérie، Paris، 1930.
15. Azan. P، l'Armée d'Afrique de 1852 à 1930، Paris، 1936.
16. Azan. P، Les grands soldats de l'Algérie، Orléans، S. D. (1930).

17.Azan. P، Par F épée et par la charrot écrits et discours de Bugeaud، éd. PUF، Paris، 1948.

18.Azan. P، Sidi Brahim، Paris، 1930 et 1945.

19.Ben Abi taled El Houssin Ben Ali، Histoire d'El Hadj Abdelkader par son cousin، Traduction : Adrien Delpech، R.A، V20، Alger، Sept، Nov، 1876.

20.Bernard. A، et Lacroix. N، La pénétration saharienne (1830-1906)، Alger، 1906.

21.Bernard. A، Les confins Algéro-marocain، Paris، 1911.

22.Bérthézene (G al)، Papiersdu G al Bérthézene relatifs à la colonisation de l'Algérie، Paris، 1917.

23.Bonnafont، Douze ans en Algérie ،1830- 1842، Édition. laques Gandins، 2005.

24.Bosquet (M al)، Lettres du M al، Bousquet (1830-1858)، Nancy، Paris، 1894.

25.Bounafont D، Douze ans en Algérie (1830-1842)، Paris، 1880.

26.Bourget. M. L'Algérie jusqu'à la pénétration saharienne، Orléans، S.D(19).

27.Boyer P، L'évolution de l'Algérie médiane، Paris، 1960.

28.Brignon. J، et autre، Histoire de Maroc، Paris، 1967.

29.Bugeaud T R، Le peuplement français de l'Algérie par Bugeau، Société Edition Géographiques Maritimes coloniales، Paris، sans date.

30.Bugeaud T-R.، Mémoire sur notre établissement dans la Province d'Oran، Édition، Laguionie، Paris، 1838.

31.Bugeaud، l'Algérie des moyens de conserver et d'utiliser cette conquête، Brachet et Bastide،paris، 1842.

32.Caillé. J Le curé de Mascara et L'Emir Abd el Kader (Aout 1845)، Alger،chérifiens، Annales de l'Académie des sciences coloniales، t1، 1925.

33.Cavaignac E.، La régence d'' Alger note sur l'occupation، Édition،

Magen‹Paris‹ 1839.

34.Changarnier T‹ Mémoire du général Changarnier‹ lntradiction‹ H Destrer‹Édition‹ Bergcr‹Paris‹] 930.

35.Cherchil H‹ La vie d'Abdelkader‹ Traduction: Michel Habart‹ 2° ed‹ Alger‹ Paris‹1974.

36.Clauzel‹ Correspondance du maréchal Clauzel. Publié par G.esquer. volume 1. Larousse. Paris. 1949.

37.Cour. A‹ L’occupation marocaine de Tlemcen (Sept. 1830 – Janv. 1863)‹ R. A‹ V52‹ Alger 1° trim‹ 1908‹ N° 268.

38.D’Allmagne H-R‹ Journal d’Auguste-Hubert warnier‹ Campagne du maroc‹ (1844) Paris‹ 1899.

39.D’estailleur-Chantraine. PH‹ L’Afrique à la croisée des chemins‹ Maroc-Algérie-Tunis‹ Paris‹ 1955.

40.Daumas E 1 correspondance du capitaine Daumas consul à Mascara‹ 1837..1.839‹collection de documents Inedit par le gouvernement du genéral d'Algérie‹ publiee parG Yver‹éd‹ Jourdan‹Geuthnere Paris‹ 1921

41.De Boudicourd. L‹ Histoire de la colonisation d’Algérie‹ Paris‹ 1860‹

42.De Cossé-Brissac‹ PH‹ Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l’Algérie (1830-1847)‹ Paris‹ 1931.

43.De France‹A ‹ Les prisonnier d'Abdelkader ou cinq mois de captivité chez les Zarabstl‹ L Desessart et cil‹ paris‹ 1837.

44.De Joinville (Price)‹ Vieux souvenirs (1818-1848)‹ 16° Ed‹ Paris‹ 1894.

45.De la Martiniere. H‹ et Lacroix. N‹ Document pour servire à l’étude du nord ouest Africain‹ 3 VOL‹ Lille‹ 1894-1897.

46.De Mintimpry‹ Souvenirs d'un officier d'état major histoire de l'établissement de ladomination française dans la Province d'Oran‹ éd‹MaisonQuantin‹ Paris‹ 1886.

47.De Montrand‹ Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830 à 1847‹Tome II‹ E. Marc - Audel‹ Paris‹ 1847.

48.Decastellane (M al)، Campagne d’Afrique 1835-1848، Pris، 1898.
49.Delort (Lieut. G al)، Notes sur l'ouvrage du Gai، Bérthézéne intitulé: Dix huit mois à Alger، Paris، 1834.
50.Demont، R، Histoire de la conquête de l'Algérie de 1830-1847، éd.lmprimeur du marc Arel، t2، Paris" 1847.
51.Depont. D، et Coppolani X، Les confréries reliréries religieuses musulmanes، Alger، 1897.
52.Derrien، Les F:rançais à Oran depuis 1830 jusqu'à nos jours، Édition، Nicot،France، 1886.
53.D'estailleur-Chantraine. PH، L'Afrique à la croisée des chemins، Maroc
54.Emerit. M، A propose des rapports Franco-marocains de 1845 à 1849، une question de méthode، R.A، V 92، Alger، 1° et 2° Trim، 1948، n° 414-415.
55.Emerit. M، L’Algérie à l’époque d’Abdelkader، collection de documents indits sur l’histoire de l’Algérie avant 1830، 2° série، Paris، 1951.
56.Emert. M.، La légende de léon Roches، R.A، V.91، Alger، 1° et 2° Trim. 1947، n° 410-411.
57.Emert. M.، Le conflit franco-marocain de 1844، d’après les notes de warnier، R.A.، V.93، Alger 3° et 4° Trim. 1950، n° 424-425.
58.Emert. M.، Le texte arabe du traité de la Tafna، R.A.، V.94، Alger، 1° et 2° Trim. 1950، n° 422-423.
59.Emert. M.، Mémoire d’Amed dernier Bey de Constantine، R.A.، V.93، Alger 1° et 2° Trim. 1949، n° 418-419.
60.EsquerG، Correspondance duMal Clauzel (1835-1837)، 2° Vol. Coll. De DocInéd. Sur l’hist. De l’Alg. Après 1830، 1° série، Paris، 1949-1950.
61.Esquer.G.، Correspondance du Gal. Voirol (1834-1835)، Coll. De Doc. Inéd. Sur l'hist. De l'Alg. Après 1830،1° série، Paris، 1926.
62.Esquer.G.، Correspondance du M al. Clauzel (1835-1837)، 2° Vol. Coll. De Doc. Inéd. Sur l'hist. De l'Alg. Après 1830، 1° série، Paris، 1949-1950.
63.Esquer.G، Les débuts du yusuf à l'armée de l'Afrique d'après des documents

inédits 1830-1838، R.A.، V.54، Alger، 3° et 4° Trim. 1910، n° 287.

64. EstirazyW، Notice historique sur le makhzen d'Oran، Zypographie de Berrier، Paris،1849.
65. Figuig en 1838، R.A، V.57، Alger، 2° Trim. 1913، n° 289، pp.245-264.
66. Fisquet.H، Histoire de l'Algérie jusqu'à nos jours، Paris، 1842.
67. Fumey.E.، choix de correspondance marocaine، pour servir à l'étude du style épistolaire administratif employé au Maroc، Paris، 1903.
68. Gattarel P، L'Algérie l'histoire conquête et colonisation، edition. Librairie Disot،Paris، 1883.
69. Gaultier L، Le Lieutenant général Bugeaud، Némoine de notre Etablissement laprovince d'Oranjui) et 1837، Im.LPRoyal pour J'art militaire، Paris، 1838.
70. Gognalons. L، une proclamation de l'Emir Abd el Kader aux habitants de Figuig en 1838، R.A.، V.57.، Alger، 2° Trim. 1913، n° 289.
71. Gsell.s.، et Marcais G.، et Yver G.، histoire de l'Algérie، Paris، 1957.
72. GuizotM، Mémoires pour servir à l'Histoire de mon temps، 7 Vol.، Paris، 1858
73. Hamet L، Histoire du Maroc، Paris، 1923.
74. Hamet L، Le Gouvernement marocaine et la conquête d'Alger، Documents chérifiens، Annales de l'Académie des sciences coloniales، t1، 1925.
75. Henry D، Les conquérants de l'Algérie (1830-1852)، Berger، Paris، 1930.
76. HessJ، La question du Maroc. Paris، 1903.
77. Ibn Abi ELDiyaf، Chronique des Beys de Tunis et du Pacte fondamental، éd. critique André Raymond، vol. 1، IRMC-ISHMN-Alif، Tunis 1994
78. JoubinA، Correspondance générale d'Eugène de la croix (1804-1837)، t1، Ed، Paris، 1935.
79. JulienCh-A، Histoire de l'Algérie contemporaine، la conquête et les études de la colonisation (1827-1871)، Paris، 1964.

80.Kaller E.، Le général De La Moricière sa vie militaire، politique et religieuse، éd.haton، Paris، 1874.

81.La Moricière، projet de colonisation d'Oran et Constantine ،ImprimerieRoyale، Paris، 1847.

82.Lapène M.، Tableau historique de la Province d'Oran 1791-1851، éd. Lamort، Metz، 1842.

83.Laroui.A.، Les origines sociales et cultures du nationalisme marocain 1830-1912، Paris، 1977.

84.Léon Roches، Trente Deux-ans à travers l'islam (1832-1864)، Tomepremier، Firmin-Didot، Paris، 1884. .

85.Louis de Boudicour، Histoire de la colonisation de l'Algérie،Challamel، Paris 1860.

86.Loyer (L'abbé. Ch)، les Arabes et l'occupation restreinte en Algérie، Paris، 1966.

87.Marie Nicolas Bouillet et Alexis Chassang (dir.)، « Charles X de France » dans Dictionnaire universel d'histoire et de géographie، 1878

88.Martin. A.G.P.، Quatre siècles d'histoire marocaine au Sahara de 1504 à1902، au Maroc de 1894 à 1912، Paris، 1923.

89.MichauxBellaire E، Le Rif، Arch. Mar.، V27، Paris، 1927.

90.Meige. J-L،. Le Maroc et L'Europe (1830-1894) 4 Vol.، Paris، 1961-1963.

91.MichauxBellaire. E.، Les musulmans d'Algérie au Maroc، arch. Mar.، V.11 Paris، 1907، n°1.

92.OLapèneM.، Tableau historique de la province d'Oran (1791--1851)،Lamort، Metz، 1842

93.Odile Nouvel Kammerer (dir.)، L'Aigle et le Papillon. Symboles des pouvoirs sous Napoléon، Paris، Les Arts Décoratifs، 2008.

94.Pellissier de Reynaud.E، Annales Algériennes، Tome 01، LibrairieMilitaire، Paris، 1854.

95.Pierre de Vaissière، Henri IV، Paris، Arthème Fayard et Cie، collection

« Les grandes études historiques »، 1928،

96. Pontel.f.، L'Eveil des nationalistes et le mouvement libéral (1815-1884) R.A.، V.88، Alger 3° et 4° trim.، 1944، n° 400-401.
97. Roches L، Trente deux ans à travers l'Islam 1832-1864 T2 Librairie de Firmin Didot et cie، Paris، 1884.
98. Rouard de Cadre.، Document pour servir l'étude de la question marocaine، Limoges، 1911.
99. Rousset C، La conquête d'Alger، Paris، 1880
100. Rovigo، correspondance du duc de Rovigo 1831-1833، lettres du duc de Rovigo،
101. Terrasse. H.، Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français، Casablanca، 1949.
102. VionotL، Oujda et L'Amalat، Oran، 1912. V.75.، Alger، 3° Trim. 1934، n° 360، pp.277-335.
103. Tinthoin. R.، Colonisation et évolution de genre de vie dans la région Ouest d'Oran de 1830 à 1885، Alger، 1945.
104. Tocqueville A، Travail sur l'Algérie 1841 de colonisation en Algérie، éd Complexe، Bruxelles، 1988
105. WalsimE، de la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger، 1840.
106. Walsin Esterhazy، Notice historique sur le Makhzen d'Oran، Lfouque ،
107. Show. Voyage dans la régence d'Alger 2eme édition Tunisie bouslama، 1980.

ب. المراجع:

1. A cour, L'occupation marocaine de Tlemcen. Paris 1908.
2. Ageron Ch R, Abdelkader et la première résistance Algériènne, Revue les africains, edit J-A, Paris, T 1, 1977
3. Bejaud .L، Boutin Agent secret de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie

Française،Fréderic Champeriand، 1950.

4. Benachenhou Abdelhamid، L'état algérien en 1830، ses institutions sousl'Emir Abdelkader، Alger، 1969.
5. Bouamrane; Ch، DjidjeHi; M، l'Algérie colonial par les textes، 1830-1962، ed،Harnmouda، Alger 2003.
6. DémontesV،La colonisation militaire sous Bugeaud، Imprimaire Algérienne، Alger،1917.
7. Démontes V، Le peuple de l'Algérie contemporaine، essais de démographie، Alger، 1906.
8. Germain R.، La politique indigène de Bugeaud، éd. Larousse، Paris، 1955.
9. Juliench، l'histoire de l'Algérie contemporaine: conquête colonisation (1827-1871)، Presse Universitaire Française، Paris، 1964.
10. Julien Ch.-A، Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871)، éd. PUF، Paris، 1979.
11. Kaller E، Le Général de la Moricière، sa vie militaire، politique et religieuse، Tl،René baton، Libraire Edition، Paris، (8.D).
12. Lépine Q، Le Marechal Saint Arnaud d'après sa correspondance et inédits années dejeunesse la conquête de l'Algérie 1798-1850، éd. Librairie Plon، Paris، 1928.
13. Lichtenberger A، Les grandes figures coloniales Bugeaud، 00. Librairie، Plon، Paris، 1931.
14. Lucette Valenci، Le Maghreb avant la prise d'Alger، Flammarion، Paris،1969.
15. MouilleseauxL، Histoire de l'Algérie، Imprimerie Oberthur، paris، 1962.
16. Mounir Bouchnaki، La monnaie de l'Emir Abd-el-kader، SNED، Alger،1976.
17. Nabil، La batail de laMactaa، Juin 1835، ANEP، Algérie، 2005.
18. PiquetV،l'Algérie française un siècle de colonisation (1830-1930)، Libr

Amand colin،Paris 1930.

19. Rachid .B، Mémo Algérie، des origines à nos jours، Alger، 2002.
20. Roger.G، La politique indigène du Bugeaud، Paris، Larose، 1955.
21. Rousc، Ch. France et Mrique du nord avant 1830. les persécuteurs de la conquête،Paillart، Paris 1،932
22. Yacono X.، Les bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouestdu Tell Algérois Dahra Chélif Ouarsenis Sarsoué،d. Larouse، Paris، 1953

ج. المجلات:

1. Bousquet R، l’affaire des grottes du Dahra 19 -20 Juin 1845 Revue Africaine، t. 51،1907.
2. Moulay B، Le_ combats de Mazagran (fëvrier 1840) légende et réalite، maJaleteEltarikh N°l2، Alger 1974،p 32.
3. Notaire; Guérin; Lésion de droits indivis par m:Fendi abdelkader a sons enfant Fendi Med; Nl18; janvier; 1919.

فهرس الأعلام والشخصيات

فهرس الشعوب والقبائل

فهرس المواقع والبلدان